حق اليقين

في

معرفة اصول الدين

منشورات الاعلمي

BOBST LIBRARY
3 1142 01490 4265

DATE DUE
DATE DUE

"Shubbar, 'Abd Allāh ibn Muḥammad Riḍā
/ Ḥaqq al-yaqīn fī ma'rifat uṣūl
al-dīn /

حق اليقين

فى

معرفة اصول الدين

تأليف

السيد الاعظم والعماد الأقوم علامة العلماء وتاج الفقهاء غياث المسلمين
رئيس الملة والدين جامع المعقول والمنقول مهذب الفروع
والاصول السيد الاكبر السيد عبد الله شبر قدس سره

الجزء الاول

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة العرفان ✲ صيدا ١٣٥٢ﻫ

BP
194
.S49
1980Z
v.1
c.1

ترجمة المؤلف (١)

حجة الإسلام السيد عبد الله شبر

مولده - نشأته - ثروته العلمية - عمله - خلقه وخلقه - مشائخه - اولاده تلامذته - صدى وفاته - كلمة اخيره -

مولده

ولد رحمه الله بالنجف الاشرف سنة ١١٨٨ ثم ارتحل والده العلامة الكبير السيد محمد رضا الى الكاظمية ومكث بها مكبا على الدرس والتدريس والتأليف والتصنيف إلى ان وافاه الاجل

نشأته

لا شك ان للتربية الاثر الكبير في نشوء الطفل وتهذيبه ورقيه ، ولكن مهما كانت التربية خصبة ومهما كانت صالحة ومنتجة فليست بمجدية اذا لم يكن الطفل ذا استعداد فطري يؤهله للرقي والتقدم ، ويعده للنبوغ والعبقرية ، ذلك ان التربية لا تكون رجلا ولا تخلق شيئا لم يكن إنما التربية كالمرآة تصقل العقل ، وتصفي الذهن ، وتصلح الناشئ ، على قدر استعداده وعلى قدر ما فيه من غرائز ومميزات ، فإذا كان للناشئ استعداد ، وأتيح له مدرسة تحضنه ، ومعلم يتعهده ويقوم بتهذيبه وتعليمه لا شك انه سينمو نموا باهرا ، ولا شك انه سيصبح رجل المستقبل

والسيد المترجم من أولئك الذين جمعوا بين شدة الذكاء واعتناء الآباء لذلك تراه قد أصبح بحق حجة من حجج الشيعة وقطبا من اقطاب الشريعة ، على علمه المعول ، وفي عمله يضرب المثل

ثروته العلمية

لا نستطيع ونحن نريد أن نبحث عن شخصيته ، وان نعرض الى ثروته العلمية إلا أن نطأطأ الرأس إجلالا لتلك الشخصية الكبيرة ، ونحني الظهور احتراما لتلك الثروة العلمية الخصبة وسوف لا ننتهي من البحث إلا وكلنا كلمة اكبار ، وكلنا كلمة تقدير واعجاب لهاتيك الآثار الخالدة التي تركها المترجم آية من آيات العلم ومعجزة من معجزات التأليف والتصنيف

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على ترجمة ضافية كتبها السيد محمد معصوم احد تلامذة السيد وخريج مدرسته

قد يعتريك الدهش إذا عرفت كثرة مؤلفات المترجم ومصنفاته وعرفت ان سنه لا يزيد عن ٥٤ ربيعاً هذا السن الضئيل الذي لا يخرجه عن سن الكهولة ، لا محالة سيعتريك هذا الدهش ولا سيما إذا عرفت ان آثاره منتوجات قيمة ومثمرة مخضها البحث ، وولدها الفكر الثاقب والنظر الصحيح

إذا فتحت التاريخ وقلبت الكتب تجد ان اكثر علماء الإمامية تأليفا وتصنيفا هو العلامة (ره) ذاك الذي بيض صحائف التاريخ الشيعي ، وذاك الذي خلد التاريخ ذكره ، وذاك الذي يعده التاريخ اكبر شخصية علمية تعرف بها ، واكبر شخصية ضمها بين دفتيه وحفظها في حقيبته ، وقد عدت مؤلفات العلامة الكثيرة من يوم ولادته الى حين وفاته فكانت كل يوم كراسا وأنت اذا رجعت الى مؤلفات السيد المترجم رأيتها لا تقصر عن ذلك ، ولكثرة ما صنف والف لقبه أهل عصره بالمجلسي الثاني وفي ذلك اقوى دليل على قوته العلمية ، وعلى ما كان له من المنزلة السامية ، فشخصية الإمام شبر إذن من الشخصيات الخصبة التي سيخلدها التاريخ ، وشخصية الإمام شبر من الشخصيات الفذة التي سيمجدها الخلف كما كان يمجدها السلف

ولقد ضمّ الى ثروته العلمية حافظة نادرة ، واطلاعا واسعا ، وضبطا شديدا ، فقد كان كثيرا ما يمتحنونه بقراءة متن الرواية ويقطعون السند وهو تغمده الله برحمته يسندها الى قائلها من أهل بيت الرحمة ومعدن الحكمة وقد تكرر ذلك منه ومنهم حتى تجاوز حد الاحصاء

أما طريقته في التأليف فلم يكن ليتطلب عند الكتابة العزلة عن الناس والجلوس في غرفة خاصة ، بل كثيرا ما كان يجلس في مجلسه العام بيمناه القلم وبيسراه القرطاس يؤلف تارة ، ويتحدث الى زائريه أخرى ، ثم تأتي خلال ذلك الدعاوي فيحلها أحسن حل فلا كثرة الزائرين ، ولا ضجيج المشتكين بشاغلين له عن التأليف والتصنيف ، وهكذا النفوس الكبيرة إذا كانت قد تذوقت حلاوة العلم فإنها لا محالة تذلل في سبيله كل صعب ، وهي لا محالة تجتاح في طريقه كل عقبة كؤود وها نحن نذكر مؤلفات السيد ومصنفاته للتعرف بهذه الشخصية الممتازة ، ولتعلم مقدار ما بذله هذا الإمام البحاثة من الجهود والخدمات التي تذكر مصحوبة بكل اعجاب واكبار وهي

(١) كتاب جامع الأحكام في الأخبار جمع فيه احاديث الأصولين والفقه من الكتب الأربعة وغيرها وهو يشتمل على عشرين مجلدا (١) في التوحيد عدد أبياته خمسة وعشرون

الف بيت[1] (٢) المبدء والمعاد ٣٠ الفا (٣) الأصول الأصلية ١٢ الفا (٤) قصص الأنبياء (ع) ٣٠ الفا (٥) احوال خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠ الفا (٦) القرآن والدعاء ٤٠ الفا (٧) الطب المروي (٨) المواعظ والرسائل والخطب (٩) فيما يتعلق بالنجوم (١٠) الطهارة ٢٤ الفا (١١) في الصلاة ٥٠ الفا (١٢) الزكاة والخمس والصوم ٢٠ الفا (١٣) الحج ٥٠ الفا (١٤) المزار ٢٠ الفا (١٥) الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٦) المطاعم والمشارب الى الغصب ١٥ الفا (١٧) الغصب والمواريث الى الديات ٢٧ الفا (١٨) النكاح ٣٠ الفا (١٩) المعاملات ٢٤ الفا (٢٠) الخاتمة الرجالية عشرة آلاف

(٢) مصباح الظلام في شرح مفاتيح شرايع الإسلام كتاب ضخم يحتوي على عدة مجلدات (١) مجلد في شرح ديباجته ٢٢ الفا (٢) في الطهارة والصلاة ٦٠ الفا (٣) في الزكاة والخمس والصوم ٢٠ الفا (٤) في الحج ١٠ آلاف (٥) النذر واخويه والحدود والجنائز ٣٠ الفا (٦) النكاح ٣٥ الفا (٧) المعاملات ٣٧ الفا (٨) القضاء والشهادات الى الآخر ١٥ الفا

(٣) المصباح الساطع ايضا في شرح المفاتيح ولكنه اخصر من الشرح السابق يحتوي على ست مجلدات في مائة الف بيت

(٤) ملخص جامع الأحكام وهو تلخيص الكتاب السابق يبلغ ستين الفا

(٥) ثم اختصره اختصارا آخر يبلغ اربعين الفا

(٦) جلاء العيون معرب عن كتاب فارسي للمجلسي في جلدين يبلغ ٢٢ الفا

(٧) منتخب الجلاء مختصر الكتاب السابق ١٢ الفا

(٨) مثير الأحزان في تعزية سادات الزمان خمسة آلاف

(٩) الحق اليقين في أصول الدين في جلدين يبلغ ١٥ الفا

(١٠) البلاغ المبين في أصول الدين ٣ آلاف

(١١) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار في جلدين ٢٢ الفا

(١٢) صفوة التفاسير كتاب جليل في تفسير القرآن الشريف اربع مجلدات ٦٠ الفا

(١٣) الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين في مجلدين ٣٠ الفا

(١٤) التفسير الوجيز جلد ١ ١٨ الفا

---

(١) يصطلح القدماء على البيت ما اشتمل على خمسين حرفا وهو ما يساوي سطرا

(١٥) شرح نهج البلاغة ٤٠ الفا
(١٦) زينة المؤمنين واخلاق المتقين في الاخلاق
(١٧) عجائب الاخبار ونوادر الآثار ١٢ الفا
(١٨) الدرر المنثورة في المواعظ المأثورة عن الله تعالى والنبي (ص) والائمة الطاهرين (ع) والحكماء ٢٠ الفا
(١٩) انوار الساعة في العلوم الاربعة معارف واخلاق وعجائب المخلوقات وفقه في ٨ آلاف
(٢٠) المواعظ المنثورة ١١ الفا
(٢١) نهج العارفين كتاب فارسي في الاخلاق الف وخمسمائة بيتا
(٢٢) رسالة فارسيه في عمل اليوم والليلة الف بيت
(٢٣) رسالة في حجية خبر الواحد من الاخبار
(٢٤) اعمال السنه كتاب على نمط زاد المعاد للعلامة المجلسي (ره) في ٧ آلاف
(٢٥) ذريعة النجاة في تعقيب الصلاة على نمط المصابيح للمجلسي (ره) في خمسة آلاف وخمسين بيتا
(٢٦) رسالة في حجية العقل وفي الحسن والقبح العقليين في ٤ آلاف
(٢٧) رسالة في تكليف الكفار بالفروع
(٢٨) علم اليقين في طريقة القدماء والمحدثين ٣٠ الفا
(٢٩) الجوهرة المضيئة في الواجبات الاصلية والفرعية
(٣٠) الرسائل الخمس الاستدلالية في العبادات
(٣١) سفينة النجاة الف ومائة بيتا
(٣٢) الشهب الثاقبه
(٣٣) تحفة الزائرين ١٢ الفا
(٣٤) نخبة الزائر ٤ آلاف
(٣٥) زاد الزائرين كتاب فارسي
(٣٦) ذريعة النجاة ٧٥٠٠ بيتا
(٣٧) انيس الذاكرين ٤ آلاف

(٣٨) روضة العابدين في مجلدين الاول فيما يتعلق بعمل اليوم والليلة وادعية الاسبوع وسائر ما يحتاج اليه والثاني اعمال السنة يبلغ ١٤ الفا

(٣٩) قصص الانبياء ٦ آلاف

(٤٠) المزار يجمع بين شرحي العربي والفارسي ٧ آلاف

(٤١) تسلية الفؤاد في الموت والمعاد ٧ آلاف

(٤٢) تسلية الحزين في فقد الاقارب والبنين ٤ آلاف

(٤٣) تسلية الفؤاد في فقد الاولاد ٢ الف

(٤٤) منهج السالكين في علم الاخلاق ١ الف

(٤٥) صفاء القلوب في الاخلاق ايضا ٢٥٠٠

(٤٦) كشف المحجة في شرح خطبة الزهراء (ع) ١٥٠٠

(٤٧) كشف الحجاب للدعاء المستجاب في شرح دعاء السمات ٢٠٠

(٤٨) اللامعة في شرح الجامعة ٤٠٠٠

(٤٩) تحفة المقلد رسالة فتوى من اول الفقه الى آخره ٣٥٠٠

(٥٠) زبدة الدليل رسالة استدلالية في الفقه ٤٠٠٠

(٥١) خلاصة التكليف في الاصول والعبادات (٥٠٠٠)

(٥٢) مطلع النيرين في إلفة القرآن وحديث احد الثقلين ٣٠ الفا

(٥٣) منية المحصلين في حقية طريقة المجتهدين ١٢ الفا

(٥٤) طب الائمة (ع) في احد عشر الفا

(٥٥) ارشاد المستبصر رسالة في الاستخارة الف بيت

(٥٦) البرهان المبين في فتح ابواب علوم الائمة المعصومين (ع) ٣٠ الفا

(٥٧) بغية الطالبين في صحة طريقة المجتهدين ٦ الاف

(٥٨) رسالة أخرى على نمط بغية الطالبين واظن ان اسمها المنهج القويم في طريقة القدماء والمحدثين

(٥٩) الجوهرة المضيئة في الطهارة والصلاة

(٦٠) رسالة في الحج الفان وخمسمائة

(٦١) المهذب في الاخلاق ١٢ الفا

(٦٢) طريق النجاة الف وثلاثمائة

(٦٣) رسالة فارسية في الفقه

(٦٤) رسالة أخرى فارسية في الطهارة والصلاة

(٦٥) احسن التقويم في ما يتعلق بالنجوم على حسب ما ورد في الشرع الاقدس

(٦٦) رسالة فيما يجب على الانسان

(٦٧) رسالة في فتح باب العلم والرد على من يزعم انسداده

(٦٨) شرح الحقائق في الاحكام لم يكمل

(٦٩) الدر المنظوم في مشكلات العلوم لم يكمل

(٧٠) رسالة في عمل اليوم والليلة تشتمل على اربعين حديثا على ترتيب الحروف وهناك حواش واجوبة مسائل كثيرة يطول المقام بذكرها

عمله

عرفت انهماك السيد في التأليف والتصنيف وعرفت انه قد كرس جميع اوقاته في النهار لهذه المهمة وانه كان قد وقف نفسه للقيام بحاجات الناس وشؤونهم ، اما الليل فقد فرغ قسما منه كبيرا للعبادة والمناجاة وغير ذلك مما يقوم به العبد الصالح تجاه باريه ومصوره وبالجملة فقد جبل السيد من عمل فهو لا يرى الا حالا مسألة او مشغولا يدفع مشكلة او سائرا في قضاء حاجة ، فسبحان الذي صنعه فأتقن صنعه ، وصوره فأحسن تصويره فقد جعله مثالا للمكارم وجامعا لشتى الفضائل

خلقه وخلقه

كان ربعة من الرجال في القامة ، وكان بدينا سمينا ووجهه كانه فلقة قمر بهي المنظر وشعر كريمته كانه سواد السبج ، اذا نظر الناظر الى وجهه وسمع عذوبة لفظه لم تسمح نفسه بمفارقته ، وتسلى عن كل شئ بمخاطبته هكذا وصفه تلميذه وهكذا حدثنا عنه ، واما خلقه فقد كان آية في الاخلاق كان باسم الثغر ، طلق المحيا ، يحنو على الصغير ، ويعطف على الكبير ، وكان ركنا حصينا للضعفاء ، وصولا لهم ، باراً بهم ما استطاع الى ذلك سبيلا وكان يعود المرضى ويصلي على جنائز المؤمنين الى غير ذلك من خلاله الفاضلة وصفاته الحميدة التي رفعت منزلته واحلته مكانا عليا بين محبيه ومناوئيه

مشائخه

درس على العلامة السيد والده ردحا من الزمن غير قليل ، كما انه درس ايضا على علامة عصره في ذلك الوقت الامام الكبير السيد محسن الاعرجي صاحب المحصول والوسائل وشرح الوافية وغير ذلك من المؤلفات الممتعة ، واجازه شيخ الطائفة الإمام الاكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ذلك الكتاب الجليل الذي يعد مصدراً وثيقا من مصادر الفقه الجعفري منبعا فياضا يستقي منه علماء الشيعة اليوم وقبل اليوم

اولاده

(اثر عن النبي (ص) انه قال ان المرء اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به بعد حياته او ولد صالح يدعو له ، او صدقة جارية) هذه الصفات التي ذكرها النبي (ص) في هذا الحديث الذهبي الشريف هي الخلال التي تمجد الرجل ، وهي التي تخلد اسمه وهي التي ترفع منزلته ، وقد شاء ربك — وهو اللطيف بالسيد المترجم — ان لا ينقطع عمله ، وان لا يحرمه من هذه الخلال الفاضلة التي لا يمنحها الا لمن ارتضى فأفاض عليه — بعد ان منحه علما نافعا ووفقه للصدقات الجارية = من الاولاد الصالحين الذين جمعوا اميز العلم والعمل = وهم العلامة السيد حسين والعلامة السيد حسن المتوفى في الكاظمية سنة ١٢٤٦ والبر التقي السيد محمد المتوفى في كربلا سنة ١٢٥٢ والعلامة السيد جعفر وله شرح على شرايع الاسلام برز منه اربع مجلدات = والسيد موسى والسيد محمد جواد وقد توفيا سنة ١٢٤٦ تغمد الله الجميع برحمته

تلامذته

كان السيد المترجم عليه الرحمة علما من اعلام الشيعة ، وشخصيته علمية بارزة لذلك كان محط رحال اهل العلم ، وموضع آمال المشتغلين من طلاب الدين فقد كان الطلاب يتهافتون على الحضور في حلقة بحثه ، ويبذلون الوسع في تفهم نظرياته ودرسه ، وقد تخرج على يديه عدد من العلماء ليس بالقليل ، فقد تخرج من درسه العلماء الآتية اسماؤهم : الشيخ عبد النبي الكاظمي الرجالي المعروف والشيخ اسماعيل نجل الشيخ اسد الله والسيد علي العاملي وولد المترجم السيد حسن والشيخ محمد جعفر الدجيلي والشيخ محمد رضا نجل الشيخ زين العابدين والشيخ احمد البلاغي والشيخ محمد اسماعيل الخالصي والشيخ مهدي نجل الشيخ اسد الله والملا محمد علي التبريزي والملا حسين التبريزي والملا محمود الخوئي والسيد محمد علي حفيد الإمام الكبير السيد محسن

الاعرجي والشيخ حسين محفوظ العاملي والسيد هاشم نجل السيد راضي وغيرذلك من العرب والعجم الذين حضروا بحث السيد واستفادوا منه واما الذين عددنا اسماءهم فكلهم علماء وكثير منهم مؤلفون ولولا ضيق المجال لذكرنا طرفا من آثارهم افاض الله على الجميع من شآبيب رحمته واسكنهم الفسيح من جنته

صدى وفاته

سنة ١٢٤٢ وفي ليلة الخميس من رجب في الكاظمية فارقت نفس السيد الزكية هذه الحياة وما ان اصبح الصباح حتى ماجت الكاظمية باهلها ، وجاءت بغداد بأسرها فكنت لاترى الناس الا باكيا وصارخا ، ولاطما ولادما وقد استولى الدهش على الناس ، واعتراهم الجزع لهول المصاب فطفقوا يتدفقون كالسيل ويهرعون لتشييع جثمان الفقيد وقد حملوا النعش على الاكف وقلوبهم تكاد تنخلع اسى وأسفا على ما حل بهم من هذه المصيبة المؤلمة ، وقد ساروا بالنعش حاسرين عن رؤسهم ، لاطمين صدورهم ينشدون الاهازيج الشعبية المؤلمة الى ان اوصلوه الى الصحن الشريف ، وهناك تقدم ولده العلامة السيد حسن للصلاة عليه وأتم الجمهور المشيع خلفه فصلوا عليه ثم دفنوه في رواق الكاظميين مما يلي الوجه الشريف في الحجرة التي دفن فيها ابوه قدس سرهما وانفضوا راجعين وكل منهم يرسل العبرات ويتبعها بالزفرات ولسان حالهم يقول

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

واقام له ولده السيد حسن فاتحة معظمة حضرها الجمع الغفير كما ان حجة الاسلام الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر اقام له ايضا فاتحة فخمة حضرها الجمهور النجفي وقد رثي بعدة قصائد مؤثرة تدل على ما كان للسيد الفقيد من مكانة سامية في نفوس محبيه وعارفي فضله رحمه الله رحمة واسعة

كلمة اخيرة

يجدر بنا ونحن قد فرغنا من ترجمة السيد ان نعرض الى كتابه « الحق اليقين » الذي كتبنا هذه الترجمة بمناسبة بروزه الى عالم الطبع وقد رأينا على ظهره كلمة بليغة لشيخ الطائفة الإمام الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ننقلها كما هي ليتعرف القارئ بمنزلة الكتاب الرفيعة لدى اكبر عالم شيعي في عصر المؤلف قال رحمه الله بعد التسمية وحمد الله والصلاة على النبي

وآله: لقد جئت بما ابهر العقول واذعن له علماء المعقول والمنقول وبما فتح مقفلات المسائل واثبتها بالشواهد والدلائل رويدا فقد رقيت اعلى المراقي ومهلا فما بقي من مهمات المطالب باقي لقد بنيت للعلم مدينة فرفعت البناء وبالغت في بنيانها حتى بلغت عنان السماء ولا غرو فإنك من اهل بيت علا فوق السبع الطباق وابن من دنى فكان قاب قوسين او ادنى من محل تجلي المصور الخلاق فقل غير متأثم وانت محق صادق

واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الخلائق

هذا ما قاله شيخ الطائفة في تقريض الكتاب نقلناه بأمانة وتثبت وانت ترى انه اثبت له في هذا الكتاب مكانة سامية تخوله لأن يستشهد بالبيت المتقدم ولأن يستشهد وهو محق صادق غير متأثم في نظر الشيخ في هذا الاستشهاد والشطر من البيت المتقدم معروف هكذا «لآت بما لم تستطعه الأوائل» وهذا ليس بخاف على شيخ الطائفة غير انه لا يريد ان يكتفي بأن يثبت له في هذا الكتاب التفوق على الاوائل فحسب ليحتفظ بالبيت كما هو وانما يريد أن يثبت له منزلة فوق ذلك منزلة لا يدرك شأوها الأوائل والأواخر وهذا هو الذي دعاه لأن يأتي بلفظ الخلائق بدلا عن الأوائل واذا كان الكتاب في هذه المثابة بنظر شيخ الطائفة فهو اذن ليس في حاجة الى مدح الكاتبين او تقريظ المقرظين

أما اسلوب الكتاب العلمي شأن غيره من الكتب العلمية وهو في غزارة مادته وقوة حجته وساطع برهانه ما يجعله في غنى عن ترصيف اللفظ وتزويق التعبير

وبالجملة ان هذا الكتاب كنز ثمين ومادة خصبة للباحثين الذين يريدون ان يكتبوا في الإمامة او غيرها من بحوث اصول الدين ونحن لا يسعنا الا ان نشكر العلامة المفضال السيد علي شبر على ما ابداه من الهمة الشماء في ابراز هذا السفر الثمين الى عالم الطبع وعلى ما بذل من الجهود العظيمة في سبيل ذكر مصادر الكتاب وتعيين صفحاتها الامر الذي يحتاج الى متسع من الوقت وعناء كبير لا يقل عن عناء المؤلف نفسه فجزاه الله عن جده وعن الامة الاسلامية خير جزاء المحسنين

النجف الاشرف محمد صادق السيد محمد حسين الصدر

فهرست الجزء الاول من كتاب

الحق اليقين في معرفة اصول الدين

صفحة

٢ خطبة الكتاب

٣ الباب الاول في الاقرار بوجود الصانع ووحدته وصفاته الكمالية ونعوته الجمالية والجلالية وفيه فصول

٣ الفصل الاول في الاقرار بوجوده تعالى

١٤ الفصل الثاني في التوحيد وله اربعة معان

١٧ الاول توحيد واجب الوجود

١٧ الثاني توحيد صانع العالم

١٨ الثالث توحيد الإله وهو المستحق للعبادة

١٩ الرابع التوحيد في الخلق والرزق

٢٠ الفصل الثالث في صفاته الثبوتية

٢٢ الاول في قدرته تعالى

٢٤ الثاني في اختياره تعالى

٢٥ الثالث في علمه وحكمته تعالى ونبذة في خلق الحيوانات

٢٩ الرابع في قدمه وازليته تعالى

٢٩ الخامس في سمعه وبصره تعالى

٢٩ السادس في حياته تعالى

٣٠ السابع في ادراكه تعالى

٣٠ الثامن في ارادته وكراهته تعالى

٣٣ التاسع في متكلميته تعالى

٣٤ العاشر في صدقه تعالى

٣٤ في ان صفاته تعالى عين ذاته والاستدلال على ذلك بخمسة وجوه

صفحة

٣٦ الفصل الرابع في صفاته السلبية
٣٧ الاول في انه تعالى لا شريك له
٣٧ الثاني في انه تعالى ليس بمحتاج
٣٧ الثالث في انه تعالى ليس بمركب
٣٧ الرابع في انه تعالى ليس محلا للحوادث
٣٨ الخامس في انه تعالى لا يحل ولا يتحد بغيره
٣٨ السادس في انه تعالى ليس بجسم
٣٩ السابع في انه تعالى لا يرى بحاسة البصر
٤٠ الثامن في انه تعالى لا يفعل قبيحا
٤٠ التاسع في انه تعالى لا يشبه شيئا من مخلوقاته
٤١ في ان صفاته تعالى على ضربين صفات ذات وصفات فعل
٤٢ الفصل الخامس في جملة من نعوته تعالى التي نعته بها اولياؤه واصفياؤه
٤٤ الفصل السادس في انه لا سبيل للمخلوق في معرفة كنه ذاته تعالى وان المعرفة لها طرفان
٤٧ في انه لا سبيل للمخلوق في معرفة كنه صفاته تعالى
٤٨ الفصل السابع في ان ما يطلق عليه تعالى وعلى غيره من الصفات فانما يطلق عليهما بمعنيين مختلفين
٥٠ الفصل الثامن في اسمائه تعالى
٥٠ في ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما
٥٣ في ان اسماءه تعالى تنقسم الى جمالية وجلالية
٥٤ الباب الثاني في العدل وفيه مباحث
٥٥ المبحث الاول في انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب
٥٥ المبحث الثاني في ان الحسن والقبح عقليان
٥٥ في بطلان مذهب الاشاعرة القائلين بأن الحسن والقبح شرعيان

صفحة

٥٧ المبحث الثالث في ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب
٥٧ المبحث الرابع في انه لا يجوز ان يعاقب الله الناس على فعله
٥٧ المبحث الخامس في ان افعال الله معللة بالأغراض
٥٧ في بطلان مذهب الاشاعرة القائلين بأنه يجوز على الله ان يفعل لا لغرض ولا لمصلحة
٥٨ المبحث السادس في انه لا يحسن من الله تعالى ان يظهر المعجزات على ايدي الكذابين
٥٨ المبحث السابع في انه لا يجوز في حكمة الله تعالى ان يكلف احدا فوق طاقته
٥٨ المبحث الثامن في ان الله تعالى لم يضل احدا من عباده
٥٨ المبحث التاسع في ان الله تعالى اراد الطاعات واحبها ورضيها وكره المعاصي والفواحش ولم يحبها ولم يرضها
٥٩ في الرد على من قال بأن الله تعالى اراد المعاصي وكره الطاعات كما ذهب اليه الاشاعرة وجمهور المخالفين
٥٩ المبحث العاشر يحسن من الله تعالى ان يعامل خلقه كمعاملة الممتحن المختبر
٦٠ المبحث الحادي عشر في القضاء والقدر
٦٠ المبحث الثاني عشر في ان العباد ليسوا مجبورين على افعالهم خلافا للاشاعرة القائلين بالجبر
٦٥ في استدلال الاشاعرة على مذهبهم من الجبر
٦٦ في الجواب عن شبهات الأشاعرة
٦٩ المبحث الثالث عشر في نفي الجبر والتفويض واثبات الامر بين الأمرين
٧٥ المبحث الرابع عشر في وجوب اللطف على الله وهو ما يقرب العبد إلى طاعته ويبعده عن معصيته من غير الجاء ولا اجبار
٧٥ المبحث الخامس عشر في البداء ومعناه في حقه تعالى وان من تعظيم الله القول بالبداء
٧٨ في ان لله تعالى لوحين احدهما اللوح المحفوظ والآخر لوح المحو والإثبات
٧٩ المبحث السادس عشر في احوال الملائكة
٨٢ المبحث السابع عشر في كتب الله المنزلة على انبيائه والكتب التي عند آل محمد (ص)
٨٤ الباب الثالث في النبوة والإمامة وفيها مباحث
٨٤ المبحث الاول في الاحكام المشتركة بين النبي (ص) والإمام (ع) وفيه فصول

صفحة

٨٤ الفصل الأول في بيان اضطرار الخلق إلى الرسول والإمام واحتياجهم إلى ذلك ووجوب ارسال الرسل ونصب الأئمة على الله تعالى والدليل على ذلك
٨٥ في ذكر احتجاج المتكلمين كهشام بن الحكم وحمران بن اعين والاحول وهشام بن سالم وقيس الماصر وكلام بعض المحققين
٩٠ الفصل الثاني في وجوب عصمة الأنبياء والأئمة
٩١ في ذكر خلاف بعض من جوز المعصية على الأنبياء
٩٣ في شبهة من جوز السهو على النبي (ص) وردها والجواب عنها
٩٧ الفصل الثالث انه لا خيرة للخلق في اختيار الإمام وخالف في ذلك العامة
٩٨ الفصل الرابع في طرق معرفة النبي (ص) والإمام (ع)
٩٩ الفصل الخامس يجب ان يكون الواسطة بين الله وعبيده افضل اهل زمانه نبيا كان الواسطة او وصيا
٩٩ الفصل السادس يجب تنزيه الأنبياء عن كفر الآباء والأمهات
١٠٠ الفصل السابع في صفات النبي ونعوته
١٠٢ الفصل الثامن في الفرق بين الرسول والنبي والإمام والولي وان الانبياء والرسل على طبقات
١٠٤ الفصل التاسع فيما هو اشرف معجزات الأنبياء وافضلها
١٠٥ الفصل العاشر في ان نبينا (ص) وآله المعصومين افضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين
١٠٧ المبحث الثاني في النبوة وفيها فصول
١٠٧ الفصل الأول في عدد الأنبياء
١١٠ الفصل الثاني في اولي العزم من الأنبياء
١١١ الفصل الثالث في اثبات نبوة نبينا محمد (ص) واوصافه واخلاقه وفضائله ومعجزاته وكراماته ونعوته ومحاسن آثاره وفيه مقامات
١١١ المقام الأول في ان نبي هذه الأمة محمد بن عبد الله والدليل على نبوته
١١٣ في وجه اعجاز القرآن الشريف
١١٧ المقام الثاني في سائر معجزات نبينا (ص)
١٢٠ في المعجزات الكائنة في بدنه الشريف وحين ولادته (ص)
١٢٢ المقام الثالث في بيان جملة من اخلاق نبينا ونعوته واوصافه

صفحة

١٢٥ المقام الرابع في خصائص نبينا التي خص بها عن امته
١٢٦ المقام الخامس في معراج نبينا (ص)
١٣٣ المقام السادس يجب الإيمان بأن نبينا خاتم الأنبياء
١٣٤ في طهارة آباء النبي
١٣٥ المقام السابع في ان نبينا قبل بعثته هل كان متعبدا بشريعة ام لا
١٣٦ المقام الثامن في ان نبينا كان أميا وفي معنى الأمي
١٣٦ المبحث الثالث في الإمامة وفيه مقاصد
١٣٦ المقصد الأول في وجوب نصب الإمام والدليل عليه عقلا ونقلا
١٤٠ المقصد الثاني في بيان شرط الإمام
١٤١ في عصمة الإمام
١٤١ في افضلية الإمام من جميع رعيته
١٤١ في ان الإمام يجب ان يكون منصوصا عليه
١٤١ المقصد الثالث في طريقة معرفة الإمام
١٤٢ المقصد الرابع في تعيين الإمام بعد رسول الله (ص) وفيه مباحث
١٤٣ المبحث الاول في الادلة العقلية الدالة على انه هو علي بن ابي طالب (ع)
١٤٤ المبحث الثاني في الآيات القرآنية الدالة على انه هو علي بن أبي طالب (ع)
١٥٣ المبحث الثالث في الاخبار المروية من طرق الجمهور الدالة على انه هو علي بن ابي طالب (ع)
١٦٠ المبحث الرابع في الاخبار التي رواها الجمهور والدالة على افضليته على غيره وجامعيته لاوصاف ونعوت لم تجتمع في غيره
١٦٦ فيما رواه ابن حجر في صواعقه من فضائله (ع)
١٧٠ في ارتداد الشمس له (ع)
١٧٣ في كلام للخليل بن احمد النحوي وابن ابي الحديد المعتزلي في فضله (ع) وان جميع العلوم اليه استندت ومنه اخذت
١٧٧ المبحث الخامس في مطاعن بعض الصحابة التي ذكرها العامة في مصنفاتهم
١٩٢ فيما ورد عن النبي (ص) في لعن معاوية بن ابي سفيان وسبه والدعاء عليه وذمه

صفحة

١٩٣ في جواب من اعترض على الإمامية بتعرضهم للصحابة
١٩٥ البحث السادس في الدليل على حقية امامة باقي الأئمة الاثني عشر
١٩٥ فيمن يطلق عليه لفظ الشيعة وسائر فرقهم والعامة
١٩٦ في النصوص الدالة على امامة الأئمة الاثني عشر (ع) من طرق الخاصة والعامة وهو الطريق الاول من طرق الاستدلال على امامتهم
٢٠٣ في النصوص الدالة على الائمة الاثني عشر مما رواه ابن حجر
٢٠٧ فيمن انكر وجود النص على امير المؤمنين (ع) والجواب عنه
٢١١ الطريق الثاني العصمة
٢١١ الطريق الثالث النص
٢١١ الطريق الرابع الافضلية
٢١١ الطريق الخامس الاجماع
٢١١ الطريق السادس النصوص المتواترة من بعضهم على بعض
٢١٣ المبحث السابع في بيان الفتن الواقعة بعد النبي (ص)
٢١٥ في عد جملة من الصحابة ممن لم يكن داخلا في الاجماع المدعى
٢٢٢ المبحث الثامن في نبذة يسيرة من احوال الغائب المستتر الإمام الثاني عشر وفيه مقاصد
٢٢٢ المقصد الاول في ولادته (ع)
٢٢٤ المقصد الثاني في صفاته وعلاماته (ع)
٢٢٤ المقصد الثالث في بعض معجزاته واحوال سفرائه
٢٢٥ المقصد الرابع فيما فيه من سنن الانبياء
٢٢٥ المقصد الخامس في معجزاته
٢٢٦ المقصد السادس في علامات ظهوره
٢٢٧ المقصد السابع في فضل انتظار فرجه
٢٢٨ المقصد الثامن في يوم خروجه ومدة ملكه ومسيره وعدد اصحابه وخصائص زمانه
٢٢٩ تنبيه
٢٣٢ جدول الخطأ والصواب
٢٣٨ ترجمة المؤلف
٢٤٧ فهرست الكتاب

حق اليقين

فى

معرفة اصول الدين

تأليف

السيد الاعظم والعماد الأقوم علامة العلماء وتاج الفقهاء غياث المسلمين
رئيس الملة والدين جامع المعقول والمنقول مهذب الفروع
والاصول السيد الاكبر السيد عبد الله شبر قدس سره

الجزء الاول

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة العرفان ☆ صيدا ١٣٥٢هـ

إذا ما خفت تسقط عن عثار بمزلق هوّة وضلال دين
وجدت به الدلائل واضحات إذا شاهدته حق اليقين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي تقدس عن ادراك الافهام وجل وعلا عن احاطة العقول والاوهام الذي حارت لطائف الاوهام في بيداء كبريائه وعظمته ولم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته الذي ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه وآلهة حيرى ولم يجعل لمرقى اقدام العقول إلى عظمته مجرى والصلاة على سيد العارفين وافضل المرسلين وخير النبيين ومن كان نبياً وآدم بين الماء والطين محمد وآله المعصومين الذين هم محال معرفته ومعادن حكمته الداعين اليه والدالين عليه معادن المعارف والحقائق وكنوز العلوم والدقائق الذين من ركب سفن هدايتهم نجا ومن تخلف عنها زل وضل وهوى

اما بعد فيقول العبد المذنب العاصي الغريق في بحار الآثام والمعاصي افقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني تفضل الله عليهما بكمال الإيمان والايقان والعرفان وختم لهما بالسعادة الأبدية والرضوان هذه تحقيقات شافية وتدقيقات وافية ومهمات كافية قد تضمنت معرفة الإيمان بالله واليوم الآخر واصول الدين ومعارف اليقين وسائر اصول الفرقة المحقة والطائفة الحقة بالبراهين القطعية والأدلة اليقينية ومحكمات الآيات القرآنية والأخبار المعصومية والشواهد العلمية قد جمعت بين المعقول والمنقول ويحق ان تذعن لها ارباب الاذهان والعقول وان تسمى بالحق اليقين في معرفة اصول الدين وقد رتب على خمسة ابواب وفصول وخاتمة والتوفيق من الله مأمول

الباب الاول

في الاقرار بوجود الصانع ووحدته وصفاته الكمالية ونعوته الجمالية والجلالية وفيه فصول

الفصل الاول

في الاقرار بوجوده تعالى

اعلم ان وجوده تعالى لكمال ظهوره وغاية وضوحه اجل من يحتاج إلى بيان وأوضح من ان يتوقف على دليل وبرهان فإن العيان يغني عن البيان والوجدان يكفي عن الشاهد والبرهان ومن تأمل حق التأمل في الشمس والقمر والرياح والسحاب والامطار والجبال والبحار والأشجار والاثمار واختلاف الليل والنهار وسائر ما يحدث فيهما من غرائب صنع الله تعالى وآثار رحمته يعلم علما قطعيا ويجزم جزما بديهيا ان تلك الغرائب وهاتيك العجائب وهذه الموجودات وتلك المصنوعات واختلاف تلك الحركات واجتماع تلك العناصر المختلفات لم توجد بغير صانع قديم عليم حكيم ابدي سرمدي قدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير إذ لو كان منها اومثلها لاحتاج إلى خالق آخر كما احتاجت إلى ذلك ولم يستقم وجوده إلا بما هنالك

فواعجبا كيف يعصي الإله ... ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

بل إذا تأمل الإنسان في خلق نفسه فضلا عن سائر انواع الحيوان كيف اودع في الاصلاب بعد ان خلق من تراب ثم قر في الأرحام نطفة ثم صار علقة ثم صارت العلقة مضغة ثم صارت المضغة عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم صار خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم اخرجه من بطن امه في خلق حسن وصنع محكم متقن واسلوب عجيب ووضع غريب جعل له عينين ولسانا وشفتين وصماخا واذنين ويدين ورجلين وهداه النجدين علم علما قاطعا وتيقن يقينا ساطعا ان له موجدا صانعا فحق على كل عاقل لبيب وفرض ان يقول اني الله شك فاطر السماوات والارض وإن أردت وضوح الدليل وطلبت ايضاح السبيل فاستمع لما يتلى عليك من الدلائل العقلية والبراهين القطعية والشواهد اليقينية اللتي نطقت بها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاخبار المعصومية ولا تظن أنها في هذا الباب لا يجوز التعويل عليها والاعتماد والركون

اليها فإنها كما اشرنا براهين قطعية ودلائل عقلية ضرورية يشهد بها العيان ويحكم بها الوجدان فليست بأدون مما برهنه الحكماء والمتكلمون ولا بأضعف مما رقمه الاشراقيون والمشاؤون فإنك إذا تأملت في معانيها وتدبرت في مبانيها وجدتها دلائل قاطعة وبراهين ساطعة على وجود الصانع بل وحدته وسائر صفاته (قال الله تعالى إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) أي (إن في خلق السماوات) على هذا الوضع العجيب والنمط الغريب وما فيها من الشمس والقمر والنجوم الثوابت والسيارات وحركاتها المختلفة كماً وكيفاً وجهة (والارض) على حجمها وثقلها ورسوبها في الماء وتوسطها بين الصلابة والرخاوة لتكون مأوى أنواع الوحوش ومسكن اصناف الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم وما فيها وعليها من المياه والجبال والمعادن ونحوها من منافع الخلق التي تعجز عن ادراكها العقول وكرويتها الموجبة لاختلاف الآفاق والطوالع والطلوع والغروب واختلاف الأقاليم واهويتها الموجبة لاختلاف امزجة سكانها واهاليها واخلاقهم والوانهم (واختلاف الليل والنهار) اي تخالفهما وتعاقبها بأن يذهب احدهما ويجيء الآخر خلفه لاختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان ودخول كل منهما في الآخر ولاختلافهما فوائد ومنافع للخلق (والفلك) اي السفن (التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من المحمولات والمجلوبات وغوص اللئالي ووضع السفن على هذا الشكل المخصوص الذي يدخل فيه الهواء ولا يغوص في الماء وحمله للأمتعة الكثيرة واصناف الحيوانات التي لا يمكن انتقالها بغيره وجريه في (الماء) بسوق الرياح وجعل البحر متوسطا بين الكثيف واللطيف إذ لو كان لطيفا مثل الهواء لغاص الفلك فيه ولو كان كثيفا مثل الارض لما مشي عليه (وما انزل الله من السماء من ماء) حيث ينزل المطر متقاطرا متعاقبا ولو نزل متصلا دفعة لأضر كما يصيبه ونزوله في وقت دون آخر إذ لو دام نزوله لتعفنت البقول والنباتات واسترخت ابدان الناس والحيوان وفسد الهواء واحدثت ضروبا من الامراض والوباء وافسد الطرق والبناء ولو دام الصحو جفت الارض واحترق النبات وغيض ماء العيون والانهار ويبست الاشجار وحدث القحط والجدب والامراض وهلكت الأرض ومن عليها ومافيها (فأحيا به الأرض بعد موتها) من الزروع وسائر النباتات (وبث فيها من كل دابة) مختلفة في الطبايع

والاخلاق والاشكال والادراك والحواس والحركات والمنافع والاهتداء إلى طرق المعاش (فمنها) ما يمشي على بطنه كالحيات (ومنها) ما يمشي على رجلين كالإنسان (ومنها) ما يمشي على اربع كالفرس (ومنها) ما يمشي على اكثر كبعض الحشرات (ومنها) ما يمشي تارة ويطير اخرى كالطير (ومنها) ما يدخر قوته بحيلة وتدبير كالعنكبوت والنملة (ومنها) ما يطلب قوته عند الحاجة كالطير فإنها تذهب خماصا وتعود شباعا (ومنها) ما في خلقه صنع عجيب كالبعوضة فإنها مع صغرها على هيئة الفيل مع زيادة الجناحين (ومنها) ما لا يحتاج إلى بيت حيث كان من الارض (ومنها) ما يبني بيتا على شكل عجيب وطرز غريب لا يهتدي اليه المهرة من المهندسين كالنحل (ومنها) الإنسان فإنه إذا تأمل في نفسه عرف ربه فليعتبر حاله نطفة في الرحم وصيرورته جنينا حيث لا تراه عين ولا تناله يد مع اشتماله على جميع مافيه قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح وسائر الاعضاء وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ولا حيلة له ولغيره في طلب غذائه ودفع اذاه فيجري اليه من دم الحيض ما يكون له غذاء فلا يزال غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي جلده على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأمه فازعجه اشد ازعاج حتى يولد فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه في الرحم إلى ثدي أمه وانقلب طعمه ولونه إلى ضرب آخر من الغذاء فإذا جاع حرك شفتيه والهم التقام ثدي امه الذي خلق على ذلك الشكل الغريب والطرز العجيب وجعل ينضح كلما مصه ولو جرى لاختنق الصبي وجعل متعددا ليكون واحدا طعاما والآخر شرابا فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن رقيق الاسماء لين الاعضاء حتى إذا قوي واحتاج إلى غذاء فيه صلابة طلعت له الطواحين من الاسنان والاضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه وتسهل له اساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك وتأمل في كيفية تدبير البدن ووضع هذه الاعضاء وتلك الاوعية وفكر في اعضاء البدن وتدبيرها للامور فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء واللسان للتكلم والحنجرة لتقطيع الصوت وتحصيل الحروف والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج لإقامة النسل فتبارك الله احسن الخالقين وشرح عجائب ما اودع في خلق الإنسان من عجائب التدبير وغرائب التقدير يحتاج إلى مجلدات كثيرة (وتصريف الرياح) في مهابها صباء ودبورا وشمالا وجنوبا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة

ولينة وعقما ولواقح وجعلها تارة للرحمة يرحم بها من اطاعه وتارة للعذاب يعذب بها من عصاه وما فيها من الفوائد حيث أن الريح تحيي الابدان وتمسكها من داخل بما تستنشق منها ومن خارج بما تباشرها من روحها وتبلغ الاصوات وتؤديها إلى المسامع وتلقح الشجر وتسير السفن وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) بحيث يحمل الماء مستقلا في الهواء مع اجتماعه بعد تفرقه وتفجره بعد تمسكه وارتفاعه مرة ودنوه اخرى (لآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى إن في اختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من ماء فاحيي به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى وفي الارض قطع متجاورات اي بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها حجر وبعضها رمل وبعضها اسود وبعضها ابيض وبعضها معدن الجواهر المختلفة كالياقوت والعقيق والفيروزج والزبرجد والذهب والفضة وبعضها معدن النحاس والرصاص والحديد والقير ونحوها مما يستعمله الناس في مآربهم هذا كله مع اتحاد الطبيعة الارضية وجنات جمع جنة وهي البستان سميت بها لاجتنانها اي استتارها بالاشجار والاغصان والاوراق من اعناب وزرع ونخيل صنوان اي نخلات اصلها واحد وهو ان تطلع نخلتان من عرق واحد وغير صنوان وهذا الاختلاف ليس من جهة الطبيعة والصورة لأنه يسقى بماء واحد في الطبيعة والصورة ونفضل بعضها على بعض في الأكل اي في المقدار والكم والكيف والطعم والريح ان في ذلك المذكور لآيات على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وسائر صفاته لقوم يعقلون وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في دلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون وقال تعالى إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما بث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيي به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون والآيات في ذلك كثيرة

وقال الديصاني للصادق (ع) دلني على معبودي فقال له اجلس واذا غلام له صغير وفي كفه بيضة يلعب بها فقال (ع) ناولني يا غلام البيضة فناوله اياها فقال له (ع) يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المايعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المايعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها لا يدرى الذكر خلقت ام للانثى تنفلق عن مثل الوان الطواويس اترى لها مدبراً قال فأطرق مليا ثم قال أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله وأنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه (وقيل للرضا) (ع) يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم فقال (ع) انك لم تكن ثم كنت وقد علمت انك لم تكوّن نفسك ولا كونك من هو مثلك

وقال (ع) في حديث آخر اني لما نظرت الى جسدي ولم يمكني فيه زيادة ولا نقصان فى العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنفعة اليه علمت أن لهذا البنيان بانيا فاقررت به مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبينات علمت أن لهذا مقدرا ومنشئاً

وسئل امير المؤمنين (ع) بماذا عرفت ربك قال بفسخ العزائم ونقض الهمم لما هممت فحيل بيني وبين همي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت ان المدبر غيري وفي جامع الاخبار سئل أمير المؤمنين (ع) عن اثبات الصانع فقال (ع) البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة لا يدلان على اللطيف الخبير ونحوه محكي عن الاعرابي

وسئلت عجوز عن الدليل على وجود الصانع فقالت دولابي هذا فإني ان حركته تحرك وان لم احركه سكن والى هذا اشير في الحديث عليكم بدين العجائز

وعن بعض الفضلاء انه لما اراد ان يكتب رسالة في اثبات الواجب قالت له امرأته ما تكتب قال رسالة في اثبات الواجب فقالت له افي الله شك فاطر السماوات والارض فترك تأليف ما أراد

وحكي أنه كان لبعض الملوك شك في وجود الصانع وكان قد تنبه منه وزيره ذلك وكان

الوزير عاقلا فامر ببناء قصور عالية واجراء مياه جارية واحداث بساتين عامرة وأشجار وانهار سائرة في مفازة من الارض من غير أن يعلم الملك ذلك ثم ذهب الوزير بالملك الى ذلك المقام على سبيل المرور في بعض الايام فلما رأى الملك ذلك سأل الوزير وقال من بنى هذا وفعله فقال الوزير إنه حدث من تلقاء نفسه وليس له بان وصانع فغضب الملك عليه لقطعه بأن ذلك محال لا يكون فقال له الوزير يطول عمرك ايها الملك ان كان وجود هذا البناء بلا بان ممتنعا فكيف يصح هذا البناء العظيم اعني الارضين والسماوات وما فيهن من العلويات والسفليات بلا فاعل وصانع فاستحسن الملك كلامه وتنبه وزال الشك عنه

اقول وانت إذا تأملت ذلك وتدبرت فيما هنالك اتضحت لك حقيقة الحال وزالت عنك غياهب الإشكال واستغنيت عما ذكره المتكلمون في كتبهم الكلامية من بسط الكلام واتساع دائرة النقض والإبرام فإنك تجد من نفسك بغير اشكال كما قال بعض الابدال إنك لم تخلق روحك ولا جسدك ولا حياتك ولا عقلك ولا ما خرج من اختيارك من الآمال والأحوال والآجال ولا خلق ذلك ابوك ولا امك ولا من تقلبت بينهم من الآباء والأمهات لأنك تعلم يقينا انهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات ولو كانت لهم قدرة على تلك الماهيات ما كان قد حيل بينهم وبين مرادهم وصاروا من الأموات فلم تبق مندوحة ابدا عن وجود صانع واحد منزه عن امكان الحادثات قد خلق هذه الموجودات التي قد كانت معدومات فصارت موجودات وقد ظهر من ذلك ان الحق الحقيق ان التصديق بوجود الله تعالى بل توحيده امر جبلي قد فطر الناس عليه كما قال الله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولذلك ترى الناس عند الوقوع في الاهوال وصعاب الأحوال يتوكلون بحسب هممهم عليه ويتوجهون في جميع امورهم اليه ويعتقدون أن في الخارج مسببا لتلك الاسباب ومسهلا لتلك الصعاب وهم مجبولون على ذلك ومعترفون بما هنالك وإن لم يتفطنوا لذلك ويشهد لذلك قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل ارأيتم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون)

وفي تفسير الإمام (ع) انه سأل مولانا الصادق (ع) عن الله فقال للسائل ياعبد الله هل ركبت سفينة قط قال بلى قال (ع) فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك

قال بلى قال فهل تعلق قلبك هناك أن شيئا من الأشياء قادر على ان يخلصك من ورطتك قال بلى قال الصادق (ع) فذاك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجي وعلى الإغاثة حين لا مغيث

وفي الكافي عن هشام بن سالم عن الصادق (ع) قال قلت له فطرة الله التي فطر الناس عليها قال التوحيد

وعن الحلبي عنه (ع) في الآية قال فطرهم على التوحيد وعن زرارة عنه (ع) في الآية قال فطرهم جميعا على التوحيد وعن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن قول الله تعالى فطرة الله الآية ما تلك الفطرة قال هي الإسلام فطرهم الله حين اخذ ميثاقهم على التوحيد قال الست بربكم وفيهم المؤمن والكافر

وفي توحيد الصدوق اخبار كثيرة بهذا المضمون قريبة التواتر ونذكر جملة منها في آخر الكتاب وعن زرارة عن الباقر (ع) قال سألته عن قوله تعالى حنفاء لله غير مشركين به وعن الحنفية فقال هي الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال فطرهم الله على المعرفة قال وسألته عن قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية قال أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم ولولا ذلك لم يعرف احد ربه

وقال قال رسول الله (ص) كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن الله عز وجل خالقه فذلك قوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) وعنه (ص) قال لا تضربوا اطفالكم على بكائهم فإن بكاءهم أربعة اشهر شهادة ان لا آله إلا الله واربعة اشهر الصلاة على النبي (ص) واربعة اشهر الدعاء لوالديه قيل ولعل السر في ذلك ان الطفل اربعة اشهر لا يعرف سوى الله عز وجل الذي فطره على معرفته وتوحيده فبكاؤه توسل اليه والتجاء به سبحانه خاصة دون غيره فهو شهادة له بالتوحيد واربعة اخرى يعرف امه من حيث انها وسيلة إلى اغذائه فقط لا من حيث انها امه ولهذا يأخذ اللبن من غيرها ايضا في هذه المدة غالبا فلا يعرف فيها بعد الله إلا من هو وسيلة بين الله وبينه في ارتزاقه الذي هو مكلف به تكليفا طبيعيا من حيث انها وسيلة لا غير وهذا معنى الرسالة فبكاؤه في هذه المدة بالحقيقة شهادة بالرسالة واربعة اخرى يعرف ابويه وكونه محتاجا اليهما في الرزق فبكاؤه توسل اليهما والتجاء بهما فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء في الحقيقة وقد ظهر من هذه الكلمات ان

كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ورد في الحديث النبوي ولهذا جعلت الناس معذورين في تركهم اكتساب المعرفة بالله تعالى مـتروكين على ما فطروا عليه مرضيا عنهم بمجرد الاقرار بالقول ولم يكلفوا بالاستدلالات العلمية في ذلك

قال نبينا (ص) امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وانما التعمق والاستدلال لزيادة البصيرة ولطائفة مخصوصة وللرد على اهل الضلال ولهـذا ايضا امرت الانبياء (ص) بقتل من انكر وجود الصانع فجأة بلا استتابة ولا عتاب لأنه ينكر مـا هو من ضروريات الامور وفي قوله سبحانه الست بربكم اشارة لطيفة إلى ذلك فإنه سبحانه استفهم منهم الاقرار بربوبيته لا بوجوده تنبيها على انهم كانوا مقرين بوجوده في بداية عقولهم وفطر نفوسهم

وسأل بعض اهل المعرفة عن الدليل على اثبات الصانع فقال لقد اغنى الصباح عن المصباح واعلم ان افهام الناس وعقولهم متفاوتـة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمئنان كماً وكيفا شدة وضعفا سرعة وبطأ حالا وعلما كشفا وعيانا وإن كان اصل المعرفة فطريا ضروريا ويهتدي اليه بادنى تنبيه فلكل طريقة هداه الله اليها إن كان من اهل الهداية والطرق إلى الله بعدد انفاس الخلائق وهم درجات عند الله ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

اقول ويمكن ادّعاء أن وجود الصانع فطري بالنسبة إلى البهائم وسائر الحيوان فضلا عن افراد الإنسان ففي الحديث ان سليمان بن داود خرج يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بغيركم وفي الأخبار شواهـد كثيرة على ذلك يقف عليها المتتبع

وحكى الفخر الرازي عن رجل انه اتفق في بعض الازمنة جدب وقحط شديـد فخرج الناس إلى الصحراء للاستسقاء ودعوا فلم يستجب لهم قال الرجل فصعدت إلى الجبال فرأيت ظبيا يسرع إلى الماء من شدة العطش فلما انتهى إلى الغدير رآه جافا من الماء فتحير وجعل يكرر النظر إلى السماء ويحرك رأسه مرارا فظهرت سحابة وارتفعت وامطرت حتى امتلأ ذلك الغدير فشرب الظبي ورجع

ونقل عن صياد انه رأى ظبية ترضع ولدها قال فلما قصدت ان اصيدها فرت مني وتركت

ولدها فأخذته فلما رأته في يدي رفعت رأسها إلى السماء كأنها تستغيث وتستعين بالله تعالى فإذا بحفرة في طريقي فوقعت فيها وافلت ولدها من يدي فأخذته امه وذهبت به.

(تتميم) نقل عن بعض العلماء انه قال اعلم أن أظهر الموجودات واجلاها هو الله فكان هذا يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها إلى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا أن اظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى لمعنى لا نفهمه إلا بمثال وهو أنا إذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه كل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان تعرف حياته وقدرته وارادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفاته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واصنافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالبصيرة والعقل وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحد وهو ما احسسنا من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا من لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وإنما تحتاج إلى موجد ومحرك لها ويشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ونبات شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فإنا نعلم انها لم تأتلف بنفسها كما نعلم ان

يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف فعظم ظهوره فابتهرت العقول ودهشت عن ادراكه فإذاً ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان (احدهما) خفاؤه في نفسه وغموضهُ وذلك لا يخفى مثاله (والآخر) ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر في الليل ولا يبصر في النهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبيلا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن الابصار والبصائر بظهوره ولا تتعجب من اخفاء ذلك بسبب الظهور فإن الاشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض ادرك التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لاهيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فإنا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فإذا الرب تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السماوات والارض وبطل الملك والملكوت ولأدركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام

عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى انما يدركها الإنسان في الصبا عند فقد العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو فعلا من أفعال الله خارقا للعادة انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحانه وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض انه بالغ عاقلا ثم انقشع غشاوة عن عينيه فامتد بصره إلى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة يخاف على عقله أن يبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات التي هي سدت على الخالق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة

لقد ظهرت فلا تخفى على احد ... الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... وكيف يعرف من بالعارف استترا

اقول ويشهد لذلك قول سيد الشهداء (ع) في دعاء عرفه كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا

وقال ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك شيئا

وفي الحديث ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وعن الصادق (ع) انه سئل عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة قال نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقيل متى فقال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة الست تراه في وقتك هذا قال فأحدث بهذا الحديث عنك فقال لا فإنك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان هذا تشبيه وكفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون

وفي كلام امير المؤمنين (ع) ظاهر في غيب وغائب في ظهور لا تجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن

الفصل الثاني

في التوحيد

قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى انما الله إله واحد وقال تعالى انما إلهكم إله واحد وقال تعالى قل هو الله احد واعلم ان التوحيد في الجملة فطري كما اشير اليه سابقا والمراد من التوحيد معنيان (احدهما) عدم الجزئية والثاني عدم الشريك فروى الصدوق في التوحيد مسندا عن هاني بن شريح قال ان اعرابيا قام يوم الجمل الى امير المؤمنين (ع) فقال اتقول ان الله واحد فحمل الناس عليه وقالوا يا اعرابي اما ترى ما فيه امير المؤمنين (ع) من تقسيم القلب فقال امير المؤمنين (ع) دعوه فإن الذي يريده الاعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال يا اعرابي ان القول ان الله واحد على اربعة اقسام فوجهان منهما لا يجوزان على الله عز وجل ووجهان يثبتان فيه (فاما اللذان) لا يجوز ان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا ما لا يجوز وقول القائل هو واحد لأن مالا ثاني له لا يدخل في باب الاعداد اما ترى انه كفر من قال ثالث ثلاثة (وقول القائل) هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك (واما الوجهان) اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الاشياء شبيه (كذلك) ربنا عز وقول القائل انه ربنا عز وجل احدى المعنى يعني به انه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل والمعنى الاول الذي نفاه (ع) هو الوحدة العددية بمعنى ان يكون له ثاني من نوعه والمعنى الثاني ان يكون المراد به صنف من نوع فإن النوع يطلق في اللغة على الصنف وكذا الجنس على النوع فإذا قيل لرومي مثلا هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى ان صنف هذا صنف من اصناف الناس او هذا من صنف من اصنافهم ويحتمل ان يكون المراد بالاول الذي له ثان في الإلهية وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد انه يريد به اي بالناس انه نوع لهذا الشخص ويكون ذكر الجنس لبيان ان النوع يستلزم الجنس غالبا فيلزمه التركيب من (الاجزاء) العقلية والمعنيان اللذان اثبتهما (ع) (الاول) منهما اشارة الى نفي الشريك (والثاني) منهما الى نفي التركيب من الاجزاء ولنذكر الدليل على التوحيد بكل من المعنيين فالذي يدل على التوحيد بمعنى نفي الشريك امور الأول إلهي فوقاني وهو ان من تأمل بفكر سليم وعقل مستقيم في هذ العالم الذي هو ماسوى

الله رآه من مبدئه وهو عالم العقول والارواح الى منتهاه وهو عالم الاجسام كسلسلة مشتبكة منتظمة بعضها في بعض وكل جزء منها مرتبط بما يليه كالدور المعي فإن الفقير محتاج الى الغني وبالعكس والعالم الى الجاهل وبالعكس وهكذا الصغير والكبير والجليل والحقير والارض والسماء وكذا جميع الموجودات بقضها وقضيضها فالعالم كبيت واحد يفسده تعدد المدبر او كبدن يفسده تعدد الروح وكما انه اذا تعدد رئيسان في منزل او حاكمان في بلد او سلطانان في مملكة اورث اختلال نظامها واوضاعها فكذا لا تنتظم السماوات والارضون وما فيهما وما بينهما بآلهين وكما ان ائتلاف اعضاء الشخص الواحد الانساني منتظمة في رباط واحد منتفعا بعضها من بعض مع اختلافها وامتياز بعضها عن بعض يدل على ان مدبرها واحد وممسكها عن الاختلال قوة واحدة ومبدء واحد فكذلك ارتباط الموجودات بعضها ببعض على الوصف الحقيقي والنظم الحكمي دليل على ان مبدعها ومدبرها وممسك رباطها ان تنفصم واحد حقيقي يمسك السموات والارض ان تزولا والى هذا اشير في القرآن الكريم بقوله (قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (الثاني) علوي وحاصله انه كما ان وجود آثار الصانع من خلق مخلوقاته وارسال رسله دليل عليه فانتفاء ذلك مما يفرض شريكه دليل على انتفائه اذ الفطرة السليمة شاهدة والعلم العادي قاض بأنه لو كان مع الصانع إله آخر لم تحتجب عن احد آثاره ولوصل خبره الى الناس ولعلم حاله مع الباري جل ذكره من التوافق وعدمه ولأرسل الى الخلق رسلا بأوامر ونواهي ووعد ووعيد وتجويز وجرده مع عدم وصول خبره والمعرفة باحواله احتمال غير قادح كما ان تجويز صيرورة الاواني المعهودة افاضل مدققين غير قادح في العلم ببقائها على حالها وهذا البرهان بزغ نيره من مشرق باب مدينة العلم حيث قال (ع) في وصيته لولده الحسن او محمد بن الحنفية على اختلاف الرواية واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه إله واحد كما وصف نفسه (الثالث) ان التفرد بالصنع كمال فوق كل كمال وسلب الكمال عن ذات الواجب محال فلا يكون له شريك ولا نظير (الرابع) انه تعالى غني بوجوب ذاته عما سواه فيكون غنيا عن الشريك ولأن الشركة نقص اذ التصرف الكامل لا يجوز لأحد الشريكين فيكون كل منهما ناقصا (الخامس) ان كلا منهما ان لم يقدر على إقامة النظام كانا

عاجزين فيكونا بالإلوهية غير لائقين وان قدر كل منهما على اقامة النظام كان الآخر عبثا وان كان احدهما قادراً والآخر عاجزاً تعين الأول للإلوهية (السادس) انهما لو تعددا لزم كون كل منهما مركبا من الوجوب والمائز وكل مركب محتاج الى اجزائه والحاجة من خواص الممكن والمفروض كونه واجبا (السابع) ان كل من جاء من الانبياء واصحاب الكتب المنزلة انما دعا الاستناد الى واحد استند اليه الآخر ونفي الشريك واخبر عن إلاهه بأنه لا شريك له فإن كان من ارسلهم صادقا في ذلك ثبت المطلوب وإن كان كاذبا لم يكن لائقا للإلهية حتى يكون شريكا وفرض كون من ارسلهم ليس بمتفرد ولا شريك وكون الشريكين لم يرسلا احداً لا يخفى قبحه وتقدم جوابه (الثامن) انه لو كان القديم اثنين متغايرين لزم ان يكون بينهما فرجة قديمة فتكون القدماء ثلاثة واذا كانوا ثلاثة كانوا خمسة واذا كانوا خمسة كانوا سبعة لما ذكر وهكذا الى ما لا نهاية له والمدعي معترف بالبطلان فيما زاد على اثنين فالملزوم مثله وقال الصادق (ع) في جواب الزنديق الذي قال له لم لا يجوز ان يكون صانع العالم اكثر من واحد؟ لا يخلو قولك انهما اثنان من ان يكونا قديمين قويين او ضعيفين او يكون احدهما قويا والآخر ضعيفا فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير وإن زعمت ان احدهما قوي والآخر ضعيف ثبت انه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني وان قلت انهما اثنان لم يخلُ من ان يكونا متفقين من كل جهة او مفترقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على ان المدبر واحد وزاد في رواية التوحيد والكافي ثم يلزمك ان ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما فيلزمك ثلاثة وإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى تكون بينهما فرجتان فيكون خمسة ثم يتناهى في العدد الى ما لا نهاية له في الكثرة وفي كتاب التوحيد عن هشام بن الحكم قال قلت لأبي عبد الله (ع) ما الدليل على ان الله واحد قال اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال الله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وعن الفضل بن شاذان قال سأل رجل من الثنوية ابا الحسن الرضا (ع) وانا حاضر فقال له اني اقول ان صانع العالم اثنان فما الدليل على انه واحد فقال قولك اثنان دليل على انه واحد لأنك لم تدع الثاني الا بعد اثباتك للواحد فالواحد مجمع عليه والاكثر من واحد مختلف فيه قال بعض المحققين المتفرد بالوجود هو الله سبحانه اذ ليس موجود

معه سواه فإنما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكمال لمن لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا فإذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو كمال

وأما الدليل على التوحيد بالمعنى الثاني وانه احدي الذات لا تركيب فيها فلانه تعالى لو كان منقسما في وجود أو عقل أو وهم لكان محتاجا لأن كل ذي جزء فإنما هو بجزئه يتقوم وبتحققه يتحقق واليه يفتقر وهو الله سبحانه غني عن العالمين وايضا لو كان ذا جزء لكان جزؤه متقدما عليه واولا له فيكون الجزء اولى بأن يكون الاها منه سبحانه ومن هنا يظهر أن وجوده عز وجل ليس معنى وراء ذاته زائدا عليها بل هو عين الوجود الغير المنقسم لا وهما ولا عقلا ولا عينا وإذا كان كذلك كان واحدا بالمعنى الآخر ايضا لا شريك له ويمكن الاستدلال على التوحيد بكلا المعنيين باجماع الانبياء والمرسلين على التوحيد اذ يقطع العقل بحقية ذلك وبأنه لو كان معه غيره لامتنع منه نفيه لكونه كذبا وهو قبيح مناف للحكمة كما يأتي ونفيه له دليل على انتفائه وبأنه لو كان معه غيره لم يكن قديما اذ لو فرض كونهما قديمين لم يكن كل منهما متقدما على الآخر فلا يكون احدهما متقدما على الكل فلا يكونان قديمين ويجب أن يكون القديم غيرهما متقدما على الكل ولا يتحقق ذلك الا بكونه واحدا لا ثاني معه واعلم أن التوحيد الذي يثبت به الإسلام له اربعة معاني

(الاول) توحيد واجب الوجود بأن يكون واجب الوجود لا شريك له في وجوبه ووجوده كما عرفت سابقا (الثاني) توحيد صانع العالم ومدبر النظام وقد خالف الثنوية في ذلك فقالوا بوجود إلهين فاعل الخير وفاعل الشر استنادا إلى أن في العالم خيرا وشرا وهما ضدان يستحيل ان يكون فاعلهما واحدا حقيقيا اذ الواحد الحقيقي لا يصدر منه إلا الواحد كالنار لا يصدر منها سوى الإحراق ويستحيل أن يصدر من كل منهما الصفتان المتضادتان فقالوا إن فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة وباصطلاح آخر (الاول) اليزدان (والثاني) أهرمن فقال بعضهم بقدمهما وجملة من محققيهم إن فاعل الشر مخلوق فاعل الخير وجملة منهم على ان النور حي عالم قادر حساس دراك ومنه تكون الحركة والحياة (والظلمة) ميت جاهل عاجز

جماد موات لا فعل له ولا تمييز وإنما يقع الشر منه طبعا وزعم بعضهم ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين النور والظلمة وانهما ازليان لم يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين متضادين في الخير والشر متحاذيين تحاذي الشخص والظل وزاد بعض فرقهم اصلا ثالثا وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلمة وحصل من الامتزاج والاجتماع هذا العالم وكيف كان فهذه المذاهب السخيفة بطلانها اوضح من ان يخفى ويرد عليهم أن الضدية غير منحصرة في الخير والشر فإن البياض والسواد والحمرة والصفرة والليل والنهار والحر والبرد ونحوهما اضداد فيلزمهم القول بتعدد الآلهة عدد الاضداد ولا يقولون به ويأتي إن شاء الله في مبحث المعاد بطلان دعوى ان الواحد لا يصدر منه الا الواحد والتمثيل بالنار قياس مع الفارق فإن الفاعل المختار غير الطبيعي المضطر والثنوي لم يقل بالثاني إلا بعد أن قال بالأول وهو مدعانا وهو يدعي الثاني فالبينة عليه ولا برهان له كما تقدم في كلام الرضا (ع) (ومن يدعو مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) ويدل على فساد مذهبهم انه يلزمهم ان لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور والمساوئ لأنها من فعل الظلمة فلا يستحق احد الملامة على فعل الشر لكونه مجبورا عليه وتراهم يلومون الناس إذا ضربوهم واهانوهم ويلزمهم ايضا ان لا يقول احد لاحد أحسنت أو اسأت (الثالث) توحيد الإله وهو المستحق للعبادة ونفي الشريك عنه في استحقاق العبودية والمخالف في ذلك عباد الاصنام والأوثان وغير الله فإن من يسجد لغير الله ويعبد غير الله من الاصنام والاوثان لا يزعم ان وثنه ونحوه واجب الوجود لذاته ولا قديما ولكن زعموا انه مستحق للسجود والعبادة ليقربهم إلى الله كما حكى الله عنهم (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) وربما اعتذر بعضهم بأن توجهه الى الاصنام كتوجه اهل الاسلام الى بيت الله الحرام فرد الله عليهم ذلك بقوله (إن هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) فإن الله لم يأمر بهذا كما أمر بالتوجه الى حرمه والاستشفاع بانبيائه ورسله وقد رد الله على هؤلاء في القرآن بآيات كثيرة مشتملة على براهين عقلية وأدلة يقينية قال تعالى (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السماوات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين) وقال تعالى (قل اندعو

من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) وقال تعالى (ايشركون ما لا يخلق شيئاوهم يخلقون) (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام أنتم صامتون) (إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) (ألهم ارجل يمشون بها أم لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثم كيدوني فلا تنظرون) وقال تعالى (قل هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده قل الله يبدء الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) وقال تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي إلا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) وقال تعالى (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقال تعالى (و من اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) والآيات في ذلك كثيرة (الرابع) التوحيد في الخلق والرزق كما قال تعالى (ألا له الخلق وهل من خالق غير الله وان الله هو الرزاق ومن يرزقكم من دون الله) والمخالف في هذا المقام المفوضة والغلاة لعنهم الله حيث قالوا بأن الامر في التدبير والخلق والرزق مفوض إلى الائمة ويمكن ادخال هذا المعنى في الثاني وقد يطلق التوحيد على معان اخر هي شرط في اصل الايمان او كماله منها التوحيد في الصفات وعينيتها ونفي مغايرتها كما يأتي تحقيقه إن شاء الله والمخالف في هذا المقام هو الاشعري حيث قال بزيادة الصفات ومغايرتها وقدمها ومن قال بهذا فقد اشرك بالله تعالى لأنه يلزم تعدد القدماء (ومنها) التوحيد في الامر والنهي قال الله تعالى (ألا له الخلق والأمر) (الا له الحكم إن إلهكم إلا الله ولله الدين الخالص) والمخالف في هذا بعض فرق الإسلام الموجبون على الخلق اتباع علمائهم الحاكمين بغير ما انزل الله تعويلا على الآراء والقياسات والاستحسانات اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وكان بعض علمائهم يقول قال رسول الله كذا واقول انا كذا وقال علي كذا واقول انا كذا (ومنها) التوحيد في مالكية النفع والضر كما قال تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وهل ينفعونكم أو يضرون) فينبغي للموحد أن لا يخاف إلا الله ولا يرجو سواه ومنها التوحيد في التوكل والاعتماد بأن لا يتكل على غير الله ولا يعتمد على سواه كما قال تعالى (فاتخذه وكيلا

وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (ومنها) التوحيد في المحبة والمودة بان لا يجعل في قلبه حب غير الله ويقطعه عما سواه كما قال تعالى (يحبهم ويحبونه والذين آمنوا اشد حبا لله ولن يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فعلامة حب الله ان لا يحب غيره الا إذا كان موصلا إلى رضاه (ومنها) التوحيد في الأعمال بأن لا يعمل لغير وجه الله وهو الرياء الذي ورد فيه إنه شرك وإن الشرك لفي بني آدم اخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وقال تعالى (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) وقال تعالى (فما تجد اكثرهم إلا وهم مشركون) وقد اوضحنا هذه المقامات بايضاحات شافية وتحقيقات وافية في منهج السالكين وزاد العارفين في علم الاخلاق رزقنا الله التوحيد الحقيقي واعاذنا من الشرك الجلي والخفي بفضله ورحمته إنه ارحم الراحمين

الفصل الثالث

في بيان جملة من الصفات الثبوتية التي يقال لها صفات الكمال والجمال

(اعلم) ان صفات الكمال والجمال لا تنحصر لأن الخلو عن الكمال نقص وكل نقص منفي وكل كمال ثابت له تعالى والا لاستحال كونه صانعا لأن كل صانع لا يمكن ان يكون صانعا الا اذا كان كاملا في صنعته فلا بد أن يكون صانع جميع العالم كاملا بكل كمال بالذات من جميع الجهات والمقصود من الصفات الثبوتية نفي اضدادها إذ صفاتهُ تعالى لا كيفية لها ولا سبيل إلى ادراكها فالمقصود منها سلب اضدادها فهي سلوب في الحقيقة فمعنى كونه تعالى قادرا عالما اي ليس بعاجز ولا جاهل لأن العجز والجهل نقصان لا يليق بالكامل بالذات من جميع الجهات وهكذا في جميع الصفات (واما) أن يكون المقصود منها ابطال الحدين اي انه تعالى ليس معطلا في القدرة والعلم وغيرها وليس شبيها بقادر منا فإن كون زيد موجودا سميعا بصيرا لا لذاته بل من غيره وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وكيف كان فقد اتفقت عبارات اهل الكلام في مقدار عددها واختلفت عباراتهم في اعتبار معدودها فجعلها (المحقق) الطوسي في تجريده ثمانية القدرة والعلم والحياة والإرادة والادراك والكلام والصدق والسرمدية وجعلها بعضهم هذه لكن اعتبر موضع الادراك السمع والبصر ولم يعتبر الصدق واعتبر البقاء موضع السرمدية ولا يخفى اولوية اعتبار الادراك فانه اعم

من السمع والبصر وكأنه لما رأى ان معنى كونه مدركا انه عالم بالمدركات اكتفى عنه بالعلم وآثر ذكر السميع والبصير لورودهما في القرآن العزيز والادراك وإن ورد كذلك إلا أنه ورد خاصا بالابصار والغرض جعله صفة عامة واما عدم اعتبار الصدق فلعله للاكتفاء عنه بذكر العدل فانه يرجع اليه بنوع من الاعتبار وجعلها (العلامة) قدس سره في كتبه الكلامية ايضا ثمانية القدرة والعلم والحياة والإرادة والكراهية والادراك وانه قديم أزلي باق أبدي وانه متكلم وانه صادق فزاد اعتبار الكراهية ومن اكتفى بذكر الإرادة رأى ان الكراهة هي إرادة الترك ولذا عدهما العلامة واحدة وزاد اعتبار القدم والازلية والابدية لأنها تفصيل معنى السرمدية والتفصيل اولى من الإجمال خصوصا في مقام تعداد صفات الكمال فإن تعداد الثناء باربع صفات ابلغ منه بصفة تجمع معنى الاربع واما عدها واحدة فلرجوعها الى معنى واحد وهو السرمدية وبالجملة فوجه الاقتصار على هذه الثمانية مع أن صفاته تعالى كثيرة جدا ان الغرض بيان الصفات الذاتية الحقيقية وما عدا المذكورات اما إضافة محضة كالخالق والرازق والحفيظ ونحوها او ترجع الى المذكورات كما لا يخفى على انه يمكن ايضا رد جميع الصفات الى القدرة والعلم فإن الإرادة والكلام يرجعان الى القدرة وما سواهما الى العلم بل يمكن رد الجميع الى وجوب الوجود وكذا قال الشهيد الثاني رحمه الله قال وعلى هذا فيمكن ان يقال يكفي في معرفة الله تعالى اعتقاد وجوب وجوده وقدرته وعلمه بل اعتقاد وجوب وجوده وبالجملة فالحق ان صفاته تعالى اعتبارات نحدثها عند عقولنا عند مقايسة ذاته تعالى الى غيرها ونظرا الى آثاره الصادرة عنه تعالى انه لما اوجد مقدورا صادرا عنه تعالى اعتبر له قدرة كما في الشاهد وهكذا حيث وجد هناك معلوما اعتبر له علم الى غير ذلك وإلا فذاته المقدسة لا صفة لها زائدة عليها والا لزم كونها محلا لغيره ان قامت به وقيام صفته بغيره ان لم تقم به وكلاهما بديهي البطلان وعدم قيامها بشيء بل بنفسها اظهر بطلانا فالكل راجع الى كمال الذات المقدسة وغنائها لكن لما كانت عقول الخلق متفاوتة في الاستعداد حتى انه تدرك كثرة عصمة من اطلعت على كثرة صفاته الجميلة كما هو الواقع في الشاهد لوحظت هذه الصفات والاعتبارات ليتوصل بها الخلق الى معرفة خالقهم على حسب استعدادهم ثم انه قد ينكشف عليهم بسببها انوار كبريائه عند الإحاطة بحقائقها وانها ليست إلا اعتبارات فلا يجدون في الوجود إلا ذاتا واحدة واجبة مقدسة كما اشار اليه امير المؤمنين (ع) بقوله (وتمام توحيده نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير

الموصوف وبشهادة كل موصوف انه غير الصفة) وحينئذ فلا حرج في اختلاف العبارات في تعدد هذه الصفات فإن الغرض منها تقريب معرفة الواحد الى افهام التوحيد انتهى (أقول) وحيث كان المقصود ذلك فلنقتصر على بيان جملة كافية وزبدة شافية منها

الأول انه تعالى قادر ليس بعاجز لا يعجز شيء من الاشياء والدليل على ذلك (اولا) استحالة الصانعية بدون القدرة التي هي من صفات الكمال (وثانيا) ان العجز نقص لا يليق بالكامل وقد تقدم وجوب كمال الواجب (وثالثا) صدور الافاعيل العجيبة منه تعالى الدالة على كمال قدرته ويكفي في كمال قدرته التفكر في عجائب مخلوقاته التي خلقت في الانسان فضلا عن غيره وليتدبر فيما للاطفال في البكاء من المنافع العظيمة حيث ان في ادمغتهم رطوبة عظيمة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره و كيف جعلت الآن لمجاع في الذكر والأنثى جميعا على وفق الحكمة فجعل في الذكر آلة منتشرة تمتد حتى تصل النطفة الى الرحم اذ كان محتاجا الى ان يقذف ماءه في غيره وخلق للأنثى وعاء قعر ليشتمل على الماءين جميعا ويحتمل الولد ويصونه وتفكر في منافع اعضاء البدن فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج لإقامة النسل وهكذا وليتفكر في وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد ويستحيل في الكبد بلطف التدبير دما وتنفذه الى البدن كله في مجاري مهيأة لذلك وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مفايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة والصفراء جرى الى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة وانظر الى ما خص به الانسان في خلقه تشريفا وتفضيلا على البهائم فإنه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا يستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبا على وجهه كذات الاربع لما استطاع ان يستعمل شيئا من الاعمال والى ما خص به الانسان من الحواس في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة وليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل في الاعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات وتصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الاعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر اطلاعها نحو الاشياء وفكر في الاعضاء التي خلقت

زوجا وفردا فإن الرأس مثلا لو كان زوجا لكان كلاً على الإنسان لا فائدة فيه بخلاف اليدين والرجلين والعينين ونحوها فإن حكم تعددها لا يخفى وتأمل في الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والاشفار كالعرى وتفكر في نعمة الله على الإنسان في مطعمه ومشربه وآلاتهما وتسهيل خروج الاذى منه وكيف جعل منفذ الخلاء من الإنسان في استر موضع منه فلم يجعل بارزا من خلقته ولا ناشرا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب تلتقي عليه الفخذان وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة وجد ذلك المنفذ منه منصبا مهيئا لانحدار الثفل وتفكر في هذه الطواحن التي جعلت للانسان فبعضها محدد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه وتفكر فيما انعم الله على الإنسان من النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم التي لا تخبر عن نفسها بشيء وكذلك الكتابة التي بها تقيد اخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها ترقم العلوم والآداب وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لاختلت امور الناس في معادهم ومعاشهم وفيما اعطي الإنسان علمه وما منع منه وستر عنه فاعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه من معرفة خالقه وتكاليفه وما فيه صلاح دنياه من الزراعة والغرس والنساجة والحياكة والخياطة والصيد ونحو ذلك من الاعمال والأفعال وكيف ستر عنه العلم بعمره فإنه لو علمه قصيرا لم يتهنا بالعيش مع ترقب الموت ولو علمه طويلا وثق بالبقاء وانهمك باللذات والمعاصي وفسد عليه دينه ودنياه وكيف جعلت احلامه ممزوجة بالصدق والكذب فإنها لو صدقت كلها لادعى الناس النبوة ولو كانت كاذبة كلها لم ينتفع بها فجعلت صدقا احيانا ليهتدي بها في جلب نفع او دفع مضرة وكذبا احيانا لأن لا يعتمد عليها كل الاعتماد وتعداد مقدورات الله وعجائب مصنوعاته يحتاج ذكرها إلى مجلدات كثيرة وهذه الجملة المذكورة من كلام الصادق (ع) وما ذكر كما يدل على القدرة كذلك يدل على سائر الصفات الكمالية ولذا اطنبنا الكلام في هذا المقام ويكفي في ثبوت القدرة النقل ايضا قال الله تعالى في مواضع إن الله على كل شيء قدير وقال تعالى (وكان الله على كل شيء قديرا) ثم ان قدرته تعالى عامة لكل المقدورات كما يدل عليه العقل وهو استلزام العجز لولاه والنقل من الآيات والروايات وقول المعتزلة انه لا يقدر على القبيح والشر لاستلزامه الظلم باطل فإن القدرة على القبيح ليست بظلم بل فعله ظلم والله

سبحانه قادر على ذلك منزه عن فعله وقد فروا من الظلم ووقعوا في العجز ونحن بفضل الله نفينا كلا منهما عنه تعالى والمؤمن الصالح قادر على المعاصي والشرور ولا يفعلها مع قدرته عليها لعلمه بقبحها ولا يقال هو عاجز عنها قال الله تعالى (وما كان الله ليعجزه شيء في السماوات ولا في الارض إنه كان عليما قديرا) وقال تعالى (وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا) وقال تعالى (إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقول الاشاعرة بنسبة فعل الشر اليه تعالى ووقوعه منه باطل ايضا لانه ظلم مناف للحكمة وهم قد فروا من الشرك في خلق الافعال زاعمين أن في افعاله تعالى الشرور وقد وقعوا في الظلم الذي هو كفر ايضا ولا قبح في افعاله تعالى بل كلها خير لا شر فيها ولأن ذلك مناف للقدرة والعلم والحكمة وخفاء الحكمة لا يدل على عدمها ولا يلزم العجز من عدم فعل الشرور والقبايح فإن اولياء الله قادرون عليها ولا يفعلونها لقبحها فكيف بخالقهم ولا يلزم العجز ايضا بعدم وجود الممتنع كشريك الباري واجتماع الضدين ولا ينافي ذلك عموم قدرته تعالى لان ذلك ممتنع لذاته عن قبول الوجود وعدم قابليته واستعداده لتعلق القدرة لا لأنه تعالى ليس بقادر على ذلك فإنه تعالى لا يوصف بالعجز وقد روى الصدوق في التوحيد وغيره عن الصادق (ع) ان ابليس قال لعيسى بن مريم ايقدر ربك على ان يدخل الارض في بيضة لا تصغر الارض ولا تكبر البيضة فقال عيسى (ع) ويلك ان الله تعالى لا يوصف بعجز ومن اقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضة وعنه (ع) قال قيل لأمير المؤمنين (ع) هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تصغر الدنيا او تكبر البيضة قال إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون وفي رواية اخرى ويلك إن الله لا يوصف بالعجز ومن اقدر ممن يلطف الارض ويعظم البيضة وما ورد في الجواب عن ذلك الامكان وتمثيله بدخول الدنيا في البصر فهو لحكم ذكرناها في مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار

(الثاني) انه تعالى مختار في افعاله ان شاء فعل وإن شاء لم يفعل وليس بموجب مضطر في صدور الافعال عنه كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والدليل عليه مضافا إلى ما تقدم في ادلة القدرة ومضافا إلى النقل كقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقوله تعالى (ويفعل الله ما يشاء) وغير ذلك من النقل القطعي ان الإيجاب عجز و اضطرار وهو نقص فلا يجوز عليه تعالى كما عرفت وايضا لو كان موجبا للزم احد محذورين إما قدم العالم

الذي هو من آثاره فإن اثر الموجب لا يتخلف عنه كما لا يتخلف الاحراق عن النار وأما حدوثه تعالى لأنه موثر في العالم والعالم حادث فيكون حادثا وكلاهما باطلان فالملزوم مثله والملازمة بينة فتعين كونه تعالى مختاراً

(الثالث) انه تعالى عالم حكيم كما قال تعالى (والله عليم حكيم) وقال تعالى (والله بكل شيء عليم) وقال تعالى (ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ويكفي في ثبوت علمه تعالى الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة ويكفي الإيمان بالعلم اجمالا ولا يجب التفكر في انه حضوري او حصولي ونحو ذلك من خرافات المتكلمين بل ان الله تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها لا تخفى عليه خافية يعلم السر واخفى وما تكن الصدور ولا يجهل شيئا والحكيم يطلق على معان «احدها» وضع الأشياء في محلها وضده الظلم والسفه «وثانيها» العلم بالاشياء كما هي عليه وضده الجهل «وثالثها» ترك القبيح الذي هو الإخلال بالواجب «ورابعها» معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وافضل العلوم العلم بالله تعالى واجل الأشياء هو الله تعالى والله سبحانهُ لا يعرفه كنه معرفته غيره وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم فهو الحكيم حقا لعلمه اجل الأشياء بأجل العلم والدليل على انهُ عليم حكيم مضافاً إلى ما سبق ان الأفعال المختلفة التقدير المتضادة التدبير المتفاوتة الصنعة لا تقع على ماينبغي ان يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها ولا تستمر على منهاج منتظم ممن يجهلها ألا ترى انهُ لا يمكن أن يصوغ قرطا يحكم صنعته ويضع كلا من دقيقه وجليله موضعهُ من لا يعرف الصياغة ولا ينظم حروف الكتابة من لا يعلمها فوقوع هذا الصنع العجيب والخلق الغريب من دون علم به وبدقائقه محال وإلى ذلك اشير بقوله تعالى (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وقال الرضا (ع) في دعائهِ سبحان من خلق الخلق بقدرته واتقن ما خلق بحكمتهِ ووضع كل شيء منهُ موضعه بعلمهِ سبحان من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وليس كمثله شيء وهو السميع البصير وايضا لما ثبت كونهُ تعالى قادرا مختارا ببديهة العقل والنقل ثبت علمه وحكمته فإن القادر المختار من يفعل ما يعلم ما فيهِ المصلحة ويترك ما يعلم ما فيه المفسدة فيكون فعله وتركهُ مسبوقا بالعلم والحكمة وايضا فالجهل والسفهُ نقصان لا يليقان بهِ فيجب نفيهما عنهُ ونفيهما مستلزم لثبوت العلم والحكمة لأن نفي النقيض اثبات للنقيض الآخر وايضا لو جاز عليهِ تعالى ذلك لكان مشابها لمخلوقهِ

والحال انهُ ليس كمثله شيءٌ وايضا كما ان جميع الممكنات اثر لوجوده فكذا جميع كمالاتها اثر لكماله والذي ينتهي اليهِ جميع العلوم لا يجهل شيئا « واعلم » ان علمه تعالى عام يعم جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها كما عرفت لوجهين « الأول » انهُ لو لم يكن كذلك لزم الجهل ولو في البعض وهو نقص يجب تنزيهه تعالى عنهُ « الثاني » انه تعالى منزه عن المكان والزمان كما يأتي فلا نسبة بينهُ تعالى وبين مخلوقاتهِ الا وجوب ذاتهِ وامكان مخلوقاتهِ وهذه النسبة مستوية بين كليات مخلوقاتهِ وجزئيها صغيرها وكبيرها فيستوي علمهُ تعالى بها وقدرتهُ عليها وما زعمهُ بعض سفهاء الأنام من عدم عموم علمه تعالى بل انحصاره كالعلم بأن الإنسان حيوان ناطق والحمار حيوان ناهق دون الجزئيات كزيد وعمر وبكر ومرض كل منهم وصحتهِ وطوله وقصره لأنها متجددة حادثة والعلم يتبع المعلوم فيلزم تغير العلم وتجدده فيكون تعالى محلا للحوادث فهو فاسد لأن علم الخالق لا يقاس بعلم المخلوق والعلم التابع للمعلوم انما هو علم المخلوق دون الخالق إذ هو تعالى عالم إذ لا معلوم وعالم بما كان قبل ان يكون فلا تغير ولا حدوث في علمهِ الأزلي فلهُ معنى العالمية إذ لا معلوم كماله تعالى معنى القادرية اذ لا مقدور ومعنى الخالقية إذ لا مخلوق ولنضرب لذلك مثالا للتفهيم فنقول إذا اراد زيد يوم السبت انشاء كلام يوم الخميس فهو عالم يوم السبت بما ينشئ يوم الخميس وكذلك عالم يوم الجمعة بما انشأ يوم الخميس فلا تغيير ولا حدوث في علمه اصلا ولنذكر هنا نبذة مأخوذة من كلام الصادق (ع) تدل على حكمة الله تعالى وعلمه وسائر صفاتهِ فليتفكر في خلق الحيوانات على ما فيه صلاحها دون الإنسان لأن الإنس لما قدروا ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج للصنائع من البناء والنجارة والنساجة والخياطة ونحوها خلقت لهم اكف كبار ذوات اصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وسائر الصناعات وانظر إلى اختلاف الحيوانات في الخلقة حيث ان آكلات اللحم من الحيوان لها اكف مناسبة لذلك واسنان حداد واعين بعضها بسلاح وادوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطيور ذوات مناقير ومخاليب مهيآت لتقطيعها فلم تكن الوحوش ذوات مخالب لاستغنائها عنها ولم تكن السباع ذوات اظلاف لأن لا تمتنع عما تحتاج اليهِ من الصيد والتعيش وانظر إلى قوائم الحيوان كيف جعلت ازواجا ليتهيأ للمشي ولو كانت افرادا لم تصلح لذلك فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الأخرى وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين من خلاف بأن ينقل اليمنى من مقاديمهِ مع اليسرى

من مآخيره ويثبت الا خرين ليثبت على الأرض ولو نقل القائمتين من احد جانبيهِ واعتمد على الباقيتين من الجانب الآخر لما ثبت وتأمل في حكمة الله كيف اذل الحمار للطحن والحمولة وهو يرى الفرس منعما والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف ينقاد للصبي والثور القوي كيف ينقاد لأضعف الناس للحرث والسقي والقطيع من الغنم كيف يذل للراعي ولا يتفرق وكذلك جميع الأصناف المسخرة للانسان وتفكر في الدابة كيف جعلت عيناها شاخصتين امامها لتبصر ما بين يديها لأن لا تصدم حائطا او تتردى في حفرة وشق فمها من الاسفل ليسهل تناولها بلا يد واعتبر بما في ذنبها من المنافع العظيمة ففيه ستر دبرها وحيائها معا وتذب به الذباب المؤذي لها وفي تحريكهِ وتقلبه راحة لها وفيهِ استعانة لاستخراجها من الوحل ثم افتكر في ظهرها كيف جعل مسطحا على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها وكيف كسيت البهائم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من الحر والبرد وفي الاظلاف والحوافر والاخفاف لتقيها من الحفا إذ كان لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع مهيآت للغزل والنسج فجعلت كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا وتفكر في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فإنهم يوارون انفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم وإلا فأين جثث هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لوقيل انها اكثر من الناس لصدق القائل ولا نرى منها ميتا إلا الواحد بعد الواحد يصيده صائد او يفترسه سبع فإنهم إذا احسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلأت الصحاري من امواتهم حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء (وتأمل) وجه الذرة الحقيرة الصغيرة لا تجد فيه نقصا عما فيه صلاحها وكذا جميع اعضائها وجوارحها واحشائها على صغر جرمها (وتأمل) في النمل واهتدائها إلى ادخار قوته وجمعه وتعاونها على النقل كتعاون الناس على العمل وعمدها إلى قطع الحب لكيلا ينبت ويفسد عليهم وان اصابته نداوة اخرجوه ونشروه حتى يجف (وتأمل) في الليث الذي تسميه العامة اسد الذباب وما اعطي من الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب وقع قريبا منه يميت نفسهُ حتى كأنه موات لا حراك فيه فإذا اطمأن الذباب منه دب دبيبا دقيقا بحيث يناله ثم يثب عليه ويشتمل عليه بجسده كله مخافة ان ينجو منه إلى ان يضعف فيفترسه والعنكبوت ينسج ذلك النسج يتخذه شركا ومصيدة ويكمن في جوفهِ فإذا نشب فيهِ الذباب احال عليهِ

ولذعهُ (وتأمل) في جسم الطائر كيف خففت واقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الأصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعها وخلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه خرق الهواء كما جعلت السفينة بهذه الهيئة ليسهل عليها خرق الماء وجعل في جناحه وذنبه ريش طوال متان لينهض بها للطيران وكسي كلهُ الريش ليداخله الهواء ولما عدم الأسنان اعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعام طحنا تستغني به عن المضغ وجعل يبيض ولا يلد لكيلا يثقل عن الطيران وفكر في حوصلته حيث جعلت كالمخلاة المعلقة أمامهُ ليوعي فيه ما ادرك من الطعم بسرعة ثم ينفذه الى قانصته تدريجا لضيق مسلكها ولو كان لا يلقط الحبة الثانية حتى تصل الأولى الى القانصة لطال عليه الأمر وفاته شيء كثير من منافعه (وتفكر) في النحل واجتماعه في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة وعظم الغاية ومنافعها (وتأمل) في الجراد ما اضعفهُ في خلقته وما اقواه فإنهُ اذا اجتمع على بلد من البلدان لم يستطع احد ان يحميه منهُ ولو كان اكبر الملوك ومعهُ اكثر الجنود وكيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل حتى يستر نور الشمس فسبحان الحكيم القدير (وتأمل) في خلق السمك ومناسبة خلقه لمسكنه فخلق بلا قوائم لعدم احتياجه اليها اذ مسكنهُ الماء وخلق غير ذي رئة لأنهُ لا يستطيع ان يتنفس في الماء وجعلت له مكان القوائم اجنحة شداد يضرب بها في الماء كما يضرب من في السفينة بالمحاذيف وكسي جسمهُ قشورا متداخلة كالدروع لتقيه من الآفات وتأمل في النبات وما فيه من ضروب المنافع فالثمار للغذاء والتبن للعلف والحطب للوقود والخشب لمنافع كثيرة والقشر والورق والاصول والعروق والصمغ لضروب من المنافع وتأمل في نبات الحبوبات من العدس والماش والباقلا ونحوها حيث تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها من الآفات إلى ان تشتد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين واما البر وما اشبههُ فانه يخرج مدرجا في قشور صلاب على روسها مثال الاسنة من السنبل لتمنع الطير (وتأمل) الحكمة في خلق الشجر واصناف النباتات حيث كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم تكن لها افواه ولا حركة لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الارض لتنزع منها الغذاء فتؤديه الى الأغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كالأم المربية لها واصولها كالافواه تلتقم الأرض وتنزع منها الغذاء كما يرضع الطفل امه وما فيه من العروق المنتشرة في الأرض الممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا

ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال في الريح العاصف وتأمل في خلق ورق الاشجار وفي العروق المبثوثة فيها منها غلاظ ومنها دقاق تتخلل الورق لتسقيها بمنزلة العروق في بدن الإنسان فسبحان الخالق على وجه الحكمة للأشياء القادر على ما يشاء

(الرابع) في أنه تعالى قديم ازلي ابدي سرمدي ليس مسبوقا بعلة ولا يعتريه عدم بل هو الأول بلا اول يكون قبله والآخر بلا آخر يكون بعده ولم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخرا و يكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا قال تعالى (ومانحن بمسبوقين) والدليل على ذلك مضافا إلى النقل الصحيح أنه لو جاز عليه ذلك لاحتاج إلى مؤثر في ايجاده واعدامه فيكون ذلك المؤثر اولى بأن يكون هو الواجب ولأنه لو لم يكن كذلك لم يكن وجوده واجبا ولا ازليا فيكون محتاجا تعالى الله عن ذلك بل هو الغني بذاته عما سواه ولأن الشيء لا يقتضي عدم نفسه والا لما تحقق بل هو قيوم دائم لا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى ولهذا لما سئل مولانا الباقر (ع) عن الله متى كان فقال متى لم يكن حتى اخبرك متى كان وعن امير المؤمنين (ع) انما يقال متى كان لما لم يكن فأما ما كان فلا يقال متى كان كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد

(الخامس) في انه تعالى سميع بصير كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وليس المراد انه سميع بجارحة السمع أو بصير بآلة البصر إذ لو كان كذلك لكان تعالى ذا جزء ولكان محلا للحوادث ولكان ممكنا وكل ذلك محال لما عرفت من وجوبه وقدمه ووحدته وتنزيهه عن النقص والاحتياج بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المسموعات والمبصرات بدون آلة لما تقدم في العلم فمرجع هاتين الصفتين إلى العلم وافردا بالذكر (اما) لأن الله تعالى افردهما بالذكر ووصف بهما ذاته في كتابه (او لأن) الغرض منها الرد على من انكر علمه تعالى بالجزئيات وهذا كما تقول تارة زيد عالم مريدا احاطته بالعلوم وتارة تقول مفسر او محدث او متكلم او نحوي وتريد بكل منها علما خاصا (واما) ان يكون الغرض من ذكرهما ان اكثر افعال المكلفين لما كانت لا تخلو من المسموعات والمبصرات افردهما تعالى بالذكر من مطلق العلم ليكون ازجر لهم عن المعاصي وارغب لهم في الطاعات

(السادس) في انه تعالى حي كما قال تعالى هو الحي القيوم والمراد بالحياة صفة يتأتى معها العلم والقدرة والدليل على ذلك مضافا إلى النقل ثبوت القدرة والعلم له بما تقدم وقد ثبتهما دليل

على الحياة بل لازمها فهو الحي الذي لا يموت وتوضيح ذلك انا لما رأينا هذا العالم من السماوات والارضين وما بينهما علمنا ان له بانيا قادرا عالما بناه بقدرته وعلمه ولما رأينا تجدد الحوادث فيه وانتظامه من الاماتة والاحياء ونمو النبات ونزول الماء وسكون الارض وتحرك الهواء ودوران الفلك الدوار وسير الشمس والقمر بالليل والنهار والافقار والاغناء والتمليك والافناء والاضحاك والابكاء والتمريض والشفاء ونحو ذلك علمنا ان فاعل هذه الافاعيل حي واعلم ان حياة الممكنات إنما تتحقق بعروض صفة زائدة لها وحياة الله عين ذاته كسائر صفاته غير زائدة عليها ومرجعها إلى القدرة والعلم ومرجع جميع الصفات إلى الذات المقدسة كما يأتي توضيحه إن شاء الله تعالى والتعبير بهذه العبارات للافهام

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

(السابع) في أنه تعالى مدرك لا بحاسة يحصل الادراك بواسطتها بل هو تعالى عالم بما يدرك بالحواس والدليل على ذلك ماتقدم في العلم من أنه تعالى عالم بجميع المعلومات التي من جملتها المدركات فيكون مدركا بهذا المعنى وهو المطلوب فالمراد بالادراك العلم الخاص كالسميع والبصير

(الثامن) في أنه تعالى مريد كاره اي مريد لافعاله تصدر منه افعاله بالارادة والاختيار او مريد لطاعات عبيده لا على سبيل الحتم بل باختيارهم وارادته لأفعال ذاته عبارة عن علمه الموجب لوجود الفعل في وقت دون وقت بسبب اشتماله على مصلحة داعية إلى الإيجاد في ذلك الوقت دون غيره ومعنى ارادته لافعال عبيده انه اراد ايقاع الطاعات منهم على وجه الاختيار ومعنى كراهته تعالى علمهُ الموجب لانتفاء الفعل في وقت دون وقت بسبب اشتمالهِ على مفسدة في الإيجاد قبل وقتهِ ومعنى كراهته تعالى لافعال غيره نهيه اياهم عن ايقاع المعاصي المفسدة لهم على وجه الاختيار والدليل على انهُ تعالى مريد لافعاله انهُ خصص ايجاد الحوادث بوقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى مع عموم قدرته وكون الاوقات والصفات كلها صالحة للإيجاد بمقتضى القدرة فلا بد من مرجح للوقت والشكل والصفة لاستحالة الترجيح بلا مرجح عقلا وذلك هو الإرادة فيكون تعالى مريدا لافعاله وهو المطلوب والدليل على انه تعالى كاره لافعال ذاته انهُ ترك ايجاد الحوادث في وقت دون وقت والأوقات كلها صالحة للترك بمقتضى القدرة فلا بد من مخصص ومرجح وهو الكراهة والدليل على انه تعالى مريد لافعال عبيده وكاره لبعضها انه تعالى امرهم بالطاعة فيكون مريدا لها ونهاهم عن المعصية

فيكون كارها لها إذ الحكيم لا يأمر إلا بما يريد ولا ينهى إلا عما يكره وحينئذ فإرادته تعالى ترجع إلى العلم بالأصلح و كراهيته إلى العلم بالمفسدة وقد صرح بهما في الكتاب والسنة قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعال (إنما امره إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) وقال تعالى (ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا) وقال تعالى (ان الله يفعل ما يريد) وقال تعالى (ان الله يهدي من يريد) وقال تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقد ورد في جملة من الأخبار انه لا يقع في الوجود شيء الا بارادة الله تعالى وقد ثبت ان الله لا يريد المعاصي والشرور والكفر والزندقة وان جميع ذلك غير مراد له تعالى وغير مرضي له ويمكن التطبيق بين ذلك بأحد وجوه « الأول » ان مشيئته تعالى وارادته متعلقة بجميع الموجودات ولكن بهذا المعنى وهو انه اراد تعالى ان لا يكون شيء إلا بعلمه كما يرشد اليه بعض الأخبار « الثاني » ان الارادة متعلقة بالأشياء كلها لكن تعلقها بها على وجوه مختلفة لان تعلقها بأفعال نفسه بمعنى ايجادها والرضا بها لكونها كلها حسنة واقعة على وجه الحكمة والشر القليل تابع لخيرات كثيرة فيه وليس مرادا بالذات وتعلقها بأفعال العباد (اما) بالطاعات فهو ارادة وجودها (واما) بالمعاصي فهو ارادة ان لا يمنع منها بالجبر والقهر كما صرح به الصدوق في العقائد او ارادة عدمها كما فسر به قوله تعالى (ولو شاء الله ما اشركوا) اي لو شاء الله عدم شركهم على سبيل الاجبار ما اشركوا ولكن لم يشأ على هذا الوجه لمنافاته غرض التكليف وإنما شاء على سبيل الاختيار لتكون لهم القدرة على الفعل والترك ويدل على ذلك ملخص ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن الرضا (ع) قال ارادة الله تعالى ومشيئته في الطاعات الآمر بها والرضا لها والمعاونة عليها وارادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها قال السائل فلله فيه قضاء قال نعم ما من فعل يفعله العباد من خير او شر الا ولله فيه قضاء وقال السائل ما معنى هذا القضاء قال الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة « الثالث » ان نعلقها بأفعاله تعالى هو ما مر وتعلقها بأفعالهم على سبيل التجوز باعتبار ايجاد الآلة والقدرة عليها وعدم المنع منها فكأنه ارادها « الرابع » ان ارادته تعالى عبارة عن العلم بما في الفعل من المصلحة « الخامس » ان ارادة العبد لأفعاله مخلوقة لله تعالى كما صرح به السيد الداماد في تفسير قول الصادق (ع) خلق الله تعالى المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة حيث قال المراد بالمشيئة هنا

ارادة المخلوقين والمراد انه تعالى خلق اراداتهم بنفسها لا بمشيئة اخرى مباينة لها ثم خلق الاشياء بمعني افاعيلهم المترتب وجودها على تلك المشيئة بتلك المشيئة (واعلم) انه قد ورد في جملة من الاخبار عن الائمة الاطهار عليهم سلام الملك الغفار ان ارادته عبارة عن ايجاده واحداثه وانها من صفات الفعل الحادثة كالخالقية والرازقية ونحوها لا من صفات الذات بمعنى العلم بالاصلح ويكفي المكلف ان يعتقد ان افعال الله تعالى تصدر منه بالارادة والاختيار بمقتضى الحكمة والمصالح وانه تعالى ليس بمقهور فيها وقد عقد الكليني لذلك في الكافي بابا فعن صفوان قال قلت لابي الحسن (ع) اخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق فقال الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل (واما) من الله فإرادته احداثه لا غير وعن عاصم ابن حميد عن الصادق (ع) قال قلت لم يزل الله تعالى مريدا قال أن المريد لا يكون الا المراد معه لم يزل الله عالما قادرا ثم اراد قال المحقق المدقق المازندراني في شرح هذا الحديث فالارادة من صفات الفعل التي يصح سلبها عنه في الازل ولا يلزم منه نقص لا من صفات الذات كالعلم والقدرة فإن نفيهما عنه يوجب النقص وهو الجهل والعجز وثبوتهما له لا يوجب وجود المعلوم والمقدور معه في الازل (لا يقال) قوله ثم اراد دل على اتصافه بإرادة حادثة كما هو مذهب طائفة من المعتزلة وهو باطل لاستحالة اتصافه بالحوادث (لأنا نقول) المراد بالارادة الحادثة نفس الايجاد والاحداث كما ينطق به الحديث الاول (لا يقال) تخصيص الايجاد بوقت دون وقت لا بد من مخصص والمخصص هو الإرادة فلو كانت الإرادة نفس الايجاد دار (لأنا) لانسلم ان المخصص هو الإرادة بل هو الداعي اعني العلم بالمصلحة والنفع في الإيجاد في هذا الوقت دون غيره وفي هذا الحديث دلالة واضحة على ان الارادة غير العلم والقدرة كما هو مذهب الأشاعرة خلافا للمحققين منهم المحقق الطوسي فإنهم ذهبوا إلى أن الإرادة هي الداعي اعني العلم بالنفع والمصالح قال ويمكن ان يقال الارادة تطلق على معنيين كما صرح به بعض الحكماء الآلهيين احدهما الإرداة الحادثة وهي التي فسرت في الحديث بأنها نفس الإيجاد واحداث الفعل وثانيهما الإرادة التي هي من الصفات الذاتية التي لا تتصف الذات بنقيضها ازلا وابدا وهي التي وقع النزاع فيها فذهب جماعة منهم المحقق الى انها نفس علمه الحق بالمصالح والخيرات وعين ذاته الأحدية وذهب الاشاعرة الى انها صفة غير العلم انتهى وأيد ذلك بعض المحققين بما رواه الكليني عن الفتح بن يزيد عن ابي الحسن (ع) قال ان لله تعالى

ارادتين ارادة حتم وارادة عزم بأن المراد بالحتم القديمة وبالعزم الحادثة

(التاسع) انه تعالى متكلم كما قال تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) ولأن الكتب الإلهية والصحف السماوية والاحاديث القدسية كلامه تعالى ولان الغرض من ايجاده الخلق العبادة على ما يريد كما قال تعالى (وما خلقت الجن الانس إلا ليعبدون) ولا يتحقق ذلك بدون خطاب الله تعالى وكلامه وحيث كان الكلام مركبا من الحروف والأصوات فالكلام عرض يقوم بالغير وهو حادث ضرورة فيكون الغير الذي يقوم به الكلام محلا للحوادث فيكون الغير حادثا وحينئذ فمعنى كونه تعالى متكلما أنه موجد للكلام في جسم من الاجسام كما اوجد الكلام وخلقه في شجرة الطور لموسى (ع) وكذا في طبقات الافلاك فتسمع الملائكة وكذا في قلوب الأنبياء والرسل وقد يوجد النقوش في الألواح السماوية وتقرؤها الملائكة فينزلون بالوحي او يوجدها في قلوب الملائكة والانبياء والاوصياء وكيف كان فالغرض من وصفه تعالى بالكلام قدرته تعالى على ايجاد الكلام لعموم قدرته فإنها كما مر تعم جميع المقدورات ومنها خلق الحروف والاصوات فلعموم قدرته على كل شيء نقول أن الله على كل شيء قدير ومن قدرته الخاصة الجزئية على ايجاد الكلام نقول انه متكلم كما يقال زيد نجار وزراع اي يقدر على النجارة والزراعة ويقال انه قادر ويراد العموم ونفس الكلام حينئذ من صفات الافعال الحادثة كالخالقية والرازقية ويدل على حدوثه العقل والنقل أما العقل فلأن الكلام مركب من الحروف المتتالية التي يتقدم بعضها بعضا ويسبق بعضها على بعض فيكون حادثا وأما النقل فلقوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) والذكر هو القرآن لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقوله تعالى (فاسألوا اهل الذكر) وقد وصفه الله تعالى بالحدوث وإنما افرد صفة التكلم بالذكر مع انه من صفات الافعال لأن عليه بناء التكليف ومبنى البعثة وانزال الكتب والوحي من الله تعالى ولا ريب ان الخطاب قبل وجود المخاطب لغو صريح وهو في حق الحكيم غير صحيح وقد قال الله تعالى (إنا ارسلنا نوحا) ويانوح ويا آدم ويا ابراهيم وامثال ذلك فلو كان الكلام قديما كيف يحسن الخطاب والحنابلة ذهبوا إلى ان كلامه تعالى حروف واصوات وهي قديمة بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف ايضا والكرامية ذهبوا إلى ان كلامه تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والاصوات الحادثة القائمة

بذاته تعالى والأشاعرة اثبتوا الكلام النفسي وقالوا إن كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاتهِ تعالى قديم وهذه الاقوال مع ثبوت الأدلة على بطلانها تشهد البديهة بفسادها مع أن الكلام النفسي غير معقول ويستلزم ثبوت النفس له تعالى فيكون جسما محلا للحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(العاشر) في انه تعالى صادق لا يجوز عليه الكذب مطلقا لأن الكذب قبيح وهو تعالى منزه عن القبائح والكذب للاصلاح إنما جاز للمخلوق لارتكاب اقل القبيحين لأجل عجزهم وعدم قدرتهم على دفع فساد الصدق والله تعالى لا يوصف بعجز ولأن الصدق كمال وضده نقص والواجب يجب أن يكون كاملا من جميع الجهات كما تقدم

(تكميل) الصفات الكمالية كالعلم والقدرة والاختيار والحياة والارادة والكراهة والسمع والبصر والسرمدية ونحوها هي عين ذاته تعالى وجودا وعينا وفعلا وتأثيرا بمعنى ان ذاته تعالى بذاته يترتب عليه آثار جميع الكمالات ويكون هو من حيث ذاته مبدء لانتزاعها منه ومصدقا لحملها عليه وإن كانت هي غيره من حيث المفهوم والمعنى وذلك لجواز أن يوجد الاشياء المختلفة والحقائق المتباينة بوجود واحد ونظير ذلك للافهام المخلوق فإنه مع كونه واحد يصدق عليه انه مقدور ومعلوم ومحبي ومراد ومخلوق ومرزوق باعتبارات متعددة وحيثيات مختلفة وبالجملة فليست صفاته تعالى مغايرة للذات كما في صفاتنا فإن علمنا وقدرتنا وحياتنا مثلا غير ذواتنا بل زائدة عليها ضرورة فإنا كنا معدومين ثم وجدنا وكنا جاهلين فعلمنا وكنا عاجزين فقدرنا وهكذا والله تعالى ليس كمثله شيء ولا يشبه خلقه فصفاته عين ذاته غير زائدة عليها كما ادعاه المشركون سبحانه وتعالى عما يصفون والدليل على ذلك من العقل وجوه الأول انها لو كانت غير ذاته لكان تعالى محتاجا في كامليته إلى صفاته وإذا كان محتاجا كان ممكنا فلا يكون واجبا صانعا وقد تقدم بطلانه الثاني إن الصفة متأخرة عن الموصوف فيلزم ان يكون الله تعالى عاجزا جاهلا في وقت ثم صار قادرا عالما تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا الثالث انها لو كانت غير ذاته فاما أن تكون قديمة أو حادثة قائمة بذاتهِ تعالى أو بغيره واللازم باطل فالملزوم مثله بيان ذلك أن صفاته تعالى إذا كانت حادثة وقائمة بذاته لزم كونه تعالى محلا للحوادث فيكون حادثا لأن الحوادث من صفات الحادث وخواصه ولأنه إذا لم يكن حادثا بل كان قديما فصفاته التي يدعون حدوثها اما ان تكون معه في القدم فيلزم قدمها وقد

قالوا انها حادثة وان لم تكن معه لزم اما انفكاك ما فرض عدم انفكاكه اذا ادعوا انها قائمة بذاته وقد تخلف وإما حدوث الموصوف بالحوادث فيلزم ان يكون تعالى حادثا وان قالوا انها قديمة وقائمة بذاته وهكذا يقولون فيلزم تعدد القدماء فيكون الله تعالى قديما وقدرته التي هي غيره قديمة ايضا وكذا علمه وحياته وسمعه وبصره وهكذا وقد اعترف بعض ائمة الضلال بذلك وقال ان النصارى كفروا بقولهم إن الله ثالث ثلاثة فقالوا بتعدد ثلاثة من القدماء واصحابنا قالوا بقدم تسعة الإله وصفاته الثمانية وإن كانت قائمة بغير ذاته تعالى كان الموصوف بهاذلك الغير الذي قامت به فيكون الله سبحانه على قولهم عاريا عن الكمالات فلا يمكنه ايجاد المخلوقات (والقول) بأنها لا في محل كذلك ايضا مع انهُ حمق إذ يستحيل وجود صفة لا في محل فزيادة الصفات مع الحدوث كفر مستلزم لإنكار الواجب ومع القدم شرك يستلزم تعدد القدماء فتعينت العينية (الرابع) انها لو كانت زائدة على ذاته فلا يخلو اما أن تكون مستندة الى غيره كيف وليس وراءه تعالى شيء أو إلى ذاته كيف ومفيض الكمال لا يكون قاصرا عنه (الخامس) أنها لو كانت غير ذاته لزم أن تكون ذاته تعالى من حيث هو بلا كمال اشرف منه من حيث هو كامل لأنه بالاعتبار الأول مفيض بالاعتبار الثاني مستفيض قال بعض المحققين وكما ان مفيض الوجود ليس مسلوب الوجود في مرتبة فكذلك واهب الكمال لا يجوز ان يكون مفتقرا في حد ذاته اذ المفيض لا محالة اكرم واعلى وأمجد من المفاض عليه فكما أن في الوجود وجودا قائما بالذات غير متناه في التأكد وإلا لم يتحقق وجود بالغير فكذلك يجب أن يكون في العلم علم متأكد قائم بذاته وفي الاختيار اختيار قائم بذاته وفي الإرادة ارادة قائمة بذاتها وفي الحياة حياة قائمة بذاتها حتى يصح ان تكون هذه الاشياء في شيء لا بذواتها بل بغيرها فإذا فوق كل ذي علم عليم بذاته وفوق كل ذي قدرة قدير بذاته وفوق كل ذي سمع سميع بذاته وفوق كل ذي بصر بصير بذاتهِ إلى غير ذلك من صفات الكمال ويجب أن يكون جميع ذلك واحدا حقيقيا بالوجود لامتناع تعدد الغني بالذات فهو الله عز وجل كما قيل وجود كله وجوب كله علم كله قدرة كله حياة كله لا ان شيئا منه علم وشيئا آخر قدرة ليلزم التركيب في ذاته ولا ان شيئا فيهِ علم وشيئا آخر فيهِ قدرة ليلزم التكثر في صفاتهِ الحقيقية يعني أن ذاتهُ بذاتهِ من حيث هو هو مع كمال فرديتهِ منشأ لهذه الصفات مستحق لهذه الاسماء لا بحيثية اخرى وراء حيثية ذاتهِ وليس هو لاجل اتصافه بها ذا معان

متميزة متخصصة باسماء متعددة بل كما أنا نقول لكل واحد من موجودات العالم انهُ معلومهُ ومقدوره ومراده من غيران نثبت فيهِ معان شتى فكذلك نصف موجوده بالعلم والقدرة والإرادة مع كونهِ احديا فردا بل كل صفة من صفاتهِ عين صفاتهِ الاخرى وما ندركهُ بصفةٍ ندركهُ بجميع الصفات اذ لا اختلاف هناك ونعم ما قيل

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

قال امير المؤمنين (ع) من وصف الله فقد قرنه ومن قرنهُ فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله يعني من وصف الله تعالى بصفة مغايرة لذاته فقد جعله مقارنا لغيره وهو الصفة ومن جعلهُ مغايرا لغيره من صفته فقد ثناه اذ الموصوف اول والوصف ثاني ومن ثناه فقد جزاه اي جعله ذا جزء مركب من ذات وصفة ومن قال بأنه ذا جزء لم يعرفه لأن الله واحد احد وقال (ع) اول الدين معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه وروى الصدوق في التوحيد عن عروه قال قلت للرضا (ع) خلق الله الاشياء بقدرة ام بغير قدرة فقال لا يجوز ان يكون خلق الاشياء بالقدرة لأنك اذا قلت خلق الاشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئا غيره وجعلتها آلة له بها خلق الاشياء وهذا شرك واذا قلت خلق الاشياء بقدرة فإنما تصفه انه جعلها باقتدار عليها وقدرة ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج الى غيره ، وباسناده عن الباقر (ع) انه قال سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع وقال (ع) انه واحد احدي المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة والاخبار في ذلك اكثر من ان تحصى

الفصل الرابع

في صفاته السلبية التي تنفي النقائص عنه تعالى لأن اثبات الكمال لا يتم الا بنفي النقص كما لا يتم اثبات الحق الا بنفي الباطل وتسمى ايضا صفات الجلال كما اشير اليها بقوله تعالى (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل الجلال صفاته السلبية والاكرام صفاته الثبوتية وقدم الجلالية لأن دفع المضرة اهم من جلب المنفعة والتحلية بالأوصاف الجميلة تتوقف على التخلية من الاخلاق الرذيلة كما لا ينمو الزرع والشجر في ارض لم تصفُ من الشوك والحجر ويجب سلب كل نقص عنه تعالى لكماله ولا حصر فيها كما في الصفات الثبوتية لأن الحصر يشعر بأن لا مانع من ان يكون فيه نقص غير ما حصر ونحن لما رأينا فينا نقائص استهجنها

العقل وعلمنا انها من نقصنا وعجزنا نزهنا الواجب تعالى عنها لكماله وقدرته ولنقتصر على بيان جملة من اصولها للأنموذج والايضاح كما في الصفات الثبوتية

(الأول) انه تعالى لا شريك له كما تقدم في مبحث التوحيد

(الثاني) انه ليس بمحتاج في الذات ولا في الصفات الى الغير والمكان والزمان والكيفية والادوات والآلات فإن الله لغني عن العالمين اتفوق المحتاج اليه على المحتاج ضرورة فيكون هو الأحق بأن يكون هو الصانع الحق ولكونه واجب الوجود لذاته كما تقدم كان الله ولم يكن معه شيء فكان غنيا عمن سواه ازلا فكذا ابداولأنه قد ثبت قدمه والقديم هو الذي يتقدم على الكل فيكون غنيا عن الكل

(الثالث) انه تعالى ليس بمركب من الاجزاء الخارجية كالمداد ولا من الاجزاء الذهنية كتركب الانسان من الحيوان والناطق ونحوه والا للزم احتياجه الى الاجزاء الخارجية او الذهنية والاحتياج من خواص الممكن لا الواجب ولأنه تعالى هو الغني عما سواه ولأنه تعالى ليس كمثله شيء وليس هو تعالى كالبسائط التي خلقها لأنها وان لم تكن لها اجزاء حقيقية ولكن لها اجزاء ذهنية ووهمية والله سبحانه تعالى ليس كمثله شيء ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس

(الرابع) انه تعالى ليس محلا للحوادث كالنوم واليقظة والحركة والسكون والقيام والقعود والكهولة والصبا والشباب والشيب والقوة والضعف والكلال والنشاط والفرح والحزن والرضى والسخط ونحوها لأن ما ثبت قدمه يمتنع ان يكون محلا للحوادث وهذه كلها من لوازم الجسم او الجسماني والله منزه عنهما كما عرفت ولأن الاتصاف بهذه الحوادث والعوارض دليل على العجز والنقص وهو تعالى منزه عنهما وهذه الأمور كلها مخلوقة له تعالى يمتنع اتصاف الخالق بها وقال تعالى (هو الأول والآخر) وقال تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) وقال تعالى ليس كمثله شيء وما ورد من وصفه تعالى بشيء من ذلك في الكتاب والسنة كقوله (رضي الله عنهم) وقوله تعالى (غضب الله عليهم) (فلما آسفونا انتقمنا منهم) (الذين يؤذون الله ورسوله) (ويحاربون الله ورسوله) (يد الله فوق ايديهم) ونحو ذلك فموّله بأن المراد من جملة منها غاياتها دون مباديها فغاية الرضى الإكرام والإحسان وغاية الغضب العقاب والعذاب ونحو ذلك ولذا قيل خذ الغايات واترك المبادئ وورد في تأويل بعضها إن لله اولياء من حاربهم فكأنما حاربه ومن آذاهم

فكأنه قد آذاه كما قال تعالى (ومن يطع الرسول فقد اطاع الله) (والذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ونحو ذلك

(الخامس) انه تعالى لا يحل ولا يتحد بغيره كما زعمته بعض الفرق المبتدعة المضلة لأن الحال يفتقر الى المحل الذي يحل فيه والفقر والاحتياج من خواص الممكن ولأن الحلول في مكان يستلزم الخلو من مكان آخر وهو سبحانه موجود في كل مكان لا بمداخلة خارج عنه لا بمزايلة ولأن الانتقال من حال إلى حال علامة الزوال والله لم يزل ولن يزال ولاستلزامه الجسمية والعرضية والمكانية وهو سبحانه منزه عن الجميع وأما الاتحاد وهو صيرورة الشيئين شيئا واحدا بلا زيادة ولا نقصان فهو محال في نفسه غير معقول والواجب تعالى لو اتحد بغيره لكان ذلك الغير اما واجبا أو ممكنا فإن كان واجبا لزم تعدد الواجب وإن كان ممكنا فالحاصل بعد الاتحاد إما أن يكون واجبا أو ممكنا وانقلاب كل من الممكن والواجب إلى الآخر محال وما زعمه بعض هؤلاء الكفرة من أن العبد إذا بلغ درجة العرفان وفاز بمنزلة الإيقان اتحد بربه وبطل عنده ما كان يتوهم من الإثنينية والمغايرة بينه وبين ربه وسقط التكليف عنه مستشهدين بقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقوله (ع) اقل ما اوتيتموه اليقين ومن أوتي حظه لم يبال ما انقص من صومه وصلاته فاسد فإنه لو جاز سقوط العبادات عن العارف الموقن لسقطت عن سند العارفين وسيد الموقنين و كان يعبد الله حتى تورمت قدماه وآخر وصاياه الصلاة الصلاة والمراد باليقين في الآية الموت والمراد من الحديث ان اليقين افضل من الصوم والصلاة المسنونين وقال تعالى في كتابه (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين و كنا نخوض مع الخائضين و كنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين اي الموت

(السادس) انهُ تعالى ليس بجسم وهو ما يقبل الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق لافتقار الجسم إلى المكان الذي هو من خواص الممكن ولأنه تعالى الغني عما سواه ولا كالسطح وهو ما له عرض وطول دون العمق ولا كالنقطة التي هي طرف الخط ومقابل الجسم ولا تقبل شيئا من الابعاد الثلاثة لأن ذلك كله من صفات الممكن ومن الاعراض وليس هو تعالى بجوهر وهو القائم بذاته والمراد به مقابل العرض الذي يقوم بغيره لأن الجوهر جسم وقد عرفت بطلانه ولا بعرض لافتقاره إلى المحل وهو تعالى ليس كمثله شيء

(السابع) انه تعالى لا يرى بحاسة البصر لا في الدنيا ولا في الآخرة واتفقت على ذلك الإمامية ودل الكتاب والسنة على ذلك خلافا للمشبهة والكرامية فذهبوا إلى جواز رؤيته تعالى في الجهة والمكان لكونهِ تعالى عندهم جسما وخلافا للأشاعرة فاتفقوا على وقوع رؤيته تعالى في الآخرة فضلا عن الجواز واتفقوا على امكانها وجوازها في الدنيا واختلفوا في وقوعها وأن النبي (ص) هل رأى ربه ليلة الاسراء ام لا وأكثرهم على الأول لنا على الامتناع العقل والنقل اما الأول فلأن المرئي بحاسة البصر لا بد أن يكون جسما وفي جهة مقابلة وذا صورة ومثل ومكان والله تعالى منزه عن جميع ذلك كما عرفت ولأن المرئي محاط بالنظر ضرورة والله تعالى محيط كما قال (الا انهُ بكل شيء محيط) والمحيط لا يكون محاطا فلا يكون مرئيا ولوجوب الفاصلة بين الرائي والمرئي كوجوب المقابلة بينهما كما قال الحكماء ان الرائي يخرج من عينيهِ مد يصل المرئي فتجب الفاصلة والمقابلة وعدم الحاجب وكل ذلك من لوازم الجسمية وهو تعالى اقرب الينا من حبل الوريد واما النقل فلقوله تعالى (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) وقال تعالى (لا تدركهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ففي الصحيح عن الصادق (ع) إنما عنى إحاطة الوهم الله اعظم من ان يرى بالعين وعن الجعفري عن الباقر (ع) في الآية قال يا أبا هاشم اوهام القلوب أدق من أبصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك واوهام القلوب لا تدركهُ فكيف أبصار العيون وعن عاصم بن حميد في الصحيح عن الصادق (ع) قال ذاكرت ابا عبد الله (ع) فيما يرون من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب والمراد بالحجاب والستر مقامان من مقامات تجليات نور عظمتهِ تعالى والمراد بالروءية الممتنعة عليهِ تعالى إنما هي روءية العين وأما روءية القلب فليست بممتنعة عليهِ تعالى وعلى ذلك يحمل ما ورد في النقل من جواز الروءية ففي كتاب التوحيد باسناده عن الأصبغ عن امير المومنين (ع) قال قام اليهِ رجل يقال لهُ ذغلب فقال يا أمير المومنين هل رأيت ربك قال ويلك يا ذغلب لم أكن بالذي اعبد ربا لم اره فقال كيف رأيته صفهُ لنا قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأتهُ القلوب بحقائق الايمان وعن

الصادق (ع) قال رأى رسول الله ربهُ عز وجل بقلبهِ وفي رواية أخرى أما سمعت الله يقول ما كذب الفؤاد ما رأى لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد وقد تقدمت رواية أبي بصير واستدل القائلون بجواز الرؤية في الدنيا عقلا بأنهُ تعالى علق رؤية موسى (ع) لما قال ربي أرني أنظر إليك على استقرار الجبل وهو في نفسه امر ممكن والمعلق على الممكن ممكن ولانها لو كانت ممتنعة لم يسألها موسى (ع) فتكون جائزة وإلا لزم جهل النبي ومن خصها بالآخرة قال إن القوى والإدراكات ضعيفة في الدنيا وفي الآخرة تقوى ادراكاتهم فيطيقون رؤيتهُ (واجيب) عن الشبهة الأولى أنا لا نسلم أن المعلق عليهِ هو استقرار الجبل مطلقا فإن الجبل كان مستقرا مشاهدا وقت هذا التعليق بل استقراره حال التجلي وامكانهُ حينئذ ممنوع ودون إثباته خرط القتاد وعن (الثانية) بالمعارضة والحل (أما) المعارضة فلأن رؤيتهِ تعالى لو كانت جائزة (لما عد طلبها امرا عظيما ولما سماه ظلما ولما ارسل عليهم صاعقة ولما قال تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) ولما سمعوا هذه المعارضة اضطربوا فقالوا إن رؤيتهُ جائزة في الدنيا لا على طريق المقابلة والجهة كما هو المعروف في رؤية الممكنات وممتنعة على هذه الطريقة فذمهُ وانكاره (بناء) على أنهُ طلب من هذه الطريقة الممتنعة ولا يخفى ما في هذا الجواب من الركاكة لأن طلب الرؤية من هذه الطريقة كيف يصلح أن يكون دليلا على جواز الرؤية من غير هذه الطريقة على أنهُ يلزم جهل النبي الكريم وأما الحل فلأن الامر في قولهِ تعالى ارني ليس محمولا على طلبها حقيقة بل على اظهار حالهِ على الجماعة الحاضرين معهُ الطالبين لرؤيتهِ تعالى القائلين له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واصروا عليه كما حكى الله عنهم والتخصيص بالآخره مع القول بالامتناع في الدنيا سفسطة لا برهان له ولا دليل عليهِ

(الثامن) انهُ تعالى لا يفعل قبيحا لأن فاعل القبيح إما أن يكون جاهلا بقبحهِ او عالما به ولكنه عاجز عن تركه او محتاجا الى فعله او قادرا غير محتاج ولكن يفعل عبثا وعلى الاول يلزم جهله تعالى وعلى الثاني عجزه وعلى الثالث احتياجه وعلى الرابع السفه والكل محال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(التاسع) انه تعالى لا يشبه شيئا من مخلوقاته كما قال تعالى ليس كمثلهِ شيء بل هو مغاير للمخلوق لأن كل صانع مغاير لمصنوعهِ ولو بالصانعية وهذا بديهي وبذلك تعرف جميع الصفات السلبية

﴿وصل﴾ اعلم انه يمكن الاستدلال على وجود الواجب وجميع صفاته الثبوتية والسلبية والكمالية والجلالية بدليل واحد قطعي يقيني تذعن له العقول السليمة والافهام المستقيمة من دون حاجة الى اقامة دليل تفصيلي على كل من ذلك وهو هذا ان الصانع المحكم صنعه على هذا النظام العجيب والنسق الغريب الذي تحير فيه العقول ويذعن له اولو المعقول والمنقول يجب ان يكون في غاية الكمال بالنظر الى كل كامل ويجب ايضا ان تكون كمالاته كلها موجودة بالفعل خارجة عن القوة والا لافتقر إلى مخرج لها من القوة إلى الفعل فلم تكن ذاتية وللزم التركيب في ذاته عز وجل من جهتي قوة وفعل ولأنه لو كان له كمال منتظر الخروج من القوة إلى الفعل لكان ناقصا بالنظر إلى ذلك الكمال فلم يكن كاملا من جميع الوجوه وقد وجب ان يكون كاملا فيه وإذا كان كذلك وجب ان يكون واحدا بالذات والصفات لأن غاية الكمال كمال فوق جميع الكمالات ولا ريب ان الواحد بالذات والصفات اكمل من المماثل في جميع الكمالات اذ لا يعقل فوق المثل أكمل في الكمالات وهو اللامثل بالذات والصفات ولا يعقل فوق الوحيد الفريد اكمل في الكمالات فهو في غاية الكمال في جميع الكمالات ويجب ايضا ان يكون عالما قادراً مختارا في فعله مريدا سميعا بصيرا حيا إلى غير ذلك من صفات الإيجاب والسلب وذلك لأن نقائضها نقص وقد عرفت انه يجب ان يكون في غاية الكمال

﴿تنبيه﴾ اعلم ان صفاته تعالى على ضربين صفات ذات وصفات فعل فصفات الذات كالوجود والعلم والقدرة والحياة والسرمدية ونحوها وهي عين ذاته كما تقدم (وصفات فعل) كالخالقية والرازقية والإحياء والإماتة فهي حادثة وهي امور اعتبارية انتزعت باعتبار المخلوق والمرزوق والمحيي والممات وليست هذه الصفات قديمة والا لزم قدم العالم فقد كان الله ولم يكن خالقا ولا رازقا ولا محييا ولا مميتا وهذه الصفات ليست صفات كمال حتى يلزم النقص من انتفائها عنه تعالى بل الكمال انما هو قدرته تعالى على الخلق وعلمه بمصلحة وقت ايجادهم بل ربما كان استمرار هذه الصفات وقدمها وابديتها نقصا كما إذا كان الصلاح في ايجاد زيد في هذا اليوم لا قبله ولا بعده فإيجاده قبل ذلك او بعده نقص على الله تعالى وكذا الكلام في اغنائه وافقاره واماتته واحيائه ونحوها والضابط في الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل ان صفات الذات ما اتصف الله تعالى بها وامتنع اتصافه بضدها كالعلم والقدرة والحياة ونحوها فلا يجوز ان يقال ان الله عالم بكذا وغير عالم بكذا وقادر على كذا وغير قادر على كذا وسميع وبصير

بكذا وغير سميع وبصير بكذا ونحو ذلك وصفات الفعل ما يتصف تعالى بها وبضدها فيقال ان الله تعالى خلق زيدا ولم يخلق ابنه واحيى زيدا وأمات عمراً وافقر بكرا واغنى خالدا ونحو ذلك وبهذا استدل الكليني (رض) على ان الإرادة من صفات الأفعال الحادثة بمعنى الإيجاد اذ يقال أراد الله الخير ولم يرد الشر واراد ايجاد زيد في وقت كذا ولم يرده قبله ولا بعده وهذه الصفات زائدة اذ لا يمكن كون النقيضين عين ذاته تعالى فلا بد من زيادتها فلا تكون من صفات الذات وايضا يلزم من كونها من صفات الذات قدمها مع زيادتها فيلزم تعدد القدماء وايضا لو كانت من صفات الذات لزم زوالها عند طروء نقيضها فيلزم التغيير في الصفات الذاتية

الفصل الخامس

في جملة من نعوته التي نعتهُ بها اولياؤه واصفياؤه والسنته المعبرة عنه في العالمين ففي التوحيد عن امير المؤمنين (ع) في خطبة الوسيلة: الحمد لله الذي اعجز الأوهام ان تنال الا وجوده وحجب العقول عن ان تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته ولم يتبعض بتجربة العدد في كماله فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن وتمكن منها لا على الممازجة وعلم بها لا بإرادة لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره ان قيل كان فعلى تأويل ازلية الوجود وان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم

وعنه (ع) انه خطب في مسجد الكوفة فقال (الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء كون ما قد كان المستشهد بحدوث الأشياء على ازليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه لم يخل منه مكان فيدرك بأينية ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية ولم يغب عن شيء ليعلم بحيثية مباين لجميع ما احدث في الصفات وممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصريف الذوات وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات محرم على بوازع ثاقبات الفطن تحديده وعوامق ثاقبات الفكر تكييفه وعلى غوائص سابحات النظر تصويره لا تحويه الأماكن لعظمته ولا تذرعه المقادير لجلاله ولا تقطعه المقاييس لكبريائه ممتنع عن الأوهام ان تكتنهه وعن الأفهام ان تستغرقه وعن الأذهان ان تمثله قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول ونضبت عن الاشارة اليه بالاكتناه بحار العلوم ورجعت بالصغر عن السمو الى وصف قدرته لطائف الخصوم واحد لا من عدد ودائم لا بأمد وقائم لا بعمد ليس بجنس

فتعادله الأجناس ولا بشبح فتعارضه الأشباح ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات قد ضلت العقول في امواج تيار ادراكه وتحيرت الأوهام عن احاطة ذكر ازليتهِ وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته وغرقت الأفلاك في لجج افلاك ملكوته مقتدر بالآلاء وممتنع بالكبرياء ومتملك على الأشياء فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط بهِ قد خضعت له رواتب الصعاب في محل تخوم قرارها واذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق اقطارها مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته وبعجزها على قدرته وبفطورها على قدمه وبزوالها على بقائهِ فلالها محيص عن ادراكه ولا خروج عن احاطته بها ولا احتجاب عن احصائه لها ولا امتناع عن قدرته عليها كفى بلاتقان الصنع لها آية وبمركب الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمه وبإحكام الصنعة لها عبره فلا اليهِ حد منسوب ولا له مثل مضروب ولا شيء عنه بمحجوب تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علوا كبيرا

وقال (ع) اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده انشأ الخلق انشاء وابتدأه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها

وقال (ع) ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكره غني لا باستفادة لا تصحبهُ الأوقات ولا ترفده الأدوات سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الأمور عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له

ومن كلامه (ع) لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرتـه تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شأنا وعظم سلطانا

وقال (ع) بطن خفيات الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصيرة فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء اعلا منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه

وسأله (ع) حبر من الاحبار فقال متى كان ربك فقال ويلك إنما يقال متى كان لما لم يكن فأما ما كان فلا يقال متى كان كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد ولا منتهى غاية لتنتهي غايته. إلى غير ذلك من كلامه (ع) وكلام اولاده الطاهرين ولو اجتمع الانس والجن لما وحدوا الله بمثل توحيدهم عليهم السلام ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولولاهم (ع) لما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد

الفصل السادس

اعلم انه لا سبيل للمخلوق إلى معرفة كنه الخالق وحقيقته والاحاطة بهِ جل شأنهُ كما قال عز وجل (ولا يحيطون بهِ علما) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره) وفي الدعاء سبحان الله من لا يعلم ما هو إلا هو

وقال امير المؤمنين (ع) لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين

وقال (ع) من قال فيه لم فقد عللهُ ومن قال فيهِ متى فقد وقته ومن قال فيمَ فقد ضمنه ومن قال انى فقد انهاه ومن قال حتى فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد الحد فيه لا يتغير الله بتغاير المخلوق ولا يتجدد بتجدد المحدود

وقال الصادق (ع) وكيف اصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف وتوضيح ذلك على ما قاله بعض العارفين ان الخلق كلهم لم يعرفوا إلا احتياج هذا العالم المنظوم المحكم إلى صانع مدبر حي عالم سميع بصير قادر وهذه المعرفة لها طرفان «احدهما» يتعلق بالعالم ومعلوم احتياجهِ إلى مدبر «والآخر» يتعلق بالله ومعلومهِ اسامي مشتقة من صفات غير داخلة في حقيقة الذات وماهيتهِ وقد ثبت انهُ إذا اشار

المشير إلى شيء وقال ماهو لم يكن ذكر الاسماء المشتقة جوابا اصلا فلو اشار شخص إلى حيوان فقال ماهو فقيل طويل او ابيض او بصير أو أشار إلى ماء فقال ما هو فأجيب بأنهُ بارد أو إلى نار فقال حار فكل ذلك ليس بجواب عن الماهية البتة والمعرفة بالشيء هي معرفة حقيقته وماهيته لا معرفة الاسامي المشتقة فإن قولنا حار معناه شيء مبهم له وصف الحرارة وكذلك قولنا قادر عالم معناه شيء مبهم له وصف العلم والقدرة واما قولنا انه واجب الوجود فهو عبارة عن استغنائهِ عن الفاعل وهذا يرجع إلى سلب السبب عنه وقولنا انه يوجد عنه كل موجود يرجع إلى اضافة الأفعال اليه فإذا قيل له ما هذا الشيء فقلنا هو الفاعل لم يكن جوابا فكيف قولنا هو الذي لا سبب له لأن كل اخبار عن غير ذاته وعن اضافة له إلى ذاته اما بنفي أو اثبات وكل ذلك في اسماء وصفات واضافات فإنا لما رأينا الوجود والقدرة والعلم فينا وعلمنا انها ليست من ذواتنا بل من الفياض الحقيقي علمنا انه موجود قادر عالم ونحو ذلك بلا كيفية لصفاته ولما رأينا فينا بعض الكمالات كالوجود والقدرة والعلم والحياة والادراك ونحوها وعلمنا ان نقائضها من العدم والعجز والجهل والموت وعدم الادراك نقائص وصفنا ربنا بالكمالات ونزهناه عن النقائص مع عدم علمنا بكنه ما اثبتناه له تعالى فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة انهم لا يعرفونهُ حق معرفتهِ وانهُ لا يمكنهم معرفة الحقيقة البتة وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا فقد عرفوه اي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه من قال العجز عن درك الإدراك ادراك بل هو الذي عناه سيد البشر (ص) حيث قال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولم يرد به انهُ عرف منه ما لا يطاوعه لسانهُ في العبارة عنه بل معناه اني لا احيط بمحامدك وصفات إلهيتك وإنما انت المحيط بها وحدك

وقال (ص) ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وان الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه انتم

اقول وروى ثقة الإسلام في الكافي عن ابي بصير عن الباقر (ع) قال تكلموا في خلق الله تعالى ولا تتكلموا في الله تعالى فإن الكلام في الله لا يزاد صاحبه إلا تحيرا

وعن الصادق (ع) قال ان الله يقول (وان إلى ربك المنتهى) فإذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا

وعن محمد بن مسلم قال قال ابو عبد الله (ع) يا محمد ان الناس لا يزال بهم النطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله الا الله الذي ليس كمثله شيء

وعنه (ع) من نظر في الله كيف هو هلك

وعن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) قال إياكم والتفكر في الله ولكن إذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه

وعنه (ع) يا ابن آدم لو اكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرت ابرة لغطاه تريد ان تعرف بها ملكوت السموات والارض ان كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت ان تملأ عينيك منها فهو كما تقول واما اتساع المعرفة فانما يكون في معرفة اسمائه وصفاته وبها تتفاوت درجات الملائكة والانبياء والاولياء في معرفة الله عز وجل فليس من يعلم انه قادر عالم على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السماوات والارض و خلق الارواح والاجساد واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعنا في التفصيل ومستقصيا دقائق الحكم ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف بها بل بينهما من البون البعيد ما لا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الدرجات فلا تلتفت الى من يزعم انه وصل الى كنه الحقيقة المقدسة بل احث التراب في فيه فقد ضل وغوى وكذب وافترى فإن الامر ارفع واظهر من ان يتلوث بخواطر البشر وكلما تصوره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ واقصى ما وصل اليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه في التدقيق فسبحان من حارت لطائف الاوهام في بيداء كبريائه وعظمته وسبحان من لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

إعتصام الورى بمغفرتك عجز الواصفون عن صفتك
تب علينا فإننا بشر ما عرفناك حق معرفتك

ولله در من قال

والله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
كلا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير انك اوحدي الذات سرمد

وجدوا اضافات وسلبا والحقيقة ليس توجد
ورأوا وجودا واجبا يفني الزمان وليس ينفد
تاه الأنام بسكرهم فلذاك صاحي القوم عربد
ونجا من الشرك الكثيف مجرد العزمات مفرد
فليخسئ الحكماء عن حرم له الاملاك سجد
من انت يا رسطو ومن افلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين قرر ما بناه له وشيد
ماانتمو الا الفراش رأى السراج وقد توقد
فدنا وأحرق نفسه ولو اهتدى رشدا لأبعد

﴿وصل﴾ وكما يمتنع تلى غير الله تعالى معرفة كنه ذاته فكذا يمتنع معرفة كنه صفاته لأن صفاته تعالى كما عرفت عين ذاته وكلما وصفه به العقلاء فإنما هو على قدر افهامهم وبحسب وسعهم فإنهم انما يصفونه بالصفات التي الفوها وشاهدوها في انفسهم مع سلب النقائص الناشئة من انتسابها اليهم بنوع من المقايسة ولو ذكر لهم من صفاته عز وجل ما ليس لهم ما يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه ككونه تعالى لا اول له ولا آخر ولا جزء له وليس في مكان ولا زمان وكان ولم يكن معه شيء من زمان او مكان أو ليل او نهار أو ظلمة او ضياء لحاروا وتحيروا وعجزوا ولم يفهموا شيئا فتوصيفهم إياه سبحانه بأشرف طرفي النقيض كالعلم والجهل والقدرة والعجز والحياة والموت إنما هو على قدرهم لا قدره وبحسبهم لا بحسبه فسبحانه عما يصفون وتعالى شأنه عما يقولون

ولذا قال باقر العلوم (ع) هل سمي عالما قادرا إلا لأنه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين وكلما ميزتموه بأوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحياة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله زبانيتين أي قرنين فإنهما كما لها وتتصور ان عدمهما نقصان لمن لا يكونان له ولعل حال كثير من العقلاء كذلك فيما يصفون الله تعالى به سبحان ربك رب العزة عما يصفون ولذا ورد النهي عن وصفه تعالى بغير ما وصف به نفسه .

الفصل السابع

اعلم ان كل ما تطلق عليه سبحانه وعلى غيره فإنما تطلق عليهما بمعنيين مختلفين ليسا في درجة واحدة حتى ان الوجود الذي هو اعم الأشياء اشتراكا لا يشمله وغيره على نهج واحد بل كل ما سواه فإنما هو موجود به ان الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وهكذا في سائر صفاته كالعلم والقدرة والإرادة والمحبة والرحمة والغضب والجبار وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق بل هو في حق الخلق يصحبه نقص وشين بخلافه في حق الخالق فإنه مقدس عن القصورات والنقائص وانما تطلق بعض الصفات كالرحمن الرحيم والعطوف ونحوها في حقه تعالى باعتبار غاياتها التي هي الكمالات دون مباديها التي هي النقائص وواضع اللغات وضع هذه الأسامي اولا للخلق لأنها اسبق إلى العقول والأفهام وفهم معانيها في حقه تعالى عسر جدا وبيانها اعسر منه بل كلما قيل في تقريبها الى الإفهام فهو تبعيد له من وجه كما تقدم في كلام امير المؤمنين (ع) ان قيل كان فعلى تأويل ازلية الوجود وان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم

وعن هشام بن الحكم عن الصادق (ع) انه قال للزنديق حين سأله ما هو قال هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى اثبات معنى وانه شيء بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الازمان فقال له السائل فتقول انه سميع بصير قال هو سميع بصير سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه ليس قولي انه سميع يسمع بنفسه ويبصر بنفسه انه شيء والنفس شيء آخر ولكن اردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا وافهاما لك اذ كنت سائلا فأقول سميع بكله لا ان الكل منه له بعض ولكني اردت افهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي إلى كل ذلك إلا إلى إنه السميع البصير العليم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى وقد عرفت ان صفاته تعالى عين ذاته تعالى فهو كما قيل وجود كله وجوب كله علم كله حياة كله لا ان شيئا منه علم وشيئا آخر قدرة ليلزم التركب في ذاته ولا ان شيئا منه علم وشيئا آخر قدرة ليلزم التكثر في صفاته ولا تتعجب من ذلك فإنك إذا حدثت نفسك بشيء فأنت حينئذ عليم به سميع له بصير إياه متكلم به بل انت اذ تراك عالم وسمع وبصر وكلام بل وانت في الحال

معلوم ومسموع ومبصر وكل ما يوهم التشبيه من الصفات من الغضب والرضا والفرح والاسف ونحوها فبدايته التي هي الانفعال منفية عنه تعالى وغايته التي هي الكمال ثابتة له تعالى وذلك لأن صفات المخلوقات والموجودات تختلف بحسب المظاهر والمقامات فهي انما تكون في كل مقام بحسبه فالغضب في الجسم جسماني يظهر بثوران الدم وحرارة الجلد وحمرة الوجه وفي النفس نفساني ادراكي يظهر بارادة الانتقام والتشفي عن الغيظ وفي العقل عقلي يظهر بالحكم الشرعي بتعذيب طائفة او خزيهم لإعلاء دين الله وهو بالنسبة الى الله تعالى ما يليق بمفهومات صفاته الموجودة بوجود ذاته وكذا الشهوة فانها في النبات الميل الى جذب الغذاء والنمو وفي الحيوان الميل الى ما يوافق طبعه ويشتهيه وفي النفس الانسانية الميل الى ما يلائم الناطقة من كرائم الملكات وفي العقل الابتهاج بمعرفة الله وصفاته واسمائه وافعاله بما يعرف وفي الله سبحانه كون ذاته مبدء الخيرات وغايتها وخلقه الخلق لكي يعرف وعلى هذا القياس سائر الصفات وهو سبحانه بحسب كل صفة ونعت ليس كمثله شيء في تلك الصفة لأن المخلوق لا يكون ابدا مثل خالقه في شيء من الأشياء لأنه محتاج وخالقه غير محتاج فلا حد لصفة الله ولا كيف لأنهما من خواص الممكن ويمكن توجيه آخر للصفات التي توهم التشبيه وهو انها ترجع الى خواص اوليائه وامنائه فإن اولياء الله لما قويت ذواتهم وكملت صفاتهم وانشرحت صدورهم لم يحتجبوا بالخلق عن الحق فكلما يصدر من الافعال والاعمال والمجاهدات والمخاصمات كان لله وبالله ومن الله والى الله وفي الله فإن غضب كان غضبه لله وإن اغضب فكذلك وان رضي او أرضي فكذلك وهكذا في جميع ما يفعل او ينفعل فيصح نسبة صفاته وافعاله الى الله تعالى

كما ورد في الحديث القدسي الصحيح المتفق عليه بين الفريقين المروي في الكافي وغيره لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فإذا احببتهُ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها الحديث وروى الصدوق في كتاب التوحيد باسناده عن الصادق (ع) في قوله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم

قال ان الله سبحانه لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق اولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضاء نفسه وسخطهم سخط نفسه لانه جعلهم الدعاة اليه والأدلاء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس ذلك يصل الى الله كما يصل الى خلقه لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال من اهان بي وليا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني اليها وقال

(ومن يطع الرسول فقد اطاع الله) وقال (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) وكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك ولو كان يصل إلى المكون الآسف والضجر وهو الذي احدثهما وانشأهما لجاز لقائل ان يقول ان المكون يبيد يوما لأنه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير فإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه بالابادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوِّن من المكوَّن ولا القادر من المقدور ولا الخالق من المخلوق تعالى الله عن هذا القول علوا كبيراً

الفصل الثامن

في اسمائه تعالى قال الله عز وجل ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

سئل مولانا الرضا (ع) عن الاسم ما هو قال صفة لموصوف فالاسم مادل على الذات الموصوفة بصفة معينة كلفظ الرحمن فانه يدل على ذات متصفة بالرحمة والقهار فانه يدل على ذات لها القهر إلى غير ذلك والحق ان اسماءه تعالى حروف حادثة مخلوقة تدل على الذات المقدسة وهي غيرها لحدوثها فلا تكون عين الذات خلافا لبعض العامة العمياء حيث زعموا انها عين الذات ولا يخفى فساده فإن الخ ب ر غير الخبر وزي د غير زيد فكذا اسماء الله تعالى ولأن لله تعالى اسامي كثيرة ولو كان الاسم عين المسمى للزم تعدد الآلهة

وروى ثقة الإسلام في الكافي باسناد حسن عن هشام بن الحكم انه سأل مولانا الصادق (ع) عن اسماء الله واشتقاقها الله ممَّ هو مشتق قال فقال لي يا هشام الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوها والاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد افهمت يا هشام قال فقلت زدني قال ان لله تسعة وتسعين اسما فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره يا هشام الخبز إسم للمأكول والماء للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق افهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به اعداءنا والملحدين مع الله تعالى غيره قلت نعم قال فقال نفعك الله به وثبتك يا هشام قال هشام فوالله ما قهرني احد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا

وفي الكافي وتوحيد الصدوق مسندا عنه (ع) قال من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن

عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك ومن عبد المعنى بايقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في ستر امره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقا

وفي رواية اخرى فأولئك اصحاب امير المؤمنين حقا قال بعض العارفين المراد بالاسم في الخبرين ما يفهم من اللفظ وبالمعنى ما يصدق عليه اللفظ فالاسم امر ذهني والمعنى أمر خارجي وهو المسمى والاسم غير المسمى لأن الإنسان مثلا في الذهن ليس بانسان ولا له جسمية ولا حياة ولا حس ولا حركة ولا نطق ولا شيء من خواص الانسانية فتدبر فيه تفهم معنى الحديث

وروى الصدوق في كتاب التوحيد باسناده عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) قال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهي الله الواحد الأحد الصمد الأول الآخر السميع البصير القدير القاهر العلي الأعلى الباقي البديع البارئ الأكرم الظاهر الباطن الحي الحكيم العليم الحليم الحق الحفيظ الحسيب الحميد الخفي الرب الرحمن الرحيم الذاري الرازق الرقيب الرؤوف الرائي السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر السبوح الشهيد الصادق الصانع الطاهر العدل العفو الغفور الغني الغياث الفاطر الفرد الفتاح الفالق القديم الملك القدوس القوي القريب القيوم القابض الباسط قاضي الحاجات المجيد المولى المنان المحيط المبين المقيت المصور الكريم الكبير الكافي كاشف الضر الوتر النور الوهاب الناصر الواسع الودود الهادي الوفي الوكيل الوارث البر الباعث التواب الجليل الجواد الخبير الخالق خير الناصرين الديان الشكور العظيم اللطيف الشافي

وباسناده عن الرضا عن آبائه (ع) عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) لله عز وجل تسعة وتسعون اسما من دعا الله بها استجاب له ومن احصاها دخل الجنة ورواها العامة ايضا بأسانيد عديدة باختلاف في بعضها باللفظ واستبدال بعض من الأسماء مكان بعض فيما تضمن التفصيل منها وزاد في بعضها ان الله تعالى وتر ويحب الوتر وقال بعض المحققين وانما خص هذا العدد بالذكر مع ان اسماء الله سبحانه ازيد من ذلك بما لا يدخل تحت الضبط كما يستفاد من تتبع الكتاب والسنة اما لاختصاص هذه بما رتب عليه من دخول الجنة باحصائها واستجابة الدعوة او لامتيازها من سائر الأسماء بمزيد فضل لجمعها انواعا من المعاني المنبئة عن الجلال

ما لا يجمع غيرها ولا بد ان يكون تحت كل منها معنى ليس في الآخر ولو باشتماله على زيادة دلالة لا يدل عليها الآخر كالغني والملك فإن الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء والملك هو الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج اليه كل شيء فيكون الملك مفيدا معنى الغني وزيادة وكذلك العليم والخبير فإن العلم يدل على العلم فقط والخبير يدل على علم الأمور الباطنة وربما عجزنا عن التنصيص على خصوص ما به الافتراق عن اثنين منها وان كنا لا نشك في اصل الافتراق كالعظيم والكبير فإنه لا يستعمل احدهما مكان الآخر في لغة العرب فلا يقال فلان اعظم سناء مكان قولهم اكبر سناء

وفي الحديث القدسي العظمة ازاري والكبرياء ردائي ففرق بينهما فرقا يدل على التفاوت وان كنا لا نعرفه بعينه وانما قلنا بوجوب الافتراق لأن الأسامي لا تراد لحروفها ومخارج اصواتها بل لمفهوماتها ومعانيها فلا يجوز ان تكون مترادفة محضة حيث دخلت تحت الضبط في عدد مخصوص ولان كانت اسماء الله كلها يندرج بعضها في بعض بالمعنى كاندراج النافع تحت اللطيف والمانع تحت القهار الى غير ذلك ويندرج الكل تحت اسم الله لاشتماله على جميع الصفات الإلهية والاعظم مستور فيها الا على اهله ولها خواص عجيبة وآثار غريبة ومناسبات للنفوس وتأثيرات فيها ذكرا وكتابة واستصحابا كما هو مذكور في محله ثم الظاهر من معنى الاحصاء لهذه الأسماء الإحاطة بها والوقوف على معانيها دون مجرد عدها كما فهمه الصدوق محمد بن بابويه وغيره ولا يبعد ان يكون مجرد عدها وذكرها والإيمان بها اجمالا وان لم يعرف معانيها تفصيلا سببا لدخول الجنة تفضلا من الله تعالى بل لعل هذا اظهر من لفظ الحديث واوفق بسعة رحمة الله تعالى وزعم بعض العارفين ان المراد من احصائها ان يجعلها اسما لنفسه بتحصيل معانيها فيها بقدر الإمكان كما قال (ع) تخلقوا بأخلاق الله بأن يسعى في اكتساب تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها بقدر الإمكان فحظ العبد من اسم الرحمن مثلا أن يرحم عباد الله الغافلين بصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله تعالى بالمواعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وان ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء وان يكون كل معصية تجري في العالم كمعصيته له في نفسه فلا يألو جهدا في ازالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي ان يتعرض لسخط الله ويستحق العبد عن جواره وحظه من اسم الرحيم ان لا يدع فاقة لمحتاج الا يسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرا في جواره إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره اما بماله او جاهه او السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره فإن عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء له واظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفا حتى

كأنه مساهم له في ضرره وحاجته إلى غير ذلك (أقول) وهذا المعنى وإن كان جيدا في نفسه لطيفا الا ان حمل الخبر عليه لا يخلو من بعد

﴿ وصل ﴾ قال بعض العارفين ان الاسماء تنقسم باعتبار الهيئة الى جمالية كاللطيف والغفار وجلالية كالمنتقم والقهار والله سبحانه وان كان غنيا بذاته عما سواه كما قال عز وجل ان الله لغني عن العالمين ولكن اسماءه الغير المتناهية تقتضي ان يكون لكل منها مظهر في الخارج يظهر فيه أثر ذلك الإسم ومعناه حتى يعرف الله بصفات الكمال كلها فإن الله سبحانه انما يخلق ويدبر كل نوع من انواع الخلائق باسم من اسمائه وذلك الإسم هو رب ذلك النوع والله سبحانه رب الارباب والى هذا اشير في كلام اهل البيت عليهم السلام في ادعيتهم بقولهم وبالاسم الذي خلقت به العرش وبالاسم الذي خلقت به الكرسي وبالاسم الذي خلقت به الارواح الى غير ذلك من هذا النمط

وعن مولانا الصادق (ع) نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا الا بمعرفتنا وذلك لانهم (ع) وسائل معرفة ذاته ووسائط ظهور صفاته وارباب انواع مخلوقاته وانما اختص كل مخلوق باسم بسبب ظهور الصفة التي دل عليها ذلك الاسم فيه كما اشير اليه في الحديث القدسي يا آدم هذا محمد وانا الحميد المجمود في فعالي وشققت له اسما من اسمي وهذا علي وانا العلي العظيم شققت له اسما من اسمي الحديث فلو لم يكن في الخارج مرحوم ومقهور لم تظهر الرحمانية والقاهرية ولك ان تقول ان الموجودات بأسرها هي بعينها اسماء الله تعالى لان الاسم كما عرفت هو الدال على المسمى وهي تدل على الله سبحانه دلالة الاسم على المسمى فان الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينها فيما يؤول الى المعنى بل كل موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دال على توحيده وتمجيده بل كل منها عند اولي البصائر لسان ناطق بوحدانيته يسبح بحمده ويقدسه عما لا يليق بجنابه كما قال تعالى (وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

بل كل من الموجودات ذكر وتسبيح له تعالى اذ يفهم منه وحدانيته وعلمه واتصافه بسائر صفات الكمال وتقدسه عن صفات النقص والزوال فإن البراهين قائمة بل العقول السليمة قاضية بوجوب انتهاء كل طلب الى مطلوب وكل فقر الى غنى وكل نقصان الى تمام كما انها قاضية بوجوب رجوع كل مخلوق الى خالق وكل مصنوع الى صانع وكل مربوب الى رب

فنقصانات الخلائق دلائل على كمالات الخالق جل ذكره وكثرتها واختلافاتها شواهد وحدانيته ونفي الشريك عنه والضد والند كما قال امير المؤمنين (ع) بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له الى آخر ما مضى واعلم ان كل موجود من الموجودات يطلب من الله سبحانه بلسان استعداده الكمال الذي يستعد له واستعداده لذلك الكمال ايضا من نعمه سبحانه واليه أشير بقوله (ع) يا مبتدأ بالنعم قبل استحقاقها واعطائه سبحانه الاستعداد دعاء منه الى الطلب فالطلب بهذا الاعتبار اجابة لدعوة الحق اجيبوا داعي الله وهو باعتبار آخر سؤال منه سبحانه يسأله من في السموات والارض وهذا السؤال انما هو بلسان الحاجة والافتقار وعلى وجه الذل والاضطرار وانما هو باسم من اسمائه جل جلاله مناسب لحاجة السائل فالفقير مثلا انما يدعوه بالاسم الغني والمريض بالاسم الشافي والمظلوم بالاسم المنتقم وعلى هذا القياس فكل ذرة من ذرات العالم تدعو الله اضطرارا بلسان حالها باسم من اسمائه تعالى وهو سبحانه يجيب دعوتها في حضرة ذلك الاسم الذي دعاه به كما قال تعالى امن يجيب المضطر إذا دعاه وذلك الاسم هو صورة اجابته تعالى لدعوة ذلك المضطر ومطالب الكل على حسب مسؤولاتهم مبذولة دائما لا يخيب منه احد قط إلا من كان على بصيرته غشاوة فأخذ يدعو الله بلسان المقال خلاف ما يدعوه بلسان الحال وهو قوله تعالى (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) وسائر افعاله عز وجل ترجع الى هذه الاجابة لدعوة المضطرين وهي ترجع الى افاضة الوجود وانما تختلف اسامیها باختلاف الاعتبارات

روي في كتاب التوحيد باسناده عن يحيى الخزاعي قال دخلت مع ابي عبد الله (ع) على بعض مواليه نعوده فرايت الرجل يكثر من قول آه فقلت له يا اخي اذكر ربك واستغث به فقال ابو عبد الله (ع) ان آه اسم من اسماء الله تعالى فمن قال آه فقد استغاث بالله وستر هذا الحديث ما قلناه انتهى ملخصا والله العالم بالحال

الباب الثاني

في العدل وبه يتم التوحيد بل تتوقف عليه سائر الأصول من النبوة والامامة والمعاد وهو وان كان داخلا في جملة صفاته تعالى وقد تقدم الكلام فيه مبرهنا في جملة الصفات لأن معنى قولنا عادل انه حكيم ليس بظالم فهو اما من الصفات الكمالية او الجلالية ولكنه افرد لكثرة

متعلقاته واصوله ليسهل فهمه وقد قال امير المؤمنين (ع) التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وبالجملة فالعدل هو اعتقاد انه تعالى عادل في مخلوقاته غير ظالم لهم لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه يثيب المطيعين وله ان يعاقب العاصين ولا يكلف الخلق ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون ولا يقابل مستحق الاجر والثواب باليم العذاب والعقاب وانه تعالى لم يجبر عباده على الأفعال ولا سيما القبيحة ويعاقبهم عليها والأدلة على ذلك مضافا إلى الضرورة والبداهة من العقل والنقل كتابا وسنة آية ورواية كثيرة لا تحصى وتوضيح هذا المقال وتفصيل هذا الاجمال يتضح في ضمن مباحث

المبحث الأول

انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب لما ثبت من قدرته على فعل الواجب وترك القبيح وعلمه بوجوب الواجب وحسنه وبقبح القبيح وغناه عن كليهما فلا يتضرر بفعل الواجب فيحتاج إلى تركه ولا يفتقر إلى القبيح حتى يفعله ليكون ممكنا وهو واجب والواجب غني لا يفتقر ولأن الحكيم لا يخلو فعله عن حكمة كما يأتي والحكمة منتفية في القبيح فلا يفعله اصلا وان كان قادرا على فعله وقدرته عليه لا تستلزم وقوعه منه ولأنه تعالى لو فعل القبيح لكان اما جاهلا بالقبح او عالما به عاجزا عن تركه أو محتاجا إلى فعله او قادرا غير محتاج بل يفعله عبثا وعلى الأول يلزم جهله تعالى وعلى الثاني عجزه وعلى الثالث احتياجه وعلى الرابع سفاهته والكل عليه محال كما عرفت

المبحث الثاني

ذهب الإمامية ومن تابعهم من المعتزلة إلى ان الحسن والقبح عقليان بمعنى ان للاشياء في حد ذاتها مع قطع النظر عن ورود الشرع حسنا وقبحا وبعضها يعلم حسنه وقبحه بضرورة العقل كحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار وبعضها يعلم حسنه وقبحه بالنظر كحسن الكذب النافع وقبح الصدق الضار ومنها ما يعجز العقل عن العلم بحسنه او قبحه فيكشف الشرع عنه كحسن صوم اول يوم من شهر رمضان وحرمة صوم اول يوم من شوال وذهب الأشاعرة وهم جمهور المخالفين الى ان الحسن والقبح شرعيان وان العقل لا يقضي بحسن شيء ولا قبحه بل القاضي بذلك هو الشرع فلو امر الشارع بالظلم صار حسنا ولو نهى عن العدل صار قبيحا ويدل على بطلان قولهم وجوه كثيرة من العقل والنقل قد بسطنا الكلام فيها في رسالة على حدة ونذكر هنا جملة منها

(احدها) انهم انكروا البديهة والضرورة فان كل من له ادنى عقل وشعور يعلم بالبديهة حسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار

(ثانيها) انه لو خير العاقل الذي لم يسمع الشرائع ولا علم شيئا من الأحكام بل نشأ في بادية خاليا من العقائد كلها بين ان يصدق ويعطى دينارا وبين ان يكذب ويعطى دينارا ولا ضرر عليه فيهما فإنه يختار الصدق على الكذب ولولا حكم العقل بقبح الكذب وحسن الصدق لما فرق بينهما ولما اختار الصدق دائما

(ثالثها) انهما لو كانا شرعيين لما حكم بهما من ينكر الشرائع والأديان كالبراهمة والثاني باطل فالأول مثله فإن البراهمة بأسرهم يحكمون بالحسن والقبح لضرورة العقل في ذلك

(رابعها) ان الضرورة قاضية بقبح العبث كمن يستأجر اجيرا ليرمي ماء الدجلة في الفرات ونحوه وبقبح تكليف ما لا يطاق كتكليف الزمن الطيران إلى السماء والأعمى بتنقيط المصحف وتعذيبهما على ترك هذا الفعل وقبح من بذم العالم الزاهد على علمه وزهده وحسن مدحه وقبح مدح الجاهل الفاسق على جهله وفسقه وحسن ذمه عليهما ومن كابر في ذلك فقد انكر اجلى الضروريات لأن هذا الحكم حاصل للاطفال والضروريات قد لا تحصل لهم

(خامسها) انهما لو كانا سمعيين لا غير لما قبح من الله شيء ولو كان كذلك لما قبح منه تعالى اظهار المعجزات على يد الكذابين وتجويز ذلك يسد باب معرفة النبوة فان أي نبي اظهر المعجزة عقيب ادعاء النبوة لا يمكن تصديقه مع تجويز اظهار المعجز على يد الكاذب في دعوى النبوة

(سادسها) انهما لو كانا شرعيين لحسن من الله ان يأمر بالكفر وتكذيب الانبياء وتعظيم الاصنام والمواظبة على الزنا والسرقة والنهي عن العبادة والصدق لأنها قبيحة في انفسها فإذا امر الله تعالى بها صارت حسنة إذ لا فرق بينها وبين الامر بالطاعة فان شكر المنعم ورد الوديعة والصدق ليست حسنة في أنفسها على زعمهم ولو نهى الله عنها كانت قبيحة لكن لما اتفق ان الله تعالى امر بهذه مجانا بلا غرض ولا حكمة كما يدعون صارت حسنة واتفق انه نهى عن تلك فصارت قبيحة وقبل الامر والنهي لا فرق بينهما وهذه دعوى عرية عن البرهان يشهد بكذبها الانس والجان ويبطلها البرهان والوجدان والعيان

(سابعها) انهما لو كانا شرعيين لزم توقف وجوب الواجبات بأسرها على مجيء الشرع ولو كان كذلك لزم افحام الانبياء لأن النبي (ص) إذا ادعى النبوة واظهر المعجزة كان للمدعو

ان يقول انما يجب علي النظر في معجزتك بعد ان اعرف انك صادق فأنا لا انظر حتى اعرف صدقك ولا اعرف صدقك إلا بالنظر وقبله لا يجب علي امتثال الأمر فينقطع النبي ولا يبقى له جواب

ثامنها انهما لو كانا شرعيين لم تجب معرفة الله لتوقف معرفة الإيجاب على معرفة الموجب المتوقفة على معرفة الايجاب فيدور

تاسعها ان الضرورة قاضية بالفرق بين من احسن الينا دائما واساء الينا دائما وحسن الاول وذم الثاني وقبح ذم الأول ومدح الثاني والمشكك في ذلك مكابر

﴿ المبحث الثالث ﴾

ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب ليس فيها ظلم ولا جور ولا كذب ولا عيب ولا فاحشة والفواحش والقبائح والكذب والجهل من افعال العباد والله تعالى منزه عنها وبريء منها لما تقدم من علمه تعالى وقدرته ويلزم الأشاعرة القائلين بأنه تعالى خالق الخير والشر وأن لا مؤثر في الوجود غيره ان جميع الفواحش والقبائح كلها صادرة منهُ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ المبحث الرابع ﴾

لا يجوز ان يعاقب الله تعالى الناس على فعلهِ ولا يلومهم على صنعهِ فيهم كالسواد والبياض والطول والقصر والشباب والشيب ونحوها وانما يعاقبهم على افعالهم القبيحة كالزنا واللواط ونحوهما ويلزم الأشاعرة القائلين بأن أفعال العباد مخلوقة له تعالى انه تعالى يعاقب الناس على مالم يفعلوه بل على فعله فيهم كالقسم الأول تعالى الله عن ذلك

﴿ المبحث الخامس ﴾

مذهب الإمامية الذي دلت عليه العقول وطابقهُ المنقول ان افعال الله تعالى معللة بالأغراض لأنهُ حكيم وفعل الحكيم لا يخلو عن حكمة والذي يفعل العبث بلا حكمة وغرض سفيه تعالى الله عن ذلك (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) سبحانك ما خلقت هذا باطلا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون كنت كنزا مخفيا فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف وذلك الغرض والنفع غير راجع اليه تعالى لأنه غني عن العالمين وإنما هو راجع اليهم بتحصيل الثواب في الجنان والرضوان والتخلص من العقاب والخسران ولا نقص في ذلك على الله تعالى فإنه تام في حد الذات وكامل من جميع الجهات وزعمت الاشاعرة انه لا يجوز ان يفعل الله تعالى شيئا لغرض من الأغراض ولا لمصلحة ويجوز عليه ان يؤلم العبد بغير مصلحة ولا غرض

بل يجوز على زعمهم ان يخلق خلقا في النار معذبين فيها مخلدين ابد الآبدين من غير ان يكونوا قد عصوه أو خالفوه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

﴿ المبحث السادس ﴾

لا يحسن في حكمة الله تعالى ان يظهر المعجزات الخارقة للعادة على ايدي الكذابين ولا يصدق المبطلين ولا يرسل السفهاء والفساق والعصاة لقبح ذلك في العقول السليمة والفطر المستقيمة والاشاعرة حيث انكروا الحسن والقبح العقليين قالوا بحسن ذلك منه تعالى

﴿ المبحث السابع ﴾

لا يجوز في حكمة الله تعالى وعدله ان يكلف احدا فوق طاقته كما يحكم بذلك العقل والنقل والآيات والروايات قال الله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وخالف في ذلك جمهور المخالفين تعصبا وعنادا وجوزوا أن يكلف الله تعالى مقطوع اليد بالكتابة ومن لا مال له بالزكاة ومن لا يقدر على المشي للزمانه بالطيران إلى السماء وان يأمرهم بالكتابة الجيدة ولا يخلق لهم الأيدي والآلات وان يكتبوا في الهواء بغير دواة ولا مداد ولا قلم بل اكثرهم على وقوع ذلك فضلا عن جوازه

﴿ المبحث الثامن ﴾

مذهب الإمامية ان الله تعالى لم يضل احدا من عباده عن الدين ولم يغو أحدا من الفرق الضالين ولم يرسل رسله إلا بالحكمة والموعظة الحسنة وحيث قال الأشاعرة ان جميع افعال العباد وما يقع في عالم الكون والفساد مخلوق لله تعالى وهو موجده ومكونه قالوا ان الله قد أضل كثيرا من عباده عن الدين ولبّس عليهم واغواهم تعالى الله عن ذلك

﴿ المبحث التاسع ﴾

اعتقاد الإمامية والعدلية ان الله تعالى قد اراد الطاعات واحبها ورضيها واختارها ولم يكرهها ولم يسخطها وانه كره المعاصي والفواحش ولم يحبها ولم يرضها ولم يخترها وجمهور المخالفين على ان الله تعالى مريد لجميع ذلك وانه تعالى اراد من الكافر ان يسبه ويعصيه واختار ذلك وكره ان يمدحه وقالت الإمامية قد اراد النبي (ص) من الطاعات ما اراده الله تعالى وكره

من المعاصي ما كرهه الله وقال الأشاعرة بل قد اراد النبي (ص) كثيرا مما كرهه الله تعالى وكره كثيرا مما اراده الله تعالى لأن الله تعالى اراد كفر الكافر والنبي اراد ايمانه وطاعته وقالت الإمامية قد اراد الله تعالى من الطاعات ما اراده انبياؤه وكره ما كرهوه واراد ما كره الشياطين من الطاعات وكره ما ارادوه من الفواحش ويلزم الأشاعرة والمخالفين ان يكون الله قد اراد ما ارادته الشياطين من الفواحش وكره ما كرهوه من كثير من الطاعات ولم يرد ما ارادته الأنبياء من كثير من الطاعات بل كره ما ارادوه منها وقالت الإمامية قد امر الله عزوجل بما اراده ونهى عما كرهه وقالت الاشاعرة قد امر الله بكثير مما كره ونهى عما اراد وقالت الإمامية ان الله تعالى اراد الطاعات سواء وقعت ام لا ولم يرد المعاصي سواء وقعت ام لا وخالف الاشاعرة مقتضى العقل والنقل في ذلك فذهبوا إلى ان الله تعالى يريد كل ما وقع في الوجود سواء كان طاعة ام لا وسواء امر به ام لا وكره كل ما لم يقع سواء كان طاعة ام لا وسواء أمر به ام نهى عنه فجعلوا كل المعاصي الواقعة في الوجود من الشرك والظلم والجور والعدوان وانواع الشرور مرادة لله تعالى وانه تعالى راض بها وقال بعضهم انهُ محب لها وكل الطاعات التي لم تصدر عن الكفار مكروهة لله تعالى غير مريد لها وانه تعالى امر بما لا يريد ونهى عما لا يكره وان الكافر فعل في كفره ما هو مراد لله تعالى وترك ما كرهه الله من الإيمان والطاعة منه وهذا القول يلزم منه محالات منها نسبة القبيح إلى الله تعالى لأن ارادة القبيح قبيحة وقد عرفت انه تعالى منزه عن القبائح ومنها كون العاصي مطيعا بعصيانه حيث اوجد مراد الله تعالى وفعل وفق مراده ومنها كونه تعالى يأمر بما يكره لأنه امر الكافر بالإيمان وكرهه منهُ حيث لم يوجد ونهى عما يريده لأنه نهاه عن الكفر واراده منه وكل من فعل ذلك من البشر ينسبه كل عاقل إلى السفه والحمق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ومنها مخالفة النصوص القرآنية الشاهدة بأنهُ تعالى يكره المعاصي ويريد الطاعات كقوله تعالى (وما الله يريد ظلما للعباد) (وكل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) (ان الله لا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم والله لا يحب الفساد) الى غير ذلك من الآيات

﴿المبحث العاشر﴾

يحسن من الله تعالى ان يعامل خلقه كمعاملة الممتحن المختبر للمطيع والعاصي منهم وان كان عالما بذلك منهم اتماما للحجة وايضاحا للمحجة كما قال تعالى (خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم

احسن عملا) وقال تعالى (ولله الحجة البالغة) وقال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وحينئذ فلا بد من اوامر ونواهي وتكليف بحسب ما يناسب الازمان والاشخاص والأحوال والمصالح ولذلك اختلفت الشرائع باختلاف الأزمان والامم كما استفاضت بذلك الآيات وتظافرت به الروايات واذعنت بهِ العقول وطابقهُ المنقول

﴿ المبحث الحادي عشر ﴾

في القضاء والقدر قد اشتهر الحديث النبوي ان كل شيء بقضاء وقدر وانه يجب الإيمان بالقدر خيره وشره وان افعال العباد واقعة بقضاء الله وقدره فلا بد من معرفة القضاء والقدر فنقول انهما يطلقان في اللغة والكتاب والسنة على معان فورد القضاء بمعنى الخلق والاتمام كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن وأتمهن وبمعنى الحكم والإيجاب كقوله تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا اياه) اي اوجب والزم وبمعنى الاعلام والاخبار كقوله تعالى (وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب) اي أعلمناهم واخبرناهم واما القدر فقد جاء بمعنى الخلق كقوله تعالى (وقدرنا فيها اقواتها) وبمعنى الكتابة والإخبار كقوله تعالى (الا امرأته قدرناها) اي كتبناها في الألواح وبمعنى البيان كما قيل في الآية ايضا وبمعنى وضع الأشياء في مواضعها من غير زيادة فيها ولا نقصان كما قال تعالى (وقدر فيها اقواتها) وجاء بمعنى التبيين لمقادير الاشياء وتفاصيلها إذا عرفت هذا فنقول حينئذ لمن قال ان افعال العباد وما وجد واقع بقضاء الله وقدره ان اردت ان الله تعالى قضى عليهم بها اي حكم عليهم بها والزمها عباده واوجبها اوبين مقاديرها من حسنها وقبحها ومباحها وحظرها وفرضها ونفلها فهو صحيح لا غبار عليهِ قد دل عليهِ الكتاب والسنة وحكم بهِ العقل الصحيح وكذا ان اريد به انهُ بينها وكتبها وعلم انهُ سيفعلونها لأنهُ تعالى قد كتب ذلك اجمع في اللوح المحفوظ وبينه للملائكته وعلى هذا ينطبق وجوب الرضا بقضاء الله وقدره وان اريد انهُ قضاها وقدرها بمعنى انهُ تعالى خلقها واوجدها فباطل لأنهُ تعالى لو خلق الطاعة والمعصية لسقط اللوم عن العاصي ولم يستحق المطيع ثوابا على عمله كما يأتي توضيحه وبيانه وأما افعال الله تعالى فنقول انها كلها بقدر اي سابقة في علمه تعالى أوانها لا تفاوت فيها ولا خال وقد سبق حكمه ان تكون افعاله على موجب الحكمة ونسق الصواب

﴿ المبحث الثاني عشر ﴾

في أن العباد ليسوا بمجبورين على افعالهم كما هو مذهب الجبرية من العامة وهم موجدون

لأفعالهم لا ان الله تعالى خلقها فيهم خلافا للاشاعرة فرارا من اسناد الخلق إلى العباد ولقوله تعالى (والله خالق كل شيء) (وهل من خالق غير الله) (والله خلقكم وما تعملون) وهو واضح الفساد لأن الاشتراك اللفظي لا يوجب الشرك كما يقال الله موجود وزيد موجود ولذا اسند الخلق إلى روح الله كما قال تعالى (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير) وإلى السامري واصحابه حيث قال (وتخلقون افكا) وصرح بالاشتراك في قوله تعالى (تبارك الله احسن الخالقين) نعم هي مخلوقة لله تعالى بخلق التقدير اي العلم الازلي دون التكوين لأن لا يسقط التكليف والثواب والعقاب وكيف كان فلنا وجوه من الأدلة نذكر جملة شافية (منها) ان كل عاقل لا يشك في الفرق بين الحركات الاختيارية والاضطرارية وان هذا الحكم مركوز في عقل كل عاقل بل في قلوب الأطفال والمجانين فإن الطفل لو ضربهُ غيره بعصى تؤلمهُ ذم الضارب دون العصى وكذا لو رماه بآجرة فانهُ يذم الرامي دون الآجرة بل يمكن ادعاء ان ذلك حاصل في الحيوانات والبهائم ولذا قال ابو الهذيل حمار بشر اعقل من بشر لأن حمار بشر إذا أتيت بهِ إلى جدول كبير فضربته لم يطاوع على العبور وان اتيت به الى جدول صغير جازه وعبره لأنه فرق بين ما يقدر عليه وما لا يقدر عليهِ وبشر لم يفرق بينهما فحماره اعقل منهُ ومنها مكابرة الضرورة فإن العاقل يفرق بالضرورة بين ما يقدر عليه كالحركة يمنة ويسرة والبطش باليد اختياراً وبين الحركة الاضطرارية كالوقوع من شاهق وحركة المرتعش وحركة النبطي ومنها انكار الحكم الضروري من حسن مدح المحسن وقبح ذمه فان كل عاقل يحكم بحسن مدح من يفعل الطاعات دائما ولا يفعل شيئا من المعاصي ويبالغ في الاحسان إلى الناس ويبذل الخير لكل احد ويعين الملهوف ويساعد الضعيف وانهُ يقبح ذمه وانهُ لو شرع احد في ذمه باعتبار احسانهِ عده العقلاء سفيها ولامهُ كل احد ويحكمون حكما ضروريا بقبح مدح من يبالغ في الظلم والجور والتعدي والغصب ونهب الأموال وقتل الأنفس ويمتنع من فعل الخير وان قلَّ وان من مدحه على هذه الأفعال عد سفيها ويعلم ضرورة قبح المدح والذم على كونهِ طويلا أو قصيرا (ومنها) انهُ يقبح منه تعالى حينئذ تكليف فعل الطاعات واجتناب المعاصي اذ كان الفاعل فينا لذلك هو الله تعالى على زعمهم ولأنه إذا خلق فينا المعصية امتنعت منا الطاعة وبالعكس ولكنا في ذلك بمنزلة الجمادات (ومنها) انه يلزم ان يكون الله تعالى اظلم الظالمين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لأنه إذا خلق فينا المعصية ولم يكن لنا فيهِ اثر ثم عذبنا عليها

وعاقبنا على صدورها منه تعالى كان ذلك نهاية الجور والعدوان (ومنها) انه يلزم مخالفة الكتاب العزيز ونصوصه والآيات المتظافرة فيه الدالة على اسناد الأفعال الينا كالآيات الدالة على اضافة الفعل إلى العبد (فويل للذين كفروا) (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) (ان يتبعون الا الظن) (ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (بل سولت لكم انفسكم امرا) (فسولت له نفسه قتل اخيه) (من يعمل سوءاً يجز به) (كل امرء بما كسب رهين) (ما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لي) وكذا ماورد في القرآن من مدح المؤمن على ايمانه وذم الكافر على كفره ووعده بالثواب على الطاعة وتوعيده بالعقاب على المعصية كقوله تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) (وابراهيم الذي وفى) (ان لا تزر وازرة وزر اخرى) (لتجزى كل نفس بما تسعى) (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) (ومن اعرض عن ذكري) (اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا) (والذين كفروا بعد ايمانهم) وكذلك الآيات الدالة على ان افعال الله تعالى منزهة عن ان تكون مثل افعال المخلوقين من التفاوت والاختلافات والظلم كقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) (الذي احسن كل شيء خلقه) والكفر والظلم ليس بحسن وقوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) والكفر ليس بحق وقوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) (وما ربك بظلام للعبيد) (وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (ولا ظلم اليوم) (ولا يظلمون فتيلا) وكذا الآيات الدالة على ذم العباد على الكفر والمعاصي كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) والانكار والتوبيخ عليهم مع عجزهم وكونه تعالى خلق الكفر في الكافر واراده منه وهو لا يقدر على غيره محال وقوله تعالى (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جائهم الهدى) وقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا) وقوله تعالى (ما منعك ان تسجد) وقوله تعالى (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني) (فما لهم عن التذكرة معرضين) (فما لهم لا يؤمنون) (عفى الله عنك لم أذنت لهم (لم تحرم ما أحل الله لك) وكيف يجوز على زعمهم ان يقول الله لم تفعلون مع انهم ما فعلوا ويقول (لم تلبسون الحق بالباطل) (لم تصدون عن سبيل الله) ولنعم ما قال الصاحب ابن عباد كيف يأمر بالإيمان ولم يرده وينهى عن الكفر وقد أراده ويعاقب على الباطل وقد قدره وكيف يصرفه عن الإيمان ثم يقول (أنى تصرفون) ويخلق فيهم الكفر ثم يقول

(كيف تكفرون) ويخلق فيهم لبس الحق بالباطل وصدهم عن السبيل ثم يقول (لم تلبسون الحق بالباطل ولم تصدون عن سبيل الله) ويحول بينهم وبين الإيمان ثم يقول (وماذا عليهم لو آمنوا بالله) ويذهب بهم عن الرشد ثم يقول (فأين تذهبون) وأضلهم عن الدين حتى أعرضوا ثم قال فما لهم عن التذكرة معرضين انتهى ومما يبطل قولهم ايضا الآيات التي ذكر الله فيها تخيير العباد في افعالهم وتعليقها بمشيئتهم كقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم ورسوله) (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) « فمن شاء ذكره » « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » « فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا » وقد أنكر الله تعالى على من نفى المشيئة عن نفسه وأضافها الى الله تعالى بقوله « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا » وقالوا « لو شاء الرحمن ما عبدناهم » وكذلك الآيات التي فيها أمر العباد بالافعال والمسارعة اليها كقوله تعالى « وسارعوا الى مغفرة من ربكم » « أجيبوا داعي الله وآمنوا به » « استجيبوا لله وللرسول » « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » « فآمنوا خيرا لكم » « واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم » « وأنيبوا الى ربكم » وكيف يصح الأمر بالطاعة والمسارعة اليها مع كون المأمور ممنوعا عاجزاً عن الاتيان به وكذلك الآيات التي حث الله فيها على الاستعانة كقوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » « فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » « استعينوا بالله »

فإذا كان الله خلق الكفر والمعاصي كيف يستعاذ به وايضا يلزم بطلان الالطاف والدواعي لانه تعالى إذا كان هو الخالق لافعال العباد فأي نفع يحصل للعبد من اللطف الذي يفعله الله لكن الألطاف حاصلة كقوله تعالى (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين) (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) (فبما رحمة من الله لنت لهم) (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وكذا الآيات الدالة على اعتراف الانبياء بذنوبهم واضافتها الى انفسهم كما حكى الله تعالى عمن قال ربنا ظلمنا انفسنا (سبحانك اني كنت من الظالمين) (ربي إني ظلمت نفسي) (بل سولت لكم انفسكم امرا) وقول يوسف (ع) (من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) وقال نوح (ع) (رب إني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم) وكذا الآيات الدالة على اعتراف الكفار والعصاة بأن كفرهم ومعاصيهم كانت منهم كقوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) الى قوله تعالى (انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جائكم بل كنتم مجرمين) (ماسلككم في سقر)

(قالوالم نك من المصلين) (كلما القي فيها فوج سئلهم خزنتها) الى قوله (فكذبنا او لئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) وكذا الآيات التي ذكر الله فيها ما يحصل من التحسر في الآخرة على الكفر وطلب الرجعة, قال الله تعالى (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا) (قال ربي ارجعني لعلي اعمل صالحا) (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو ارؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا او يقول حين يرى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين) الى غير ذلك من الآيات ومن جملة ما يلزم مهم مخالفة اجماع الانبياء والرسل فانه لا خلاف في ان الانبياء اجمعوا على ان الله تعالى امر عباده ببعض الاشياء كالصلاة والصوم ونهى عن البعض كالظلم والجور ولا يصح ذلك اذا لم يكن العبد موجدا وكيف يصح ان يقال له ائت بفعل الإيمان والصلاة ولا تأت بالكفر والزنا مع ان الفاعل لهذه والتارك لها هو غيره فإن الامر بالفعل يتضمن الاخبار عن كون المأمور قادرا عليه حتى انه لو لم يكن المأمور قادرا على المأمور به لمرض او سبب آخر ثم امره غيره فإن العقلاء يتعجبون منه وينسبونه إلى الحمق والجهل والجنون ويقولون انك تعلم انه لا يقدر على ذلك ثم تأمره به ولو صح هذا لصح ان يبعث الله رسولا إلى الجمادات مع الكتاب فيبلغ اليها ما ذكرناه ثم انه تعالى يخلق الحياة في تلك الجمادات ويعاقبها لأجل انهم لم يمتثلوا امر الله ورسوله وذلك معلوم البطلان ببديهة العقل ويلزم ايضا سد باب الاستدلال على كونه تعالى صادقا والاستدلال على العلم باثبات الصانع والاستدلال على صحة النبوة والاستدلال على صحة الشريعة ويفضي إلى القول بخرق الاجماع لأنه لا يمكن اثبات الصانع الا بأن يقال العالم حادث فيكون محتاجا إلى المحدث قياسا على افعالنا المحتاجة الينا فمن منع حكم الاصل والقياس وهو كون العبد موجدا لا يمكنه استعمال هذه الطريقة فينسد عليه باب اثبات الصانع وايضا إذا كان الله تعالى خالقا للجميع من القبايح وغيرها لم يمتنع منه اظهار المعجز على يد الكاذب ومتى لم يقطع بامتناع ذلك انسد علينا باب اثبات الفرق بين النبي والمتنبي وايضا إذا جاز ان يخلق الله تعالى القبايح جاز ان يكذب في اخباره فلا يوثق بوعده ووعيده واخباره عن احكام الآخرة والأحوال الماضية والقرون الخالية وايضا يلزم من خلقه القبائح ان يدعو اليها وأن يبعث عليها ويحث ويرغب فيها ولو جاز ذلك جاز ان يكون ما رغب الله تعالى فيه من القبائح فتزول الثقة بالشرائع ويقبح التشاغل بها وايضا لو جاز منه تعالى ان يخلق في العبد الكفر والضلال مع انه تعالى زينه في قلوبنا

لجاز أن يكون بعض الملل المخالفة للإسلام هو الحق وايضا يلزمهم الحاق الله تعالى بالسفهاء والجهال تعالى الله عما يقولون لأن من جملة افعال العباد الشرك بالله ووصفه بالاضداد والانداد والصاحبة والأولاد وشتمه وسبه فلو كان الله تعالى فاعلا لأفعال العباد لكان فاعلا للأفعال كلها ولكل هذه الأمور وذلك يبطل حكمته تعالى لأن الحكيم لا يشتم نفسه وفي نفي الحكمة الحاقه بضدها نعوذ بالله من هذه المقالات الفاسدة والمذاهب الكاسدة التي يشهد ببطلانها الوجدان والعيان فضلا عن البرهان وتضحك منها الإنس والجان واستقصاء ما يلزمهم من المفاسد وانواع الكفر يفضي الى التطويل وفيما ذكر كفاية والله الهادي الى سواء السبيل

﴿ فصل ﴾ والاشاعرة احتجوا على مقالتهم بوجهين ويلزمهم بهما مخالفة ضرورة الدين

(احدهما) انه لو كان العبد فاعلا لشيء ما بالقدرة والاختيار فإما أن يتمكن من تركه اولا والثاني يلزم منه الجبر لأن الفاعل الذي لا يتمكن من ترك ما يفعله موجب لا مختار كما يصدر عن النار الاحراق ولا يتمكن من تركه والأول اما ان يترجح الفعل على الترك حالة الايجاد اولا والثاني يلزم منه ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر لا لمرجح لأنهما لما استويا من كل وجه بالنسبة الى ما فعل في نفس الأمر وبالنسبة الى القادر الموجد كان ترجيح القادر للفعل على الترك ترجيحا للمساوي بغير مرجح وان ترجح فإن لم ينته الى الوجوب امكن حصول المرجوح مع تحقق الرجحان وهو محال اما اولا فلامتناع وقوعه حالة التساوي فحالة المرجوحية أولا واما ثانيا فلأنه مع قيد الرجحان يمكن وقوع المرجوح فلنفرضه واقعا في وقت والراجح في آخر فترجيح احدا طوقتين بأحد الأمرين لا بد له من مرجح غير المرجح الأول والا لزم ترجيح أحد المتساويين بغير مرجح وينتهي الى الوجوب والا تسلسل واذا امتنع وقوع الأثر إلا مع الوجوب والواجب غير مقدور ونقيضه ممتنع غير مقدور ايضا فيلزم الجبر والايجاب فلا يكون العبد مختاراً

(ثانيهما) ان كل ما يقع فإن الله تعالى قد علم وقوعه قبل وقوعه وكلما لم يقع فإن الله تعالى قد علم في الأزل عدم وقوعه وما علم الله تعالى وقوعه فهو واجب الوقوع والا لو لم يقع لزم انقلاب علم الله تعالى جهلاً وهو محال وما علم عدمه فهو ممتنع إذ لو وقع انقلب علم الله جهلا وهو محال ايضا والواجب والممتنع غير مقدورين للعبد فيلزم الجبر قال آية الله العلامة رحمه الله في نهج الحق بعد تقرير هاتين الشبهتين والجواب عن الوجهين من حيث الحل ومن حيث

المعارضة اما الحل ففي الأول من وجوه

(الاول) وهو الحق ان الوجوب من حيث الداعي والارادة لا ينافي الامكان في نفس الأمر ولا يستلزم الإيجاب وخروج القادر عن قدرته وعدم وقوع الفعل بها فإنا نقول الفعل مقدور للعبد يمكن وجوده عنه ويمكن عدمه فإذا خلص الداعي الى إيجاده وحصلت الشرائط وارتفعت الموانع وعلم القادر بخلوص المصالح الحاصلة من الفعل عن شوائب المفسدة البتة وجب من هذه الحيثية ايجاد الفعل ولا يكون ذلك جبراً ولا إيجابا بالنسبة الى القدرة والفعل لاغير

(الثاني) يجوز ان يترجح الفعل فيوجده المؤثر او العدم فيعدمه ولا ينتهي الرجحان الى الوجوب على ما ذهب اليه جماعة من المتكلمين فلا يلزم الجبر ولا الترجيح من غير مرجح قوله مع ذلك الرجحان لا يمتنع النقيض فليفرض واقعا في وقت فترجيح الفعل في وقت وجوده يفتقر الى مرجح آخر قلنا ممنوع بل الرجحان الاول كاف فلا يفتقر الى رجحان آخر

(الثالث) لم لا يوقعه القادر مع التساوي فإن القادر يرجح احد مقدوريه على الآخر من غير مرجح وقد ذهب الى هذا جماعة من المتكلمين ومثلوا لذلك بصور وجدانية كالجايع يحضره رغيفان متساويان من جميع الوجوه فإنه يتناول احدهما من غير مرجح ولا يمتنع من الأكل حتى يترجح المرجح والعطشان يحضره اناءان متساويان من جميع الوجوه والهارب من السبع يعرض له طريقان متساويان فإنه يسلك احدهما ولا ينتظر حصول المرجح واذا كان هذا الحكم وجدانياً كيف يمكن الاستدلال على نقيضه

(الرابع) ان هذا الدليل ينافي مذهبهم فلا يصح لهم الاحتجاج به لأن مذهبهم ان القدرة لا تصلح للضدين فالمتمكن من الفعل يخرج عن القدرة لعدم التمكن من الترك وان خالفوا مذهبهم من تعلقها بالضدين لزمهم وجود الضدين دفعة واحدة لأن القدرة لا تتقدم على المقدور عندهم وان فرضوا للعبد قدرة موجودة حال وجود قدرة الفعل لزمهم اما اجتماع الضدين أو تقدم القدرة على الفعل فانظر الى هؤلاء القوم الذين لا يبالون في تضاد اقوالهم وتعاندها

وفي الثاني من وجهين

(الاول) العلم بالوقوع يتبع الوقوع فلا يؤثر فيه فإن التابع إنما يتبع متبوعه ويتأخر عنه بالذات والمؤثر متقدم

(الثاني) ان وجوب اللاحق لا يؤثر في الامكان الذاتي ويحصل الوجوب باعتبار فرض وقوع

الممكن فإن كل ممكن على الاطلاق اذا فرض موجوداً فإنه حالة وجوده يمتنع عدمه لامتناع اجتماع النقيضين وإذا كان ممتنع العدم كان واجبا مع انه ممكن بالنظر الى ذاته والعلم حكاية عن المعلوم ومطابق له إذ لا بد في العلم من المطابقة فالعلم والمعلوم متطابقان والأصل في التطابق المعلوم فإنه لولاه لم يكن علماً ولا فرق بين فرض الشيء وفرض ما يطابقه بما هو حكاية عنه وفرض العلم هو بعينه فرض المعلوم وقد عرفت ان مع فرض المعلوم يجب فكذا مع فرض العلم به وكما ان ذلك الوجوب لا يؤثر في الامكان الذاتي كذا هذا الوجوب ولا يلزم من تعلق علم الله به وجوبه بالنسبة الى ذاته بل بالنسبة الى العلم واما المعارضة في الوجهين فانهما آتيان في حق واجب الوجود تعالى فانا نقول في الأول لو كان الله تعالى قادراً مختاراً فإما ان يتمكن من الترك اولا فان لم يتمكن من الترك كان موجبا مجبورا على الفعل لا قادراً مختارا وان تمكن فاما ان يترجح احد الطرفين على الآخر أولا فإن لم يترجح لزم وجود الممكن المتساوي من غير مرجح فإن كان محالا في حق العبد كان محالا في حق الله تعالى لعدم الفرق وان ترجح فإن انتهى الى الوجوب لزم الجبر والا تسلسل او وقع المتساوي من غير مرجح فكلما يقولونه هنا نقوله في حق العبد ونقول في الثاني ان ما علمه الله تعالى ان وجب ولزم بسبب هذا الواجب خروج القادر منا عن قدرته وادخاله في الموجب لزم في حق الله تعالى ذلك بعينه وان لم يقتض سقط الاستدلال فقد ظهر من هذا ان هذين الدليلين آتيان في حق الله تعالى وهما ان صحا لزم خروج الواجب تعالى عن كونه قادراً ويكون موجبا وهذا هو الكفر الصريح إذ الفارق بين الإسلام والفلسفة إنما هو هذه المسألة والحاصل ان هؤلاء ان اعترفوا بصحة هذين الدليلين لزمهم الكفر وان اعترفوا ببطلانهما سقط احتجاجهم بهما

﴿ وصل ﴾ ثم قال العلامة رحمه الله اعلم ان أبا الحسن الأشعري واتباعه لما لزمهم هذه الأمور الشنيعة والالزامات الفظيعة والأقوال الهائلة من انكار ما علم بالضرورة ثبوته وهو الفرق بين الحركات الاختيارية والحركات الجادية وما شابه ذلك التجأ الى ارتكاب قول توهم هو واتباعه الخلاص من هذه الشناعات ولات حين مناص فقال مذهباً عجيباً غريباً لزمه بسببه انكار العلوم الضرورية كما هو دأبه وعادته فيما تقدم من انكار الضروريات فذهب الى اثبات الكسب للعبد فقال الله تعالى موجد الفعل والعبد يكتسب فاذا طولب بتحقيق الكسب وما هو وأي وجه يقتضيه وأي حاجة تدعو اليه اضطرب هو واصحابه في الجواب عنه فقال

بعضهم معنى الكسب خلق الله تعالى الفعل عقيب اختيار العبد للفعل وعدم الفعل عقيب اختياره العدم فمعنى الكسب اجراء العادة بخلق الفعل عند اختيار العبد (وقال) بعضهم معنى الكسب ان الله تعالى يخلق الفعل من غير ان يكون للعبد فيه أثر النسبة لكن العبد يؤثر في وصف كون الفعل طاعة أو معصية فأصل الفعل من الله تعالى ووصف كونه طاعة أو معصية من العبد (وقال) بعضهم ان هذا الكسب غير معقول ولا معلوم مع انه صادر من العبد وهذه الأجوبة فاسدة اما الاول فلأن الاختيار والارادة من جملة الأفعال فإذا جاز صدوره عن العبد فليجز صدور أصل الفعل منه واي فرق بينهما وأي حاجة وضرورة الى التمحل بهذا وهو أن ينسب القبايح بأسرها الى الله تعالى وان ينسب الله تعالى الى الظلم والجور والعدوان وغير ذلك وليس بمعلوم وايضا دليلهم آت في نفس هذا الاختيار فإن كان صحيحا امتنع اسناده الى العبد وكان صادرا عن الله تعالى وان لم يكن صحيحا امتنع الاحتجاج به وايضا اذا كان الاختيار الصادر عن العبد موجبا لوقوع الفعل وكان الفعل مستندا الى فاعل الاختيار اما العبد او الله فلاوجه للتخلص بهذه الواسطة وإن لم يكن موجبا لم يبق فرق بين الاختيار والأكل مثلا في نسبتهما الى ايقاع الفعل وعدمه فيكون الفعل من الله تعالى لا غير من غير شركة للعبد فيه وايضا العادة غير واجبة الاستمرار فجاز ان يوجد الاختيار ولا يخلق الله الفعل عقيبه ويخلق الله الفعل ابتداء من غير تقدم اختيار فينتفي التخلص بهذا العذر (واما الثاني) فلأن كون الفعل طاعة او معصية اما ان يكون نفس الفعل في الخارج أو أمراً زائداً عليه فإن كان الأول كان ايضا من الله فلا يصدر عن العبد شيء البتة فيبطل العذر وان كان الثاني كان العبد مستقلا بفعل هذا الزائد وإذا جاز استناد هذا الفعل فليجز استناد أصل الفعل وأي ضرورة للتمحل بمثل هذه المعاذير الفاسدة التي لا تنهض بالاعتذار وأي فارق بين الفعلين ولم كان احدهما صادرا عن الله تعالى والآخر صادرا عن العبد وايضا دليلهم آت في هذا الوصف فإن كان حقا عندهم امتنع اسناد هذا الوصف الى العبد وان كان باطلا امتنع الاحتجاج به وايضا كون الفعل طاعة هو كون الفعل موافقا لأمور الشريعة وكونه موافقا لأمر الشريعة إنما هو شيء يرجع الى ذات الفعل ان طابق الأمر كان طاعة وإلا فلا وحينئذ لا يكون الفعل مستندا الى العبد لا في ذاته ولا في شيء من صفاته فينتفي هذا العذر ايضا كما انتفى عذرهم الأول وأيضا الطاعة حسنة والمعصية قبيحة ولهذا ذم الله تعالى ابليس وفرعون على مخالفتهما أمر الله وكل فعل يفعله الله تعالى فهو حسن عندهم

إذ لا معنى للحسن عندهم سوى صدوره من الله تعالى فلو كان أصل الفعل صادراً من الله تعالى امتنع وصفه بالقبح و كان موصوفا بالحسن فالمعصية التي تصدر من العبد إذا كانت صادرة منه تعالى امتنع وصفها بالقبح فلا تكون معصية فلا يستحق فاعلها الذم والعقاب فلا يحسن من الله تعالى ذم ابليس وأبي لهب وغيرهما حيث لم يصدر عنهم قبيح ولا معصية فلا تتحقق معصية من العبد البتة وايضا المعصية قد نهى الله عنها اجماعا والقرآن مملوء من المناهي والتوعد عليها وكل ما نهى الله عنه فهو قبيح إذ لا معنى للقبيح عندهم إلا ما نهى الله عنه مع انها قد صدرت من ابليس و فرعون وغيرهما من البشر وكل ما صدر من العبد فهو مستند الى الله تعالى والفاعل له هو الله تعالى لا غير عندهم فيكون حسنا حينئذ وقد فرضناه قبيحا هذا خلف (واما الثالث) فهو باطل بالضرورة إذ اثبات ما لا يعقل غير معلوم فإن هذا الدفع وصف من الصفات والوصف إنما يعلم بعد علم الذات فإذا لم يفهموه كيف يجوز لهم الاعتذار به

﴿ المبحث الثالث عشر ﴾

في نفي الجبر والتفويض واثبات الامر بين الامرين . اعلم ان افعال العباد دائرة بحسب الاحتمال العقلي بين امور

الأول ان يكون حصولها بقدرة الله تعالى وارادته من غير مدخل لقدرة العبد فيه وارادته

(الثاني) ان يكون بقدرة العبد وارادته من غير مدخل لقدرة الله تعالى وارادته فيه اي بلا واسطة اذ لا ينكر عاقل ان الاقدار والتمكين مستندان اليه تعالى اما ابتداء او بواسطة

(الثالث) ان يكون حصولها بمجموع القدرتين وذلك بان يكون المؤثر قدرة الله تعالى بواسطة قدرة العبد او بالعكس او يكون المؤثر مجموعها من غير تخصيص احدهما بالمؤثرية والاخرى بالآلية وذهب إلى كل من تلك الاحتمالات ما خلا الاحتمال الثاني من محتملات الشق الثالث طائفة وقد تظافر في الاخبار الواردة عن الأئمة الاطهار عليهم صلاة الملك الغفار انه لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين والجبر معلوم معناه (واما) التفويض فالذي يستفاد من الاخبار انه يطلق على معان

(احدهما) تفويض الله الامر إلى العباد بحيث لا يكون لاوامره تعالى ونواهيه وبواعثه وزواجره وتوفيقه واحسانه وتأييده وتسديده وخذلانه مدخل فيه ويلزم اخراج القادر المطلق عن سلطانه ونسبة العجز الظاهر إلى من لا يدخل النقص في شانه

(الثاني) هو رفع الخطر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاءوا من الاعمال

(الثالث) هو تفويض امر الخلق والرزق إلى بعض عباده كما ذهب اليه المفوضة واكثر ما يطلق التفويض في هذا الباب على المعنى الأول وقد يطلق على الثاني وقد يطلق على معان اخر ايضا كتفويض اختيار الإمام ونصبه إلى الأمة وتفويض الاحكام اليهم بأن يحكموا فيها بآرائهم وقياساتهم واستحساناتهم والظاهر ان نفي الجبر رد على الجبرية بل الاشاعرة ايضا كما عرفت (والتفويض) رد على المعتزلة فإنهم افرطوا من الجانب الآخر ايضا فذهبوا إلى انه تعالى لا مدخلية له في اعمال العباد اصلا سوى خلق الآلآت والتمكين والاقدار حتى ان بعضهم قال ان الله لا يقدر على غير مقدور العبد وبعضهم قال لا يقدر على مثله ايضا فهم عزلوا الله عن سلطانه و كأنهم اخرجوا الله عن ملكه واشركوا من حيث لا يعلمون اذا عرفت هذا فالامر بين الامرين له معان كلها صحيحة

(الأول) ان يكون الجبر المنفي هو ما ذهب اليه المجبرة والاشاعرة والتفويض المنفي هو كون العبد مستقلا في الفعل بحيث لا يقدر الرب تعالى على صرفه عنه كما ذهب اليه بعض المعتزلة والأمر بين الامرين هو ان الله تعالى جعل عباده مختارين في الفعل والترك مع قدرته على صرفهم عما يختارون وعلى جبرهم على ما لا يفعلون

(الثاني) ما سلكه شيخ الطائفة المحقة الشيخ المفيد في شرحه على الاعتقادات حيث قال بعد قول الصدوق اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق (ع) لا جبر ولا تفويض بل امر بين الامرين ما لفظه: الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار اليه بالقسر والغلبة وحقيقة ذلك ايجاد الفعل في الخلق من غير ان يكون لهم قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه وقد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الاكراه له على التخويف والالجاء انه جبر والاصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه حسب ما قدمناه وإذا تحقق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم ان الله تعالى خلق الطاعة في العبد من غير ان يكون للعبد قدرة على ضدها والامتناع منها وخلق فيهم المعصية كذلك فهم المجبرة حقا والجبر مذهبهم على التحقيق والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الافعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الاعمال وهذا قول الزنادقة واصحاب الاباحات والواسطة بين هذين القولين ان الله اقدر الخلق على افعالهم وملكهم من اعمالهم وحد لهم الحدود في ذلك

ورسم لهم الرسوم ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد فلم يكن بتمكينهم من الاعمال مجبرا لهم عليها ولم يفوض اليهم الاعمال لمنعهم من اكثرها ووضع لهم الحدود فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيناه

(الثالث) ان الاسباب القريبة للفعل بقدرة العبد والاسباب البعيدة كالآلات والادوات والجوارح والاعضاء والقوى بقدرة الله سبحانه فهذا هو الامر بين الامرين

(الرابع) أن المراد بالامر بين الامرين كون بعض الاشياء باختيار العبد كالافعال التكليفية ونحوها وبعضها بغير اختياره كالصحة والمرض والنوم واليقظة واشباهها

(الخامس) ان التفويض المنفي هو تفويض الخلق والرزق وتدبير العالم إلى العباد كما ذهب اليه الغلاة في الائمة عليهم السلام والمفوضة ويؤيد ذلك ما رواه الصدوق في العيون باسناده عن يزيد بن عمير قال دخلت على علي بن موسى الرضا(ع) بمرو فقلت له يا ابن رسول الله (ص) روي لنا عن الصادق (ع) انه قال لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين فما معناه فقال (ع) من زعم ان الله تعالى يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم ان الله عز وجل فوض امر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت له يا ابن رسول الله(ص) فما امر بين امرين فقال وجود السبيل إلى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه فقلت له فهل لله عز وجل مشيئة وارادة في ذلك فقال اما الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الامر بها والرضا بها والمعاونة عليها وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها فقلت فلله عز وجل فيها القضاء قال نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشر إلا ولله تعالى فيه قضاء قلت فما معنى هذا القضاء قال الحكم عليهم بما يستحقونه على افعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة

(السادس) ما اختاره العلامة المجلسي (ره) وتنطبق عليه اكثر اخبار الباب وهو ان الجبر المنفي قول الاشاعرة والجبرية كما عرفت والتفويض المنفي هو قول المعتزله انه تعالى اوجد العباد واقدرهم على اعمالهم وفوض اليهم الاختيار فهم مستقلون بايجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم وليس لله سبحانه في اعمالهم صنع واما الأمر بين الأمرين فهو ان لهدايته تعالى وتوفيقاته مدخلا في افعالهم بحيث لا يصل إلى حد الإلجاء والاضطرار كما ان لخذلانه سبحانه مدخلا في فعل المعاصي وترك الطاعات لكن لا بحيث ينتهي إلى حد لا يقدر معه على الفعل

والترك وهذا امر يجده الانسان من نفسه في احواله المختلفة وهو مثل ان يأمر السيد عبده بشيء يقدر على فعله وفهمه ذلك ووعده على فعله شيئا من الثواب وعلى تركه قدرا من العقاب فلو اكتفى بتكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنهُ لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوما عند العقلاء لو عاقبه على تركهِ ولا ينسب عندهم إلى الظلم ولا يقول عاقل انه اجبره على ترك الفعل ولو لم يكتف السيد بذلك وزاد في الطافه والوعد بإكرامهِ والوعيد على تركهِ وأكد ذلك ببعث من يحثه على الفعل ويرغبه فيهِ ويحذره على الترك ثم فعل ذلك بقدرتهِ واختياره فلا يقول عاقل انه جبره على الفعل واما فعل ذلك بالنسبة إلى قوم وتركهِ بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويتهم وسوء اختيارهم وقبح سريرتهم اولسبب لايصل اليه علمنا فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم اليهِ سبحانه بأن يقال جبرهم على المعاصي ثم عذبهم عليها كما يلزم الأولين ولا عزله سبحانهُ عن ملكه واستقلال العباد بحيث لا مدخل له في افعالهم فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين وهنا معان اخر قد استقصيناها مع اخبار الباب وبسط الكلام في ذلك في كتابنا مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار فمن اراد زيادة على ما ذكر فليراجعه ولنذكر جملة من الروايات الواردة عن الأئمة الهداة ففي الكافي والتوحيد والعيون والاحتجاج وكنز الفوائد وغيرها واللفظ للكافي عن الصادق (ع) قال كان امير المؤمنين (ع) جالسا بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديهِ ثم قال يا امير المؤمنين (ع) اخبرنا عن مسيرنا إلى اهل الشام ابقضاء من الله وقدر فقال له امير المؤمنين (ع) اجل مه ياشيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر فقال له الشيخ عند الله احتسب عنائي ياامير المؤمنين فقال له — ياشيخ فوالله لقد عظم الله تعالى لكم الأجر في مسيركم وانتم سائرون وفي مقامكم وانتم مقيمون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليهِ مضطرين فقال له الشيخ وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا اليهِ مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا فقال له اوتظن انهُ كان قضاء حتما وقدرا لازما انهُ لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله تعالى وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المحسن اولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة ومجوسها ان الله تبارك وتعالى

كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يملك مفوضا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فأنشأ الشيخ يقول

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا ... جزاك ربك بالإحسان احسانا

وزاد في التوحيد والعيون

فليس معذرة في فعل فاحشة ... قد كنت راكبها فسقا وعصيانا
لا لا ولا قائلاً ناهيه أوقعه ... فيها عبدت إذاً يا قوم شيطانا
ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا ... قتل الولي له ظلما وعدوانا
أنى يحب وقد صحت عزيمته ... ذو العرش أعلن ذاك الله اعلانا

وزاد في بعض روايات العيون والتوحيد فقال له الشيخ يا امير المؤمنين فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا واديا ولا علونا تلعة إلا بهما فقال امير المؤمنين (ع) الأمر من الله والحكم ثم تلا هذه الآية (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه

وفي الاحتجاج قال وروي ان الرجل قال فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا امير المؤمنين قال (ع) الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية والمعونة على القربة اليه والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في افعالنا وقدره لأعمالنا اما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال فقال الرجل فرجت عني يا امير المؤمنين فرج الله عنك

وروى الطبرسي في الاحتجاج انه دخل ابو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له يا ابا حنيفة ان ههنا جعفر بن محمد من آل محمد فاذهب بنا نقتبس منه علما فلما أتياه إذا هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له فالتفت ابو حنيفة وقال يا ابن مسلم من هذا قال هذا موسى (ع) ابنه قال والله لأجبهنه بين يدي شيعته قال لن تقدر على ذلك قال والله لأفعلن ثم التفت الى موسى (ع) فقال يا غلام أين يضع الغريب حاجته في بلدتكم هذه قال (ع) يتوارى خلف الجدار ويتوقى أعين

الجار وشطوط الأنهار ومسقط الثمار ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها فحينئذ يضع حيث شاء ثم قال يا غلام ممن المعصية قال يا شيخ لا تخلو من ثلاث اما ان تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله واما ان تكون من العبد ومن الله والله اقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه واما ان تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفا وان شاء عاقب قال فأصابت ابا حنيفة سكتة كأنما القم فوه الحجر قال فقلت له ألم اقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله(ص) وفي ذلك يقول الشاعر

لم تخل افعالنا اللاتي نلام بها ... احدى ثلاث معان حين نأتيها
اما تفرد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلاهي في جنايتها ... ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

وفي الكافي والتوحيد عن الصادق (ع) قال قال رسول الله (ص) من زعم ان الله تبارك وتعالى أمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم ان الخير والشر بغير مشيئة الله فقد اخرج الله من سلطانه ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار يعني بالخير والشر الصحة والمرض وذلك قوله تعالى (ونبلوكم بالخير والشر فتنة)

وعنه(ع) قال لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين قيل وما أمر بين أمرين قال مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية

وفي الصحيح عن الصادق (ع) قال ان الناس في القدر على ثلاثة أوجه رجل يزعم ان الله تعالى أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر ورجل يزعم ان الامر مفوض اليهم فهذا قد وهن الله في سلطانه فهو كافر ورجل يقول ان الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد الله وإذا اساء استغفر الله فهو مسلم بالغ

وعن الرضا(ع) انه ذكر عنده الجبر والتفويض فقال الا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه احدا إلا كسرتموه قيل ان رأيت ذلك فقال(ع) ان الله عز وجل لم يطع بالاكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه وهو المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه فإن ائتمر العباد بطاعة الله لم يكن الله عنها صادا ولا منها مانعا وان ائتمروا

بمعصيته فشاء أن يحول بينه وبين ذلك الفعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم فيه ثم قال(ع) من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه

وفي رسالة العسكري(ع) الى اهل الاهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض ما هو واف بهذا المعنى وفي (آخره) قال الإمام بذلك اخبر امير المؤمنين(ع) لما سأله عباية بن ربعي الاسدي عن الاستطاعة فقال امير المؤمنين (ع) تملكها من دون الله أو مع الله فسكت عبايه فقال له (ع) يا عبايه قل قال وما اقول يا امير المؤمنين قال تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك فإن يملكها كان ذلك من عطائه وان سلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملكك والمالك لما عليه اقدرك اما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله فقال الرجل وما تأويلها يا امير المؤمنين قال لا حول بنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله قال فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه

﴿ المبحث الرابع عشر ﴾

مذهب الإمامية والمعتزلة وجوب اللطف على الله تعالى وهو ما يقرب العبد الى طاعة الله ويبعده عن معصيته بغير الجاء أي اكراه ولا اجبار إذ لا اكراه في الدين ولا دخل له في أصل القدرة إذ قد أعطى سبحانه كل مكلف قدرة الفعل والترك فيما كلفهم على ما كلفهم كما قال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها فاللطف امر زائد على ذلك والدليل على ذلك مضافا الى قوله تعالى (الله لطيف بعباده) أي يفعل ما هو لطف بحالهم فقد وصف نفسه بذلك (ومن اصدق من الله قيلا) لأن نقض الغرض وهو ترك فعل يحصل به غرضه بالسهولة قبيح فلا يتركه تعالى لأنه العليم الحكيم القدير ولعل المراد باللطف الواجب ما لا يتم التكليف بدونه كإرسال الرسل والأنبياء ونصب الأئمة والأوصياء(ع) في كل زمان لما يأتي من وجوب الأصلح على الله ووجوب نصب الحجج عقلا ونقلا واما ما زاد على ذلك فلا يجب قطعا إذ لو أنزل الله تعالى ملائكته من السماء يأمرون وينهون وجعل الموتى تكلم الناس بما أصابهم بأفعالهم ونحو ذلك لكان فيه تقريب الى الطاعة وتبعيد عن المعصية

﴿ المبحث الخامس عشر ﴾

قد تضافرت الأخبار عن الأئمة الاطهار عليهم صلوات الملك الغفار بالقول بالبداء ففي

الكافي عن زرارة في الصحيح عن الباقر(ع) والصادق(ع) قال ما عبد الله بشيء مثل البداء وفي رواية أخرى عن هشام بن سالم عن الصادق(ع) قال ما عظم الله بمثل البداء والاخبار بذلك كثيرة وليس البداء ما ظنه جهال العامة العمياء وطعنوا به على الفرقة المحقة من انه ظهور الشيء بعد خفائه حصول العلم به بعد الجهل به إذ ذلك لا ينفوه به إلا من عزل العقل عن الحكومة وجوز على الله ان يأمر بالقبيح ويفعله وينهى عن الحسن ويتركه كالأشاعرة كما عرفت من مذهبهم وإنما البداء الذي ذهبوا اليه له معان صحيحة قد اتفقت عليها العقول وطابقها المنقول ودل عليها الكتاب والسنة كما استقصينا تلك المعاني في مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار نشير هنا الى جملة منها

(احدها) ما اختاره العلامة ره المحدث المجلسي وهو انهم (ع) انما بالغوا في البداء ردا على اليهود القائلين أن الله قد فرغ من الأمر وعلى النظام وبعض المعتزلة القائلين ان الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ماهي عليه الآن معادن ونباتا وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق آدم على خلق اولاده والتقدم إنما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها واخذوا هذه المقالة من اصحاب الكمون والبروز من الفلاسفة وعلى بعض الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكية وبأن الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا في العقل الأول فهم يعزلونه تعالى عن ملكه وسلطانه وينسبون الحوادث إلى هؤلاء وعلى آخرين منهم قالوا ان الله سبحانه أوجد جميع مخلوقاته دفعة واحدة دهرية لا ترتيب فيها باعتبار الصدور بل انما ترتبها في الازمان فقط كما انه لا تترتب الاجسام المجتمعة زمانا وإنما ترتيبها في المكان فقط فنفوا عليهم السلام كل ذلك واثبتوا انه تعالى (كل يوم هو في شان) من اعدام شيء واحداث آخر واماتة شخص واحياء آخر إلى غير ذلك لأن لا يترك العباد التضرع إلى الله ومسألته وطاعته والتقرب اليه بما يصلح امور دنياهم وعقباهم وليرجوا عند التصدق على الفقراء وصلة الارحام وبر الوالدين والمعروف والاحسان ما وعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق وغير ذلك انتهى كلامه وتوضيحه ان البداء المنسوب اليه تعالى معناه ان يبدو له في الشيء فيثبته بعد عدمه او عكس ذلك مختارا مع علمه بأصله وعلمه بأنه سيفعله في المستقبل لاغراض ومصالح وغايات سبق العلم بها على التفصيل ولا يحدث له من معلومها شيء لم يكن معلوما له سابقا ليلزم نسبة الجهل اليه تعالى كما نطقت بذلك الاخبار ففي الصحيح عن الصادق (ع) قال ما بدأ الله في شيء إلا كان في علمه قبل ان يبدو له

وعنه (ع) قال ان الله لم يبدُ له من جهل فالبدء منه سبحانه لمحو المثبت واثبات غير المثبت مسبوق بعلمه الأزلي وليس البداء مخصوصا بالمحو فقط بل يشمل الاثبات كما دلت عليه الآية والرواية وبالجملة فمرجع البداء المذكور إلى انه سبحانه مختار على الاطلاق في عامة الافعال والتكوينات مستمر التصرف والارادات في كل الأمور وكافة الاحوال والشؤون فعلها وتركها واحكامها ونقصها وتقديمها وتأخيرها جليلها وحقيرها قبيلها ودبيرها ولهذا لم يعبد الله ولم يعظم بشيء مثل البداء لأن مدار استجابة الدعاء والرغبة اليه سبحانه والرهبة منه وتفويض الامور اليه والتعلق بين الخوف والرجاء والتصدق وصلة الرحم والاعمال الصالحة وامثالها من اركان العبودية كلها على البداء

(ثانيها) ما عليه السيد الداماد وحاصله ان البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع فما في الأمر التشريعي والاحكام التكليفية نسخ فهو في الامر التكويني والمكونات الزمانية بداء فالنسخ كأنه بداء تشريعي والبداء كأنه نسخ تكويني وكما حقيقة النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه عن وعاء الواقع فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ اثبات الاستمرار التكويني وانتهاء اتصال الإفاضة ومرجعهُ إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة لا انه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونهِ وبطلانه في حد حصوله

(ثالثها) ما ذكره بعض المدققين وهو ان الامور كلها عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها ومنسوخها وناسخها ومفرداتها ومركباتها واخباراتها وانشاءاتها بحيث لا يشذ عنها شيء منتقشة في اللوح والفايض منه على الملائكة والنفوس العلوية والنفوس السفلية قد يكون الامر العام والمطلق حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت ويتأخر المبيَّن إلى وقت تقتضي الحكمة فيضانه فيه وهذه النفوس العلوية وما يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو والاثبات والبدا عبارة عن هذا التغيير في ذلك الكتاب من اثبات ما لم يكن مثبتا ومحو ما يثبت فيه

(رابعها) ما ارتضاه المرتضى (ره) وهو ان المراد بالبداء النسخ نفسه وادعى انه ليس بخارج عن معناه اللغوي وقريب منه ما ذكره الشيخ في العدة إلا انه صرح بان اطلاقه على النسخ على ضرب من التوسع والتجوز وحمل الاخبار عليه ولا يخلو من بعد إلا أن يرجع إلى المعنى الثاني

(خامسها) ما ذكره الصدوق في التوحيد حيث قال ليس البداء كما تظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن يجب علينا ان نقر لله عز وجل بأن له البداء معناه أن له أن يبدء بشيء من خلقه فيخلقه قبل كل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره ويأمر بأمر ثم ينهى عن مثله او ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ويعلم في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما امرهم بهِ فإذا كان ذلك الوقت امرهم بما يصلحهم فمن أقر بان لله عز وجل ان يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويأمر بما يشاء كيف يشاء فقد اقر بالبداء وما عظم الله بشيء افضل من الاقرار بأن له الخلق والأمر والتقديم والتأخير وأثبات ما لم يكن ومحو ما كان والبداء هو رد على اليهود لأنهم قالوا إن الله قد فرغ من الأمر فقلنا إن الله كل يوم في شأن يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء والبداء ليس من بدأبه وإنما هو ظهور امر تقول العرب بدالي الشخص في طريقي اي ظهر قال الله تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) اي ظهر لهم ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبده صلة الرحم زاد في عمره ومتى ظهر له قطيعة رحم نقص من عمره ورزقهِ ومتى ظهر لهُ التعفف عن الزنا زاد في رزقهِ وعمره

(تتمة) قدورد في الآيات القرآنية والأخبار المعصومية ان لله تعالى لوحين اثبت فيهما ما يحدث من الكائنات احدهما اللوح المحفوظ الذي لا تغيير فيهِ اصلا وهو مطابق لعلمهِ تعالى والآخر لوح المحو والاثبات فيثبت فيه شيئا ثم يمحوه لحكم كثيره ولا تخفى على اولي الالباب مثلا يكتب فيه ان عمر زيد خمسون سنة ومعناه ان مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طولهُ أو قصره فإذا وصل الرحم مثلا يمحى الخمسين ويكتب مكانهُ ستين وإذا قطعها يكتب مكانهُ اربعين وفي اللوح المحفوظ انه يصل وعمره ستون كما أن الطبيب الحاذق إذا اطلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب هذا المزاج ستين سنة فإذا شرب سما ومات أو قتله انسان فنقص من ذلك أو استعمل دواء قوى مزاجه فزاد عليهِ لم يخالف قول الطبيب والتغيير الواقع في هذا اللوح سمي بالبداء إما لأنهُ مشبه بهِ كما في سائر ما يطلق عليهِ تعالى من الابتلاء والاستهزاء والسخرية وأمثالها أو لأنهُ يظهر للملائكة أو للخلق

إذا اخبروا بالأول خلاف ما علموا أولا وأما الحكمة في لوح المحو والاثبات بعد تحقق اللوح المحفوظ فلا يجب علينا الفحص عنها وعدم العلم بها وخفائها لا يدل على عدمها بعد أن دلت الأدله القاطعة والبراهين الساطعة فإن الله حكيم مع انه يمكن أن تكون الحكمة أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللوح والمطلعين عليه لطفه تعالى بعباده وايصالهم في الدنيا إلى ما يستحقونه فيزدادوا به معرفة ويمكن ان تكون الحكمة إعلام العباد بواسطة الرسل والحجج (ع) أن لأعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات في صلاح امورهم ولأعمالهم السيئة تأثيرا في فسادها فيكون داعيا لهم إلى الخيرات صارفا لهم عن السيئات فيكون لهذا اللوح تقدم على اللوح المحفوظ من جهة لصيرورته سببا لحصول بعض الأعمال فبذلك انتقش في اللوح المحفوظ حصوله فلا يتوهم انه بعد ما كتب في هذا اللوح حصوله لا فائدة في المحو والاثبات ومن جملة الحكم أن الأنبياء والأوصياء إذا اخبروا احيانا من كتاب المحو والإثبات ثم اخبروا بخلافه بلزم الناس الاذعان به ويكون في ذلك تشديد للتكليف عليهم وسببا لمزيد الاجر لهم كما في سائر ما يبتلي الله عباده به من التكاليف الشاقة وايراد الامور التي تعجز اكثر العقول عن الاحاطة بها وبها يمتاز المسلمون الذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الذين ليس لهم قدر راسخ في الدين

﴿ المبحث السادس عشر ﴾

يجب العلم بملائكة الله تعالى حسب ما ورد في الكتاب والسنة من انهم اجسام على ضروب مختلفة واقسام متفاوتة قال الله تعالى (جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ومنهم الأكابر الأربعة جبرائيل وميكائيل اللذان تكرر ذكرهما في القرآن واسرافيل وعزرائيل اللذان تكرر ذكرهما في الحديث وجبرائيل هو صاحب الوحي وروح القدس وروح الأمين ينصر اولياء الله ويقهر اعداءه قال تعالى في شأنه (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين) (مطاع ثم امين) (فرسالته) أنه رسول الله إلى جميع انبيائه ورسله (وكرمه) عند ربه انهُ جعله واسطة بينهُ وبين اشرف عباده (وقوته) انه رفع مدائن قوم لوط إلى السماء وقلبها (ومكانته) عند الله ان جعله ثاني نفسه في قوله تعالى (إن الله هو مولاه) (وجبريل) وكونه مطاعا انه امام (الملائكة) ومقتداهم وأما كونه امينا فلأنه إئتمنه الله على الرسالة وإئتمنه الانبياء على ما نزل به اليهم (وميكائيل) صاحب الارزاق والأغذية

(واسرافيل) صاحب الصور الذي قال الله عز وجل (ونفخ في الصور) الآية (وعزرائيل) هو ملك الموت الموكل بقبض الارواح الذي قال الله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) ومن اصناف الملائكة حملة العرش والحافون حوله كما قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال سبحانه (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وعن الصادق (ع) ان حملة العرش (احدهم) على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم (والثاني) على صورة الديك يسترزق الله للطير (والثالث) على صورة الأسد يسترزق الله للسباع (والرابع) على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية وقال الصدوق (ره) في اعتقاداته اعتقادنا في العرش انه جملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم ثم قال واما العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحملته اربعة من الملائكة لكل منهم ثمانية اعين طباق الدنيا واحد منهم على صورة بني آدم إلى آخر ما تقدم بأدنى تغيير قال واما العرش الذي هو العلم فحملته اربعة من الأولين واربعة من الآخرين فأما الأربعة من الأولين فنوح وابراهيم وموسى وعيسى واما الاربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين هكذا روي في الاسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام في العرش وحملته وإنما صار هؤلاء حملة العلم لأن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا (ص) على شرائع الاربعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومن قبل هؤلاء صارت العلوم اليهم وكذلك صار العلم من بعد محمد وعلي والحسن والحسين إلى من بعد الحسين من الائمة وقال سيد الساجدين في الصحيفة اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ولا يستحسرون من عبادتك ولا يؤثرون التقصير على الجد في امرك ولا يغفلون عن الوله اليك واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الاذن وحلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك وجبرائيل الأمين على وحيك المطاع في اهل سماواتك المكين لديك المقرب عندك والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من امرك فصلّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك واهل الأمانة على رسالاتك والذين لا تدخلهم سآمة من دؤوب ولا إعياء من لغوب ولا فتور ولا يشغلهم عن تسبيحك الشهوات ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الخشع الابصار فلا يرومون النظر اليك النواكس الاذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك المستهترون بذكر

آلائك المتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على اهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فصلِّ عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك وأهل الزلفة عندك وحمال الغيب إلى رسلك والمؤتمنين على وحيك وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك واغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك واسكنتهم بطون اطباق سماواتك والذين هم على ارجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك وخزان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود واذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق ومشيع الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل والقوام على خزائن الرياح والموكلين بالجبال فلا تزول والذين عرفتهم مثاقيل المياه وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها من الملائكة إلى اهل الارض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين وملك الموت واعوانه ومنكر ونكير ومبشر وبشير ورومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان (والذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) (والذين يقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والزبانية الذين إذا قيل لهم (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) ابتدروه سراعا ولم ينظروه ومن اوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه وبأي امر وكلته وسكان الهواء والأرض والماء

وفي بصائر الدرجات عن الصادق (ع) قال ليس خلق أكثر من الملائكة انه لينزل كل ليلة من السماء سبعون الف ملك فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم وسأله رجل فقال الملائكة اكثر أم بنو آدم فقال (ع) والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات اكثر من عدد التراب في الأرض وما في السماء موضع قدم إلا وفيه ملك يسبح الله ويقدسه ولا في الأرض شجرة ولا عودة إلا وفيها ملك موكل يأتي الله كل يوم بعلمها الله اعلم بها وما منهم احد إلا ويتقرب إلى الله في كل يوم بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن اعداءنا ويسأل الله أن يرسل عليهم من العذاب ارسالا

وفيه وفي الكافي باسنادهما عن الباقر (ع) قال والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوه وانهم ليدينون بولايتنا وعنه عليه السلام قال إن في الجنة نهرا يغتمس فيه جبرائيل كل غداة ثم يخرج منه فينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكا

﴿ المبحث السابع عشر ﴾

في كتب الله تعالى قال الله تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقال الله تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم) فمن ذلك كتاب التوراة النازلة باللغة العبرانية على قلب موسى (ع) اولا ثم على الألواح الزبرجدية (وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ثم جعلوه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا) ومنها الانجيل النازل باللغة السريانية على قلب عيسى (ع) (فيهِ هدى وموعظة للمتقين) ومنها الزبور النازل على قلب داود (ع) الذي قال الله فيهِ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون) ومنها الفرقان النازل على قلب نبينا محمد (ص) بلسان عربي مبين مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليهِ وفيهِ العلوم الربانية والأسرار الفرقانية التي تعلمها النبي منهُ كما قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وفيه كرائم الأخلاق التي تخلق بها النبي (ص) كما قال تعالى (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) ومنها غير ذلك كصحف ابراهيم (ع) وكانت عشرين صحيفة وصحف ادريس (ع) وكانت ثلاثين وصحف شيث (ابن آدم) وكانت خمسين كما روي ذلك كله عن امير المؤمنين (ع) وعن ابي ذر (رض) انهُ قال لرسول الله (ص) ما كانت صحف ابراهيم قال اقرأ يا أبا ذر (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربهِ فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى)

وروي في الكافي عن ابي بصير انهُ قال للصادق (ع) ان شيعتك يتحدثون ان رسول الله (ص) علم عليا بابا يفتح له منهُ الف باب فقال (ع) يا أبا محمد علم رسول الله عليا (ع) الف باب يفتح من كل باب الف باب قال قلت هذا والله العالم قال فنكت ساعة في الارض ثم قال انهُ لعلم وما هو بذاك ثم قال يا ابا محمد فإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال قلت جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ص) واملائهِ من فلق فيهِ وخط علي بيمينهِ فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج اليهِ الناس حتى الارش في الخدش

وضرب بيده إلي فقال تأذن لي يا ابا محمد قال قلت جعلت فداك إنما انا لك فاصنع ما شئت قال فغمزني بيده وقال حتى ارش هذا كأنهُ مغضب قال قلت هذا والله العلم قال انهُ لعلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال وان عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر قال قلت وما الجفر قال وعاء من ادم فيهِ علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل قلت ان هذا هو العلم قال انه لعلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال وان عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع) قال قلت وما مصحف فاطمة قال مصحف فيهِ مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد قال قلت هذا والله العلم قال انـه لعلم وما هو بذاك ثم سكت ساعة ثم قال ان عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى ان تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انهُ لعلم وما هو بذاك قال قلت جعلت فداك فأي شيء العلم قال ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة وفي رواية اخرى ما يحدث بالليل والنهار يوما بيوم وساعة بساعة قيل ولعل مراده (ع) والعلم عند الله ان العلم ليس ما يحصل من السماع وقراءة الكتب وحفظها فإن ذلك تقليد وإنما العلم ما يفيض من الله سبحانه وتعالى على قلب المؤمن يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة فينكشف به من الحقائق ما تطمئن بهِ النفس وينشرح له الصدر ويتقوم به العالم كأنه ينظر اليهِ ويشاهده

وفي الكافي عن حماد بن عثمان قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول تظهر الزنادقـة سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك اني نظرت في مصحف فاطمة (ع) قال قلت وما مصحف فاطمة قال ان الله لما قبض نبيهُ دخل على فاطمة من وفاتهِ من الحزن ما لا يعلمهُ إلا الله تعالى فارسل اليها ملكا يسلي غمها ويحـدثها فشكت ذلك إلى امير المؤمنين (ع) فقال لها إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فاعلمتـه بذلك فجعل امير المؤمنين (ع) يكتب كل ما سمع حتى اثبت من ذلك مصحفا قال ثم قال اما انهُ ليس فيهِ شيء من الحلال والحرام ولكن فيه عـلم ما يكون وعن الصادق (ع) ان في الجفر الأبيض الذي عندنا زبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة (ع) وفي الجفر الأحمر السلاح وان ما يفتحه صاحب السيف للقتل

وفي البصائر عن عبد الله بن سنان ان جبرائيل اتى رسول الله (ص) بصحيفة مختومـة بسبع خواتيم من ذهب وامر اذ حضره اجلهُ ان يدفعها إلى علي بن ابي طالب (ع) فيعمل بما

فيهِ ولا يجوزه إلى غيره

وعن ابي جعفر (ع) قال حدثني ابي عمن ذكره قال خرج علينا رسول الله (ص) وفي يده اليمنى كتاب وفي يده اليسرى كتاب فنشر الكتاب الذي في يده اليمنى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتاب لأهل الجنة بأسمائهم واسماء آبائهم وقبائلهم لا يزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد قال ثم نشر الذي بيده اليسرى فقرأ : كتاب من الله الرحمن الرحيم لأهل النار بأسمائهم واسماء آبائهم وقبائلهم لا يزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد وفي رواية ثم دفعها إلى علي بن ابي طالب (ع)

وعن حبابة الوالبية قالت قلت لأبي عبد الله (ع) إن لي ابن اخ وهو يعرف فضلكم واني احب ان تعلمني أفي شيعتكم هو قال وما اسمه قال قلت فلان بن فلان قالت فقال يا فلان هاتي الناموس فجاء بصحيفة يحملها كبيرة ففتشوها ثم نظر فيها (ع) فقال نعم هذا اسمه هاهنا واسم ابيه

وعن سليمان بن خالد عن الصادق (ع) ان عندي لصحيفة فيها اسماء الملوك وعنه (ع) ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا في كتاب عندي

الباب الثالث

في النبوة والإمامة وفيهما مباحث

المبحث الأول في الأحكام المشتركة بين النبي (ص) والإمام (ع) وفيه فصول

الفصل الأول

في بيان اضطرار الخلق إلى الرسول (ص) والإمام (ع) واحتياجهم إلى ذلك ووجوب ارسال الرسل ونصب الأئمة على الله تعالى والدليل على ذلك وجوه

﴿ احدها ﴾ ان ذلك من باب اللطف الواجب عليه تعالى كما تقدم بيانهُ

﴿ ثانيها ﴾ انك قد عرفت ان الغرض والحكمة في ايجاد الخلق المعرفة والعبادة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق نبيا كان او اماما يعلمهم ذلك لاستحالة الإفاضة والاستفاضة بلا واسطة إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة وكمال الكمال ومنتهى النقص فتستحيل المشاهدة والمكالمة إلا بالواسطة

كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنهِ ما يشاء انهُ علي حكيم) وإنما كان الواسطة قابلا لذلك لأن له جهتي نورانية وجسمانية كما قال (ص) اول ما خلق الله نوري وقوله تعالى (قل إنما انا بشر مثلكم)

وفي الكافي عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله (ع) انهُ قال للزنديق الذي سأله من اين اثبت الأنبياء والرسل قال انا لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه المعبرون عنه جل وعزوهم الأنبياء وصفوتهُ في خلقهِ حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من احوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته

وعن منصور بن حازم قال قلت لابي عبد الله (ع) إن الله أجل وأكرم من ان يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به قال صدقت قلت ان من عرف له ربا فقد ينبغي له ان يعرف لذلك الرب رضا وسخطا وانه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي او رسول فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له ان يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف انهم الحجة وأن لهم الطاعة المفترضة وقلت فحين مضى رسول الله (ص) من كان الحجة على خلقه فقالوا القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته فعرفت أن القرآن لا يكون حجة الا بقيم فما قال فيه من شيء كان حقا فقلت لهم من قيم القرآن فقالوا ابن مسعود كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم قلت كله قالوا لا فلم اجد احداً يقال انه يعرف ذلك كله إلا عليا (ع) وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا لا ادري وقال هذا لا ادري وقال هذا انا ادري فاشهد ان عليا كان قيم هذا القرآن وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله (ص) وان ما قال في القرآن فهو حق فقال رحمك الله

(اقول) ويجري هذا البرهان العقلي بعينه في سائر الائمة المعصومين بعد امير المؤمنين (ع) وعن يونس بن يعقوب قال كان عند ابي عبد الله جماعة من اصحابه منهم حمران بن اعين

ومحمد بن النعمان وهشام بن سالم والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال ابو عبدالله (ع) ياهشام الا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد و كيف سألته قال هشام يابن رسول الله اني اجلك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك فقال ابو عبد الله (ع) إذا امرتكم بشيء فافعلوا قال هشام بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا انا بحلقة كبيرة فيها عمرو ابن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف وشملة متردي بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتين ثم قلت ايها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة فقال نعم فقلت له الك عين فقال يابني اي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه فقلت هكذا مسألتي فقال يابني سل وإن كانت مسألتك حمقاء قلت اجبني فيها قال لي سل قلت الك عين قال نعم قلت فما تصنع بها قال ارى بها الألوان والاشخاص قلت فلك انف قال نعم قلت فما تصنع به قال اشم به الرائحة قلت فلك فم قال نعم قلت فما تصنع به قال اذوق به الطعم قلت فلك اذن قال نعم قلت فما تصنع بها قال اسمع بها الصوت قلت الك قلب قال نعم قلت فما تصنع به قال اميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس قلت اوليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب قال لا فقلت و كيف ذلك وهي صحيحة سليمة قال يابني إن الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته او ذاقته او سمعته ردته إلى القلب فتستيقن اليقين ويبطل الشك قال هشام فقلت له فإنما اقام الله القلب لشك الجوارح قال نعم قلت لا بد من القلب والا لم تستيقن الجوارح قال نعم فقلت له يا ابا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح وتستيقن به ما شكت فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك قال فسكت ولم يقل لي شيئا ثم التفت الي وقال انت هشام ابن الحكم قلت لا فقال امن جلسائه قلت لا قال فمن اين قلت من اهل الكوفة فقال فأنت إذاً هو ثم ضمني اليه واقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت قال فضحك ابو عبد الله (ع) وقال ياهشام من علمك هذا قلت شيء اخذته منك والفته فقال والله هذا مكتوب في صحف ابراهيم وموسى

وعن يونس بن يعقوب قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فورد عليه رجل من اهل

الشام فقال اني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك فقال ابو عبد الله (ع) كلامك من كلام رسول الله او من عندك فقال من كلام رسول الله (ص) ومن عندي فقال ابو عبد الله (ع) فإذا انت شريك رسول الله (ص) قال لا قال فسمعت الوحي يخبرك قال لا قال فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله (ص) قال لا قال فالتفت ابو عبد الله (ع) الي فقال يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم ثم قال يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته قال يونس فيالها من حسرة قلت جعلت فداك اني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول ويل لاصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله فقال (ع) إنما قلت فويل لهم أن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون ثم قال لي اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله قال فادخلت حمران بن اعين وكان يحسن الكلام وادخلت الاحول وكان يحسن الكلام وادخلت هشام بن سام وكان يحسن الكلام وادخلت قيس بن الماصر وكان عندي احسنهم كلاما وقد كان تعلم الكلام من علي بن الحسين (ع) فلما استقر بنا المجلس وكان ابو عبد الله (ع) قبل الحج يستقر اياما في جبل في طرف الحرم في خيمة له مضروبة قال فأخرج ابو عبد الله (ع) رأسه فإذا هو ببعير يخب فقال (ع) هشام ورب الكعبة قال فظننا أن هشاما رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له قال فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا إلا من هو اكبر سنا منه قال فوسع له ابو عبد الله (ع) وقال ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ثم قال يا حمران كلم الرجل فكلمه فظهر عليه حمران ثم قال يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه الاحول ثم قال يا هشام ابن سام كلمه فتعارفا ثم قال ابو عبد الله (ع) لقيس الماصر كلمه فكلمه فاقبل ابو عبد الله (ع) يضحك من كلامهما مما قد اصاب الشامي فقال للشامي كلم هذا الغلام يعني هشام بن الحكم فقال نعم فقال لهشام يا غلام سلني في امامة هذا فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي يا هذا اربك انظر لخلقه ام خلقه لأنفسهم فقال الشامي بل ربي انظر لخلقه قال ففعل بنظره لهم ماذا قال اقام لهم حجة ودليلا كيلا يتشتتوا او يختلفوا بتألفهم ويقيم لهم اودهم اي اعوجاجهم ويخبرهم بفرض ربهم قال فمن هو قال رسول الله (ص) قال هشام فبعد رسول الله (ص) من قال الكتاب والسنة قال هشام فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في دفع الاختلاف هنا قال الشامي نعم قال فلم اختلف انا وانت وصرت الينا من الشام في مخالفتنا اياك قال فسكت الشامي فقال ابو عبد

الله (ع) للشامي مالك لا تتكلم قال الشامي إن قلت لم تختلف كذبت وإن قلت أن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف ابطلت لأنهما يحتملان الوجوه وإن قلت قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذاً الكتاب والسنة إلا أن لي عليه هذه الحجة فقال ابو عبد الله (ع) سله تجده مليا فقال الشامي ياهذا من انظر للخلق اربهم او أنفسهم فقال هشام ربهم انظر لهم منهم لانفسهم فقال الشامي فهل اقام لهم من يجمع كلمتهم ويقيم اودهم ويخبرهم بحقهم وباطلهم قال هشام في وقت رسول الله (ص) او الساعة قال الشامي في وقت رسول الله (ص) والساعة من فقال هشام هذا القاعد الذي تشد اليه الرحال ويخبرنا باخبار السماء وراثة عن اب عن جد قال الشامي فكيف لي أن اعلم ذلك قال هشام سله عما بدا لك قال الشامي قطعت عذري فعلي السؤال فقال ابو عبد الله (ع) ياشامي اخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك كان كذا وكان كذا فاقبل الشامي يقول صدقت اسلمت لله الساعة فقال ابو عبد الله (ع) بل آمنت بالله الساعة إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون والإيمان عليه يثابون فقال الشامي صدقت فأنا الساعة اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا رسول الله وأنك وصي الأوصياء ثم التفت ابو عبد الله (ع) إلى حمران بن اعين فقال تجري الكلام على الأثر فتصيب والتفت إلى هشام بن سالم فقال تريد الأثر فلا تعرفه ثم التفت إلى الاحول فقال قياس رواغ تكسر باطلا بباطل إلا ان باطلك اظهر ثم التفت إلى قيس الماصر فقال تتكلم واقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله (ص) ابعد ما تكون منه تمزج الحق مع الباطل وقليل من الحق يكفي عن كثير الباطل انت والاحول قفازان حاذقان قال يونس فظننت والله انه يقول لهشام قريبا مما قال لهما ثم قال ياهشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت مثلك فليكلم الناس فاتق الزلة والشفاعة من ورائها إن شاء الله

ولا يخفى على الناقد البصير والمحقق الخبير ما في هذه الأخبار الساطعة الأنوار الظاهرة المنار من الأدلة القطعية والبراهين اليقينية على وجوب ارسال الرسل ونصب الإمام في جميع الازمنة

« ثالثها » قال بعض المحققين اعلم أن الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله عز وجل والبدن مركب ومن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره وما لم ينتظم امر المعاش في الدنيا لا يتم امر التبتل والانقطاع إلى الله الذي هو السلوك ولا يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالما

ونسله دائما وإنما يتم كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما واسباب الدفع لمفسداتهما ومهلكاتهما اما أسباب الحفظ لوجودهما فالأكل والشرب وذلك لبقاء البدن والمناكحة وذلك لبقاء النسل وقد خلق الله الغذاء سببا للحياة والإناث محلا للحراثة إلا انه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين والناكحين بحكم الفطرة مع انهم محتاجون إلى تمدن واجتماع وتعاون إذ لا يمكن لكل منهم أن يعيش وحده يتولى تدبيراته المتكثرة المختلفة من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته بل لا بد مثلا من أن ينقل هذا لهذا ويطحن هذا لهذا ويخبز هذا لهذا وعلى هذا القياس فافترقت اعدادا واختلفت احزابا وانعقدت ضياع وبلدان فاضطروا في معاملاتهم ومناكحاتهم وجناياتهم إلى قانون مرجوع اليه بين كافتهم يحكمون به بالعدل والا لتهارشوا وتقاتلوا بل شغلهم ذلك عن السلوك للطريق بل افضى بهم إلى الهلاك وانقطع النسل واختل النظام لما جبل عليه كل احد من انه يشتهي لما يحتاج اليه ويغضب على من يزاحمه فيه وذلك القانون هو الشرع ولا بد من شارع يعين لهم ذلك القانون والمنهج لننتظم به معيشتهم في الدنيا ويسن لهم طريقا يصلون به إلى الله عز وجل بأن يفرض عليهم ما يذكرهم امر الآخرة والرحيل إلى ربهم وينذرهم يوما ينادون فيه من مكان قريب وتنشق الأرض عنهم سراعا ويهديهم إلى صراط مستقيم لأن لا ينسوا ذكر ربهم ويذهلوا بدنياهم عن عقباهم التي هي الغاية القصوى والمقصد الاسنى

(رابعها) قال ايضا انه لما كان الإنسان في أول امره وبدء نشوه خاليا عن كماله الذي خلق له قاصرا عن الغاية التي ندب اليها كما قال تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) قابلا اتاه بفطرته التي فطر عليها يمكن الوصول اليه بما أوتي من اسبابه وهيأ له من شرائطه كما قال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) وقال تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) لكنه ممنوع بمقتضيات نشأته التي جبل عليها الوخلي وشأنه لنشأ كله على ما يقتضيه مزاجه وطبيعته بحسب الغالب من قواه وموجب طينته وهواه كما قال تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) اذ كل مزاج يناسب قوة دون اخرى ويسهل له فعل بعضها مما يلائم حالها دون بعض على ما عبر عنه في القرآن مرة بقوله (خلق الإنسان من عجل) واخرى (وكان الإنسان قتورا) (إن الإنسان خلق هلوعا) (إنه كان ظلوما جهولا) فمن الواجب أن يكون له سياسة تسوسه وتربيه لصلاحية الكمال وتدبيره وتجريه في طريق الخير

والسعادة وإلا لبقي في مرتبة البهائم وحيل بينه وبين النعيم الدائم

(خامسها) انه كما لابد في العناية الإلهية لنظام العالم من المطر ورحمة الله لم تقصر عن ارسال السماء مدرارا لحاجة الخلق فنظام العالم لا يستغني عمن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة نعم من لم يهمل انبات الشعر على الحاجبين المزينة وكذا تقعير الأخمص في القدمين كيف اهمل وجود رحمة للعالمين مع أن ما في ذلك من النفع العاجل والسلامة في العقبى والخير الآجل ولم يترك الجوارح والحواس حتى جعل لها رئيسا يصحح لها الصحيح ويتقن به ما شكت فيه وهو الروح كيف يترك الخلائق كلهم في حيرتهم وشكهم وضلالتهم لا يقيم لهم هاديا يردون اليه شكهم وحيرتهم كما تقدم ويجب أن يكون ذلك الواسطة انسانا لأن مباشرة الملك لتعليم الإنسان على هذا الوجه مستحيل كما قال الله عز وجل (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) ودرجة باقي الحيوانات انزل ولأن خوارق العادات لا تحال عليهم والنفوس لا تركن إلا إلى ابناء نوعهم ولنهاية المباينة بين الإنسان الناسوتي والملك الملكوتي ولا يمكن الاستغناء عن الانبياء بتوجيه الخطاب من الله تعالى بخلق الاصوات وايجاد الكلمات لقيام الوجوه والاحتمالات وضعف عقول سائر الناس واحتمالهم ان يكون صدور ذلك من بعض الجان او الشيطان ولا بد من تخصيصه بآيات من الله سبحانه دالة على أن شريعته من عند ربهم العالم القادر الغافر المنتقم ليخضعوا له ويلزم من وقف عليها أن يقر بتقدمه ورئاسته وهي المعجزات البينات والبراهين الواضحات

الفصل الثاني

يجب أن يكون الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه نبيا كان او اماما معصوما وهذا مما تفردت به الإمامية والعصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصي كلها كجائز الخطأ وليس معنى العصمة ان الله يجبره على ترك المعصية بل يفعل به الطافا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها كقوة العقل وكمال الفطانة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى ولو لم يكن قادراً على المعاصي بل كان مجبورا على الطاعات لكان منافيا للتكليف والاكراه في الدين والنبي اول من كلف حيث قال فأنا اول العابدين وانا أول المسلمين وقال تعالى (فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ولأنه لو لم يكن

قادرا على المعصية لكان ادنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها

واتفق المخالفون على عدم وجوب العصمة ووقوعها في أئمتهم واكثرهم بل جمهورهم على تجويز المعاصي على الأنبياء وبعضهم جوز الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها وجوزوا عليهم السهو والغلط ونسبوا إلى رسول الله (ص) السهو في القراءة مما يوجب الكفر فقالوا ورووا انه (ص) صلى يوما الصبح وقرأ في سورة النجم عند قوله أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى

تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى

نعوذ بالله من هذه الاعتقادات الفاسدة والمقالات الكاسدة وكيف كان فالذي عليه الإمامية انه يجب في الحجة ان يكون معصوما من الكبائر والصغائر منزها عن المعاصي قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان وعن كل رذيلة ومنقصة وعما يدل على الخسة والضعة ويكون سببا لتنفر الناس عنه والدليل على وجوب العصمة مضافا إلى النقل المتواتر واجماع الفرقة المحقة والطائفة الحقة أمور

« الأول » انه لو انتفت العصمة لم يحصل الوثوق بالشرائع والاعتماد عليها فإن المبلغ إذا جوزنا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز ان يكذب عمداً أونسيانا او يترك شيئا مما اوحي اليه أو يأمر من عنده فكيف يبقى اعتماد على اقواله

« الثاني » انه ان فعل المعصية فإما ان يجب علينا اتباعه فيها فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه واجتمع الضدان وان لم يجب انتفت فائدة البعثة

« الثالث » انهُ لو جاز ان يعصي لوجب ايذاؤه والتبري منه لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن الله تعالى نص على تحريم ايذاء النبي فقال (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)

« الرابع » انه يلزم بعصيانه سقوط محله ورتبته عند العوام فلا ينقادون إلى طاعته فتنتفي فائدة البعثة

« الخامس » انه يلزم ان يكون ادون حالا من آحاد الأمة لأن درجات الأنبياء في غاية الشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه افحش كما قال تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) والمحصن يرجم وغيره يحد وحد العبد نصف حد الحر والأصل فيه ان علمهم بالله اكثر واتم وهم مهبط وحيه ومنازل ملائكته

ومن المعلوم ان كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع فينافي صدور الذنب لكن الاجماع دل على ان النبي (ص) لا يجوز ان يكون اقل حالا من آحاد الأمة

«السادس» انه يلزم ان يكون مردود الشهادة لقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فكيف تقبل عموم شهادته في الوحي واحكام الله تعالى ويلزم ان يكون ادنى حالا من عدول الأمة وهو باطل بالاجماع

«السابع» انه لو صدر عنه الذنب لوجب الاقتداء به لقوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) والتالي باطل بالاجماع والا لاجتمع الوجوب والحرمة

«الثامن» انه لو لم يكن معصوما لانتفى الوثوق بقوله ووعده ووعيده فلا يطاع في أقواله وافعاله فيكون ارساله عبثا

«التاسع» انه لو لم يكن معصوما لكان محل انكار ومورد عتاب كما في قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) وقوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) فيجب أن يكون مؤتمرا بما يأمر به منتهيا عما ينهى

«العاشر» انه لو كان يخطئ لاحتاج إلى من يسدده ويمنعه عن خطأه وينبهه على نسيانه فإما أن يكون ذلك معصوما فيثبت المطلوب أو غير معصوم فيتسلسل

«الحادي عشر» انه يقبح من الحكيم أن يكلف الناس باتباع من يجوز عليه الخطأ فيجب كونه معصوما ولأنه يجب صدقه اذ لو كذب والحال ان الله امرنا باطاعته لسقط محله عن القلوب فتنتفي فائدة بعثته وقد استقصينا الكلام في عصمة الانبياء في مصابيح الأنوار والعمدة في ثبوت العصمة الاخبار المتظافرة عن اهل البيت (ع) في أن الأنبياء معصومون وتنزيههم عن ذلك واجماع الفرقة المحقة وما ورد في ظاهر الكتاب والسنة من نسبة الذنوب والمعاصي إلى الأنبياء والائمة (ع) فله محامل صحيحة عديدة وتأويلات سديدة مذكورة في مظانها

«منها» انهم (ع) لما كانوا مستغرقين في طاعة الله عز وجل ومراضيه ويعلمون انهم بمرأى من الله ومسمع ومطلع على ظواهرهم وبواطنهم وسرائرهم وعلانيتهم فإذا اشتغلوا احيانا عن ذكر ربهم ببعض المباحات زيادة على القدر الضروري عدّوا ذلك ذنبا ومعصية في حقهم واستغفروا منه فإن حسنات الابرار سيئات المقربين

« وصل » إعلم أن بعض علمائنا كالصدوق محمد بن بابويه واستاذه محمد بن الحسن بن الوليد ذهبا إلى جواز السهو على النبي «ص» وقالا ليس سهو النبي «ص» كسهونا لأن سهوه من الله عز وجل اسهاه ليعلم انه بشر مخلوق فلا يتخذ معبودا دونه وسهونا من الشيطان وليس للشيطان على النبي والائمة «ع» سلطان واستندا في ذلك إلى بعض الاخبار الشاذة الموافقة للعامة وان رويت بطرق عديدة وهي أن رسول الله (ص) سلم في ركعتين فسأله من خلفه يارسول الله احدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا إنما صليت ركعتين فقال «ص» اكذلك ياذا اليدين وكان يدعى ذا الشمالين فقال نعم فبنى على صلاته فأتم الصلاة اربعا وقال الصادق «ع» إن الله تعالى هو الذي انساه رحمة للأمة الا ترى لو أن رجلا صنع هذا لعيّر ونحوه غيره «وفي بعضها» انه «ص» صلى الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له بعض القوم يارسول الله هل زيد في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا صليت بنا خمس ركعات فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس ثم سجد سجدتين « وفي بعضها انه «ص» نام عن الصبح والله عز وجل انامه حتى طلعت الشمس عليه وكان ذلك رحمة من ربك للناس « وفي بعضها » أن امير المؤمنين «ع» صلى بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل فخرج مناديه ان امير المؤمنين (ع) صلى على غير طهر فاعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب « وفي بعضها » ان الباقر «ع» اغتسل من الجنابة فقيل قد بقيت لمعة من ظهرك لم يصبها الماء فقال له ما كان عليك لو سكت ثم مسح تلك اللمعة بيده

وروى الكليني أن أول كتاب كتب في الأرض ان الله عرض على آدم ذريته فلما نظر إلى داود وعرف قصر عمره قال قد وهبت له من عمري اربعين سنة فقال الله تعالى لجبرائيل وميكائيل اكتبوا عليه كتابا فإنه ينسى هذا اقصى ما استدلا به « وهذه » الاخبار مع مخالفتها لإجماع الشيعة المحققة بل ضرورة المذهب وشذوذها وموافقتها لمذاهب العامة الذين أمرنا بخلافهم يقع الكلام فيها من وجوه

« الاول » مخالفتها للآيات القرآنية كقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وقوله تعالى « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى » وقوله تعالى « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » وقوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » ونحو ذلك

« الثاني انها مخالفة للاخبار الصحيحة المعتضدة باجماع الإمامية الدالة على نفي السهو

والشك والنسيان عنهم «ع»

ففي الفقيه عن الرضا عليه السلام قال للإمام علامات يكون اعلم الناس واحكم واحلم الناس واعبد الناس ويكون مطهرا ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يحتلم وتنام عيناه ولا ينام قلبه

وفي الكافي عن الصادق «ع» في جنود العقل والجهل قال «ع» فكان مما اعطى الله العقل من الخمسة والسبعين جندا الخير وجعل ضده الشر إلى ان قال والعلم وضده الجهل والتسليم وضده الشك والتذكر وضده السهو والحفظ وضده النسيان ثم قال «ع» لا تجتمع هذه الخصال كلها من اجناد العقل الا في نبي او وصي نبي او مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان

وفي الكافي عن امير المؤمنين عليه السلام يذكر حاله مع رسول الله «ص» وما قال ودعا الله ان يعطيني علمه وفهمه فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما املاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا وما ترك شيئا مما علمه الله من حلال ولا حرام ولا امر ولا نهي كان او يكون ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة أو معصية الا علمنيه وحفظته فلم انس حرفا واحدا الى أن قال فقال «ص» لست اتخوف عليك النسيان والجهل

وفي التهذيب عن ابن بكير عن ابي عبد الله عليهم السلام قال قلت له هل سجد النبي «ص» سجدتي السهو قال لا ولا يسجدهما فقيه

وفي الحديث المشهور بين الطرفين قوله «ص» صلوا كما رأيتموني اصلي خذوا عني مناسككم «وفي الكافي» عن الرضا عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام عالم لا يجهل راع لا ينكل إلى أن قال إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام يوفقهم الله ويأتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم وفي اخبار كثيرة عنهم عليهم السلام ان الإمام (ع) اذا شاء ان يعلم علم

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال والله لا يكون عالم جاهلا ابدا عالما بشيء جاهلا بشيء ثم قال (ع) الله اعز وأجل واكرم من ان يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وارضه

وعن الصادق عليه السلام في حديث قال إن رسول الله (ص) كان مسددا موفقا مؤيدا بروح القدس لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق

وعن ابي جعفر عليه السلام قال للإمام عليه السلام عشر علامات يولد مطهرا مختونا إلى ان قال ولا يجنب وتنام عينه ولا ينام قلبه ولا يتثاءب ولا يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامه وعن ابي جعفر عليه السلام قال إذا كثر عليك السهو فامض في صلواتك فإنه يوشك

ان يدعك إنما هو من الشيطان ونحوه غيره من الأخبار

وفي العيون عن الرضا عليه السلام في علامات الإمام عليه السلام قال ان الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله تعالى عمود من نور يرى فيه اعمال العباد وكلما احتاج اليه لدلالة اطلع عليها والإمام يولد ويلد ويصح ويمرض ويأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينكح وينام ولا ينسى ولا يسهو وعنه عليه السلام قال ما يتقلب جناح طائر في الهواء الا وعندنا منه علم

« الثالث » انها مخالفة للأدلة العقلية المعتضدة بالنقلية وهي امور

(الأول) انه لو جاز شيء من ذلك عليهم لزم التنفر عنهم وعدم قبول اقوالهم وأفعالهم وهو نقض للغرض

(الثاني) انا مأمورون باتباع النبي (ص) والإمام عليه السلام وترك الاعتراض عليهم فلو جاز الخطأ والسهو والنسيان لوجب متابعتهم وكنا مأمورين به والامر باتباع الخطأ قبيح لا يصدر من الحكيم والنقض (بالراوي) و(الشاهد) و(المفتي) مع عدم عموم حكمهم مردود بأنهم ليسوا بحاكمين وانما هم ناقلون ولا يشترط العصمة في الناقل اجماعا

(الثالث) ان من وجه احتياج الخلق إلى النبي (ص) والإمام (ع) هو جواز الخطأ على الأمة فلو جاز عليهما لاحتاج إلى نبي وامام لاشتراك العلة ولزوم الترجيح بلا مرجح والدور او التسلسل

(الرابع) انه حافظ للشرع فلو جاز عليه الخطأ والسهو والنسيان لأدى إلى التضليل والإغراء بالجهل والتبديل وصار احتمال النسخ مساويا لاحتمال السهو واحتمال الصحة مقاوما لاحتمال الفساد وهو نقيض الغرض المطلوب من العصمة

(الخامس) انه لو جاز السهو عليه لم يوثق بشيء من اقواله ولا افعاله اصلا وهو نقض للغرض من نصبه

(السادس) انه لو جاز السهو والنسيان على المعصوم لجاز تركه للواجبات وفعله للمحرمات سهوا لأن فعل الواجب عبادة وترك المحرم عبادة وإذا جاز السهو في ترك بعضها جاز في ترك الجميع فلا تصدق العصمة التي تستلزم انتفاء المعاصي مطلقا

(السابع) انه لو جاز السهو والنسيان والخطأ على المعصوم في العبادة دون التبليغ لجازت جميع المعاصي والكفر عليه قبل كونه نبيا أو إماما واللازم باطل بالأدلة العقلية والنقلية

فهكذا الملزوم وبيان الملازمة عدم الاحتياج إلى العصمة في الموضعين كما ادعيتموه لأن الضرورة إلى استحالة الخطأ والسهو والنسيان ان كانت مخصوصة بالتبليغ فلا تبليغ في الحالة السابقة وهو واضح بل ذاك اولى بالجواز مع ظهور بطلانهِ فكذا هنا

« الثامن » انهُ لو جاز الخطأ والسهو على المعصوم لزم افحامهُ لأن للرعية ان لا تتبعه إلا فيما علمت صوابهُ ولا يعلم صوابهُ إلا منهُ فيدور

« التاسع » انهُ لو جاز ذلك لم يحصل العلم بقوله ان هذا الفعل سهو او غير سهو لجواز السهو على ذلك القول أيضا لأنهُ خارج عن التبليغ الا ترى انهُ على قولهم قد نفى السهو عن نفسهِ لما قال له ذو اليدين اقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال كل ذلك لم يكن وذلك على زعمكم غير مطابق للواقع

« العاشر » انه لو جاز عليهِ السهو والنسيان في غير التبليغ لجاز منه الكذب سهوا في غير التبليغ ايضا فلا يوثق بشيء من اقواله في غيره وبطلانهِ قطعي

« الحادي عشر » انه لو جاز ذلك لما امكن الاحتجاج بشيء من افعاله واقواله لاحتمالها السهو والنسيان وذلك باطل قطعا

« الثاني عشر » انه لو جاز عليهِ ذلك لما قبلت شهادته وحده فضلا عن دعواه لنفسهِ ولجاز التوقف في تصديقهِ وذلك باطل اجماعا نصا وفتوى

« الثالث عشر » انه لو جاز ذلك عليه لأمكن وقوع اتلاف مال الغير منه وغصبه نسيانا ونسيانه للحق الذي في ذمتهِ وإذا ادعاه اصحاب الحقوق بذلك احتاجوا إلى نبي آخر وإمام آخر يحكم عليهما فيدور او يتسلسل

« الرابع عشر » ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة واجبة بالضرورة من الدين واحق الناس بها النبي والإمام (ع) وليس ذلك من قسم التبليغ لاختصاصها بالآحاد والجزئيات وظهور كون التبليغ بقواعد كلية للأحكام الشرعية سلمنا لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد من ضرب وغيره خارج عن التبليغ قطعا وحينئذ يجوز عليهما السهو والنسيان والخطأ والغلط فيأمران بالمنكر وينهيان عن المعروف ولا يخفى فساده

« الخامس عشر » انه لو جاز عليهِ السهو والنسيان في غير التبليغ كما يزعم الخصم لجاز عليهِ تعدي حدود الله سهواً وإذا صدر منه ذلك كان ظالما لقوله تعالى (ومن يتعد حدود الله

فقد ظلم نفسه) (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) والظالم لا ينال النبوة والإمامة لقوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين)

(السادس عشر) انه يلزم من ذلك حط منزلته من القلوب وسقوط محله من النفوس كما يشهد الوجدان بذلك

(السابع عشر) انه يلزم احتياجه إلى رعيته

(الثامن عشر) عدم كون فعله وقوله حجة مطلقا واشتباه التبليغ بغيره غالبا

(التاسع عشر) امكان وقوع المعصية وفعل المحرم وترك الواجب سهوا وهو باطل ومما يدل على بطلان ما ادعاه الخصم زيادة على ما ذكر ما رواه في الكافي عن الصادق (ع) ان الله جعل في النبي خمسة ارواح روح الحياة فيه دب ودرج وروح القوة فيه نهض وجاهد وروح الشهوة فيه أكل وشرب واتى النساء من الحلال وروح الإيمان فيه امن وعدل وروح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبي (ص) انتقل روح القدس فصار إلى الإمام (ع) وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الارواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو ونحوه عن جابر عن الباقر عليه السلام وقال فيه ان هذه الاربعة الأرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب ولا يخفى أن النسيان من جملة الحدثان المنفي عنها والاخبار في ذلك كثيرة يقف عليها المتتبع

الفصل الثالث

حيث ثبت وجوب عصمة الواسطة نبيا كان او اماما فلا خيرة للخلق حينئذ في اختياره بلا خلاف في النبي وخالف العامة في ذلك بالنسبة إلى الإمام والفرق بينهما تحكم لأن العصمة من الأمور الباطنة التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب فيمكن أن يكون ما رأوه صالحا طالحا لأنهم لا يعلمون والله يعلم المفسد من المصلح فقد رأينا مثل موسى نبي الله من اولي العزم قد اختار من قومه سبعين فاوحى الله اليه انهم فاسقون كما نطق بذلك القرآن المجيد فكيف لسائر الناس بمعرفة الصالح من الطالح ولقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) فقد ذكر المفسرون من العامة ان هذه الآية نزلت في الرد على من قال لم لم يرسل غير هذا الرسول وحينئذ فهي دالة على أن صاحب الاختيار لا سيما في امور الدين هو الله الواحد

القهار ولاختلاف آراء الناس في الاختيار فينجر إلى الفساد والاختلاف كما وقع في السقيفة حيث قالوا منا امير ومنكم امير وقال عمر إن بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله الناس شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ولأن ذلك لطف من الله بعباده وهو واجب على الله كما تقدم

الفصل الرابع

لمعرفة ذلك الواسطة نبيا كان أو إماما طرق

(احدها) المعجزة الخارقة للعادة كما قال تعالى (إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فإن الخلق إذا عجزوا عن الاتيان بمثله جزموا بأنه من الله فيصدق المدعى

(الثاني) نص السابق على اللاحق كما نص موسى وعيسى على خاتم الانبياء فبشرهم برسول يأتي من بعده اسمه احمد وذكر لهم أوصافه وإذا كانت نبوته عند امته ثابتة بالمعاجز وجب تصديقه في كلما اخبر به وكما اخبر نبينا الصادق المصدق بامامة الأئمة الاثنى عشر ونص عليهم نصا متواترا قد ذكره المخالف والموالف كما يأتي إن شاء الله تعالى ثم أن المعجز الخارق للعادة المقارن والموافق للدعوى وقسم بعضهم الخارق للعادة إلى اقسام ستة

(احدها) الارهاص وهو ما يكون قبل البعثة ودعوى النبوة كما كان لنبينا (ص) أن كل حجر ومدر كان يسلم عليه اذا مر بهِ فيدل ذلك على حدوث امر غريب وليس في ذلك التباس اذ لا دعوى

(وثانيها) السحر وهو خارق يكون بعد تهيئة الاسباب على مهلة بدون الدعوى كما ان سحرة فرعون طلبوا الحبال والتمسوا المهلة للتهيئة فلا التباس فإن المعجز يكون مع الدعوى بلا تهيئة ومهلة كما قال تعالى (فالقاها فإذا هي حية تسعى)

(وثالثها) المكذبة وهي ما تكون مخالفة للدعوى فتكذب دعوى المدعي لوقوعها على خلاف ما اراد كما وقع لمسيلمة فإنه دعا لواحد العين فعميت عينه الصحيحة ودعا لفور ماء البئر فجف ماؤها

(ورابعها) الاستدراج وهو مكر الله في حق المنهمك في المعاصي بحيث يعطى كل ما يتمنى خارقا للعادة فيغتر ويزعم ان ذلك لكرامته على الله تعالى كما كان يزيد (لعه) يقول اشربوا هذا الخمر فإنه مبارك قد اظفرنا على عدونا الحسين (ع) فيأخذه الله بغتة فنستدرجهم من حيث

لا يعلمون ولا التباس في ذلك لعدم الدعوى

(وخامسها) الكرامة وهي استجابة الدعاء في الصلحاء فما يدعو بدعاء الا يعطى سؤله ولا التباس في ذلك اذ لا دعوى هنالك

(وسادسها) المعجز وقد تقدم بيانه ثم انه لا يشترط في المعجز رؤيته بل يكفي في ذلك التواتر المفيد لليقين كما علمنا ذلك بالنسبة إلى الأنبياء السالفين فإن التواتر كما يفيد اليقين في البلدان النائية ، كذلك يفيده هنا بل لعل افادة التواتر اقوى من افادة الرؤية البصرية لأن الخطأ في البصر اقرب من الخطأ في البصيرة

الفصل الخامس

يجب أن يكون ذلك الواسطة افضل اهل زمانهِ عالما بجميع العلوم التي تحتاج رعيتهُ اليها لاستحالة الترجيح بلا مرجح وقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاونقلا آيةوروايةولقولهِ تعالى (أفمن يهدي إلى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي إلا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) ولقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقولهُ تعالى (افنجعل المسلمين كالمجرمين ام نجعل المتقين كالفجار) ولأن الملائكة لما سألوا عن ترجيح آدم عليهم اجيبوا بالاعلمية كما قال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) الآية وقال تعالى في سبب ترجيح طالوت لما قالوا (انى يكون لهُ الملك علينا ونحن احق بالملك منه قالوا إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) اي الشجاعة

الفصل السادس

المشهور بين الإمامية بل حكي عليه الاجماع انه يجب تنزيه الأنبياء عن كفر الآباء والامهات وعهرهن لئلا يعيروا ويعابوا في ذلك ولئلا يتنفر عنهم فإن ما في الآباء من العيوب يعود إلى الأبناء عرفا لقوله تعالى (وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) اي انتقالك من اصلاب الساجدين لله إلى ارحام الساجدات وقوله تعالى (وما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا)

(وعندي) في ذلك تأمل إذ لم يتم دليل عقلي قطعي على اشتراط ذلك والدليل النقلي إنما

صح بالنسبة إلى آباء النبي (ص) دون سائر الأنبياء لا سيما الخضر (ع) فالتوقف في ذلك اولى وامهات سائر الأئمة (ع) لم يكن في مبدأ امرهن على الاسلام نعم الذي يظهر من النقل ويساعده العقل اشتراط كونهن عفيفات طاهرات نجيبات منزهات ومسلمات حين انعقاد النطفة في ارحامهن لأن النطفة لما كانت دائما في الأصلاب فينبغي الإسلام بخلاف الأرحام والله العالم بحقائق الأمور ويجب الإيمان بإيمان ابوي النبي (ص) وابي طالب لاجماع الشيعة على ذلك وروواالروايات في ذلك من طرق العامة والخاصة ولقوله تعالى (إن الذين آووا ونصرواا و لئك هم المؤمنون حقا) وقد اتفق المخالف والموالف أن أول من أوى النبي (ص) ونصره ابو طالب (ع)

الفصل السابع

ذكر بعض المحققين العارفين للنبي (ص) صفاتا ونعوتا احببنا ايرادها وهي جارية بعينها في الإمام (ع) قال ما ملخصهُ من صفاته (ص) ان يكون صافي النفس في قوته النظرية صفاء تكون معهُ شديدة الشبه بالروح الاعظم فيتصل بهِ متى اراد من غير كثير تعمل وتفكر حتى تفيض عليهِ العلوم اللدنية من غير توسط تعليم بشري بل يكاد زيت عقله يضيء ولو لم تمسسهُ نار التعليم البشري بمقدحة الفكر وزند البحث والتكرار فإن النفوس متفاوتة في درجات الحدس والاتصال بعالم النور فمن محتاج إلى التعلم في جل المقاصد بل كلها ومن غني لا يفلج في فكره ولا يؤثر فيهِ التعليم ايضا حتى خوطب النبي (ص) الهادي في حقهِ (إنك لاتهدي من احببت ولا تسمع من في القبور ولا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) وذلك لعدم وصولهم بعد إلى درجة استعداد الحياة العقلية فلم يكن لهم سمع باطني يسمعون به الكلام المعنوي والحديث الرباني لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها (وان يكون) شديد الحدس كثيره كماً وكيفا سريع الاتصال بعالم الملكوت يدرك بحدسهِ اكثر المعلومات في زمان قليل ادراكا شريفا نوريا ينتهي بقوة حدسهِ إلى آخر المعقولات في زمان قصير من غير تعلم فيدرك امورا يقصر عن دركها غيره من الناس وأن تكون قوتهُ المتخيلة قوية بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب وتتمثل لهُ الصور المثالية الغيبية ويسمع الاصوات الملكوتية ويتلقى المغيبات والاخبار الجزئية من الملكوت فيطلع على الحوادث الماضية والآتية وأن تكون قوته الحساسة والمحركة في القوة بحيث تؤثر في مادة العالم بإزالة صورة والباس اخرى فيحيل الهواء الى الغيم بإذن

الله ويحدث الأمطار والزلازل لاجل استهلاك امة فجرت وعتت عن امر ربها ورسله وان يسمع دعاءه في الملك والملكوت لعزيمة قوتهِ فيستشفي المرضى ويستسقي العطشى وتخضع له الحيوانات ومن صفات النبي (ص) أن يكون جالسا في الحد المشترك بين عالم المعقول وعالم المحسوس فهو تارة مع الحق بالحب له وتارة مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم فإذا عاد إلى الخلق كان كواحد منهم كأنهُ لا يعرف الله وملكوته وإذا خلا بربهِ كان مشتغلا بذكره وخدمته فكأنهُ لا يعرف الخلق يأخذ من الله ويتعلم من لدنهُ ويعطي لعباده ويعلمهم ويهدي لهم فيَسأل ويجاب ويُسأل ويجيب ناظما للطرفين واسطة بين العالمين سمعا من جانب ولسانا إلى جانب فلقلبهِ بابان مفتوحان (احدهما) وهو الباب الداخلاني إلى مطالعة اللوح والذكر الحكيم فيعلمه علما يقينيا لدنيا من عجائب ما كان أو سيكون وأحوال العالم ما مضى وما سيقع واحوال القيامة والحشر والحساب ومآل الخلق إلى الجنة أو النار وإنما ينفتح هذا الباب لمن توجه إلى عالم الغيب وافرد ذكر الله على الدوام (والثاني) إلى مطالعة ما في الحواس ليطلع على سوانح مهمات الخلق ويهديهم إلى الخير ويردعهم عن الشر فيكونوا قد استكملت ذاته في كلتا القوتين اخذا بحظ وافر من نصيب الوجود والكمال من الله سبحانه بحيث يسع الجانبين ويوفي حق الطرفين وهذا اكمل المراتب الإنسانية ومن لوازم الخصائص المذكورة اثنتا عشرة صفة مفطورة له وهي ان يكون (جيد الفهم) لكل ما يسمعه ويقال له على ما يقصده القائل وعلى ما هو الأمر عليه وكيف لا وهو في غاية اشراق العقل ونورية النفس (وأن يكون حفوظا) لما يفهمه ويحسه لا ينساه وكيف لا ونفسه متصلة باللوح المحفوظ (وأن يكون صحيح) الفطرة والطبيعة معتدل المزاج تام الخلقة قوي الآلات على الاعمال التي من شأنهِ أن يفعلها كالمناظرة في العلوم مع اهل الجدال والمباشرة في الحروب مع الابطال لاعلاء كلمة الله تعالى وهدم كلمة الكفر وطرد اولياء الطاغوت ليكون الدين كله لله ولو كره المشركون كيف لا والكمال الأولي انما يفيض على المزاج الأتم (وأن يكون) حسن العبارة يطيعه لسانه على ابانة كلما يظهره ابانة تامة كيف لا وشأنهِ التعليم والارشاد والهداية إلى طريق الخير للعباد (وأن يكون) محبا للعلم والحكمة لا يؤلمه التأمل في المعقولات ولا يؤذيه الكد الذي يناله منها وكيف لا والملائم للشيء ملذ ادراكه لأنه ينقوى بهِ (وأن يكون) بالطبع غير شره على الشهوات متجنبا بالطبع عن اللعب ومبغضا للأذات النفسانية وكيف لا وهي حجاب عن عالم النور ووصلة بعالم الغرور

فيكون ممقوتا عند اهل الله ومجاوري عالم القدس (وأن يكون) كبير النفس محبا للكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين ويتضع من الأمور وتسمو نفسه بالطبع إلى الارفع منها ويختار من كل شيء عقيلته ويجتنب سفساف الامور ويكره خداجها وسقطها اللهم إلا لرياضة النفس والاكتفاء بأيسر أمور هذه الدار واخفها وذلك لأن في الأشرف مزيد قرب من العناية الاولى (وأن يكون رؤوفا عطوفا على خلق الله اجمع لا يعتريه الغضب عند مشاهدة المنكر إلا لله ولا يعطل حدود الله من غير ان يهمه التجسس وكيف لا وهو شاهد بسر الله في لوازم القدر (وأن يكون) شجاع القلب غير خائف من الموت وكيف لا والآخرة خير له من الاولى فيكون قوي العزيمة على ما يرى ينبغي أن يفعل جسورا مقداما عليه لا ضعيف النفس (وأن يكون) جوادا لأنه عارف بأن خزائن رحمة الله لا تبيد ولا تنقص وان يكون اهش خلق الله اذا خلا بربه لأنه عارف بالحق كيف لا وهو اجل الموجودات بهجة وبهاء (وأن يكون) غير جموح ولا لجوج سلس القياد اذا دعي الى العدل صعب القياد اذا دعي الى الجور والقبيح ويجب (أن يكون) منزها عن كل ما يدنسه ويشينه من الغلظة والفظاظة والحسد والبخل ودناءة الآباء وعهر الامهات والانوثة والخنوثة وما شابه ذلك (وأن يكون) معصوما من الذنوب محفوظا عن الكبائر والصغائر عمدا وسهوا كل ذلك لئلا تتنفر عنه الطباع بل تطيعه طوعا ورغبة وصفحا وكيف لا ونفسه اكبر من ان تخرجها زلة بشر ونسيان للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق

الفصل الثامن

في الفرق بين الرسول والنبي والإمام والولي وأن الأنبياء والرسل على طبقات

روى ثقة الإسلام في الكافي باسناده عن زرارة قال سألت ابا جعفر (ع) عن قول الله تعالى (وكان رسولا نبيا) ما الرسول وما النبي قال النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك قلت الإمام ما منزلته قال يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث)

وعن الرضا (ع) ان الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم «ع» والنبي ربما يسمع الكلام وربما رأى

الشخص ولم يسمع والإمام الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص

وعن الباقر «ع» الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلا فيراه ويكلمه والنبي هو الذي يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم ونحو ما كان يرى رسول الله «ص» من اسباب النبوة قبل الوحي الحديث وفيه دلالة انه (ص) لم يكن متعبدا بشرع من قبله كما يأتي

وعن الباقر (ع) والصادق (ع) الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه والنبي هو الذي يرى في منامه وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة

وعن الصادق (ع) قال الانبياء والمرسلون على اربع طبقات فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى احد وعليه امام مثل ما كان ابراهيم على لوط ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد ارسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كيونس قال الله تعالى ليونس (وارسلناه إلى مئة الف او يزيدون) قال يزيدون ثلاثين الفا وعليه امام والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو مثل أولي العزم وقد كان ابراهيم نبيا وليس بإمام حتى قال الله تعالى (اني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي) فقال الله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما قال بعض المحققين النبي من اوحي اليه بالعمل والرسول من أوحي اليه بالعمل والتبليغ والولي من حدثه الملك أو ألهم ألهاما والإمام من حدثه الملك بالعمل والتبليغ فكل رسول نبي ولا عكس وكل رسول او نبي او امام فهو ولي ومحدث ولا عكس وكل رسول امام ولا عكس ولا نبي إلا وولايته اقدم على نبوته ولا رسول إلا ونبوته اقدم على رسالته ولا إمام إلا وولايته اقدم على امامته والولاية باطن النبوة والإمامة والنبوة باطن الرسالة وباطن كل شيء اشرف وأعظم من ظاهره لان الظاهر محتاج إلى الباطن والباطن مستغن عن الظاهر ولأن الباطن اقرب إلى الحق فكل مرتبة من المراتب المذكورة اعظم من لاحقتها واشرف وايضا فإن كلا من النبوة والولاية صادرة عن الله ومتعلقة بالله وكل من الرسالة والإمامة صادرة عن الله ومتعلقة لعباد الله فتكون الأوليان افضل وايضا كل من الرسالة والإمامة متعلق بمصلحة الوقت والنبوة والولاية لا تعلق لهما بوقت دون وقت وقيل بل الأخيرتان افضل لأن نفعهما متعد ونفع الأولتين مقصور على صاحبيهما وله وجه إلا أن التحقيق هو الأول وكيف ما كان فليس يجب أن يكون الولي اعظم من النبي ولا من الرسول ولا من الإمام ولا النبي اعظم من الرسول بل الأمر في الكل بالعكس كما في ولي

يتبع نبيا او رسولا او اماما او نبي يتبع رسولا لأن لكل من النبي والإمام مرتبتين وللرسول ثلاث مراتب وللولي الواحدة فمن قال أن الولي فوق النبي فانما يعني بذلك في شخص واحد يعني أن النبي من حيث انهُ ولي اشرف منه من حيث انه نبي ورسول وكذا الامام من حيث انه ولي اشرف منه من حيث انه امام وكيف يكون الولي افضل من النبي مطلقا ولا ولي الا وهو تابع للنبي او الإمام والتابع لا يدرك المتبوع ابدا فيما هو تابع له فيه اذ لو ادركه لم يكن تابعا نعم قد يكون ولي افضل من نبي اذا لم يكن تابعا له كما كان امير المؤمنين (ع) اعظم من جميع الأنبياء والاولياء بعد نبينا (ص) وكذا اولاده المعصومون

الفصل التاسع

قال بعض العلماء العارفين ما ملخصه أن اشرف معجزات الانبياء وأفضلها العلم والحكمة وهما للخواص وخوارق العادات للعوام والبله واما اهل التعصب والعناد منهم فلا ينفعهم الا السيف والى الثلاثة اشار الله سبحانه بقوله (ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) فأسرار الكتاب والميزان وهو البرهان العقلي بأقسامه للخواص الذين لهم قريحة نافذة وفطنة قوية وقد خلا باطنهم عن تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فإنهم يؤمنون بالنبي بميزان العلم والمعرفة والحكمة على قرب ولا يحتاجون إلى خوارق العادات واما الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق او كان لهم ذلك ولكن ليست لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم ايضا داعية إلى الجدل وتحذلق المتكالبين في الخوض في العلم مع قصور فهمهم عنه فإنهم يعالجون بالموعظة واظهار المعجزات ثم يحالون على ظواهر الكتاب ليس لهم التجاوز عنها إلى اسراره والحديد لأهل الجدل والشغب الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب مع عدم اهليتهم له ابتغاء الفتنة فإنه يتلطف بهم اولا ويجادل معهم بالتي هي احسن بأخذ الأصول المسلمة عندهم واستنساخ الحق منها بالميزان بالقسط فإن لم ينفعهم فالحديد الذي فيه بأس شديد وإلى الثلاثة ايضا الإشارة بقوله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) قيل وقد عامل نبينا (ص) الناس بما امر به وبما يليق بحالهم فقوم اخذهم بالرفق واللين لصفاء قلوبهم ورقة افئدتهم فانقادوا له عاجلا ودخلوا في شرعه سريعا والفريق الآخر اخذهم بالسنان والحسام

والشدة والقتال حتى ادخلهم في دينه قهرا وقادهم اليه قسرا ثم تألفهم بإحسانه واستمالهم بمواعظ لسانه حتى طابت له نفوسهم وانشرحت صدورهم وذلك معنى قوله (ص) عجبا من قوم يدخلون الجنة في السلاسل اي يدخلون في الإسلام الذي هو سبب دخولهم الجنة فجزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء بما بلغ عن ربه وصدع بأمره

الفصل العاشر

يجب الايمان بأن نبينا (ص) وآله المعصومين افضل من الانبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتظافر الأخبار بذلك وتواترها فيما هنالك قال (ص) انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال (ص) ايضا انا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع واول مشفع وقال (ص) انا اول الناس خروجا إذا بعثوا وانا خطيبهم إذا وفدوا وانا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على الله وخاتم النبيين وقال (ص) آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقال (ص) كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وقال (ص) انا أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا وقال (ص) نحن الآخرون السابقون وقال (ص) ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم

وفي البصائر عن عبد الله بن الوليد قال قال لي ابو جعفر (ع) ياعبد الله ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى فقلت جعلت فداك وعن اي حالات تسألني قال «ع» اسألك عن العلم قلت يقولون هما اعلم منه قال هو والله اعلم منهما ثم قال ياعبد الله اليس يقولون ان لعلي ما لرسول الله من العلم قلت نعم قال فخاصمهم فيه ان الله قال لموسى « وكتبنا له في الألواح من كل شيء » فاعلمنا انه لم يبين له الامر كله وقال الله تبارك وتعالى لمحمد (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) « وانزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شيء »

وعن الزياتي قال قال لي الصادق (ع) اي شيء تقول الشيعة في موسى وعيسى وأمير المؤمنين «ع» قلت يزعمون ان موسى وعيسى افضل من امير المؤمنين (ع) قال ايزعمون ان امير المؤمنين عليه السلام علم ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله قلت نعم ولكن لا يقدمون على اولي العزم من الرسل احدا قال ابو عبدالله عليه السلام فخاصمهم بكتاب الله قلت في اي

موضع منه قال قال الله تعالى لموسى « وكتبنا له في الألواح من كل شي » وقال الله لعيسى عليه السلام (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) وقال تعالى لمحمد (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)

وعن سلمان قال سمعت حبيبي المصطفى محمد (ص) يقول كنت انا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل مطيعا يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر الف عام فلما خلق الله تعالى آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء انا وجزء علي . اقول وحينئذ فهم (ع) من نور واحد فكلما ثبت في حقه ثبت في حقهم الا النبوة فإن ارواحهم ونورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض

وروى الصدوق في الإكمال باسناده عن الرضا (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) قال والله ما خلق الله خلقا افضل مني ولا اكرم عليه مني قال علي «ع» فقلت يا رسول الله فأنت افضل أم جبرائيل فقال يا علي ان الله تبارك وتعالى فضل انبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بربهم وبولايتنا يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض وكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم الى التوحيد ومعرفة ربنا عز وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله لأن اول ما خلق الله تعالى ارواحنا فانطقنا بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا ارواحنا نورا واحدا استعظموا امورنا فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون وانه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة ان لا إله الا الله وانا عبيد ولسنا بآله نحب ان نعبد معه اودونه فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا الله لتعلم الملائكة ان الله اكبر من ان ينال وانه عظيم المحل فلما شاهدوا ما جعله الله عز وجل لنا من العزة والقوة قلنا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لتعلم الملائكة ان لا حول ولا قوة الا بالله فقالت الملائكة لا حول ولا قوة الا بالله فلما شاهدوا ما انعم الله به علينا واوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله فبنا اهتدوا الى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ثم ان الله تعالى خلق آدم واودعنا صلبه وامر الملائكة بالسجود له

تعظيما لنا واكراما وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم اكراما وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم اجمعون وأنهُ لما عرج بي إلى السماء اذن جبرائيل مثنى مثنى واقام مثنى مثنى ثم قال لي يامحمد تقدم فقلت ياجبرائيل اتقدم عليك فقال نعم لأن الله تبارك وتعالى فضل انبياءه على ملائكته اجمعين وفضلك خاصة فتقدمت وصليت بهم ولا فخر فلما انتهينا إلى حجب النور قال لي جبرائيل تقدم يامحمد وتخلف عني فقلت ياجبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني فقال يامحمد إن هذا انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزتهُ احترقت اجنحتي لتعدي حدود ربي جل جلاله فزج بي في النور زجة حتى انتهيت الى حيث ما شاء الله عز وجل من علو ملكوته فنوديت يامحمد فقلت لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت فنوديت يامحمد انت عبدي وانا ربك فإياي فاعبد وعلي فتوكل فإنك نوري في عبادي ورسولي الى خلقي وحجتي في بريتي لمن تبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري ولاوصيائك اوجبت كرامتي ولشيعتهم اوجبت ثوابي فقلت ياربي ومن اوصيائي فنوديت يامحمد اوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وانا بين يدي ربي إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نورا في كل نور سطر اخضر مكتوب عليه اسم وصي من اوصيائي اولهم علي بن ابي طالب (ع) وآخرهم مهدي امتي فقلت ياربي اهؤلاء اوصيائي من بعدي فنوديت يامحمد هؤلاء اوليائي واحبائي واصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم اوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك وعزتي وجلالي لاظهرن بهم ديني ولأعلين بهم كلمتي ولاطهرن الارض بآخرهم من اعدائي ولاملكنه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخرن له الرياح ولأذللن له الرقاب الصعاب ولارقينه للاسباب ولانصرنه بجندي ولازيدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي ثم لأديمن ملكه ولاداولن الأيام بين اوليائي إلى يوم القيامة والاحاديث في ذلك كثيرة

﴿ المبحث الثاني في النبوة ﴾

وفيه فصول

الفصل الاول

لا اعلم خلافا فيمن ذكر عدد الأنبياء أن عددهم مائة الف واربعة وعشرون الف نبي

ولكن قد خفيت علينا اكثر اسمائهم ولم نحط بجمل احوالهم

قال الصدوق (ره) في اعتقاداته اعتقاداتنا في عدد الانبياء انهم مائة الف نبي واربعة وعشرون الف نبي ومائة الف وصي واربعة وعشرون الف وصي لكل نبي منهم وصي اوصى اليه بأمر الله تعالى ونعتقد فيهم انهم جاءوا بالحق من عند الحق وان قولهم قول الله تعالى وامرهم امر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وانهم لم ينطقوا إلا عن الله عن وحيه وأن سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحى وهم اصحاب الشرائع من اتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) وهم اولو العزم وأن محمدا سيدهم وافضلهم جاء بالحق وصدق المرسلين انتهى

وفي الخصال والامالي مسندا عن الرضا (ع) عن آبائهِ قال قال النبي (ص) خلق الله عز وجل مائة الف نبي واربعة وعشرين الف نبي انا اكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة الف وصي واربعة وعشرين الف وصي فعلي اكرمهم على الله وافضلهم

وفي الخصال ومعاني الأخبار مسندا عن ابي ذر (رض) قال قلت يارسول الله (ص) كم النبيون قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبي قلت كم المرسلون منهم قال ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا قلت من كان أول الانبياء قال آدم قلت وكان من الانبياء مرسلا قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم قال يا ابا ذر اربعة من الانبياء سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد (ص) واول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وستمائة نبي قلت يارسول الله كم انزل الله تعالى من كتاب قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث

وروى الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال كان ما بين آدم وما بين نوح من الانبياء مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الانبياء وهو قوله (ورسلا لم نقصصهم عليك)

اقول والانبياء فيهم من جمع النبوة والرسالة والإمامة كنبينا (ص) كما قال الله تعالى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وكموسى على نبينا وعليه السلام كما قال الله تعالى في حقه

(وكان رسولا نبيا) وكإبراهيم عليه السلام قال الله فيه « اني جاعلك للناس إماما » وقد ورد في القرآن ذكر الأكابر الاشراف المشاهير من الأنبياء ، قال الله تعالى « إنا أوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والنبيين من بعده واوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا » « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » وقال تعالى « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم » « ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين » وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » « ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانو يعملون » « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين » « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ولكل من هؤلاء الأنبياء آيات ظاهرات ومعجزات باهرات تناسبه وتناسب اهل زمانه تدل على صدقه وحكايته ومن الناس من آمن به ومنهم من صد عنه كما ذكر الله تعالى جملة من احوالهم وذكرنا جملة نافعة منها في كتابنا قصص الانبياء

وروى الصدوق في الإكمال والفقيه باسناده عن الصادق (ع) قال قال رسول الله (ص) انا سيد النبيين ووصيي سيد الوصيين واوصياؤه سادات الاوصياء ان آدم (ع) سأل الله عز وجل ان يجعل له وصيا صالحا فأوحى الله عز وجل اليه اني اكرمت الأنبياء بالنبوة ثم اخترت خلقا وجعلت خيارهم الاوصياء فقال آدم يارب فاجعل وصيي خير الأوصياء فاوحى الله عز وجل اليه ياآدم اوصِ الى شيث وهو هبة الله ابن آدم فأوصى إلى شيث واوصى شيث إلى ابنهِ شبان وهو ابن نزله الحوراء التي انزلها الله عز وجل الى آدم من الجنة فزوجها شيث واوصى شبان إلى ابنه محليث واوصى محليث إلى محرق واوصى محرق الى عثميشا واوصى عثميشا إلى اخنوخ وهو ادريس النبي واوصى ادريس الى ناخور ودفعها ناخور الى نوح واوصى نوح الى سام واوصى سام الى عثامر واوصى عثامر الى برعيثاشا واوصى برعيثاشا الى يافث

واوصى يافث الى برّه واوصى برّه الى خفيسه واوصى خفيسه الى عمران ودفعها عمران الى ابراهيم الخليل واوصى ابراهيم إلى ابنه اسماعيل واوصى اسماعيل إلى اسحاق واوصى اسحاق الى يعقوب واوصى يعقوب الى يوسف واوصى يوسف الى ثبريا واوصى ثبريا الى شعيب واوصى شعيب الى موسى بن عمران واوصى موسى الى يوشع بن نون واوصى يوشع بن نون الى داود واوصى داود الى سليمان واوصى سليمان الى آصف بن برخيا واوصى آصف الى زكريا ودفعها زكريا الى عيسى واوصى عيسى الى شمعون بن حمون الصفا واوصى شمعون الى يحيى بن زكريا واوصى يحيى بن زكريا الى منذر واوصى منذر الى سليمه واوصى سليمه الى برده ثم قال رسول الله «ص» ودفعها الي برده وانا ادفعها اليك ياعلي وانت تدفعها الى وصيك ويدفعها وصيك الى اوصيائك من ولدك واحدا بعد واحد حتى تدفع إلى خير اهل الارض بعدك ولتكفرن بك الامة ولتختلفن عليك اختلافا شديدا الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار والنار مثوى للكافرين

الفصل الثاني

لا خلاف بين اصحابنا في كون اولي العزم من الانبياء خمسة نوح «ع» وابراهيم «ع» وموسى «ع» وعيسى «ع» ومحمد «ص» وبذلك تظافرت الأخبار عن الأئمة الاطهار ورواه مخالفونا عن ابن عباس وقتاده وقال بعضهم انهم ستة نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وقيل هم الذين امروا بالجهاد والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين وقيل هم اربعة ابراهيم ونوح وهود ومحمد «ص» ولا عبرة بهذه الأقوال بعد ورود النصوص عن اهل البيت عليهم السلام الذين هم ادرى بما في البيت

واما الاسباب في تسمية هؤلاء الانبياء بأولي العزم (فيحتمل ان ذلك لكونهم اصحاب عزائم وشرائع دون غيرهم من الانبياء (ويحتمل) أن يكون ذلك لشدة عزمهم على الاقرار بالله تعالى وانبيائه والصبر على ما اصابهم (ويحتمل) ان يكون ذلك لأن طاعتهم عزم وحتم على جميع من سواهم بخلاف غيرهم من الانبياء فإن منهم من كان نبيا على نفسه ومنهم من لم تكن رسالته عامة

وفي الكافي عن سماعه عن الصادق (ع) في قوله تعالى (فاصبر كما صبر اولو العزم من

الرسل) فقال نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد قلت كيف صاروا اولي العزم فقال لأن نوحا بعث بكتاب وشريعة وكل من جاء بعد نوح اخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء ابراهيم بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرانه فكل نبي جاء بعد ابراهيم اخذ بشريعة ابراهيم ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وبشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف وكل نبي جاء بعد موسى اخذ بتوراته وبشريعته ومنهاجه حتى جاء عيسى بالانجيل وكل نبي جاء بعد عيسى اخذ بإنجيله وبشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد «ص» فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فهؤلاء اولو العزم من الرسل

وروي فيه وفي العلل عن الباقر «ع» قال انما سموا اولي العزم لانه عهد اليهم في محمد والاوصياء من بعده والمهدي وسيرته فاجمع عزمهم ان ذلك كذلك والاقرار به

وفي كامل الزيارة عن السجاد «ع» والصادق «ع» في حديث سئل فيه عن معنى اولي العزم قال بعثوا الى شرق الأرض وغربها جنها وانسها

وفي تفسير القمي «ره» في قوله تعالى اصبر كما صبر اولو العزم الآية قال ومعنى اولو العزم انهم سبقوا الانبياء الى الاقرار بالله واقروا بكل نبي كان قبلهم و بعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى

الفصل الثالث

في اثبات نبوة نبينا محمد (ص) واوصافه واخلاقه وفضائله ومعجزاته وكراماته ونعوته ومحاسن آثاره وفيه مقامات

المقام الاول

نبي هذه الامة محمد (ص) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والمشهور ان عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل بن تارخ بن ناخور بن شروع بن ارغو بن قالع بن عابر بن شالح بن ارفحشد بن سام بن نوح بن مالك بن متوشلح بن اخنوخ بن البارز بن مهلائيل بن قنيان بن انوش بن شيث بن آدم (ع)

وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف الى آخر ما تقدم

والدليل على نبوته انه ادعى النبوة واظهر المعجز الخارق للعادة المطابق للدعوى وكل من كان كذلك فهو نبي لما تقدم (اما) المقدمة الأولى وهو انه ادعى النبوة فما لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه اذ لا يشك احد ولا يخالف في ان رجلا اسمه محمد بن عبد الله المعروف ظهر بمكة وادعى النبوة «واما» المقدمة الثانية وهو انه اظهر المعجز الخارق للعادة كذلك فهو متواتر لا يشك فيه من سلك سبيل الانصاف وتجنب طريق التعسف والاعتساف حتى انه ضبط له «ص» الف معجزة ولقد كانت اقواله وافعاله واحواله كلها معجزات باهرات وآيات واضحات تدل على صدقه وحقيته ونبوته ورسالته وكفى بكتاب الله «تعالى» معجزا عظيما وبرهانا جسيما باقيا مدى الدهر بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية كذلك سواه (ص) فقد تحدى به بلغاء العرب وفصحاءهم وجزائر العرب يومئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة دأبهم وصنعتهم وبها مباهاتهم ومنافستهم وكانوا يأتون بالاشعار البليغة الفصيحة والكلمات المليحة ويعلقونها على الكعبة ويفتخرون بها فلما جاء القرآن الكريم والفرقان العظيم بهتوا وعجزوا وكان ينادي بين اظهرهم كرة بعد اخرى ومرة غب اولى ان يأتوا بعشر سور مثله او بسورة من مثله فعجزوا واعترفوا بالعجز والقصور عن هذه الدرجة العلية والمراتب السنية وقال لهم معلنا «لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» قال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك واعترفوا بالقصور عما هنالك حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي واختاروا المحاربة بالألسنة والسيوف على المعارضة بالكلمات والحروف وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه وكان ذلك عندهم من اهم الاشياء ثم انه لم يزل «ص» يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستفتح ارضهم وبلادهم وديارهم ويصول عليهم بالقرآن الكريم وهم في كل هذا نكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته معترفون بالعجز عن مقابلته يخادعون انفسهم بالتكذيب والافتراء والاستهزاء ويقولون «ان هذا سحر يؤثر» «وسحر مستمر» «وافك افتراه» «واساطير الأولين والمباهاة والرضا بالرذالة والاعتراف بالعمى في البصيرة كقولهم (قلوبنا غلف) (وفي اكنة مما تدعوننا اليه) (وفي آذاننا وقر) «ومن بيننا وبينك حجاب» «ولا تسمعوا لهذا القرآن» والادعاء مع العجز كقولهم «لو نشاء

لقلنا مثل هذا » وقد قال الله لهم ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا بل ولوا عنه مدبرين وكانوا بالعجز مذعنين بين مهتد ومفتون ومعترف بالعجز ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي (ص) ان الله تعالى يأمر بالعدل والاحسان قال والله ان له لحلاوه وان عليه لطلاوه وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر

وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال قاتلك الله ما افصحك فقالت او بعد هذا فصاحة بعد قوله (واوحينا إلى ام موسى ان ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فجمع في آية بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وإذا تأمل متأمل في قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب) (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت) (وادفع بالتي هي احسن) (وقيل يا ارض ابلعي ماءك) (فكلا اخذنا بذنبه) إلى آخر هذه الآيات تحقق له ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عباراتها وان تحت كل لفظة منها جملة كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها

(وصل) قد وقع الخلاف بين العلماء في ان وجه اعجاز القرآن هل هو لأجل كونه في اعلى مراتب الفصاحة ومنتهى مرتبة البلاغة بحيث لا يمكن الوصول اليه ولا يتصور الإتيان بمثله (أو من جهة) أن الله تعالى صرف قلوب الخلائق عن الاتيان بمثله وإن كان ممكنا وبالثاني قال السيد المرتضى (ره) والأكثر على الأول والحق ان اعجاز القرآن لوجوه عديدة نذكر جملة منها

(احدها) انه مع كونه مركبا من الحروف الهجائية المفردة التي يقدر على تأليفها كل احد يعجز الخلق عن تركيب مثله بهذا التركيب العجيب والنمط الغريب كما في تفسير العسكري (ع) في الم قال (ع) معناه ان هذا الكتاب الذي انزلته هو الحروف المقطعة التي منها الف لام ميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين

(ثانيها) من حيث امتيازه عن غيره مع اتحاد اللغة فإن كل كلام وإن كان في منتهى الفصاحة وغاية البلاغة إذا زين ورصع بجواهر الآيات القرآنية وجدت له امتيازا تاما وفرقا واضحا يشعر به كل ذي شعور ونقل انه كان في الأيام السالفة كل من انشأ كلاما اوشعرا في غاية الفصاحة والبلاغة علقه في الكعبة المعظمة للافتخار والقصائد المعلقات السبع مشهورة

فإذا انشأ ما هو ابلغ منه رفعوا الاول وعلقوا الثاني فلما نزل قوله تعالى (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) رفعوا المعلقات من الكعبة واخفوها خوفا من الفضيحة

(ثالثها) من جهة غرابة الاسلوب واعجوب النظم فإن من تتبع كتب الفصحاء واشعار البلغاء وكلمات الحكماء لا يجدها شبيهة بهذا النظم العجيب والاسلوب الغريب والملاحة والفصاحة ويكفيك نسبة الكفار له الى السحر لأخذه بمجامع القلوب

(رابعها) من حيث عدم الاختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فلا تجد فيه مع هذا الطول كلمة خالية من الفصاحة خارجة عن نظمه واسلوبه وافصح الفصحاء اذا تكلم بكلام طويل تجد في كلامه او اشعاره غاية الاختلاف في الجودة والرداءة وايضا لا اختلاف في معانيه ولا تناقض في مبانيه ولو كان مجعولا مفتريا كما زعم الكفار لكثر فيه التناقض والتضاد فإن الكاذب لا حفظ له وفي المثل الفارسي دروغ كو حافظه ندارد

(خامسها) من حيث اشتماله على كمال معرفة الله وذاته وصفاته واسمائه مما تحير فيه عقول الحكماء والمتكلمين وتذهل عنه الباب الاشراقيين والمشائين في مدة مديدة من الاعوام والسنين

(سادسها) من حيث اشتماله على الآداب الكريمة والشرائع القويمة والطريقة المستقيمة ونظام العباد والبلاد والمعاش والمعاد ورفع النزاع والفساد في المعاملات والمناكحات والمعاشرات والحدود والاحكام والحلال والحرام مما تتحير فيه عقول الانام وتذعن له اولو العقول والافهام ولو اجتمع جميع العقلاء والحكماء والعرفاء وبذلوا كمال جهدهم وسعوا غاية سعيهم في بناء قاعدة لنظام العالم والعباد مثل ما ذكر لعجزوا

(سابعها) من حيث اشتماله على الإخبار بخفايا القصص الماضية والقرون الخالية مما لم يعلمه احد الاخواص احبارهم ورهبانهم الذين لم يكن النبي (ص) معاشرا لاحد منهم كقصة اهل الكهف وشأن موسى والخضر وقصة ذي القرنين وقصة يوسف ونحوها

(ثامنها) من حيث اشتماله على الإخبار بالضمائر والغيوب مما لا يطلع عليه الا علام الغيوب كإخباره تعالى بأحوال الكفار والمنافقين وما يضمرونهُ في قلوبهم ويخفونهُ في نفوسهم وكان (ص) يخبرهم بذلك فيعتذرون

(تاسعها) من حيث اشتماله على الإخبار بالامور المستقبلة والاحوال الآتية كما هي كقوله

تعالى في اليهود (ضربت عليهم الذلة) فلم يحكم منهم سلطان في جميع الاطراف وكالإخبار بعدم الاتيان بمثل القرآن كقوله تعالى (لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) وكالاخبار بعدم تمني اليهود الموت في قوله تعالى (قل ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونهُ ابدا) وكالاخبار بعدم ايمان ابي لهب (لعه) وجماعة وبدخول مكة للعمرة والرجوع اليها وبعصمة الرسول من شر الناس بقوله « والله يعصمك من الناس » وبغلبة الروم ونحو ذلك

(عاشرها) من حيث اشتماله على الحكم القويمة والمواعظ المستقيمة كقوله تعالى وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » « وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا » « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا » « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » «واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا » « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » «ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة» وكقوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم به»

(حادي عشرها) من حيث خواص سوره وآياته وكلماته فإن فيها شفاء للارواح والاجسام ودفعا للوسواس والتسويلات والاسقام واستعانة على الشيطان ودفعا لشر العدوان تلاوة وكتابة وحملا وتعليقا كما هو مذكور في مظانه

(ثاني عشرها) من حيث انه لا يخلق على طول الازمان ولا يمل منه بل كلما تلوته ونظرته وجدته طريا وهذه الخاصية لا توجد في غيره ولنذكر جملة من الآيات والروايات الدالة على فضله قال الله تعالى « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»

وقال تعالى « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» وقال تعالى«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » والآيات في ذلك كثيره

وفي تفسير العياشي عن النبي صلى الله عليه وآله قال اتاني جبرائيل فقال يامحمد ستكون في امتك فتنة قلت فما المخرج منها فقال كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله ومن التمس الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم لاتزيغه الاهوية ولا تلبسه الألسنة ولا يخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء هو الذي لم تلبث الجن اذا سمعته ان قالوا (انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد الحديث)

وفي رواية اخرى قال صلى الله عليه وآله القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد من القرآن الا الى النار

وفي نهج البلاغة قال امير المؤمنين(ع) في خطبة له ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفى مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحراً لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم نوره وفرقانا لا يخمد برهانه وبنيانا لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزا لا يهزم انصاره وحقا لا يخذل اعوانه فهو معدن الإيمان وبحبوحته وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافي الإسلام وتبيانه وأودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون واعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا ممرعا لقلوب الفقهاء ومحاجا لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده دواء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن إئتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجنة لمن استلأم وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى

وفي خطبة الانسية الحوراء فاطمة الزهراء (ع) كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع بينة بصائره منكشفة سرائره متجلية ظواهره مغتبط به اشياعه قائد

الى الرضوان اتباعه مؤد الى النجاة استماعه به تنال حجج الله المنوره وعزائمه المفسرة ومحارمه المحددة وبيناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة وشرايعه المكتوبة الى ان قالت (ع) و كتاب الله بين اظهر كم اموره ظاهرة واحكامه زاهرة واعلامه باهرة وزواجره لائحة واموره واضحة

﴿ فصل ﴾ لقد احاد القائل ان من معجزات نبينا الظاهرة المتكررة وبيناته الباهرة المتجددة اوصياؤه المعصومون وعترته الطاهرون وظهورهم واحدا بعد واحد من ذريته في كل حين الى يوم الدين فإن كلا منهم (ع) حجة قائمة على صدقه وآية بينة على حقيته (ص) كما يظهر من التتبع لاحوالهم وملاحظة آثارهم والاطلاع على فضائلهم ومناقبهم والآيات الصادرة منهم والكرامات الظاهرة على ايديهم بسبب متابعتهم اياه واقتدائهم بهديه وهداه لأن بهم تقضى حوائج العباد وببركتهم يدفع الله انواع البلاء عن البلاد وبدعائهم تنزل الرحمة وبوجودهم تصرف النقمة الى غير ذلك من بركات خيراتهم فكما ان القرآن معجزة لنبينا (ع) باقية الى يوم الدين يظهر منه صدقه وحقيته شيئا فشيئا ويوما فيوما لمن تأمله من اولي النهى فكذلك كل من عترته المعصومين معجزة له باقية النوع الى يوم الدين دالة على حقيقته لمن عرفهم بالولاية والحجية من الشيعة اولي الالباب ولهذا قال عليه السلام اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

المقام الثاني

في سائر معجزاته وهي اكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى بل جميع اقواله وافعاله واحواله واخلاقه وعاداته وسجاياه ونعوته وأوصافه معجزات باهرة وآيات ظاهرة تدل على رسالته ونبوته وصدقه وحقيته ولقد أحسن وأجاد من قال ونعم ما قال حيث قال ان من شاهد احوال نبينا وأصغى الى سماع اخباره الدالة على اخلاقه وافعاله واحواله وآدابه وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه اصناف الخلق وقوده إياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل دقائقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية وان ذلك كله

لا يتصور الكذاب ولا الملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة مصدقة حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف بمن يشاهد اخلاقه ويمارسه في جميع مصادره وموارده وقد أتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب العلم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيها كفاية فكيف وقد ظهر من معجزاته وآياته ما لا يستريب فيه محصل وقد خرق الله العادة على يده «ص» غير مرة إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق مرة أطعم ثمانين رجلا من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز دون العتود ومرة اكثر من ثمانين من اقراص شعير حملها أنس في يده ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يديها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاشى وتوضأ من قدح صغير ضاق أن يبسط فيه يده واهراق وضوئه في عين تبوك ولا ماء فيها فجرت بماء كثير ومرة أخرى في البئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم الوف حتى رووا وقال لمعاذ ان طالت بك الحياة فسترى ما ههنا قد ملأ خيامها فكان كذلك وشرب من بئر حديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وأمر بعض اصحابه أن يزودوا اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونه ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وأبطل الكهانة ببعثه (ص) فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب مستنداً اليه لما عمل له المنبر حتى سمعه جميع اصحابه مثل صوت الإبل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بأنهُ لا يتمنونهُ فحيل بينهم وبين النطق بذلك فعجزوا عنهُ وهذه الآية مذكورة في سورة يقرأ بها في جميع جوامع أهل الإسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهراً تعظيما للآية التي فيها واخبر (ص) بالغيوب واخبر عمارا بأنه ستقتله الفئة الباغية وان الحسن (ع)

يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين واخبر عن رجل قاتل في سبيل الله تعالى انه من أهل النار فظهر ذلك ان قتل ذلك الرجل نفسه وهذه اشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة لا بنجوم ولا بكهن ولا بكتب ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله ووحيهِ اليهِ واتبعهُ سراقة بن جشعم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثهُ فدعا له فانطلقت الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيهِ سواري كسرى فكان كذلك واخبر بموت النجاشي بأرض الحبشة وصلى عليهِ بالمدينة واخبر بمقتل الاسود العبسي الكذاب ليلة قتلهِ وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتلهُ وحرج على مائة من قريش ينتظرونهُ فوضع التراب على روسهم ولم يروه وشكا اليهِ البعير بحضرة اصحابهِ وتذلل له وقال لنفر من اصحابهِ مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتدّ واحد منهم فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا ودعا (ص) النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبر انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس فارسا العرب وفاتكاه عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدّة وهلك اربد بصاعقة احرقتهُ واخبر انهُ يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفا فكانت منيته واطعم (ص) السم فمات الذي أكل معه وعاش هو بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وأنذر (ص) بأن طوائف من أمتهِ يغزون في البحر فكانت كذلك وزويت له الارض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمتهِ سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك كما أخبر فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى آخر بلاد الغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسموا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر سواء بسواء وأخبر ابنته فاطمة انها أول أهلهِ لحاقا بهِ فكان كذلك واخبر نساءه بأن اطولهن يداً اسرعهن لحاقا بهِ فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن يدا بالصدقة وأولهن لحوقا بهِ ومسح (ص) ضرع شاة حائل لا ابن فيها فدرّت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة أخرى في خيمتي أم معبد الخزاعية وبدرت عين بعض اصحابهِ فسقطت فردها بيده فكانت أصح عينيهِ وأحسنهما وتفل في عين علي وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثهُ بالراية واخبر انهُ سيظفر فكان

ذلك وكانوا يسمعون تسبيح الطعام في يديه وأصيبت عين رجل من اصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها وقلّ زاد جيش كان معهُ فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك وحكى الحكم بن ابي العاص مشيه مستهزئاً فقال (ص) كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب (ص) امرأة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال (ص) فلتكن كذلك فبرصت

اقول وقد كان في بدنهِ الشريف معجزات باهرات فكان جبينه الشريف يضيء كالقمر المنير وإذا رفع يديهِ في بعض الاحيان اضاءت اصابعه الشريفة كالشموع وكان (ص) اذا مر بطريق عبقه من طيب بدنهِ وكان عرقه الشريف اطيب عطر وأتي (ص) بدلو فيهِ ماء فاخذ كفا من الماء وتمضمض به وصبه بالدلو فصار ذلك الماء اطيب من المسك وكان (ص) إذا قام في الأرض المشرقة من الشمس او القمر لم يظهر له فيها ظل وهذا يدل على ما اشرنا اليه من ان له جهتي روحانية وجسمانية وكان (ص) مع كونهِ مربوع القامة لم يظهر لأحد علو قامة عليهِ إذا مشى معهُ وكانت الطيور لا تعلوه ولا تطير على رأسهِ ولا يطير على بدنهِ المبارك الذباب والبق ولم يكن النوم يعطل حواسه وكان نومهُ ويقظته سيان ولا يشم الروائح المنتنة ويفهم جميع اللغات ويتكلم بها وكان خاتم النبوة منقوشا على كتفه الشريف يزيد نوره على نور الشمس وظهرت في لحيته الشريفة سبعة عشر شعرة بيضاء تلمع كالشمس وولد (ص) مختونا مقطوع السرة طاهرا من الدم وسائر القذرات ساقطا على رجليه ساجدا إلى الكعبة رافعا يديه ورأسه إلى السماء شاهدا بتوحيد الله وبنبوة نفسه اضاء من نوره المشرق والمغرب ولم يحتلم قط ولم ير احد بوله ولا غائطه قط ورائحتهما كالمسك وكانت الارض مأمورة بابتلاعهما ولم يكن حد يعادله في القوة قط وإذا مشى على الارض الرخوة لم يؤثر فيها قدمهُ وإذا مشى على الارض الصلبة اثر فيها قدمهُ وبقي عليها وكان له مهابة في القلوب مع حسن اخلاقه وبشاشته وتواضعه بحيث لم يقدر احد على التمكن من امعان النظر في وجهه ولم ينظر اليه كافر او منافق الا ارتعش من الخوف ومن خوارق العادات المتعلقة بولادته انه منعت الشياطين ليلة ميلاده من الصعود إلى السماء وكثرت الشهب في السماء حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وبطل عمل الكهانة وسحر السحرة وانكب كل صنم في العالم على وجهه وانفطر سقف ايوان كسرى مع نهاية استحكامه واثره باق إلى اليوم لم يختل منه غير ذلك وجف بحر ساوه وهو قريب

من بلاد كاشان كان يُعبد فصار مملحه وخمدت نار فارس ولم تنطف منذ قريب الف سنة وجرى الماء في نهر السماوه وكان يابسا منذ اعوام كثيرة وظهر نور ساطع من طرف الحجاز وانتشر في العالم ونكس سرير كل سلطان وخرس السلاطين في ذلك اليوم ولم يقدروا على الكلام وحضر ولادته الملائكة المقربون والانبياء والمرسلون ورضوان مع الحور العين باكواب واباريق من الذهب والفضة والزمرد من الجنة غسل به وطيّب بطيب الجنة ولف في حرير الجنة وعرض على جميع الروحانيين والملائكة فسلموا عليه ثم لم تزل كراماته ومعاجزه تنمو وتزيد كما ينمو بدنه الشريف ومن جملة معاجزه اخباره (ص) بشهادة امير المؤمنين (ع) وأنه يضرب على رأسه في شهر رمضان فتخضب لحيته الشريفة بدم رأسه وبشهادة سبطيه ونوري عينيه الحسن والحسين (ع) وأن احدهما يقتل بالسم والآخر شهيد مضرج بالدم ويقتل بارض كربلا بعد شهادة اصحابه وحيدا غريبا وأنه يدفن بضعة منه بطوس وهو مولانا الرضا (ع) واخباره (ص) بأن الائمة بعده اثنا عشر وتسميتهم باسمائهم وبأن امير المؤمنين (ع) يقاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين وأن بعض ازواجه تبغي عليه وتقاتله وهي ظالمة له وانه تنبحها كلاب الحوئب واخباره (ص) بجميع الفتن التي وقعت بعده وان ابا ذر يموت وحيدا غريبا وبأن آخر رزق عمار من الدنيا صاع من لبن إلى غير ذلك من الخصوصيات كاخباره (ص) بملك بني امية وملك بني العباس وكيفية شهادة كل واحد من اولاده الطاهرين وبقاء ملك النصارى واخباره بشهادة جعفر الطيار وزيد وعبد الله بن رواحه حين استشهدوا في غزوة موته وبقتل حبيب بن عدي في مكه وبالمال الذي اخفاه عمه العباس في مكه ومن جملة معاجزه (ص) اطاعة الشمس له في التوقف عن الغروب مرة وفي الطلوع بعد الغروب اخرى واطاعة الشجرة له بالاتيان حتى انقلعت من مكانها وخدت الارض جارة عروقها مغبرة فوقفت بين يديه وسلمت عليه ثم رجعت بأمره إلى مكانها كما هو مذكور في نهج البلاغة وتسليم الاحجار عليه وتظليل الغمامة على رأسه دون القوم في طريق الشام وتظليل الملكين عليه حين رأته خديجة ونساؤها وعبدها ميسره وتسبيح الحصا في كفه المبارك وظهور البركات والآيات في بني سعد بإرضاع حليمة السعدية اياه ونبات الشعر من رؤوس الأقرعين من الصبيان بإمرار يده الشريفة عليها وانفجار البئر التي شكا اهلها ملوحتها بالماء الزلال وكانت غائرة واعطائه رجلا عرجونا في ليلة مظلمة فأضاء له واعطاء آخر قطعة من جريد النخل خضراء حين اشتكى

انقطاع سيفه فصارت سيفا في يده والقاء بصاقه على كف ابن عفر المقطوعة فالصقت من ساعته ودعاؤه آية للدوسي ليدعو قومه إلى الاسلام فوقع بين عينيه مثل المصباح ثم حول ذلك إلى رأس سوطه لما خاف أن يظنوا به المثله وعصمه الله ممن كان يؤذيه من المستهزئين ورد كيدهم عليهم وحيلولة جبرائيل بينه وبين ابي جهل (لعه) في صورة فحل اواسد قدر الفحل من الإبل حين اراد القاء الصخرة عليه في سجوده وخلق الله عز وجل شجرة من فم الغار الذي اختفى فيه والهامه تعالى حمامتين وحشيتين فعشعشتا وباضتا عنده وتسخيره تعالى العنكبوت لينسج نسجا عظيما لا يمكن مثله إلا في سنين عديدة ليرجع عنه المشركون الذين كانوا في طلبه إلى غير ذلك من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات والدلائل الواضحات والبراهين الساطعات مما يحتاج شرحها وبيان تفاصيلها إلى كتاب كبير الحجم

المقام الثالث

في بيان جملة من اخلاقه ونعوته وصفاته قال الله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) قال بعض العلماء كان نبينا (ص) كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاءه وانزل عليه القرآن وادّبه فكان خلقه القرآن وادبه بمثل قوله عز وجل (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) (واصبر على ما اصابك واعف عنهم واصفح) (ادفع بالتي هي احسن السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ثم لما اكمل الله خلقه وخلقه اثنى عليه فقال (وانك لعلى خلق عظيم) فانظر إلى عميم فضل الله كيف اعطى ثم اثنى ثم بين رسول الله (ص) للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض مساويها وقال (ص) بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغّب الخلق في ذلك اشد ترغيب وكان (ص) احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه ويجيئه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرء منه وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن ويكافي عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الأمة والمسكين يغضب

لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى انسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال إنا لا نستنصر بمشرك وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال لا يأكل متكأ ولا على خوان يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشيع الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امر الدنيا ويلبس ما وجد من المباح وخاتمه فضه يلبسه في خنصره الأيمن وربما يلبس في الايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوه يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول إلا حقا ويضحك من غير قهقهه يرى اللعب المباح فلا ينكره وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل الله أو في ما لا بد له من صلاح نفسه يخرج إلى بساتين اصحابه لا يحقر مسكين الفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وقد نشأ في بلاد الجهل والصحاري في قفر وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن قام معه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسلها حتى يكون يرسلها الآخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأ بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكها ثم شد قبضة عليها وكان لا يقوم ولا يقعد الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوه ولم يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث ما انتهى به المجلس جلس وهأ روئي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على اصحابه إلا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي

تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه احد إلا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جاس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما واستمالة لقلوبهم ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا النساء اللات لهن اولاد واللات لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا وأسرعهم رضاء وكان ارق الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا آله إلا انت استغفرك واتوب اليك ويقول علمنيهن جبرائيل وكان افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبرائيل وكان مع الايجاز يجمع كلما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول في المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنه في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما حدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما يضحك حتى تبدو نواجذه وكان لا يدعوه احد من اصحابه الا قال لبيك وكانوا لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم واوتي برجل فأرعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك إنما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كأنه احدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وكان يقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وكان (ص) اخشى الناس لربه واتقاهم له واعلمهم به واقواهم في طاعته واصبرهم على عبادته واكثرهم حبا لمولاه وازهدهم فيما سواه وكان يقوم في صلاته حتى تتشقق بطون اقدامه من طول قنوته وقيامه ويسمع على الارض لوكف دموعه صوتا كصوت المطر من كثرة خضوعه وكانت

اوقاته لا تخلو من الصيام وربما يواصل الليالي بالايام وصام حتى قيل انهُ ما يفطر ثم انهُ افطر حتى قيل ما يصوم ثم انهُ كان يصوم الثلاثة الأيام في الشهر وعليه قيض وكان إذا قام إلى الصلاة يسمع من صدره ازيز كأزيز المرجل اي صوت كصوت القدر حين غليانه

وعن امير المؤمنين (ع) انهُ كان إذا وصف النبي قال كان (ص) اجود الناس واجزء الناس صدرا واصدقهم لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابهُ ومن خالطهُ معرفة احبه يقول ناعته فلم ار قبله ولا بعده مثله وما سئل شيئا قط على الاسلام إلا اعطاه وأن رجلا اتاه وسأله فاعطاه غنما سدت بين جبلين فرجع إلى قومهِ فقال اسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا

وعنهُ (ع) لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا إلى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال (ع) كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليهِ وآله فما يكون احد اقرب إلى العدو منه

المقام الرابع

في خصائصهِ التي خص بها عن امته وهي كثيرة وفيها خلاف مشهور بين الفقهاء فكان التهجد والوتر والاضحيه واجبة عليه وقيل كان السوءال والمشاورة مع اصحابه واجبين عليه ايضا كما قال تعالى (وشاورهم في الأمر) وكان يجب عليه انكار كل منكر ويجوز له تخيير نسائهِ كما ذكر في سورة الطلاق وتحرم عليه وعلى ذريته الزكاة الواجبة وفي الزكاة والصدقة المندوبتين خلاف وكان يجب عليه قضاء دين كل من يموت فقيرا ولم يأكل متكأ على جنبه وقيل بتحريمه عليه وكان يجوز له صوم الوصال وهو وصل صيام يومين من غير افطار بينهما او جعل افطار بينهما او جعل افطار اليوم سحور الثاني ويحل له ان يتزوج اكثر من اربع بالدوام وتحل الإمرأة التي تهب له نفسها ويحرم على غيره تزويج نسائه في حال حياته ومماته دخل بهن ام لا ويحرم نداوءه باسمهِ ولم يناده الله باسمه في القرآن تعظيما له بل قال يا ايها النبي ويا ايها المزمل يا ايها المدثر ايها الرسول طه ياسين ونحو ذلك ومع ذلك قال له من قال ان الرجل ليهجر وكان يحرم على الناس ان يرفعوا اصواتهم فوق صوتهِ ويحرم نداوءه من وراء الحجرات وقيل كان يحرم عليه اكل الثوم والبصل والكتابة وانشاد الشعر ولم يثبت وقسم بعضهم خصائصهِ إلى (واجبات) كالتهجد وقضاء دين الميت الفقير (ومحرمات)

كأكل الصدقة ونكاح الامة وخائنة الاعين (ومباحات) كالزيادة على اربع زوجات دواما ووصال صوم الايام بالليالي والشهادة والحكم لنفسه (وإلى ما يرجع) إلى مجرد تشريفه وعلو شأنه ورفعة مكانه كسيادة ولد آدم وكون امته خير الامم ورؤية ما وراء ظهره وعدم وقوع ظله على الارض وابتلاع الارض برازه ونحو ذلك

المقام الخامس

في معراجه (ص) قال الله سبحانه (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا) وهو في الجملة من ضروريات الدين ومنكره خارج عن ربقة المسلمين ولذا قال الصادق (ع) ليس منا من انكر اربعة المعراج وسؤال القبر وخلق الجنة والنار والشفاعة وقال الرضا(ع) من لم يؤمن بالمعراج فقد كذب رسول الله(ص) والذي عليه الإمامية انه كان ببدنه الشريف لا بالروح فقط وفي اليقظة لا في المنام والى السماء لا الى المسجد الاقصى فقط والاخبار الواردة بذلك عن العترة الطاهرة متكاثرة متظافرة مذكورة في مظانها

وروى علي بن ابراهيم القمي في تفسيره عن ابيه عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل وميكائيل واسرافيل بالبراق الى رسول الله (ص) فأخذ واحد باللجام وواحد بالركاب وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها جبرائيل ثم قال اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله قال فرقت به ورفعته ارتفاعا ليس بالكثير ومعه جبرائيل يريه الآيات من السماء والارض قال فبينا انا في مسيري إذ نادى عن يميني مناد يا محمد فلم اجبه ولم التفت ثم نادى مناد عن يساري يا محمد فلم اجبه ولم التفت اليه ثم استقبلتني امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت يا محمد انتظرني حتى اكلمك فلم التفت اليها ثم سرت فسمعت صوتا افزعني فجاوزت به فنزل بي جبرائيل فقال صل فصليت فقال اتدري اين صليت فقلت لا فقال صليت بطيبة واليها مهاجرتك ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي انزل فصل فنزلت فصليت فقال لي تدري اين صليت فقلت لا فقال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي انزل فصل فنزلت وصليت فقال لي تدري ما صليت فقلت لا فقال صليت ببيت لحم وبيت لحم بناحية بيت المقدس من حيث ولد عيسى بن مريم (ع) ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا الى بيت المقدس

فربطت البراق بالحلقة التي كانت الانبياء تربط بها فدخلت المسجد ومعي جبرائيل الى جنبي فوجدنا ابراهيم وموسى وعيسى وما شاء الله من انبياء الله فقد جمعوا الي واقيمت الصلاة ولا اشك الا وجبرائيل سيتقدمنا فلما استووا اخذ جبرائيل بعضدي فقدمني وامتهم ولا فخر ثم اتاني الخازن بثلاثه اواني اناء فيه لبن واناء فيه ماء واناء فيه خمر وسمعت قائلا يقول ان اخذ الماء غرق وغرقت امته وان اخذ الخمر غوى وغويت امته وان اخذ اللبن هدي وهديت امته قال (ص) فاخذت اللبن وشربت منه فقال لي جبرائيل هديت وهديت امتك ثم قال لي ماذا رأيت في صيرك فقلت ناداني مناد عن يميني فقال لي او أجبته فقلت لا ولم التفت اليه فقال داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك من بعدك ثم قال لي ماذا رأيت فقلت ناداني مناد عن شمالي فقال لي او اجبته فقلت لا ولم التفت اليه فقال ذاك داعي النصارى ولو اجبته لتنصرت امتك من بعدك ثم قال ماذا استقبلك فقلت لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت يا محمد انتظرني حتى اكلمك فقال لي افكلمتها فقلت لم اكلمها ولم التفت اليها فقال تلك الدنيا ولو كلمتها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة ثم سمعت صوتا افزعني فقال لي جبرائيل تسمع يا محمد قلت نعم قال هـذه صخرة قذفتها عـلى شفير جهنم منذ اربعين عاما فهذا حين استقرت قال فما ضحك رسول الله (ص) حتى قبض قال (ص) فصعد جبرائيل وصعدت معه الى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له اسماعيل وهو صاحب الخطفة الذي قال الله عز وجل (الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) وتحته سبعون الف ملك تحت كل ملك سبعون الف ملك فقال يا جبرائيل من هذا معك فقال محمد (ص) قال وقد بعث قال نعم ثم فتح الباب فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح وتلقتني الملائكة حتى دخلت سماء الدنيا فمالقيني ملك الا ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم ار اعظم خلقا منه كريه المنظر ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء الا انه لم يضحك ولم ار فيه الاستبشار مما رأيت ممن ضحك من الملائكة فقلت من هذا ياجبرائيل فإني فزعت منه فقال يجوز ان تفزع منه فكلنا نفزع منه ان هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظا على اعداء الله واهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك الى احد كان قبلك او كان ضاحكا الى احد بعدك لضحك اليك ولكنه لا يضحك فسلمت عليه فرد السلام عـلي وبشرني بالجنة فقلت لجبرائيل وجبرائيل

بالمكان الذي وضعه الله مطاع ثم امين الا تأمره ان يريني النار فقال له جبرائل يامالك ادِ محمد النار فكشف غطاء وفتح بابا منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت فقلت ياجبرائيل قل له فليرد عليها غطاءها فامرها فقال ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه ثم مضيت فرأيت رجلا آدم جسيما فقلت ما هذا ياجبرائيل فقال هذا ابوك آدم فإذا هو يعرض عليهِ ذريتهُ فيقول ريح طيبة من جسد طيب ثم تلا رسول الله (ص) سورة المطففين على رأس سبع عشرة آية (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون) إلى آخرها الآية قال (ص) فسلمت على ابي آدم وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح والمبعوث في الزمن الصالح ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس واذا جميع الدنيا بين ركبتيه واذا بيده لوح من نور ينظر فيه مكتوب فيه كتابا ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالا الا مقبل عليه به كهيئة الحزين فقلت من هذا ياجبرائيل فقال هذا ملك الموت دائب في قبض الارواح فقلت ياجبرائيل ادنني منه فسلمت عليهِ وقال له جبرائيل هذا نبي الرحمة الذي ارسلهُ الله إلى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال ابشر يامحمد فإني ارى الخير كلهُ في امتك فقلت الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته علي فقال جبرائيل هو اشد الملائكة عملا فقلت اكل من مات او هو ميت فيما بعد هذا يقبض روحهُ فقال نعم قلت وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك فقال نعم فقال ملك الموت ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني عليها الا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء وما من دار الا وانا اتصفحه كل يوم خمس مرات واقول اذا بكى اهل البيت على ميتهم لا تبكوا عليه فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم احد فقال رسول الله (ص) كفى بالموت طامة يا جبرائيل فقال جبرائيل ان ما بعد الموت اطم واطم من الموت قال ثم مضيت فإذا انا بقوم بين ايديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث يأكلون اللحم الخبيث ويدعون الطيب فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من امتك يا محمد فقال رسول الله (ص) ثم رأيت ملكا من الملائكة جعل الله امره عجبا نصف جسده النار ونصفه الآخر ثلجا فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو ينادي بصوت رفيع ويقول سبحان الذي كف حر هذه النار فلا يذيب الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفي حر هذه النار اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك

المؤمنين فقلت من هذا ياجبرائيل فقال هذا ملك وكله الله باكناف السماء واطراف الارضين وهو انصح ملائكة الله لأهل الارضين من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق وملكان يناديان في السماء احدهما يقول اللهم اعط كل منفق خلفا والآخر يقول اللهم اعط كل ممسك تلفا ثم مضيت فإذا انا بأقوام لهم مشافر كمشفر الإبل يقرض اللحم من جنوبهم ويلقى في افواههم فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هؤلاء الهمازون اللمازون ثم مضيت فإذا انا باقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء ثم مضيت فإذا انا باقوام تقذف النار في افواههم وتخرج من ادبارهم فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ثم مضيت فإذا انا باقوام يريد احدهم ان يقوم فلا يقدر من عظم بطنه فقلت من هؤلاء ياجبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس واذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقيم الساعة قال ثم مضيت فإذا بنسوان معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هؤلاء اللواتي يورثن اموال ازواجهن اولاد غيرهم ثم قال رسول الله (ص) اشتد غضب الله على امرأة ادخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عورتهم وأكل خزائنهم قال ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من اطباق اجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة اصواتهم مرتفعة بالتمجيد والبكاء من خشية الله تعالى فسألت جبرائيل عنهم فقال كما ترى خلقوا ان الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها الى ما تحتها خوفا لله وخشوعا فسلمت عليهم فردوا علي إيماء برؤوسهم لا ينظرون الي من الخشوع فقال لهم جبرائيل هذا محمد نبي الرحمة ارسله الله الى العباد رسولا ونبيا وهو خاتم النبوة وسيدهم افلا تكلمونه قال فلما سمعوا ذلك من جبرائيل اقبلوا علي بالسلام واكرموني وبشروني بالخير لي ولأمتي قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فإذا فيها رجلان متشابهان فقلت من هذان يا جبرائيل قال ابنا الخالة يحيى وعيسى فسلمت عليهما وسلما علي واستغفرت لهما واستغفرا لي وقالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح واذا فيها من الملائكة وعليهم الخشوع قد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك الا يسبح الله ويحمده بأصوات مختلفة ثم صعدنا الى السماء الثالثة

فإذا فيها رجل فضلى حسنه على سائر الخلق كفضل قمر ليلة البدر على سائر النجوم فقلت من هذا يا جبرائيل فقال هذا اخوك يوسف فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح والمبعوث في الزمن الصالح وإذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثل ما وصفت في السماء الأولى والثانية وقال لهم جبرائيل في امري ماقال للآخرين وصنعوا في مثل ما صنع الآخرون ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها رجل فقلت من هذا يا جبرائيل فقال هذا ادريس (ع) رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي فإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات فبشروني بالخير لي ولأمتي ثم رأيت ملكا جالساً على سرير تحت يده سبعون الف ملك تحت كل ملك سبعون الف ملك فوقع في نفس رسول الله (ص) انه هو فصاح به جبرائيل فقال قم فهو قائم الى يوم القيامة ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم العين لم ار كهلا اعظم منه حوله ثلة من امته فاعجبني كثرتهم فقلت من هذا يا جبرائيل فقال هذا المجيب لقومه هارون بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي واذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات ثم صعدنا الى السماء السادسة واذا فيها رجل آدم طويل كأنه من سمرة لوان عليه قميصين لنفذ شعره فيهما وسمعته يقول يزعم بنو اسرائيل اني اكرم ولد آدم على الله وهذا رجل اكرم على الله مني فقلت من هذا يا جبرائيل فقال اخوك موسى بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي واذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات ثم صعدنا الى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة الا قالوا يا محمد احتجم وامر امتك بالحجامة واذا فيها رجل اشمط الرأس واللحية جالس على كرسي فقلت يا جبرائيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله فقال هذا يا محمد ابوك ابراهيم وهذا محلك ومحل من اتقى من امتك ثم قرأ رسول الله (ص) (ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) فسلمت عليه وسلم علي وقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح والمبعوث في الزمن الصالح وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات فبشروني بالخير ولأمتي قال رسول الله (ص) ورأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلألأ يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار وفيها بحار مظلمة وبحار ثلج ترعد فلما فزعت ورأيت هؤلاء سألت جبرائيل فقال ابشر يا محمد واشكر كرامة ربك وشكر الله ما صنع اليك قال فثبتني الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرائيل وتعجبي فقال جبرائيل يا محمد تعظم

ما ترى إنما هذا خلق من خلق ربك فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى وما لا ترى اعظم من هذا من خلق ربك ان بين الله وبين خلقه تسعين الف حجاب واقرب الخلق إلى الله انا واسرافيل وبيننا وبينه اربعة حجب حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من الغمام وحجاب من ماء قال ورأيت من العجائب الذي خلق الله وسخر به علي ماارادهديكارجلاه في تخوم الأرض السابعة ورأسه عند العرش وملكا في ملائكة الله تعالى خلقهالله كماارادرجلاه في تخوم الأرض السابعة ثم اقبل مصعداً حتى خرج في الهواء الى السماء السابعة وانتهى فيها مصعدا حتى انتهى قرنه إلى قرب العرش وهو يقول سبحان ربي حيث ما كنت لا تدري اين ربك من عظم شأنه وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فإذا كان في السحر نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول سبحان الله الملك القدوس سبحان الله الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم وإذا قال ذلك سبحت ديك الأرض كلها وخفقت بأجنحتها واخذت بالصراخ فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت ديك الارض كلها ولذلك الديك زغب اخضر وريش ابيض كأشد بياض رأيته قط وله زغب اخضر ايضا تحت الريش الأبيض كأشد خضرة رأيتها قط قال ثم مضيت مع جبرائيل فدخلت البيت المعمور فصليت فيه ركعتين ومعي اناس من اصحابي عليهم ثياب جدد وآخرون عليهم ثياب خلقان فدخل اصحاب الجدد وحبس اصحاب الخلقان ثم خرجت فانقاد لي نهران نهر يسمى الكوثر ونهر يسمى الرحمة فشربت من الكوثر واغتسلت من الرحمة ثم انقادا لي جميعا حتى دخلت الجنة وإذا على حافتيها بيوتي وبيوت ازواجي وإذا ترابها كالمسك وإذا جارية تنغمس في انهار الجنة فقلت لمن انت يا جارية فقالت لزيد بن حارثة فبشرته بها حين اصبحت وإذا بطيرها كالبخت وإذا رمانها مثل الدلي العظام واذا شجرة لو ارسل طائر في اصلها ما دارها سبعمائة سنة وليس في الجنة منزل الا وفيه فتر منها فقلت ما هذه يا جبرائيل فقال هذه شجرة طوبى قال الله (طوبى لهم وحسن مآب) قال رسول الله (ص) فلما دخلت الجنة رجعت الي نفسي فسألت جبرائيل عن تلك البحار وهولها واعاجيبها فقال هو سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها ولولا تلك الحجب لتهتك نور العرش وكل شيء فيه وانتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا الورقة منها تظل امة من الأمم فكنت منها كما قال الله تعالى (قاب قوسين او ادنى) فناداني ربي تبارك وتعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) فقلت انا مجيب عني وعن امتي (والمؤمنون

كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله) فقلت (سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فقال الله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فقلت (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا) فقال الله لا أؤاخذك فقلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) فقال الله لا احملك فقلت (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)فقال الله تبارك وتعالى قد اعطيتك ذلك لك ولأمتك فقال الصادق (ع) ما وفد إلى الله تبارك وتعالى احد اكرم من رسول الله (ص) حين سأله لأمته هذه الخصال فقال رسول الله يارب اعطيت انبياءك فضائل فاعطني فقال الله تعالى وقد اعطيتك كلمتين من تحت عرشي ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجا منك إلا اليك قال وعلمتني الملائكة قولا اقوله اذا أصبحت وامسيت اللهم ان ظلمي اصبح مستجيرا بعفوك وذنبي مستجيرا بمغفرتك وذلي مستجيرا بعزتك وفقري اصبح مستجيرا بغناك ووجهي البالي اصبح مستجيرا بوجهك الباقي الذي لا يفنى واقول ذلك اذا اصبحت وامسيت ثم سمعت الأذان فاذا ملك يؤذن لم ير في السماء قبل تلك الليلة فقال الله اكبر الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا اكبر فقال اشهد ان لا إله إلا الله اشهد أن لا إله إلا الله فقال الله صدق عبدي انا الله لا إله غيري فقال اشهد ان محمدا رسول الله اشهد أن محمدا رسول الله فقال الله صدق عبدي ان محمدا عبدي ورسولي انا بعثته وانتجبته فقال حي على الصلاة فقال صدق عبدي دعا إلى فريضتي فمن مشى اليها راغبا فيها محتسبا كانت كفارة لما مضى من ذنوبه فقال حي على الفلاح فقال الله تعالى هي الصلاح والفلاح والنجاح ثم امت الملائكة في السماء كما امت الانبياء في بيت المقدس ثم قال ثم غشيتني ضبابة فخررت ساجدا فناداني ربي اني قد فرضت على كل نبي قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى امتك فقم بها في امتك فقال رسول الله (ص) فانحدرت حتى مررت على ابراهيم (ع) فلم يسألني عن شيء حتى انتهيت إلى موسى (ع) فقال ما صنعت يا محمد فقلت قال ربي فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى امتك فقال موسى يا محمد ان امتك آخر الامم وأضعفها وان ربك لا يرد عليك شيئا وان امتك لا تستطيع أن تقوم بها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت إلى ربي حتى انتهيت إلى سدرة المنتهى فخررت ساجدا ثم قلت فرضت علي وعلى امتي خمسين صلاة ولا اطيق ذلك ولا امتي فخفف عني فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع لا تطيق

فرجعت إلى ربي فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع وفي كل رجعة ارجع اليه اخر ساجدا حتى رجع إلى عشر صلوات فرجعت إلى موسى واخبرته فقال لا تطيق ارجع فرجعت إلى ربي فوضع عني خمسا فرجعت الى موسى واخبرته فقال لا تطيق فقلت قد استحييت من ربي ولكن اصبر عليها فناداني مناد كما صبرت عليها فهذه الخمسة بخمسين كل صلاة بعشر ومن همّ من امتك بحسنة يعملها فعملها كتبت له عشرا وان لم يعمل كتبت له واحدة ومن همّ من امتك بسيئة فعملها كتبت عليه واحدة وان لم يعملها لم اكتب عليه فقال الصادق (ع) جزى الله موسى عن هذه الامة خيرا

وروى الإربلي في كشف الغمة عن ابن عمر قال سمعت رسول الله (ص) وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج فقال خاطبني بلغة علي بن ابي طالب (ع) فالهمت ان قلت يا ربي انت خاطبتني ام علي (ع) فقال يا احمد انا شيء ليس كالاشياء ولا اقاس بالناس ولا اوصف بالاشياء خلقتك من نوري وخلقت عليا من نورك فاطلعت على سرائر قلبك فلم اجد الى قلبك احب من علي بن ابي طالب (ع) فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك

واعلم ان المشهور ان المعراج وقع قبل الهجرة وقيل ان المعراج وقع مراراً ويؤيده مارواه الصدوق والصفاد عن الصادق (ع) انه عُرج برسول الله (ص) مائة وعشرين مرة والله العالم

المقام السادس

يجب الإيمان بأنه خاتم الانبياء كما قال الله تعالى (ما كان محمد اباأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ولما تواتر عنه (ص) انه لانبي بعدي وان دينه ناسخ لجميع الاديان وانه مبعوث إلى العرب والعجم والإنس والجن وكذا اوصياؤه المعصومون حجج على جميع الخلق ففي الكافي عن ابن جبل عن الصادق (ع) قال كنا ببابه فخرج علينا قوم اشباه الزط عليهم ازر واكسية فسألنا ابا عبد الله عنهم فقال هؤلاء اخوانكم من الجن

وعن سعد الإسكاف قال دخلت على ابي جعفر (ع) فقلت جعلت فداك ابطأ علي اذنك اليوم ورأيت قوما خرجوا علي متعممين بالعمائم فأنكرتهم فقال اوتدري من اولئك ياسعد قلت لا قال اولئك اخوانكم من الجن يأتون فيسألوننا عن حرامهم وحلالهم ومعالم دينهم

وعن جابر عن ابي جعفر (ع) قال بينما امير المؤمنين (ع) على المنبر اذ اقبل ثعبان من ناحية باب من ابواب المسجد فهمّ الناس ان يقتلوه فارسل اليهم امير المؤمنين ان يكفوا

فكفوا واقبل الثعبان ينساب حتى اتى إلى المنبر فتطاول فسلم على امير المؤمنين (ع) فاشار اليه امير المؤمنين (ع) ان يقف حتى يفرغ من خطبته ولما فرغ من خطبته اقبل عليه فقال له من انت فقال انا عمر بن عثمان خليفتك على الجن وان ابي مات واوصاني ان آتيك فاستطلع رأيك وقد اتيتك يا امير المؤمنين فما تأمرني وما ترى فقال امير المؤمنين (ع) اوصيك بتقوى الله وان تنصرف فتقوم مقام ابيك في الجن فإنك خليفتي عليهم قال فودع عمر امير المؤمنين وانصرف فهو خليفته على الجن فقلت جعلت فداك فيأتيك عمر وذلك الواجب عليه قال نعم

ولا خلاف بين الإمامية في ان آباء النبي واجداده والائمة عليهم السلام كانوا مسلمين موحدين طاهري الاصلاب من الشرك والكفر والزنا والرجس كما قال تعالى (هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) اي في اصلاب الساجدين لله وتواتر ذلك في اخبارنا وما دل على خلاف ذلك فمحمول على التقية وآزر لم يكن ابا حقيقيا لإبراهيم (ع) بل كان عمه وسمي ابوه لتربيته اياه وابوه تارخ وابواه عبد الله وآمنه كانا مسلمين لما ثبت عن اهل البيت خلافا للعامة العمياء وقد رووا أن النبي استغفر لهما (وما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى) وعبد المطلب جده كان من اوصياء ابراهيم (ع) وكذلك سائر آبائه إلى اسماعيل كلهم كانوا اوصياء وكذلك ابو طالب كان وصيا بعد ابيه عبد المطلب ولم يكن كافرا ولم يسجد لصنم قط ولعل ايمانه من ضروريات مذهب الإمامية ولذا ورد عنهم (ع) ليس من شيعتنا (١) من لم يقل بإسلام ابي طالب ولعل اصرار المخالفين وحرصهم على القول بكفر ابي طالب دون سائر اعمام النبي مع تظافر رواياتهم واتفاقهم على انه آوى النبي ونصره وقد قال الله تعالى (الذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) ورووا عنه اشعارا كثيرة تدل على اسلامه كقوله في جملة قصيدة

ولقد علمت بأن دين محمد من خير اديان البرية دينا

لأجل عداوة اهل البيت (ع) (٢) كما اعترف بذلك بعض منصفيهم وقد اشرنا إلى ان الحق انه لا يجب الإسلام الدائمي في امهات النبي (ص) والائمة عليهم السلام كما في شهربانو أم السجاد (ع) وامهات اكثر الائمة وإنما يجب اسلامهن حين انعقاد النطفة في الارحام وقد وقع الخلاف في انه (ص) هل كان مبعوثا على الملائكة ام لا ولم يتم دليل على اثبات ذلك

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣١١ (٢) انظر شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣١٢

او نفيه والعلم عند الله نعم قد دلت جملة من الاخبار على ان الله سبحانه قد اخذ من الملائكة ميثاق ولايته وولاية الاوصياء من بعده وان كل ملك ينزل الى الارض لامر يتشرف بخدمة الإمام وان جبرائيل بل عزرائيل ما كانا يدخلان بيت النبي (ص) الا بإذنه

المقام السابع

قد وقع الخلاف في انه (ص) قبل البعثه هل كان متعبدا بشريعة أم لا فقيل نعم وقيل بالتوقف واختلف الأولون فمنهم من قال كان متعبدا بشريعة نوح وقيل بشريعة ابراهيم وقيل بشريعة موسى وقيل بشريعة عيسى وقيل بجميع الشرائع والحق انه (ص) لم يكن متعبدا بشريعة من قبله من الانبياء وانهُ (ص) كان نبيا حين تولده بل حين كان آدم بين الماء والطين ثم صار بعد ذلك رسولا وأمر بان يدعو الناس بعد اربعين سنة ويدل على ذلك وجوه

الاول انه لو عمل بشريعة غيره لكان رعية له فيكون ذلك الغير افضل منه وهو خلاف ضروري الدين

الثاني ان عمله بشريعة الغير اما ان يكون عن وحي فيلزم نبوته والمطابقة بشرع غيره غير مناف لذلك (واما) ان يكون لا عن وحي بل عن اخذ من علماء تلك الشريعه مع ان من معجزاته انه لم يقرأ ولم يكتب ولم يعاشر العلماء من اهل الكتاب ولم يرجع إلى عالم

الثالث ان اكثر علمائهم وجلهم في ذلك الزمان كانوا فسقة فجرة فكيف يجوز ان يرجع افضل الخلق اليهم مع انه لو اتفق لتواتر نقله

الرابع انه ورد في الاخبار الكثيرة ان الارض لا تخلو من حجة لله على خلقه ظاهرا او مستورا فلو لم يكن (ص) نبيا وجب عليه اتباع اوصياء الانبياء قبله ولو فعل لتواتر نقله ولزم كونه (ص) مفضولا مع كونه افضل بالضروره

الخامس انه (ص) كان إذا سئل عن شيء لا يجيب فيه قبل نزول الوحي ولو كان متعبدا بشرع غيره لتمسك بكتب السابقين وشرائعهم

السادس ما استفاض نقله بين الخاصة والعامة من قوله (ص) كنت نبيا وآدم بين الماء والطين

السابع ما استفاض في الاخبار الصحيحة من ان النبي (ص) والائمة (ع) كانوا مؤيدين بروح القدس وهو ملك يسددهم ويبين لهم المعالم ويحفظهم من الخطأ والنسيان من اول عمرهم إلى آخره

الثامن ما نطق به القرآن المجيد وتواترت به السنة واتفقت عليه الأمة من انه (ص) افضل

من جميع الانبياء قبله وان كل كرامة وفضيلة اعطوها فقد اعطي صلى الله عليه وآله افضل منها فكيف يجوز ان يكون عيسى في المهد نبيا ويؤتى الحكم يحيى صبيا وسيد الأنبياء لم يكن نبيا إلى اربعين سنة هذا كله مع استفاضة الاخبار بنطقه بالحكمة والصواب واولاده الطاهرين من حين الصغر كالا يخفى على المتتبع لآثارهم والمتصفح لاحوالهم واخبارهم وما في بعض الآيات والاخبار مما يدل على متابعته «ص» من قبله كقوله تعالى « فبهداهم اقتده » فهو محمول على الموافقة في اصول الدين المتفق عليها في جميع الاديان او على الموافقة في تبليغ الرسالة والصبر على المشاق ونحو ذلك

﴿ المقام الثامن ﴾

قد ورد في الكتاب المجيد والسنة المستفيضة انه «ص» امي واختلف في معنى ذلك والمشهور في معناه انه لا يقرأ ولا يكتب ولا خلاف في انه (ص) لم يتعلم الكتابة والقراءة من احد قبل البعثة واكثر الاخبار تدل على ان معنى كونه اميا انه نسبة الى ام القرى وهي مكة وانه (ص) كان قادرا على القراءة والكتابة كما كان قادرا على ما يعجز عنه مثله ولكنه لم يكتب لمصلحة وكان يأمر غيره بكتابة الوحي وقراءة الكتب غالبا ففي بصائر الدرجات عن الصولي قال سألت ابا جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وقلت له يا ابن رسول الله لم سمي النبي الامي قال ما يقول الناس قلت يقولون انما سمي الأمي لانه لم يكتب فقال كذبوا عليهم لعنة الله انى يكون ذلك والله تعالى يقول في محكم كتابه (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه) فكيف يعلمهم ما لم يحسن والله لقد كان رسول الله (ص) يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لسانا وانما سمي الأمي لأنه كان من مكة ومكة من امهات القرى والك قول الله في كتابه (لتنذر ام القرى ومن حولها) وعن الصادق «ع» قال ان النبي (ص) كان يقرأ ما يكتب ويقرأ ما لم يكتب

﴿ المبحث الثالث ﴾

في الإمامة وفيه مقاصد

﴿ المقصد الاول ﴾

اختلف الناس في ان نصب الإمام هل هو واجب اولا وعلى تقدير الوجوب فهل يجب

على الخالق او على الخلق وهل الدليل على وجوبه العقل أو النقل فذهب إلى كل فريق والذي عليه الفرقة المحقة والطائفة الحقة انه يجب على الله نصب الإمام في كل زمان عقلا ونقلا أما العقل فوجوه

(الأول) ان ما ذكر في بيان الاضطرار إلى الرسل فهو بعينه جار في الاضطرار الى أوصيائهم وخلفائهم لأن الاحتياج اليهم غير مختص بوقت دون آخر وفي حالة دون أخرى ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيم لها عالم بها ألا ترى إلى الفرق المختلفة والمذاهب المتباينة كيف يستندون في مذاهبهم كلها إلى كتاب الله عز وجل فيستند المجسم إلى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (يد الله فوق أيديهم) والمجبر إلى قوله (قل كل من عند الله) ومن قال بخلق الأفعال إلى قوله (يهدي من يشاء ويضل من يشاء)ومن قال برؤية الله إلى قوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ويستدل العدلية بما يخالف ذلك من الآيات وبالجملة فإنك لا ترى فرقة من الفرق المحقة او المبطلة الا وهي تستند إلى كتاب الله بل وإلى سنة رسول الله (ص) وذلك لأن كتاب الله فيه المحكم والمتشابه والمجمل والمؤل والناسخ والمنسوخ والسنة فيها ذلك وأيضا مع وقوع الكذب والتحريف والتصحيف هذا كله مع جهل اكثر الخلق بمعانيها وتشتت اهوائهم وزيغ قلوبهم فلا بد حينئذ لكل نبي مرسل بكتاب من عند الله عز وجل ان ينصب وصيا يودعه أسرار نبوته وأسرار الكتاب المنزل عليه ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصي هو حجة ذلك النبي على أمته ولئلا تتصرف الامة في ذلك الكتاب بآرائها وعقولها فتختلف وتزيغ قلوبها كما اخبر الله تعالى بذلك فقال (هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم

(الثاني) ان اللطف واجب على الله تعالى ولا ريب ان وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى بعبيده لأنه بوجوده فيهم يجتمع شملهم ويتصل حبلهم وينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغني ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل فإذا عدم بطل الشرع وأكثر أحكام الدين وأركان الإسلام كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء ونحو ذلك فتنتفي الفائدة المقصودة منها

(الثالث) انه قد دل العقل والنقل على انه يجب على الله ان يفعل بعباده ما هو الأصلح

لهم ولا ريب انه لا يتم انتظام أمر المعاد والمعاش والدين والدنيا إلا بنصب رئيس ومعلم يرشد الناس إلي الحق عند اختلافهم وجهلهم ويردهم اليه عند اختصامهم ومنازعاتهم ومجادلاتهم

(الرابع) ان العقل السليم والفهم المستقيم يحيل على العزيز الحكيم والرسول الكريم مع كونه مبعوثاً إلى كافة الأنام وشريعته باقية إلى يوم القيامة ان يهمل امته مع نهاية رأفته وغاية شفقته بهم وعليهم ويترك بينهم كتابا في غاية الإجمال ونهاية الاشكال له وجوه عديدة ومحامل يحمله كل منهم على هواه ورأيه كما اشرنا اليه وأحاديث كذلك لم يظهر لهم منها إلا القليل وفيها مع ذلك المكذوب والمفتـــرى والمحرف ولا يعين لهذا الأمر العظيم رئيسا يعول في المشكلات عليه ويركن ـــ في سائر الأمور اليه ان هذا مما يحيله العقل على رب العالمين وعلى سيد المرسلين وكيف يوجب الله تعالى على الإنسان الوصية والايصاء عند الموت لئلا يموت ميتة الجاهليـــة ولئلا يدع اطفاله ومتروكاته بغير قيم وولي وحافظ ولا يوجب على النبي (ص) الايصاء والوصية مع ان رأفة الله بخلقه ورأفة النبي (ص) بأمته لا نسبة لها بذلك

(الخامس) انهُ قد اعترف جمهور المخالفين بجريان عادة الله تعالى مـــن آدم إلى خاتم الأنبياء انه لم يقبض نبيا حتى عين له خليفة ووصيا وجرت عادة نبينا (ص) انه متى سافر عين خليفة ـــ في المدينة وعلى هذا جرت طريقة الرؤساء والولاة فكيف تخلفت هـذه السنة التي لن تجد لها تبديلا وهذه العادة التي لم يكن عنها تحويلا بالنسبة الى خاتم الأنبياء المرسل الى هـــذه الأمة المرحومة بأن يهملها ويتركها سدـــى هذا كلهُ مـــع انقطاع الأنبياء والرسل وبقاء التكليف الى يوم القيامة

(السادس) ان مرتبة الإمامة كالنبوة كما عرفت فكما لا يجوز للخلق تعيين نبي فكذا لا يجوز لهم تعيين إمام وأيضا العقول قاصرة والأفهام حاسرة عن معرفة من يصلح لهذا المنصب العظيم والأمر الجسيم والوجدان يغني عن البيان فكم رأينا أهل العقل والتدبير والحل والعقد اتفقوا على تعيين وال في قرية أو بلد او حكم ثم تبين لهم خطأهم في ذلك فغيروه وبدلوه فكيف تفي العقول الناقصة بتعيين رئيس عام على جميع الخلائق في أمور الدين والدنيا وايضا فالعصمة شرط في الإمام كما تقدم ويأتي وهي من الأمور الباطنية التي لا يطلع عليها الا العالم بما في الضمائر المطلع على ما في السرائر وقد تقدم جملة من ذلك في مشتركات النبوة والإمامة واما النقل فلوجوه

(الأول) قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) ولا ريب ان

نصب الإمام من اعظم اركان الدين واهم مصالح المسلمين فيجب ان يكون واقعا قبل نزول الآية هذا مع استفاضة الأخبار من طرق العامة والخاصة ان هذه الآية نزلت بعد نصب النبي (ص) عليا للإمامة في غدير خم

(الثاني) قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله عما يشركون) حيث دلت على ان لا اختيار للعباد في التصرف في ذلك وان المختار لأمور الدين والدنيا هو الله تعالى دون خلقه فيجب ان يكون هو المختار المعين للإمام كما في النبي (ص) مع انه قد ذكر جملة من مفسريهم انها نزلت في الرد على من قال لم ما أرسل الله غير هذا الرسول

(الثالث) الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة الدالة على ان الله تعالى بين كل شيء وحكم في كتابه كقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) وقوله تعالى (وكل شيء فصلناه تفصيلا) وقوله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ومن المعلوم بالوجدان فضلا عن البرهان ان عقول الخلق لا تفي بذلك فلا بد ان يكون الله تعالى قد جعل احدا يعلم جميع ذلك ويرجع اليه الخلق هنالك وايضا إذا ثبت ان جميع الأشياء مبينة في القرآن فكيف يجوز اهمال الإمامة التي هي اعظمها وأهمها

(الرابع) قوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) حيث دلت على وجوب اطاعة اولي الأمر كاطاعة الرسول ولهذا لم يفصل بينهما بالفعل لكمال الاتحاد والمجانسة بخلاف اطاعة الله واطاعة الرسول إذ لما كان بين الخالق والمخلوق كمال المباينة فصل بالفعل ومن المعلوم ان الله سبحانه لا يأمر المؤمنين لا سيما الصلحاء العلماء الفضلاء باطاعة كل ذي امر وحكم لأن فيهم الفساق والظلمة ومن يأمر بمعصية الله تعالى فيجب ان يكون أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم مثل النبي (ص) في عدم صدور الخطأ والنسيان والكذب والمعاصي ومثل هذا لا يكون منصوبا الا من قبل الله تعالى العالم بالسرائر كما في النبي (ص)

(الخامس) قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) فقد روى العامة (١) عن ابن عباس قال كنا نقرأ هذه الآية على عهد رسول الله (ص) بلغ ما انزل اليك من ربك في علي وروى غيره انها نزلت فيه (ع)

(١) انظر الدر المنثور جزء ٣ ص ٣٩٨

(السادس) قوله تعالى (أيحسب الإنسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى) إلى قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) فمن لم يهمله في تلك الحالات كيف يهمله بلا مربي ومعلم ومرشد وقوله تعالى (وإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فحينئذ لا بد ان يكون فيهما ما يرفع جميع النزاعات ومنها النزاع في أمر الخلافة فينبغي ان يكون المرجع اليهما في ذلك

(السابع) قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء فإذا لم يكن للنبي اختيار في الأمور فغيره أولى .

(الثامن) قوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في امام مبين ففيها دلالة صريحة على وجود الإمام العالم بجميع الأشياء إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى

المقصد الثاني

في بيان شرائط الإمام وقد تقدم ذكرها في المشتركات ولنذكرها هنا على سبيل الاختصار وهي أمور

(الأول) العصمة كما تقدم لأنه حافظ للشرع قائم به فحاله كحال النبي (ص) ولأن الحاجة الى الإمام انما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ورفع الفساد وحسم مادة الفتن وان الإمام لطف يمنع القاهرين من التعدي ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحارم ويقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير فلو جازت عليه المعصية او صدرت عنه لانتفت هذه الفوائد وايضا العلة المقتضية لوجوب نصبه جواز الخطأ على المكلف فلو جاز الخطأ على الإمام لوجب افتقاره الى إمام آخر ليكون لطفا له وللأمة ايضا فيتسلسل وللأدلة المتقدمة

(الثاني) ان يكون افضل من جميع امته من كل جهة اما عقلا فلقبح تقديم المفضول على الفاضل ورفع مرتبة المفضول وخفض مرتبة الفاضل واما نقلا فلقوله تعالى (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) ولقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب) ولقوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) واهل الذكر أهل العلم والقرآن ولقوله تعالى (اني جاعل في الأرض خليفة) الآية وقوله تعالى (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) والتقريب ما تقدم في المشتركات

« الثالث » ان يكون منصوصا عليه لأن العصمة من الأمور الباطنية كما تقدم ويشترط أيضا كونه هاشميا وقد انهى سلطان المحققين نصير الملة والحق والدين شرائط الإمام الى ثمانية

« الأول » العصمة لما تقدم

« الثاني » العلم بجميع ما تحتاج اليه الامة من أمور الدين والدنيا لأن الغرض منه لا يحصل بدون ذلك

« الثالث » كونه أشجع الأمة لدفع الفتن واستئصال اهل الباطل ونصرة الحق لأن فرار الرئيس يورث ضررا جسيما ووهنا عظيما بخلاف الرعية

« الرابع » ان يكون افضل من جميع رعاياه في جميع الصفات الكمالية كالشجاعة والسخاوة والمروة والكرم والعلم وسائر الصفات لئلا يلزم تقديم المفضول على الفاضل

« الخامس » ان يكون مبرءاً من العيوب الموجبة لنفرة الخلق في الخلق والخلق كالعمى والجذام والبرص والبخل والحرص وسوء الخلق والاصل كدناءة النسب والتولد من الزنى والصفات الدنية لمنافاتها اللطف

« السادس » ان يكون ازهد الناس واطوعهم لله واقربهم منه

« السابع » ان تظهر منه المعاجز التي يعجز عنها غيره لتكون دليلا على امامته

« الثامن » ان تكون امامته عامة غير منحصرة فيه لئلا يظهر الفساد وقد تقدم تفصيل هذه الأمور في المشتركات

المقصد الثالث

في طريق معرفة الإمام وله طرق ثلاث

(الأول) النص من النبي (ص) على الإمام الذي بعده ونص السابق على اللاحق كما سيظهر في الأئمة الاثني عشر وهذا الطريق أسهلها واظهرها وأنسب بلطف الله بعباده

(الثاني) المعجز الخارق المقرون بدعوى الإمامة

(الثالث) أفضليته من جميع الأمة او من جميع من يدعي الإمامة وقد تقدم تفصيل جميع ذلك وأما ما ادعاه المخالفون من ثبوت الإمامة ببيعة بعض الناس من أهل الحل والعقد فهو أوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت لما يترتب على ذلك من الفساد والعناد في العباد والبلاد ولما يحصل به من الاختلاف بل ربما أدى الى سفك الدماء واستباحة

الفروج مع اختلاف عقول الناس وافهامهم واغراضهم وميلهم ويلزم من ذلك وجوب متابعة الأفضل المفضول والأرجح المرجوح ووجوب معصية الخالق واطاعة المخلوق كوجوب اطاعة يزيد(لع) في قتل الحسين(ع) ومعوية في حرب علي(ع) وقد قال(ص) علي مع الحق والحق مع علي وقال(ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقال(ص) هما إمامان قاما أو قعدا الى غير ذلك ومن الغريب استدلال المخالفين على خلافة ابي بكر في جميع الارض شرقها وغربها ببايعة عمر بن الخطاب له برضاء أبي عبيدة وسالم مولى حذيفة وبشر بن سعد واسيدبن الحصين واعجب من ذلك انهم يستندون في الحجية الى قوله(ص)لا تجتمع أمتي على خطأ وأين اجماع الأمة في شرق الارض وغربها من اجتماع اناس معدودين وهذا كله مع اتفاقهم على عدم حصول الاجماع على خلافته فيلزم من حجية الاجماع عدم صحة خلافة الأول مع اختلافهم في تعريف الاجماع فأكثر متقدميهم كالقاضي والجويني والغزالي على انه اتفاق أمة محمد(ص) على أمر ديني وظاهر هؤلاء اعتبار آراء جميع الفرق ثم عدل جماعة من محققيهم عن ذلك فقال ان الحجة إنما هي في اجماع المؤمنين إلا انه لما لم يعلم وجب اعتبار الكل من باب المقدمة لا اصالة ولما رأى متأخروهم ان لا مقالة للعوام لاسيما في أمور الدين لأنهم همج رعاع اتباع كل ناعق عدلوا عن ذلك واقتصروا على اعتبار اقوال العلماء وعرفه جملة منهم بأنه اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد على امر من الأمور وأرادوا بأهل الحل والعقد اهل النقض والابرام وعدلوا عن لفظة العلماء لأجل ادخال مثل الخلافة والذي تقتضيه أدلتهم قدح خروج الواحد والاثنين في الاجماع مع ذهاب جملة منه الى انعقاد الخلافة باثنين وقد اتفق جمهورهم على ان جملة من اعيان الصحابة لم يكونوا داخلين في هذا الاجماع المزور ولم يكونوا من أهل حلقة الغرور كصاحب الحق واهله واولاده وعمه العباس وابنائه واسامة بن زيد والزبير ومشاهير الصحابة الكبار كسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وحذيفة بن اليمان وابي بريدة الاسلمي وأبيّ ابن كعب وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وابي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وأخيه عثمان وابي ايوب الانصاري وجابر بن عبد الله الانصاري وخالد بن سعيد وسعد بن عباده وقيس ابن سعد الى غير ذلك وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلا منهم قال وكانوا رافضة

المقصد الرابع

في تعيين الإمام ذهبت الإمامية رضوان الله عليهم الى ان الإمام بعد رسول الله(ص)

علي بن ابي طالب (ع) امير المؤمنين ومن بعده اولاده الطاهرون الى القائم المهدي (ع) ولهم على ذلك أدلة عقلية ونقلية يحتاج استقصاؤها الى كتاب مفرد كبير الحجم وقد الف علماؤنا المتقدمون والمتأخرون رضوان الله عليهم في ذلك كتبا مبسوطة ومختصرة مشتملة على أدلة عقلية ونقلية وأنهى ذلك بعض علمائنا الى الفي دليل الف من العقل والف من النقل (١) واقتصروا في النقل على ما رواه جمهور المخالفين في كتبهم وصحاحهم دون ما تفرد بنقله الإمامية ونحن نذكر مما ذكروه رضوان الله عليهم ونقلوه من كتبهم المعتمدة جملة مقنعة وذهب المخالفون الى ان الإمام والخليفة بعد رسول الله (ص) ابو بكر بن ابي قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان ثم علي بن ابي طالب (ع) لنا على حقية مذهبنا وبطلان مذهبهم وجوه تذكر في ضمن مباحث

المبحث الأول

في الأدلة العقلية الدالة على ذلك وهي وجوه

(الأول) ان الإمام يجب ان يكون معصوما لما تقدم من العقل والنقل ولا احد ممن ادعي له الإمامة غير علي (ع) بمعصوم اتفاقا فلا أحد غير علي بإمام والمقدمة الأولى برهانية كما تقدم والمقدمة الثانية اجماعية

(الثاني) ان الإمام يجب ان يكون منصوصا عليه او مظهرا للمعجز لما تقدم من بطلان الاختيار وادائه الى التنازع والتشاجر واعظم انواع الفساد وغير علي لم يكن كذلك اتفاقا فتعين ان يكون هو الإمام

(الثالث) ان الإمام يجب ان يكون حافظا للشرع عالما بجميع احكام الله تعالى المودعة في كتابه لانقطاع الوحي بموت النبي (ص) وقصور ما يفهمه الناس من الكتاب والسنة عن جميع الأحكام فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى عالم بجميع احكام الله تعالى منزه عن الزلل في الاعتقاد والقول والعمل وغير علي لم يكن كذلك اجماعا فتعين ان يكون هو الإمام

(الرابع) ان الإمام يجب ان يكون افضل من جميع الرعية لما تقدم من العقل والنقل وعلي افضل من الجميع لما يأتي فتعين ان يكون هو الإمام

(الخامس) ان شرط الإمام أن لا تسبق منه معصية على نحو ما تقدم والمشايخ قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام اتفاقا فلا يكونون أئمة فتعين ان يكون «ع» هو الإمام

(١) وهو كتاب الالفين للعلامة الحلي (ره)

ولقوله تعالى « لا ينال عهدي الظالمين » كما يأتي توضيحه

« السادس » ان الإمامة رياسة عامة وإنما تستحق بأوصاف الزهد والعلم والعبادة والشجاعة والإيمان كما تقدم تحقيقه والجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل الذي لم يلحقه غيره هو علي «ع» فيكون هو الإمام وقد تقدم في مشتركات النبوة والإمامة وفي مبحث الامامة ان للامام شرائط قد دل عليها العقل والنقل لم توجد في غيره اتفاقا

المبحث الثاني

في الآيات القرآنية الدالة على ذلك

« الأولى » قوله تعالى « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » فقد اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة انها نزلت في علي «ع» لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة وممن روى نزول الآية في علي من المخالفين السيوطي بأسانيد كثيرة(١) وامامهم الرازي بسندين(٢) والزمخشري(٣) والبيضاوي(٤) والنيشابوري(٥) وابن البثيع والواحدي والسماني والبيهقي والثعلبي وصاحب المشكاة ومؤلف المصباح والسدي ومجاهد والحسن البصري والأعمش وعتبة بن ابي حكيم وغالب بن عبد الله وقيس بن الربيع وعباية بن ربعي وابن عباس ورواها ابوذر وجابر بن عبد الله الانصاري ونظمها حسان وغيره من الشعراء ووجه الاستدلال بالآية ان انما للحصر باتفاق اهل اللغة والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة وهو معنى مشهور عند أهل اللغة والشرع كقوله «ص» ايما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل وقولهم السلطان ولي الرعية وفلان ولي الميت والولي وان استعمل في اللغة بمعنى الناصر والمحب الا انهما لا يناسبان المقام لأن المحب والناصر غير منحصرين فيمن ذكر في الآية بل عامان لجميع المؤمنين كما قال تعالى والمؤمنون بعضهم اولياء بعض ولفظ الجمع اما التعظيم او لشمول سائر الأئمة الطاهرين «ع»

الثانية قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ووجه الاستدلال ان المراد بوجوب الكون مع الصادقين مشايعتهم في اقوالهم وافعالهم لا الاجتماع معهم في

---

(١) ج٢ ص٢٩٣ (٢) ج٣ ص٦١٨ (٣) ج١ ص٢٦٤ (٤) ص١٥٤ (٥) ج٢ ص٢٨ وانظر مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص١٦٥ ونور الابصار للشبلنجي ص ٦٩ وكنز العمال ج٦ ص٣٩١

الابدان لاستحالة ذلك وعدم فائدته والخطاب جار في جميع المؤمنين في سائر الأزمنة والامكنة فلا بد في كل زمان من صادق يجب اتباعه وليس المراد بالصادق صادقا ماوإلا لزم وجوب متابعة كل صدق مرة وهو باطل اجماعا بل الصادق في جميع اقواله وافعاله وهو المعصوم فيلزم وجود المعصوم في كل زمان ووجوب متابعته وليس غير علي (ع) واولاده اتفاقا فثبتت إمامتهم على انه قد روى العامة كالسيوطي (١) والثعلبي عن ابن عباس ان المراد بالصادقين محمد وعلي (ع) وعن علي (ع) ان الصادقين عترة رسول الله (ص) وعن جعفر بن محمد (ع) ان الصادقين آل محمد قال إمامهم الرازي في تفسيره (٢) في هذه الآية ان الله تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين فلا بد من وجودهم لأن الكون مع الشيء مشروط بوجوده فلا بد في كل زمان من الصادقين فينبغي عدم اجماع جميع الأمة على الباطل وهذا دليل حجة الاجماع وليس هذا مخصوصاً بزمان رسول الله (ص) لأنه ثبت بالتواتر ان خطابات القرآن تتوجه إلى جميع المكلفين إلى يوم القيامة وايضا لفظ الآية شامل لجميع الأوقات والتخصيص ببعض الأزمنة الذي لا يفهم من الآية يوجب تعطيل حكمها وأيضا ان الله تعالى قد أمرهم أولا بالتقوى وهذا الأمر يشمل كل من يجوز منه ترك التقوى ومباشرة الخطأ والعصيان فتدل الآية على ان كل من يجوز منه المعصية يجب عليه متابعة الذين تجب عصمتهم من المعصية وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين فرتب حكم الكون معهم على التقوى ويدل على وجوب متابعة جائز المعصية الصادق المعصوم الممتنع منه المعصية وهذا المعنى لا بد من تحققه في كل زمان فيجب وجود المعصوم في كل زمان ونحن نقول بذلك لكن نقول ان المعصوم جميع الأمة والشيعة يقولون انه واحد من الأمة وهذا القول باطل لأنه لو كان كذلك لوجب ان نعرفه لنتابعه ونحن لا نعرف شخصا بين الأمة انتهى ملخص كلامه فانظر كيف انطق الله تعالى لسانه بالحق ثم عدل عن ذلك إلى الاعتذار بما تضحك منه الثكلى ولا يخفى بطلانه على احد وان كان هو لم يعرفه فقد عرفه غيره ممن هو اعلم منه واتقى وأورع وليس من لا يعلم حجة على من يعلم وما اشبه ذلك بقول اليهود والنصارى انه لو كانت نبوة محمد حقا لعلمناها وكيف يمكن الاطلاع على اجماع جميع الأمة مع انتشارهم وتشتتهم في شرق الأرض وغربها فيما عدا الضروريات

(١) انظر الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٠ وطبقات النقول ج ٢ ص ١٥ ومشارق الانوار ص ٧٥ وصواعق ابن حجر ص ٧٤ (٢) انظر فيه ج ٤ ص ٧٦٠

وعلى تقدير امكانه فهو لا يتأتى إلا في قليل من المسائل على ان صريح الآية ان المأمورين بالكون والاتباع غير الصادقين المتبوعين وعلى ما ذكره يلزم اتحادهما

(الثالثة) قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) روى الثعلبي الذي هو من قدوة مفسري المخالفين في شأن نزولها (١) انه لما كان النبي (ص) بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ الحارث بن النعمان الفهري فأتى نحو النبي (ص) على ناقته حتى اتى الابطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها ثم اتى النبي (ص) وهو في ملأ من اصحابه فقال يا محمد امرتنا من الله ان نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله ففعلناه وامرتنا ان نصلي خمسا فقبلناه وامرتنا ان نصوم شهر رمضان فقبلناه وامرتنا ان نحج البيت فقبلناه ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه وهذا شيء منك ام من الله فقال النبي (ص) والذي لا إله إلا هو من الله فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم فما وصل اليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله وانزل الله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج)

(الرابعة) قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فقد روى العامة (٢) ومنهم ابو نعيم عن ابي سعيد الخدري ان النبي (ص) لما أخذ بضبعي علي (ع) يوم الغدير لم يتفرق الناس حتى نزلت هذه الآية فقال (ص) الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وبالولاية لعلي (ع) من بعدي ثم قال (ص) من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله

(الخامسة) الآيات الواردة في الصدق والتصديق النازلة في شأنه (ع) فقد روى ابو نعيم في الحلية والسيوطي في الدر المنثور (٣) وغيرهما (٤) عن ابن عباس ومجاهد في تفسير قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون) قالوا الذي جاء بالصدق رسول

---

(١) انظرها مش ج٨ تفسير الفخر الرازي لأبي مسعود ص ٢٩٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٠٢ ونور الابصار ص٦٩ (٢) انظر الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ٢٥٩ (٣) ج٥ ص٣٢٨
(٤) انظر تفسير الفخر ج٧ ص٢٦٢

الله (ص) والذي صدق به علي بن ابي طالب (ع) وروى احمد بن حنبل وجماعة عن ابن عباس في قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون) انها نزلت في علي (ع) وروى العامة والخاصة بطرق متواترة ان علي بن ابي طالب (ع) صديق هذه الأمة وروى الثعلبي والرازي واحمد بن حنبل في مسنده وابن شيرويه في الفردوس وابن المغازلي وغيرهم عن رسول الله (ص) ان الصديقين ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي ابن ابي طالب (ع) وهو افضلهم ورووا نحو ذلك كثيرا وروى الحافظ ابو نعيم باسناده ان عليا (ع) قال انا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب والصديق لغة وعرفا يرادف المعصوم (ع) او يقرب منه قال الجوهري الصديق دائم التصديق ومن يصدق قوله عمله وقد وصف الله انبياءه بهذا الوصف فقال في ادريس انه كان صديقا نبيا وفي يوسف ايها الصديق ولا ريب ان صاحب هذه الاوصاف والجامع لهذه النعوت اولى بالإمامة من غيره ممن عبد الاصنام ما يزيد على اربعين سنة

(السادسة) قوله تعالى (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي مسندا عن ابن عباس قال كنت جالسا مع فئة من بني هاشم عند النبي «ص» اذ انقض كوكب فقال رسول الله «ص» من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي فقام فئة من بني هاشم فنظروا فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي بن ابي طالب «ع» فقالوا يا رسول الله «ص» قد غويت في حب علي «ع» فنزلت الآية

(السابعة) قوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فقد روى العامة «١» والخاصة ان الذي على بينة من ربه رسول الله (ص) والشاهد الذي يتلوه علي «ع» ولاجل شرافته جعله الله منه بمنزلة بعض جسده اشارة إلى كونه تاليا لرسول الله (ص) وخليفته بعده بلا فصل وان قيل المراد كونه تاليا له في الفضل ثبت المطلوب ايضا لقبح تقديم المفضول على الفاضل وهذه الآية تدل على عصمته ايضا لأن الشاهد الواحد إذا لم يكن معصوما لم تثبت به الدعوى فتدل الآية على امامته ايضا من هذه الجهة

(الثامنة) قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

---

(١) انظر تفسير الفخر ج٥ ص٦٨ وتفسير الطبري ج١٢ ص ١٠ والدر المنثور في تفسير سورة هود والنيشابوري ج٢ ص٣١٧ وشرح النهج الحديدي ج٢ ص٢٣٦

فقد روى المخالف (١) والمؤالف بأسانيد عديدة وطرق شتى انها نزلت في علي (ع) وفاطمة «ع» والحسين «ع» وفي هذه الآية دلالة على عصمتهم «ع» من جميع الارجاس والمعاصي مع التأكيد بلفظة إنما ودخول اللام في الخبر والاختصاص في الخطاب والتكرير بقوله تعالى يطهر والتأكيد بقوله تعالى تطهيرا وغيرهم ليس بمعصوم اتفاقا فتكون الإمامة فيهم ولأن أمير المؤمنين (ع) قد ادعى الخلافة في مواضع ومنها قوله «ع» في خطبته الشقشقية التي رواها العامة والخاصة أما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى وقد ثبت نفي الرجس عنه (ع) فيكون صادقا

(التاسعة) قوله تعالى (إنما انت منذر ولكل قوم هاد) وقد روى العامة (٢) والخاصة بطرق عديدة عن النبي (ص) انه قال انا المنذر وعلي الهادي بك يا علي يهتدي المهتدون فيكون إماما لقوله تعالى (أفمن يهدي إلى الحق أحق ان يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) وفيها ايضا دلالة على أحقية مذهب الإمامية من عدم خلو الزمان من حجة هاد

(العاشرة) آية المباهلة وهي قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) فقد روى الجمهور بطرق مستفيضة (٣) ان هذه الآية نزلت في اهل البيت (ع) وان ابناءنا اشارة إلى الحسنين (ع) ونساءنا إلى فاطمة «ع» وانفسنا إلى علي «ع» فهي تدل على ثبوت الإمامة لعلي (ع) حيث جعله الله تعالى نفس رسول الله «ص» والاتحاد محال فتعين المساواة في الولاية العامة إلا للنبوة

---

(١) انظر تفسير الفخر ج٦ ص٧٨٣ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٩ والنيشابوري ج٣ في تفسير سورة الاحزاب وصحيح مسلم ج٢ ص ٣٣١ والشرف المؤبد ص ١٠ ومصابيح السنة ج٢ ص ٢٠٠ ذكره احتمالا وخصائص الكبرى ج٢ ص٢٦٤ والاتحاف ص١٨ واسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص٨٢ واصابة ابن حجر ج٤ ص ٣٠٧ (٢) انظر تفسير روح البيان ج٣ ص ٢٣٠ والدر المنثور ج٤ ص ٤٥ وتفسير الفخر ج٥ ص٢٧٢ والنيشابوري ج٢ ص٣٦٧ ومنتخب كنز العمال ج٥ ص٤٣ وينابيع المودة ج١ ص ٩٩ ونور الابصار للشبلنجي ص ٦٩ (٣) انظر الدر المنثور ج٢ ص٣٩ وتفسير جلالين ج١ ص ٣٥ وتفسير روح البيان ج١ ص ٤٥٧ وتفسير الكشاف ج ١ ص ٤٩٠ وتفسير الرازي ج٢ ص ٦٩٩ وتفسير البيضاوي ص ٧٦ وتاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٦٥ ومصابيح السنة للبغوي ج٢ ص ٢٠١ وصواعق ابن حجر ص ٩٣

(الحادية عشر) قوله تعالى في ابراهيم «ع» (اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) ووجه الاستدلال ما تقدم وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي مسندا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله «ص» انتهت الدعوة إلي وإلى علي «ع» لم يسجد احدنا لصنم قط فاتخذني نبيا واتخذ عليا وصيا

(الثانية عشر) قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) فقد روى العامة بأسانيد عديدة(١) عن ابن عباس وابي سعيد الخدري انهم مسؤولون عن ولاية علي «ع»

(الثالثة عشر) قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) فقد روى المخالفون انها نزلت في علي «ع» واهل بيته «ع» «٢» وفي رواية وشيعته وإذا ثبت انه خير البرية ثبت انه الامام لما تقدم

(الرابعة عشر) قوله تعالى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) فقد روى العامة والخاصة بأسانيد مستفيضة ان المراد بالذي عنده علم الكتاب علي «ع» والله تعالى يقول «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين» وقوله تعالى «ما فرطنا في الكتاب من شيء» فيكون عالما بجميع الاشياء وافضل من جميع الامة فيكون هو الإمام وقد جعله الله تعالى قرينا له في الشهادة ولا وجه فوق هذه واكتفى بشهادته فدل ذلك على عصمته «ع»

«الخامسة عشر» قوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» والمراد بحبل الله اما اهل البيت كما ورد في كثير من الروايات من طرق العامة «٣» والخاصة او القرآن الذي لا يفترق عنهم ومن تمسك به تمسك بهم فيدل على وجوب التمسك بهم ووجوب اطاعتهم وهذا هو معنى الامامة وقد رووا بطرق متواترة عن النبي «ص» انه قال اني تركت فيكم حبلين ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وبهذا المضمون روايات عديدة

«السادسة عشر» قوله تعالى «قل لا اسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى» فروى

---

(١) انظر صواعق ابن حجر ص٨٩ وينابيع المودة ج١ ص١١٢ (٢) انظر الدر المنثور ج٦ ص ٣٧٩ وصواعق ابن حجر ص٩٦ ونور الابصار للشبلنجي ص٦٩ (٣) انظر صواعق ابن حجر ص٩٠ ونور الابصار للشبلنجي ص٩٩

الجمهور في الصحيحين واحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره «١» عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم قال «ص» علي وفاطمة وابناهما «ع» ووجوب المودة يستلزم وجوب الاطاعة لان المودة إنما تجب مع العصمة إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودتهم كما قال تعالى « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » وغيرهم «ع» ليس بمعصوم اتفاقا فعلي وولداه الائمة وقد روى في الصواعق المحرقة لابن حجر في الباب العاشر عن إمامه الشافعي شعرا في وجوب ذلك

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له

« السابعة عشر » قوله تعالى « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » فروى إمامهم الرازي والنيشابوري والثعلبي «٢» انها نزلت في علي «ع» لما هرب النبي «ص» من المشركين إلى الغار خلفه لقضاء ديونه ورد ودائعه فبات على فراشه وأحاط المشركون بالدار فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب «ع» آخيت بينه وبين رسول الله «ص» فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا وكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبرائيل بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة

(الثامنة عشر) قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » روى الجمهور ومنهم الإمام الرازي والنيشابوري «٣» انها نزلت في أمير المؤمنين «ع» والود

(١) انظر الدر المنثور ج٦ ص٧ وهامش الفخر لأبي سعود ج ٧ ص ٤٠١ وتفسير الفخر ج ٧ ص٤٠٦ وتفسير الكشاف ج٢ ص٣٣٩ وتفسير النيسابوري ج٣ سورة الشورى وتفسير البيضاوي ص٦٤٢ ونور الابصار للشبلنجي ص١٠٠ وص٩٩ واسعاف الراغبين بهامشه ص٨١ (٢) انظر تفسير الفخر ج٢ ص٢٨٣ والنيسابوري ج١ ص٢٢٠ وشرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٢٧٠
(٣) انظر الدر المنثور ج ٤ ص٢٨٧ والنيسابوري ج٢ سورة مريم والفتوحات الإسلامية ج٢ ص٣٤٢ وصواعق ابن حجر ص١٠٢ واسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص٨٥

المحبة في قلوب المؤمنين وفي الصواعق المحرقة «١» لابن حجر قال في رواية صحيحة عن النبي «ص» قال ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني ومن يوقع الله محبته في قلوب المؤمنين ويذكر ذلك في مقام الامتنان لا بد ان يكون معصوما لما تقدم

« التاسعة عشر » قوله تعالى « واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا » روى ابن عبد البر من العامة ان النبي لما اسري به جمع الله بينه وبين الانبياء ثم قال له سلهم يا محمد على ماذا بعثتم قالوا بعثنا على شهادة ان لا إله إلا الله وعلى الاقرار بنبوتك والولاية لعلي بن ابي طالب «ع» وفي تفسير النيشابوري «٢» عن الثعلبي عن ابن مسعود ان النبي «ص» قال اتاني ملك فقال يا محمد «ص» سل من ارسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا قالوا على ولايتك وولاية علي بن ابي طالب

(العشرون) قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) وروى الجمهور (٣) ومنهم الناصبي (٤) الفضل بن روزبهان انها نزلت في علي وانه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) لعلي (ع) سألت الله ان يجعلها اذنك قال علي (ع) فما نسيت بعد هذا شيئا وهذا يدل على اختصاصه (ع) بهذه الفضيلة التي لم يشاركه فيها غيره فيكون هو الإمام

(الحادية والعشرون) سورة هل اتى روى جمهور المخالفين «٥» ان الحسن والحسين (ع) مرضا فعادهما رسول الله (ص) وعامة العرب فنذر علي (ع) صوم ثلاثة ايام وكذا امهما فاطمة الزهراء (ع) وخادمتهما فضة لئن برئا فبرئا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فاستقرض امير المؤمنين (ع) ثلاثة اصوع من شعير وطحنت فاطمة (ع) منها صاعا فخبزته خمسة اقراص لكل واحد قرص وصلى علي (ع) المغرب فلما اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه للافطار أتاهم مسكين

---

(١) انظر الصواعق ص١٠٣ ط مصر سنة ١٣٢٤ (٢) انظر تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج ٢٥ ص٥٨ (٣) انظر الدر المنثور ج ٦ ص٢٦٠ وتفسير الخفر ج ٨ ص ٢٨٢ وتفسير الطبري ج٢٩ ص٣١ وروح البيان ج٦ص٤٢٧ والنيسابوري ج٣ سورة الحقاة وكنز العمال ج٦ ص ٣٩٨ ونور الابصار ص٦٩ (٤) انظر احقاق الحق للعلامة الآية السابعة عشر (٥) انظر روح البيان ج٦ ص٥٤٦ وتفسير الفخر ج٨ ص٣٩٢ والنيسابوري ج٣ سورة الدهر وينابيع المودة ج١ ص ٩٣ وص ٩٤

وسألهم فأعطاه كل منهم قوته ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا ثم صاموا اليوم الثاني فخبزت فاطمة (ع) صاعا فلما قدم بين ايديهم للافطار اتاهم يتيم وسألهم القوت فاعطاه كل واحد منهم قوته فلما كان اليوم الثالث من صومهم وقدم الطعام للافطار اتاهم أسير وسألهم القوت فاعطاه كل واحد منهم قوته ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء فرآهم النبي (ص) في اليوم الرابع وهم يرتعشون من الجوع وفاطمة (ع) قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فقال واغوثاه يا الله اهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط جبرائيل (ع) فقال خذ ما هنأك الله به في اهل بيتك فقال وما آخذ يا جبرائيل فأقرأه هل أتى وهذه فضيلة لم يشاركهم فيها احد قد انزل الله فيها قرآنا يتلى ليلا ونهارا فكيف يكون غيرهم أولى بالإمامة منهم

«الثانية والعشرون» قوله تعالى «هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين» روى الجمهور (١) ومنهم الفضل بن روزبهان (٢) عن ابي هريرة قال مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي ايدته بعلي بن ابي طالب (ع) وهذه الفضيلة المكتوبة على العرش الأعظم في ازل الازال يخجل العقل والنقل ان يكون صاحبها متبعا ورعية لمن صرف اكثر عمره في عبادة الأصنام

«الثالثة والعشرون» قوله تعالى «يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» وروى الجمهور انها نزلت في علي «ع»

«الرابعة والعشرون» قوله تعالى «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» روى الثعلبي انها نزلت في علي (ع) «٣» وتقريب الاستدلال فيها ما تقدم

«الخامسة والعشرون» قوله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» روى جملة من المخالفين «٤» ومنهم صاحب الصواعق «٥» وصاحب كشف الغمة «٦» عن الحافظ بن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) هم انت يا علي وشيعتك تأتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي اعداؤك غضبانا مقمحين

---

(١) انظر الدر المنثور ج٣ ص١٩٩ وينابيع المودة ج١ ص٩٤ (٢) انظره في احقاق الحق للعلامة آية عشرين (٣) انظر النيسابوري ج٢ ص٢٨ وتفسير الرازي ج٣ ص٦١٢ (٤) انظر الدر المنثور ج٦ ص٣٧٩ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي في فضائل علي (ع) ط ايران سنة ١٣٠٣ (٥) انظر الصواعق ص٩٦ (٦) ص٩٢ ط إيران سنة ١٢٩٤

« السادسة والعشرون » قوله تعالى « وان تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » فقد روى العامة «١» ان المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين (ع) وان الخطاب لعائشة و حفصة وتقريب الاستدلال ما تقدم وممن روى ذلك صاحب كشف الغمة «٢» وابو يوسف النسوي والسدي والثعلبي في تفسيرهما وغيرهم ولو رمنا الاتيان بجميع الآيات الواردة في علي (ع) واهل بيته مما يدل على اولويته بالخلافة وافضليته لخرجنا عن المقصود وفيما ذكرناه كفاية ومن اراد استقصاء ذلك فعليه بمطالعة كتب آية الله في العالمين(٣) في الرد على المخالفين وغيره من علمائنا رضوان الله عليهم اجمعين في الإمامة

المبحث الثالث

في الاخبار المروية من طرق الجمهور وهي لا تحصى نذكر منها شيئا مقنعا

(الأول) ما روى العامة بأسرهم بطرق متواترة وأسانيد متظافرة تنيف على مائة طريق واتفقوا على صحته واعترفوا بوقوعه وهو حديث الغدير (٤) وملخصهُ انــهُ لما نزل في حجة الوداع قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالتهُ والله يعصمك من الناس) وكان النبي (ص) في غدير خم وقت القيلولة في شدة الحر بحيث لو وضع اللحم على الأرض لشوي فأمر باجتماع الناس وعمل له منبر من احجار فقام عليه خطيبا ثم قال أيها الناس ألست أولى بكم من انفسكم قالوا بلى يا رسول الله فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وفي بعض رواياتهــم فقال له عمر بخ بخ لك يا علي اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ثم نزل بعــد ذلك

(١) انظر الدر المنثور ج٦ ص٢٤٤ وينابيع المودة ج١ ص٩٣ (٢) ص٩٢

(٣) هو العلامة الحلي (٤) انظر الصواعق لابن حجر في الشبهة الحادية عشر ص٢٥ والحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٠٩ وكنز العمال ج ٦ ص ٣٩٠ وص ٣٩٧ و ص ٤٠٣ وص ٤٠٧ ومسند احمد ج١ في مسند علي ص ١١٩ وج ٤ منه ص ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٢٨١ وخصائص النسائي ص١٥ و١٨ والمواقف وشرحها وشرح التجريد للقوشجي والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٢ والــدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٩ ونور الأبصار ص ٦٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤ والاستيعاب ج٢ ص٤٧٣ بترجمة أمير المؤمنين (ع) وانظر المحاضرات للراغب ج٢ ص٢١٣ والعقد الفريد ج٢ احوال عمر تجد اعتراف عمر بأحقيته (ع) للخلافة

قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فقال النبي (ص) الحمد لله على اكمال الدين واتمام النعمة ورضاء الرب وحديث الغدير مما اتفق عليه جميع فرق الإسلام حتى النواصب والخوارج وهو متواتر من طرقهم رواه البخاري واحمد ابن حنبل والثعلبي في تفسيره وابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب من طرق شتى وابن عقده بمائة وخمس طرق وذكر ابن طاوس (١) من علمائنا ان الذين صنفوا كتبا في هذا المطلب ورووا حديث الغدير منهم مسعود بن ناصر السجستاني الذي هو من ثقات علماء المخالفين روى حديث الغدير عن مائة وعشرين شخصا من الصحابة ورواه محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ في كتاب الرد على الحرقوصية بخمس وسبعين طريقا ورواه ابو القاسم الحكائي بطرق كثيرة ورواه ابن عقدة الحافظ في كتاب الولاية بمائة وخمس طرق وذكر الشيخ ابن كثير الشامي الشافعي عند ذكر احوال محمد بن جرير الطبري الشافعي قال اني رأيت كتابا جمع فيه احاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتابا جمع فيه أحاديث طرق الطير ونقل عن ابن المعالي الجويني انه كان يتعجب ويقول شاهدت مجلدا ببغداد في يد صحاف فيه روايات هذا الخبر مكتوبا عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق من كنت مولاه فعلي مولاه ويتلوه المجلد التاسع والعشرون وبالجملة فهذا الحديث متواتر من طرقهم ولما ضاق عليهم الخناق التجأوا إلى تأويلاته بتأويلات فاسدة وتمويهات كاسدة يبطلها الوجدان ويكذبها العيان وتشهد ببطلانها الإنس والجان وتضحك منها الأطفال والصبيان فقالوا ان المولى له معاني كثيرة في اللغة سوى الأولى بالتصرف كالرب والمالك والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع وابن العم والحليف والمعاهد والعبد والمعتوق والمنعم عليه فلم لا تحملوه على احد هذه المعاني دون الأولى بالتصرف ونحن نقول ان فتح باب التأويل يفضي إلى الإلحاد والتضليل وان سياق الحديث وقوله (ص) ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم ينادي بأفصح لسان على التعيين والمعاني المذكورة كلها لا يصح حمل الحديث عليها وما يتخيلوه من امكان الحمل على المحبة والنصرة والولاء ففاسد إذ لا اختصاص لهذه الامور به (ع) على ان المقام وشدة الاعتناء بهذا الشأن وجمع الناس في هذا الحر الشديد والنزول في اثناء الطريق والأمر بالتبليغ والتهديد على ذلك ونزول الآية في اكمال الدين ونحو ذلك من هذه الأمور مما يحيله العقل والعادة ان يكون لبيان أمر واضح لا يخفى على احد

(١) انظر الاقبال للسيد ابن طاوس في اعمال يوم الغدير ص ٦٦٣

ككونه ابن عمه وناصره ومعينه ومحبه

(الثاني) ما رواه احمد بن حنبل (١) في مسنده قال قال رسول الله كنت انا وعلي بن ابي طالب نورا بين يدي الله قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله تعالى آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي وفي حديث آخر رواه ابن المغازلي الشافعي فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل في نبي واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففي النبوة وفي علي الخلافة وفي خبر رواه ابن المغازلي عن جابر وفي آخره حتى قسمها جزءين جزء في صلب عبد الله وجزء في صلب ابي طالب فأخرجني نبيا وأخرج عليا وصيا

(الثالث) روى احمد بن حنبل (٢) في مسنده انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع النبي (ص) من أهل بيته ثلاثين فأكلوا وشربوا ثلاثا ثم قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة فقال علي (ع) أنا فقال (ص) انت ورواه الثعلبي في تفسيره بعد ثلاث مرات في كل مرة يسكت القوم غير علي (ع)

(الرابع) ما رواه العلامة (ره) في نهج الحق واقره الناصب على ذلك «٣» عن المسند أي مسند ابن حنبل عن سلمان (ره) انه قال يا رسول الله ومن وصيك قال يا سلمان من كان وصي اخي موسى قال يوشع بن نون قال فإن وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن ابي طالب (٤)

(الخامس) ما رواه (٥) ايضا عن كتاب ابن المغازلي الشافعي واقره الناصب عليه باسناده عن رسول الله (ص) انه قال لكل نبي وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن ابي طالب (٦)

---

(١) انظر شرح النهج ج ٢ ص ٤٥٠ فانه نقل ذلك عن مسند احمد وعن كتاب الفردوس وانظر تذكرة الخواص ص ٢٨ (٢) انظر مسند احمد ج ١ ص ١١١ وكنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٧ وكامل بن الاثير ج ٢ ص ٢٤ وشرح النهج ج ٣ ص ٢٦٣ (٣) هو ابن روزبهان (٤) احاديث الوصية كثيرة جدا بل هي متواترة عند القوم معنى وقد ذكر في الباب الخامس عشر وغيره من ينابيع المودة احاديث جمة منها عن مسند احمد وسطر ابن ابي الحديد ثلاث صحائف في أوائل الجزء الأول من الشعر المقول في صدر الاسلام الكثير من وجوههم يتضمن بيان الوصية لأمير المؤمنين (ع) (٥) اي العلامة (ره) في نهج الحق (٦) رواه الذهبي في ميزان الاعتدال بترجمة شريك بن عبد الله ونقله السيوطي في اللئالي بطريقين ونقله في ينابيع المودة في الباب الخامس عشر والباب السادس والخمسين

(السادس) ماورواه (١) عن مسند ابن حنبل وعن الجمع بين الصحاح الستة واقره الناصب ان رسول الله (ص) بعث براءة مع ابي بكر إلى أهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه عليا (ع) فرده فرجع ابو بكر إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله انزل في شيء قال لا ولكن جبرائيل جاءني وقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك (٢)

(السابع) ما رواه بطرق عديدة وهو مروي في صحيح مسلم وصحيح البخاري وصحيح الترمذي وغيرها حتى اعترف النواصب كابن حجر وغيره بصحته وهو حديث المنزلة وقوله (ص) لعلي (ع) انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي (٣) ولا يخفى مافيه من الدلالة الفصيحة والمقالة الصريحة بعد قوله تعالى حكاية عن موسى (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في امري) على عموم المنزلة وإلا لما صح الاستثناء ومن منازل هارون انه لو عاش بعد موسى لكان خليفة له بقوله اخلفني في قومي فيكون كذلك بعد وفاته وإلا لكان معزولا عن تلك الولاية وهو باطل ولأنه كان مولى مفترض الطاعة فلو عاش وجبت عليهم اطاعته

(الثامن) ما رواه العلامة (ره) واقره الناصب واعترف به عن مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق ان النبي (ص) آخى بين الناس وترك عليا حتى بقي آخرهم لا يرى له أخا فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك وتركتني فقال (ص) إنما تركتك لنفسي انت أخي

---

(١) هو العلامة (ره) في نهج الحق (٢) انظر مسند أحمد ج١ ص٣ وص١٥١ وج٣ منه ص٢٨٣ وج٤ منه ص ١٦٤ و١٦٥ وكنز العمال بتفسير سورة التوبة ج١ ص٢٤٦ و٢٤٧ و٢٤٨ و٢٤٩ وج٦ منه في فضائل علي (ع) ص١٥٣ وسنن الترمذي في فضائل علي وفي تفسير سورة التوبه ومستدرك الحاكم في كتاب المغازي ج٢ ص٥١ ومنه في تفسير سورة التوبة ص ٣٣١ وابن حجر في صواعقه في الشبهة الثانية ص ١٩ وخصائص النسائي ص٤ والاصابة لابن حجر بترجمة علي (ع) ج ٢ ص٥٠٩

(٣) انظر صحيح البخاري ج٢ ص١٨٥ في مناقب علي (ع) وج٣ منه ص ٥٤ في باب غزوة تبوك من كتاب المغازي وصحيح مسلم ج٢ ص٢٣٦ و٢٣٧ ومسند احمد في وجه تسمية الحسنين بالحسنين ج١ ص٩٨ و١١٨ و١١٩ والصواعق لابن حجر ص ٣٠ و٧٤ ونور الأبصار للشبلنجي ص ٦٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٥ والعقد الفريد ج٢ ص١٩٤ وخصائص النسائي ص٧ و٢٣ والاستيعاب بترجمه علي (ع) ج٢ ص٤٧٣ وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢ و١٥٣

وانا أخوك فإن ذكرك احد فقل أنا عبد الله واخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب (١) والذي بعثني بالحق نبيا ما أخرتك إلا لنفسي وانت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي وفي الجمع بين الصحاح الستة عن النبي (ص) قال مكتوب على باب الجنة محمد رسول الله علي أخو رسول الله قبل ان يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام

(التاسع) ما رواه عن مسند ابن حنبل والصحاح الستة واعترف به الناصب من عدة طرق عن النبي (ص) انه قال ان عليا مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي لا يؤدي عني إلا أنا أو علي وفيه أيضا انه لما قتل علي اصحاب الألوية يوم احد قال جبرائيل لرسول الله ان هذه لمواساة فقال النبي (ص) ان عليا مني وأنا منه فقال جبرائيل وانا منكما يا رسول الله (٢)

«العاشر» ما رواه عن مسند ابن حنبل واعترف به الناصب عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله اني قد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين واحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي اهل بيتي إلا انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض «٣»

وروى احمد من عدة طرق وفي صحيح مسلم في موضعين عن زيد بن ارقم قال خطبنا رسول الله «ص» بين مكة والمدينة ثم قال بعد الوعظ ايها الناس إنما انا بشر يوشك ان

(١) انظر ينابيع المودة الباب التاسع والترمذي في فضائل علي (ع) والاستيعاب بترجمة امير المؤمنين (ع) ج ٢ ص ٤٧٣ والحاكم في المستدرك في كتاب الهجرة ج٣ ص١٤ و١٢٠ وكنز العمال ج٦ ص٣٩٤ و٣٩٩ و١٥٤ و٤٠٠ وصواعق ابن حجر ص٧٥ ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٦ (٢) انظر الحاكم في المستدرك ج٣ ص١١٠ وسنن الترمذي في مناقب علي (ع) ومسند أحمد ج٤ ص ٤٣٧ وج٥ منه ص ٣٥٦ وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢ و١٥٤ و٤٠٠ والطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٧ وكامل بن الأثير ج٢ ص٦٣ وصحيح البخاري في باب عمرة القضاء من كتاب المغازي ج٣ ص٣٦ ومنه في كتاب الصلح ج٢ ص٧٠ ومنه في مناقب علي (ع) ص١٨٤ والصواعق لابن حجر ص٧٥ وشرح النهج الحديدي ج٣ ص٣٧١ ونور الابصار ص٧٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٥ (٣) انظر مسند احمد ج٣ ص١٧ و٥٩ وج٤ منه ص٣٦٧ وج٥ منه ص ١٨٢ و١٨٩ وصحيح مسلم في فضائل علي (ع) ج٢ ص٢٣٨ والصواعق لابن حجر ص ٩١ في الآية الرابعة من الآيات الواردة في اهل البيت (ع) والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٠٩ واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي ص٨٥ و٨٦ وتفسير الفخر سورة آل عمران ج ٣ ص ٢٤

يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه النور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي وروى الزمخشري وكان من أشد الناس عنادا لأهل البيت وهو الثقة المأمون عند الجمهور باسناده قال قال رسول الله «ص» فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولدها امناء ربي وحبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » بأسانيد متعددة عن رسول الله قال ايها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي اهل بيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وفي الجمع بين الصحيحين إنما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب وانا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في اهل بيتي خيرا وفي هذه الأخبار دلالة صريحة ومقالة فصيحة على ان اهل البيت هم خلفاء النبي «ص» وانه يجب الرجوع اليهم والأخذ منهم والتعويل عليهم والتسليم لهم والركون اليهم فعليك بالانصاف ايها الناظر والتدبر في ان العامل بهذه الوصايا والتأكيدات الصادرة عمن لا ينطق عن الهوى هل هم الإمامية ام المخالفون الذين لا يجسر أحد على ذكر اهل البيت بفضيلة عندهم ومن الأمر الغريب والعجب العجيب قول الناصب الفضل بن روزبهان بعد نقل هذه الأخبار أقول هذه الأخبار «١» بعضها في الصحاح وبعضها قريب المعنى منها وحاصلها التوصية بحفظ أحكام الكتاب واخذ العلم منه ومن أهل البيت وتعظيم اهل البيت ومحبتهم وموالاتهم وكل هذه الامور فريضة على المسلمين ولا قائل بعدم وجوبه على كل مسلم ولكن ليس فيما ذكر نص على خلافة علي بعد رسول الله «ص» لأن هذا هو الوصية بالحفظ واخذ العلم منهم وجعلهم قرناء للقرآن يدل على وجوب التعظيم وأخذ العلم عنهم والاقتداء بهم في الاعمال والأقوال وأخذ طريق السنة والمتابعة من أعمالهم إلى آخر كلامه السخيف الواهي فانظر إلى هذا الناصب لا يستحي من الكذب مع انهم انتسبوا الى المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ولم ينتسبوا الى احد

(١) انظره بعد تمام الحديث الخامس والعشرين من كتاب نهج الحق في الأحاديث الدالة على امامته «ع»

من اهل البيت واذا نسب احد الى المذهب الجعفرى استحلوا قتله وسفكوا دمه وانتهكوا حرمته وانظر الى ادعائهم حفظ اهل البيت ووصية النبي فيهم والتأكيد في ذلك عليهم وقد سفكوا دماءهم واستحلوا قتلهم وكان معاوية يلعن امير المؤمنين (ع) على المنابر وفي قنوت الصلاة وحاربه واستحل قتله وقتل اصحابه ومع ذلك قالوا بنجابته واذا سبه او لعنه احد من المؤمنين قاتلوه ويزيد (لعنه) قد قتل سيد شباب اهل الجنة ونور عين سيد الأمة ومع ذلك قد تولوه ولم يرضوا بلعنه وسبه حشرهم الله معه ومع ابيه وكان امامهم ابو حنيفة يقول قال علي واقول انا ولم يزل مجتهدا في مخالفة اهل البيت حكم الله بيننا وبينهم بالحق

(الحادي عشر) مارواه(١)ولم يسع الناصب انكاره (٢) عن مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق وعن الجمع بين الصحاح الستة عن ام سلمة قالت كان رسول الله (ص) في بيتي فأتت فاطمة فقال ادعي زوجك وابنيك فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين وكان تحته كساء خيبري فأنزل الله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣)

فاخذ فضل الكساء وكساهم به ثم اخرج يده فأومى بها الى السماء وقال هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اللهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فادخلت رأسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك الى خير انك الى خير وقد روي نحو هذا المعنى من صحيح ابي داود وموطأ مالك وصحيح مسلم في عدة مواضع وعدة طرق

(الثاني عشر) ما رواه (٤) واعترف به الناصب (٥) عن مسند احمد بن حنبل قال قال رسول الله (ص) النجوم امان لاهل السماء فإذا ذهبت ذهبوا واهل بيتي امان لأهل الارض

---

(١) أي العلامة في كشف الحق (٢) هو الفضل بن روزبهان انظره في رد كشف الحق ونهج الصدق للعلامة (ره) (٣) انظر ما رواه مسلم في باب فضائل اهل بيت النبي ج٢ ص٢٤٠٢ وفيه من باب فضائل علي ص٢٣٧ ومسند احمد ج٣ ص٢٥٩ و٢٨٥ وج٤ منه ص١٠٧ وج٦ منه ٢٩٢ و٣٠٤ و٢٩٦ و٣٢٣ والحاكم في المستدرك في تفسير سورة الأحزاب ج٢ ص ٤١٦ وج٣ منه ص ١٤٧ لغاية ١٥٨ والزمخشري في كشافه في تفسير سورة آل عمران ج ١ ص ١٤٩ ونور الابصار للشبلنجي ص ٩٩ والعقد الفريد ج٢ صفحة ١٩٤ وخصائص النسائي صفحة ٣ و٧ والاستيعاب بترجمة امير المؤمنين (ع) ج٢ صفحه ٤٧٣ (٤) هو العلامه الحلي (ره) (٥) هو الفضل بن روزبهان

فإذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض (١) ورواه صدر الائمة موفق بن احمد المكي وفي مسند احمد قال رسول الله (ص) اللهم اني اقول كما قال اخي موسى اجعل لي وزيرا من اهلي عليا أخي اشدد به ازري واشركه في امري

(الثالث عشر) الاحاديث التي رووها في صحاحهم عن النبي (ص) انه نص على ان خلفاءه اثنا عشر مما لا ينطبق الا على مذهب الإمامية وستأتي مفصلة ان شاء الله تعالى

المبحث الرابع

في الاخبار التي رووها وتدل على افضليته (ع) على غيره وجامعيته (ع) لأوصاف ونعوت لم تجتمع في غيره فيكون هو الإمام وهي كثيرة جدا غير محصية عداً منها ما رواه العلامة في نهج الحق ولم يسع الناصب انكاره عن الجمع بين الصحاح الستة عن النبي (ص) قال رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيثما دار (٢)

وروى الجمهور انه (ص) قال لعمار (ره) سيكون في امتي بعدي هنات واختلاف حتى يختلف السيف بينهم حتى يقتل بعضهم بعضا ويبرأ بعضهم من بعض يا عمار تقتلك الفئة الباغية وانت اذ ذاك مع الحق والحق معك ان عليا لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى يا عمار من تقلد سيفا اعان به عليا على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ومن تقلد سيفا اعان به عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني يعني عليا وان سلك الناس كلهم واديا فاسلك واديا سلكه علي وخل الناس طرا يا عمار ان عليا لا يزال على هدى يا عمار ان طاعة علي من طاعتي وطاعتي من طاعة الله وروى احمد بن موسى بن مردويه من الجمهور من عدة طرق عن عائشة ان رسول الله (ص) قال الحق مع علي وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وروى احمد بن حنبل في مسنده (٣) ان النبي (ص) اخذ بيد الحسن والحسين وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم

(١) انظر الصواعق لابن حجر ٩٣ وكنز العمال في فضائل أهل البيت ج٦ صفحه ٢١٧ والحاكم في المستدرك ج ٣ صفحه ١٤٩ (٢) انظر الترمذي في فضائل علي والحاكم في المستدرك ج ٦ صفحه ١٢٤ والصواعق لابن حجر في الشبهة الحادية عشر صفحه ٢٥ وكنز العمال ج٦ صفحه ١٥٧ وشرح النهج الحديدي ج١ صفحه ٢١٢ وج٢ منه ص ٤٢٢ (٣) انظر مسند احمد ج١ صفحه ٧٧ والترمذي في مناقب علي (ع) والفخر في تفسيره جزء ٧ صفحه ٤٠٥

القيامة وفيه عن جابر قال قال رسول الله (ص) ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه ادنو مني يا علي خلقت انا وانت من شجرة فأنا اصلها وانت فرعها والحسن والحسين اغصانها فمن تعلق بغصن منها ادخله الله الجنة وفي مسند احمد بن حنبل من عدة طرق (١) ان النبي قال من آذى عليا فقد آذاني أيها الناس من آذى عليا بعث يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا وقد اتضح العذر بهذه الأخبار وما يأتي بعدها لمعاوية وأم المؤمنين وطلحة والزبير

وعن مسند احمد وصحيح مسلم قال لم يكن أحد من اصحاب رسول الله (ص) يقول سلوني إلا علي بن ابي طالب (ع) «٢» وقال (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها «٣» وعن مسند احمد بن حنبل والجمع بين الصحاح الستة عن انس بن مالك قال كان عند النبي (ص) طائر قد طبخ له فقال اللهم ائتني بأحب الناس اليك يأكل معي فجاء علي (ع) فأكل منه معه (٤) ومنه عن ابن عباس انه لما حضرته الوفاة قال اللهم اني أتقرب اليك بولاية علي بن ابي طالب (ع) «٥» وقال الناصب «٦» حديث الطير مشهور وهو فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة وعن مسند أحمد بن حنبل والجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة ان النبي (ص) قال لعلي (ع) لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (٧)

---

(١) انظر مسند احمد ج٣ ص٤٨٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص١٢٢ وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢ والاستيعاب بترجمة علي (ع) ج٢ ص٤٧٤ والصواعق لابن حجر ص٧٦ ونور الأبصار ص ٧١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٦ (٢) انظر الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين (ع) ج٢ ص٤٧٥ وابن حجر في الصواعق في الفصل الثالث ص٧٨ وكنز العمال ج٦ ص٣٩٧ (٣) انظر مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٦ وكنز العمال ج ٦ ص١٥٢ و١٥٦ و٤٠١ والصواعق لابن حجر ص٧٥ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص٦٦ والاستيعاب بترجمة علي (ع) ج ٢ ص٤٧٤ (٤) انظر الترمذي في صحيحه وخصائص النسائي ص ٤ والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٣٠ وكنز العمال ج٦ ص٤٠٦ والسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ص٢٣ وينابيع المودة في الباب الثامن (٥) انظر الرياض النضرة في مناقب العشره ج٢ ص١٧٢ (٦) هو الفضل بن روزبهان انظر مقالته في حقائق الحق الحديث الثامن عشر

(٧) انظر الصواعق لأبن حجر ص٧٥ والترمذي في فضائل علي (ع) وصحيح مسلم في ج١ ص ٣٥ وكنز العمال في فضائل علي (ع) ج ٦ ص١٥٢ و٣٩٠ و٣٩٤ والحاكم في المستدرك في مناقب علي (ع) ج٣ ص١٢٩ والفخر في تفسيره ج ٧ ص٤٠٥ ونور الأبصار ص٧٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٦ وخصائص النسائي ص١٩

و في المسند ان رسول الله (ص) قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال ابو بكر انا يا رسول الله قال لا قال عمر انا هو يا رسول الله قال لا ولكنه خاصف النعل وكان علي يخصف نعل رسول الله في الحجرة عند فاطمة «ع» (١) وفي الجمع بين الصحاح الستة لتنتهن معاشر قريش أو ليبعثن الله عليكم رجلا مني امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم على الدين قيل يا رسول الله ابو بكر قال لا قيل عمر قال لا ولكن خاصف النعل في الحجرة يعني عليا «٢» وفي المسند ان رسول الله (ص) قال لعلي (ع) ان فيك مثلا من عيسى ابن مريم ابغضته اليهود حتى بهتوا الله واحبته النصارى حتى انزلوه المنزل الذي ليس له بأهل «٣» وروي عن الجمهور واعترف به الناصب انه لما برز علي إلى عمر بن عبد ود العامري في غزوة الخندق وقد عجز عنه المسلمون قال النبي (ص) برز الإيمان كله إلى الكفر كله (٤) قال الناصب صح هذا أيضا في الخبر وهذا من مناقبه وفضائله التي لا ينكرها إلا سقيم الرأي ضعيف الإيمان وعن مسند ابن حنبل واعترف به الناصب ان النبي أمر بسد الأبواب في المسجد الا باب علي بن ابي طالب فتكلم الناس فخطب رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني لما أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي (ع) قال فيه قائلكم والله ما سددت شيئا ولا فتحته له ولكن امرت بشيء فاتبعته (٥) وعن مسند أحمد من عدة طرق وصحيحي مسلم

(١) انظر مسند احمد ج٣ ص٣٣ و٨٣ والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٢٣ وكنز العمال ج ٦ ص١٥٥ و٣٩٠ و٣٩١ والنسائي في خصائصه ص٢٩ وابن حجر في الصواعق في فضائل علي ص ٧٦ وتاريخ الخلفا ص٦٧ والاصابة لابن حجر ج١ ص٢٥ (٢) انظر كنز العمال ج٦ ص٣٩٦ و٣٩٣ و٤٠٧ و٤٠٨ وخصائص النسائي ص١٤ والصواعق لابن حجر من احاديث فضل علي (ع) ص ٧٧ والاستيعاب بترجمة علي (ع) ج٢ ص٤٧٧ (٣) انظر مسند احمد ج١ ص١٦٠ والنسائي في خصائصه ص١٩ والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٢٣ ؛ والصواعق لابن حجر في فضائل علي ص٧٦ وكنز العمال ج٦ ص١٥٥ و١٥٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٧ والعقد الفريد ج٢ ص١٩٤ والاستيعاب ج٢ ص ٤٧٤

(٤) انظر شرح النهج ج٤ ص٣٤٤ (٥) انظر مسند احمد ج١ ص١٧٥ و٣٣١ و ج ٢ منه ص٢٦ وصواعق ابن حجر ص٧٨ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٥ وكنز العمال ج٦ ص١٥٢ و٣٩١ و٣٩٣ و٤٠٨ والترمذي في فضائل علي (ع) والسيوطي في اللئالي المصنوعة وينابيع المودة في الباب السابع عشر والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧٣ و٣٧٤ وخصائص النسائي ص٩ والاصابة لابن حجر بترجمة علي (ع) ج٢ ص٥٠٩

والبخاري من طرق متعددة والصحاح الستة ايضا عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول حاصرنا خيبر وأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم اخذها عمر من الغد فرجع ولم يفتح له واصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله (ص) اني دافع الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله له فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا إلى رسول الله (ص) كلهم يرجون ان يعطوها فقال (ص) أين علي بن ابي طالب فقالوا انه أرمد العين فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله (ص) في عينه ودعا له فبرء واعطاه الراية ومضى (ع) فلم يرجع حتى فتح الله على يديه «١» قال الناصب حديث خيبر صحيح وهذا من الفضائل العلية لأمير المؤمنين (ع) لا يكاد يشاركه فيها أحد وكم من فضائل له مثل هذا وعن مسند ابن حنبل من طرق عديدة وصحيحي مسلم والبخاري من عدة طرق ان النبي (ص) لما خرج إلى تبوك استخلف عليا على المدينة وعلى اهله فقال علي وما كنت أوثر ان تخرج في وجه إلا وانا معك فقال (ص) اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي «٢» قال الناصب هذا من روايات الصحاح وفي الصحيحين ان النبي لما اراد المباهلة بنصارى نجران احتضن الحسين (ع) واخذ بيد الحسن (ع) وفاطمة (ع) تمشي خلفه وعلي (ع) يمشي خلفها وهو يقول لهم إذا انا دعوت فأمنوا «٣» وقال الناصب قصة المباهلة مشهورة وهي فضيلة عظيمة

وفي الجمع بين الصحاح الستة وتفسير الثعلبي ورواية ابن المغازلي الشافعي آية المناجات

(١) انظر مسند احمد ج٥ ص٣٥٣ و٣٥٨ ومستدرك الحاكم في كتاب المغازي ج٣ ص٣٧ وكنز العمال ج٥ ص٢٨٣ وج٦ منه ص٣٩٤ و٤٠٥ وتاريخ الطبري ج٣ ص٩٣ وكامل ابن الاثير ج٢ ص٩١ وصحيح البخاري ج٢ ص١٨٤ في مناقب علي (ع) وصحيح مسلم في باب فضائل علي (ع) ج٢ ص٢٣٧ والزمخشري في كشافه ج ٢ ص٤٤٣ سورة المجادلة وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٥ والعقد الفريد ج٢ ص١٩٤ وخصائص النسائي ص٣ و٤ و٢٣ والاستيعاب ج٢ ص٤٧٣ بترجمة امير المؤمنين (ع) وصحيح البخاري أيضا ج٣ ص٣٧ ط مصر سنة ١٣٠٤ وتفسير الفخر الرازي سورة المائدة ج٣ ص٦١٣

(٢) انظر الصواعق لابن حجر في الشبهة الثانية عشر ص٢٩ و٧٤ في مآثره وفضائله (ع) وصحيح البخاري ج٣ ص٥٤ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٣٦ و٢٣٧ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص٦٥ وخصائص النسائي ص٣

(٣) انظر الصواعق لابن حجر في مآثره وفضائله (ع) ص٧٤ وفي الآيات الواردة فيهم (ع) منه ص٩٥ وصحيح مسلم في فضائل علي (ع) ج٢ ص٢٣٧ وسنن الترمذي في فضائل علي (ع) وتاريخ الخلفا للسيوطي ص٦٥

واختصاص امير المؤمنين بها تصدق بدينار حال المناجات ولم يتصدق أحد قبله ولا بعده«١» ثم قال علي «ع» ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي «يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم» الآية وهي خفف الرسول عن هذه الأمة فلم ينزل في احد بعدي قال الناصب هذا من فضائل أمير المؤمنين ولم يشاركه احد في هذه الفضيلة وهي مذكورة في الصحاح ومن كتاب المناقب لأبي بكر احمد بن مردويه وهو حجة عند المذاهب الاربعة رواه باسناده إلى ابي ذر «ره» قال دخلنا على رسول الله «ص» فقلنا من أحب اصحابك اليك وان كان امر كنا معه وان كانت نائبة كنا من دونه قال هذا علي أقدمكم سلما وإسلاما

وعن الحافظ في قوله تعالى «عم يتساءلون عن النبأ العظيم» باسناده إلى السدي عن رسول الله (ص) ان ولاية علي يتساءلون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية امير المؤمنين بعد الموت يقولان للميت من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك «٢» ومن الغريب ان الناصب قال في رد هذا الخبر قال ماذكر من ان المراد بعم علي فلا يصح بحسب المعنى والتركيب ويكون هكذا علي يتساءلون عن النبأ العظيم وهذا من جهله عجيب اذ ليس معنى الحديث ان عم عبارة عن علي (ع) بل النبأ العظيم هو علي امير المؤمنين كما قيل

هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب

وروى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور واستخرجه من التفاسير الاثنا عشر عن ابن عباس في قوله تعالى «واسألوا أهل الذكر» قال هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) هم اهل الذكر والعلم والعقل والبيان وهم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة والله ما يسمى المؤمن مؤمنا إلا كرامة لأمير المؤمنين (ع) ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحرث

---

(١) انظر مستدرك الحاكم في تفسير سورة المجادلة ج ٢ ص ٤٨٢ وتفسير الرازي ج ٨ ص ١٦٧ والزمخشري ج ٢ ص ٤٤٣ واسباب النزول للواحدي وابن تيمية

(٢) ورد في تفسير قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون اي عن ولاية علي بن ابي طالب ذكره ابن حجر في الصواعق ص ١٩ ط مصر سنة ١٣١٢ وذكره ابن الجوزي في التذكره ص ١٠

وروى الثعلبي في تفسيره والنقاش في قوله تعالى « الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وإنا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » انها نزلت في علي(ع) لما وصل اليه قتل حمزة فقال إنا لله فنزلت

وعن ابي هريرة قال قال علي بن ابي طالب يا رسول الله ايما أحب اليك أنا أم فاطمة قال (ص) فاطمة احب إليّ منك وانت أعز علي منها (١) وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس وان عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماوات وانت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة اخوانا على سرر متقابلين انت معي وشيعتك في الجنة ثم قرأ رسول الله اخوانا على سرر متقابلين لا ينظر احدهم في قفا صاحبه

وعن ابن عباس في قوله تعالى (سلام على آل ياسين) قال هم آل محمد (٢) قال الناصب صح هذا وآل ياسين آل محمد وعلي منهم

وعن ابن عباس في قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اين ما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) ان الذي يأمر بالعدل علي (ع)

وروى ابن مردويه وغيره في قوله تعالى (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون) قال ابن عباس اي منتقمون بعلي منهم (٣)

وفي مسند احمد بن حنبل في قوله تعالى (واذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر هو علي (ع) حين اذن بالآيات من سورة براءة حين انفذها النبي (ص) مع ابي بكر واتبعه بعلي فرده ومضى بها وقال النبي (ص) قد امرت ان لا يبلغها إلا أنا أو واحد مني وروى الحافظ بن مردويه عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق) انها نزلت في ولاية علي(ع)

وروى اخطب خوارزم من الجمهور باسناده إلى ابن عباس قال قال رسول الله (ص)

---

(١) انظر الصواعق لابن حجر في فضائل اهل البيت صفحه ١١٧ (٢) انظر الصواعق لابن حجر في الآيات الواردة فيهم صفحه ٩١ (٣) انظر ينابيع المودة في الباب السادس والعشرين والسيوطي في الدر المنثور ج٦ صفحه ١٨ والحاكم في المستدرك ج٢ صفحه ٤٤٧ في تفسير سورة الزخرف والنيشابوري ج٣ في السورة المذكورة

لو ان الرياض اقلام والبحر مداد والجن حساب والانس كتاب ما احصوا فضائل علي بن ابي طالب (ع) «١» وروى أيضا قال قال رسول الله (ص) ان الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالسماع ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ثم قال النظر إلى علي عبادة وذكره عبادة ولا يقبل الله إيمان عبد الا بولايته والبراءة من اعدائه (٢)

﴿ تتمة مهمة ﴾ اعلم ان الناصبي ابن حجر قد ألف كتابا في الرد على الفرقة المحقة والطائفة الحقة وفي تكفيرهم وتكذيبهم وذكر جملة من المفتريات التي هي اوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت مستدلا بها على اثبات فضيلة ومنقبة لأئمته حتى يثبت خلافتهم بها ومع ذلك قد أجرى الحق على لسانه فذكر في صواعقه أحاديث عجيبة وروايات غريبة مع شدة تعصبه وعناده لنلخص جملة وافية من كلامه (٣) قال اسلم علي بن ابي طالب وهو بن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقبل دون ذلك قديما قال ابن عباس وانس وزيد بن ارقم وسلمان الفارسي وجماعة انه أول من أسلم ونقل بعض الاجماع عليه ونقل ابو اليعلي عنه (ع) قال بعث رسول الله (ص) يوم الاثنين واسلمت يوم الثلاثاء واخرج ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن قال لم يعبد الأوثان لصغره ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه ثم قال وفضائله كثيرة شهيرة حتى قال احمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي (ع) وقال اسماعيل القاضي والنسائي وابو يعلي النيشابوري لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر ما جاء في فضل علي (ع) ثم روى عن سعد بن ابي وقاص واحمد والبزاز عن ابي سعيد الخدري عن اسما بنت عميس وام سلمه وحبيش وجناده وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمره وعلي والبراء بن عازب والطبراني ان رسول الله صلى الله عليه وآله خلف علي بن ابي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي

(١) انظر اوائل تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي صفحه ٨ وينابيع المودة في الباب السادس والخمسين والباب الاربعين (٢) انظر مستدرك الحاكم ج ٣ صفحه ١٤١

(٣) ما نقله المصنف رحمه الله عن ابن حجر انظره في الصواعق من صفحه ٧٣ الى صفحة ١١٠

بعدي وأخرج الشيخاني ايضا عن سهل بن سعد والطبراني عن ابن عمر وابي ليلى وعمران بن حصين والبزاز عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يده يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يتفكرون أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجو ان يعطاها فقال (ص) اين علي بن ابي طالب فقيل يشتكي عينة قال فأرسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله في عينه ودعا له فبرء حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية وأخرج الترمذي عن عائشة قالت كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله وزوجها علي احب الرجال اليه وأخرج مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال لما نزلت هذه الآية (وابنائنا وابنائكم) دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي وقال رسول الله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الحديث ورواه عن النبي (ص) ثلاثون صحابيا وكثير من طرقه صحيح أو حسن وروى البيهقي انه ظهر علي من البعد فقال النبي (ص) هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب واخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريده قال قال رسول الله (ص) ان الله امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال علي منهم وابو ذر والمقداد وسلمان واخرج احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبيش بن جناده قال قال رسول الله (ص) علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي واخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى النبي بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد فقال (ص) انت أخي في الدنيا والآخرة واخرج مسلم عن علي قال والذي فلق الحبة وبرء النسمة انه عهد النبي (ص) إلي انه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق وأخرج الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا واخرج البزاز والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبراني والحاكم والعقيلي وابن عدي عن عمر والترمذي والحاكم عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن أراد العلم فليأت الباب وفي أخرى عن الترمذي عن علي انا دار الحكمة وعلي بابها وفي اخرى عن ابن عدي علي باب علمي واخرج الحاكم وصححه عن علي (ع) قال بعثني رسول الله إلى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني وانا شاب اقضي بينهم ولا ادري ما القضاء

فضرب صدري بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين واخرج ابن سعد عن علي (ع) انه قيل له مالك اكثر اصحاب رسول الله حديثا قال (ع) كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني واخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة واخرج البزاز عن سعد قال قال رسول الله (ص) لا يحل لأحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك واخرج الطبراني والحاكم وصححه عن ام سلمه قالت كان رسول الله (ص) إذا غضب لم يتجرأ احد ان يكلمه إلا علي واخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود ان النبي قال ان النظر إلى علي عباده واسناده حسن واخرج ابو يعلى والبزاز عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله (ص) من آذى عليا فقد آذاني وأخرج الطبراني بسند حسن عن ام سلمه عن النبي (ص) انها قالت سمعت رسول الله يقول من احب عليا فقد أحبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغض عليا فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله واخرج احمد والحاكم بسند صحيح عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله قال لعلي انك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله واخرج الطبراني في الأوسط والصغير عن ام سلمه قالت سمعت رسول الله يقول علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض وأخرج الحاكم وصححه عن ابي سعيد قال اشتكى الناس عليا فقام رسول الله فينا خطيبا فقال لا تشكو عليا فوالله انهُ لخشن في ذات الله أو في سبيله وأخرج أحمد والضياء عن زيد بن ارقم ان رسول الله «ص» قال اني امرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال قائل وإني والله ما سددت شيئا ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته وأخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين ان رسول الله «ص» قال ما تريدون من علي إن عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي واخرج الطبراني عن ابن مسعود ان النبي «ص» قال ان الله تعالى أمرني ان أزوج فاطمة من علي وأخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس ان النبي قال ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب «ع» واخرج الديلمي عن عائشة ان النبي «ص» قال خير اخوتي علي وخير اعمامي حمزة وذكر علي عبادة وأخرج الديلمي عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي «ص» قال السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يسين والسابق إلى محمد «ص» علي بن

ابي طالب واخرج ابن النجار عن ابن عباس ان النبي (ص) قال الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب آل يسين وعلي بن ابي طالب (ع) واخرج ابو نعيم وابن عساكر عن ابي ليلى نحوه وأخرج الخطيب عن انس قال قال (ص) عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن ابي طالب واخرج الحاكم عن جابر ان النبي (ص) قال علي إمام البررة قاتل الفجرة منصور من نصره ومخذول من خذله واخرج الدارقطني في الافراد عن ابن عباس ان النبي (ص) قال علي باب حطة من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا واخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس ان النبي (ص) قال علي مني بمنزلة رأسي من بدني واخرج البيهقي والديلمي عن انس ان النبي (ص) قال علي يزهر في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا واخرج ابن عدي عن علي «ع» ان النبي (ص) قال علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين واخرج البزاز عن انس ان النبي «ص» قال علي يقضي ديني واخرج الشيخان عن سهل ان النبي (ص) وجد عليا مضطجعا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي (ص) يمسح عنه ويقول قم يا ابا تراب قم يا أبا تراب ولذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى اليه لأنه كناه بها وأخرج ابن ابي شيبه عن عبد الرحمن بن عوف قال لما فتح رسول الله (ص) مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة او تسع عشرة ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلوات ولتؤتن الزكاة اولأبعثن اليكم رجلا مني و كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي «ع» ثم قال وهو هذا وفي رواية انه قال «ص» في مرض موته أيها الناس يوشك ان اقبض قبضا سريعا ينطلق بي وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم الا اني مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل وعترتي اهل بيتي ثم أخذ بيد علي «ع» فرفعها فقال هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما واخرج احمد في المناقب عن علي «ع» قال طلبني النبي فوجدني نائما في حائط فضربني برجله وقال قم فوالله لأرضينك انت أخي وابو ولدي فقاتل على سنتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت الشمس أو غربت وروى ابن السماك ان ابا بكر قال سمعت رسول الله يقول لا يجوز احد الصراط إلا من كتب له علي الجواز واخرج ابن سعد عن ابي هريرة قال قال عمر بن الخطاب علي اقضانا واخرج الحاكم عن ابن مسعود قال اقضى

اهل المدينة علي وعن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن يعني عليا واخرج الطبراني وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال ما انزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » إلا وعلي اميرها وشريفها وقد عاتب الله اصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير واخرج ابن عساكر عنه قال ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي وأخرج الطبراني عنه قال نزلت في علي «ع» ثلاثمائة آية وأخرج الطبراني عنه قال كانت لعلي «ع» ثماني عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة وأخرج أبو يعلى عن ابي هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد اعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها احب إلي من ان اعطى حمر النعم فسئل وما هي قال تزويجه ابنته فاطمة «ع» وسكناه المسجد لا يحل فيه لأحد ما يحل له والراية يوم خيبر وروى احمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه وأخرج احمد وابو يعلى بسند صحيح عن علي «ع» قال ما رمدت ولا صرعت منذ مسح رسول الله وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين اعطاني الراية ولما دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال والله يا امير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت احوج اليك منك اليها وأخرج السلفي في الطبريات عن عبد الله بن احمد بن حنبل قال سألت ابي عن علي ومعاوية فقال اعلم ان عليا كان كثير الأعداء ففتش له اعداؤه شيئا فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيدا منهم له ومن كراماته الباهرة ان الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سرى عنه «ص» إلا وقد غربت الشمس فقال النبي اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفا وحسنه شيخ الإسلام ابو زرعه وتبعه غيره وردوا على جميع من قال انه موضوع وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة بردها إذ هو في محل المنع اذ فيها كرامة لعلي قال سبط ابن الجوزي وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق انهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن ازدشير العبادي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونقه بألفاظه وذكر فضائل اهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس انها قد غابت فقام على المنبر واومأ إلى الشمس وانشد

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناءهم ... انسيت إذ كان الوقوف لأجله

ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب وطلعت وأخرج الديلمي عن ابي سعيد الخدري ان النبي «ص» قال (وقفوهم انهم مسؤولون) عن ولاية علي (ع) وكان هذا هو مراد الواحدي بقوله في قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) عن ولاية علي (ع) وأهل البيت لأن الله تعالى أمر نبيه أن يعرف الخلق انه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرا إلا المودة في القربى والمعنى انهم يسألون هل والوهم حق الموالاة كما اوصاهم النبي أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة وأخرج ابن سعد عن علي (ع) قال أخبرني رسول الله (ص) ان أول من يدخل الجنة انا وفاطمة والحسن والحسين قلت يا رسول الله فمحبونا قال من ورائكم وأخرج الطبراني عن علي قال ان خليلي رسول الله (ص) قال يا علي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليك اعداؤك غضابا مقمحين قال وشيعته هم اهل السنة لأنهم الذين احبوهم كما امرهم الله ورسوله واما غيرهم فأعداؤهم في الحقيقة

﴿ أقول ﴾ الحمد لله الذي أجرى الحق على السنتهم وجعل أعذارهم الفاسدة وتمويهاتهم الكاسدة حججا واضحة ودلائل لائحة على بطلان مذهبهم وعقيدتهم وتعصبهم فإن قرينة الإضافة واضحة على أن شيعته هم المختصون به وما عدا الامامية شيعة جميع الخلفاء بزعمهم فكان اسنادهم إلى الاول أو الثاني أولى وأقوى ويحق للمخالفين ان يدعوا موالاته ومحبته وكونهم شيعته وكون شيعة اعدائه مع تقديمهم عليه غيره وموالاتهم اعداءه ومعاداتهم أولياءه ومع اعترافهم بكون معاوية وأم المؤمنين وطلحة والزبير اعدى اعدائه وانهم قاتلوه وحاربوه ولعنوه وسبوه على المنابر ونسبوا اليه كل منقصة ومع ذلك يوجبون موالاتهم ويحكمون بفسق وضلال من تبرء منهم وسبهم بل بكفره اللهم احكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الحاكمين وقال في الصواعق ايضا في قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) أخرج الحافظ جمال الدين عن ابن عباس ان هذه الآية لما نزلت قال النبي لعلي انت وشيعتك تأتي يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي اعداؤك غضابا مقمحين فقال ومن عدوي قال من تبرأ منك ولعنك وخير السابقين إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم قيل ومن هم يا رسول الله قال شيعتك يا علي ومحبوك واخرج عمر والاسلمي وكان من اصحاب الحديبية مع علي إلى اليمن فرأى منه حفوة فلما قدم المدينة أذاع شكايته فقال له النبي (ص) والله لقد آذيتني فقال

اعوذ بالله ان اوذيك يا رسول الله فقال بلى من آذى عليا فقد آذاني اخرجه احمد وزاد ابن عبد البر من احب عليا فقد احبني ومن ابغض عليا فقد ابغضني ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله و كذلك وقع لبريدة انه كان مع علي «ع» في اليمن فقدم مغضبا عليه واراد شكايته بجارية اخذها من الخمس فقيل له اخبره يعني النبي «ص» ليسقط من عينيه ورسول الله يسمع من وراء الباب فخرج مغضبا فقال ما بال اقوام يبغضون عليا الا من ابغض عليا فقد ابغضني ومن فارق عليا فقد فارقني ان عليا مني وانا منه ان عليا خلق من طينتي وخلقت من طينة ابراهيم وانا أفضل من ابراهيم (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) يا بريدة أما علمت ان لعلي(ع) اكثر من الجارية التي أخذ الحديث واخرج احمد والترمذي عن جابر قال ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليا وأخرج الطبراني يا علي معك يوم القيامة عصى من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض وأخرج الملا ان رسول الله (ص) ارسل أبا ذر ينادي عليا فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبي بذلك فقال يا أبا ذر أما علمت ان لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد واخرج ابن عبد البر انه كان ابو بكر يكثر النظر إلى وجه علي (ع) فسألته عائشة فقال سمعت رسول الله (ص) يقول النظر الى وجه علي عبادة ومر نحو هذا وانه حديث حسن ولما جاء ابو بكر وعلي إلى زيارة قبر رسول الله (ص) بعد وفاته بستة أيام قال علي تقدم يا خليفة رسول الله فقال ابو بكر ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله (ص) يقول فيه علي مني كمنزلتي من ربي واخرج الدارقطني ان عمر سأل عليا عن شيء فأجابه فقال عمر أعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا ابا الحسن واخرج ايضا انه قيل لعمر انك تصنع بعلي شيئا ما تفعله ببقية الصحابة فقال انه مولاي وأخرج ايضا انه جاء اعرابيان يختصمان فأذن لعلي في القضاء بينهما فقضى فقال احدهما هذا يقضي بيننا فوثب اليه عمر وقال ويحك هذا هو مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن انتهى ما نقلناه من الصواعق المحرقة لابن حجر وذكر فضائل كثيرة وسننقل جملة منها في احوال باقي الائمة(ع)

﴿ أقول ﴾ ولو رمنا الاتيان بجميع الأخبار التي رواها المخالفون فضلا عن الامامية في كتبهم وصحاحهم وزبرهم وبيناتهم لاحتجنا إلى جمع كتب كثيرة فإن الفضائل التي ذكروها لاتحصى والمناقب التي سطروها لا تستقصى ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما والثقلان كتابا والملائكة حسّابا لما احصوا عشر معشار مناقبه كما ورد في الأثر والعيان يغني عن النقل

والخبر ولعمري لو لم يقع عليه نص بالخلافة لكانت صفاته الطاهرة ومناقبه الباهرة واخلاقه الفاخرة ونعوته الزاهرة نصوصا صريحة وبراهين صحيحة فكيف وقد وقع ذلك قال الخليل بن احمد النحوي احتياج الكل اليه واستغناؤه عن الكل دليل على انه امام الكل وسئل عن مدحه فقال ما أقول في مدح امرء كتمت احباؤه فضائله خوفا واعداؤه حسدا ثم ظهر ما بين الكتمين ما ملأ الخافقين ولله در ابن ابي الحديد المعتزلي حيث قال في شرحه (١) أما فضائله فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها وما اقول في رجل أقر له اعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله وقد غلب واستولى بنو امية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في اطفاء نوره والتحريف عليه ووضع المعائب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواياة الحديث يتضمن له فضيلة او يرفع له ذكرا حتى حظروا ان يسمى احد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسموا وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار ان حجبت منه عين واحدة ادركته عيون كثيرة اخرى وما اقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة وتنتمي اليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وابو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من نزع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى ثم ذكر ان جميع الفرق تنتسب اليه اما المعتزلة فرئيسهم واصل بن عطا وهو تلميذ ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو تلميذ أبيه وابو تلميذه (ع) واما الأشعرية فرئيسهم ابو الحسن الأشعري وهو تلميذ ابي علي الجبائي وهو احد مشايخ المعتزلة الذين ينتهون اليه واما الامامية والزيدية فانتماؤهم اليه ظاهر ثم قال ومن العلوم علم الفقه وهو اصله واساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه اما ابو حنيفة فانه تلميذ جعفر بن محمد (ع) وجعفر اخذ عن ابيه إلى ان ينتهي إلى علي (ع) واما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن وقرأ هو على ابي حنيفة واما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي وهو ينتهي اليه واما مالك بن انس فقرأ على ربيعة الرأي وربيعة على عكرمة وعكرمة على ابن عباس وابن عباس على علي واما فقه الشيعة فرجوعه اليه ظاهر وايضا فان فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وكلاهما أخذا عن علي اما ابن عباس فظاهر

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٥ الى ص ١٠

واما عمر فقد عرف كل احد رجوعه اليه وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر وقوله لا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن وقوله لا يفتين احد في المسجد وعلي حاضر وقد روت العامة والخاصة قوله (ص) أقضاكم علي والقضاء هو الفقه فهو إذا افقههم ومن العلوم علم التفسير وعنه اخذ ومنه تفرع وعن ابن عباس وهو المرجع قيل له أين علمك من ابن عمك فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة واحوال التصوف وارباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون وعنده يقفون وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد والبسطامي والكرخي

ومن العلوم علم النحو والعربية وهو الذي ابتدعه ووضعه ثم اطال في المدح الى ان قال وان رجعت الى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانيه والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها اما الشجاعة فانه انسى الناس فيها من كان قبله ومحى إسم من يأتي بعده ومقاماته في الحرب مشهورة تضرب بها الامثال الى يوم القيامة وهو الشجاع الذي ما فرقط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز احدا الا قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى الى ثانية وفي الحديث كان ضرباته وترا ولما دعا معاوية الى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل احدهما قال له ابن العاص لقد انصفك فقال معاوية ما غششتني منذ نصحتني الا اليوم اتأمرني بمبارزة ابي الحسن وانت تعلم انه الشجاع المطرق اراك طمعت في امارة الشام بعدي وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته وجملة الامر ان كل شجاع اليه ينتهي وباسمه ينادي في مشارق الارض ومغاربها واما القوة واليد فبه تضرب الامثال فيهما وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه وهو الذي قلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعد عجز الجيش كله عنها وانبط الماء من تحتها واما السخاء والجود فحاله فيه ظاهر كان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده وفيه انزل (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما واسيرا) وروى المفسرون انه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فانزل الله فيه (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية)

وروي عنه انه كان يستقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالاجرة ويشد على بطنه حجرا واما الحلم والصفح فكان احلم الناس عن ذنب واصفحهم عن مسيء وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان اعدى الناس

له واشدهم بغضا فصفح عنه ثم ذكر شطرا كثيرا من ذلك الى ان قال واما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه انه سيد المجاهدين فهل الجهاد لأحد من الناس الا له وهذا من المعلومات بالضرورة كالعلم بوجود مكة والمدينة ومصر ونحوها

واما الفصاحة فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق

واما سماحة الاخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب به المثل الى ان قال واما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الابدال واليه تشد الرحال ما شبع من طعام قط وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا وكان ثوبه مرقعاً بجلد تارة وبليف أخرى ونعلاه من ليف وكان يلبس الكرابيس الغليظة فاذا وجد كمه طويلا قطعه بشفرة ولم يخطه وكان يأتدم إذا ائتدم بملح او خل فاذا ترقى عن ذلك فبعض نبات الارض فاذا ارتفع عن ذلك فقليل من البان الابل ولا يأكل اللحم إلا قليلا وهو الذي طلق الدنيا وقال ابن أبي رافع دخلت عليه يوم عيد فقدم جرابا مختوما فوجدنا فيه خبز شعير مرضوضا فأكل فقلت يا أمير المؤمنين كيف تختمه وما عهدتك بخيلا قال خفت هذين الولدين ان يلتاه بسمن او بزيت

واما العبادة فكان اعبد الناس واكثرهم صلاة وصوما ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الاوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده ان يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من ورده وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده وقيل لعلي بن الحسين وكان في غاية من العبادة اين عبادتك من عبادة جدك فقال عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله «ص»

وأما قراءة القرآن والاشتغال به فهو المنظور اليه في هذا الباب واتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله «ص» ولم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه وائمة القرآن كلهم يرجعون اليه

وأما الرأي والتدبير فكان من اسد الناس رأيا وأصحهم تدبيرا وهو الذي أشار على عمر لما عزم ان يتوجه بنفسه إلى حرب الروم بما أشار وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث

وأما السياسة فإنه كان شديد السياسة خشنا في ذات الله لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه اياه ولا راقب أخاه عقيلا في كلام جبهه به ومن جملة سياسة حروبه في أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان وفي اقل القليل منها مقنع فان كل سايس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد اوضحنا انه فيها الإمام المتبع فعله والرئيس المقتفى اثره وما أقول في رجل يحبه اهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لاهل الملة وتصور ملوك الافرنج صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملا سيفه مشمراً لحربه وتصور ملوك الترك والديلم صورته على اسيافها وكان على سيف عضد الدولة وركن الدولة صورته وكان على سيف الب ارسلان وابنه ملك شاه صورته كأنهم يتفألون به بالنصر والظفر وما اقول في رجل احب كل احد ان يتكبر به وود كل احد ان يتجمل ويتحسن بالانتساب اليه وما أقول في رجل أبوه ابو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة وهو الذي كفل رسول الله «ص» صغيراً وحماه وحاطه كبيرا ومنعه من مشركي قريش ولقي لأجله عناء عظيما وقاسى بلاء شديدا وصبر على نصره والقيام بأمره وجاء في الخبر انه لما توفي أبو طالب (ع) اوحي اليه اخرج منها يعني من مكة فقد مات ناصرك وله مع شرف هذه الأبوة ان ابن عمه سيد الأولين والآخرين وأخاه جعفر ذو الجناحين وزوجته سيدة نساء العالمين وابنيه سيدا شباب أهل الجنة وآباءه آباء رسول الله (ص) وأمهاته أمهات رسول الله «ص» وهو منوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم الى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأمهما واحدة فكان منها سيد الناس هذا الأول وهذا الثاني وهذا المنذر وهذا الهادي وما اقول في رجل سبق الناس الى الهدى وآمن بالله وعبده وكل من في الارض يعبد الحجر ويجحد الخالق إلى أن قال ولو اردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذا الكتاب بل يزيد عليه انتهى كلامه ملخصا

وبالجملة ففضائله الباهرة ومناقبه الظاهرة وكراماته الفاخرة قد ملأت الاقطار واشتهرت اشتهار الشمس في رابعة النهار وشهدت بها الأبرار والفجار ولعل عائشة أم المؤمنين حين حاربت امير المؤمنين (ع) لم تطلع على هذه الأحاديث ولم تسمعها من خاتم النبيين مع زعمهم أنها مطلعة على جميع الأخبار الصادرة عن سيد المرسلين واستنادهم في أكثر الأحكام اليها وتعويلهم عليها ورواياتهم عنه (ص) انه قال خذوا شطر دينكم عن الحميراء ولعلها نسيت

ما سمعته وروته من قوله (ص) يا علي حربك حربي وسلمك سلمي ومن آذى عليا فقد آذاني وحفظت ما سمعته من فضائل ابيها وكان معاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي لسيد المرسلين الذي اعلن بسب امير المؤمنين شهورا واعواما وسنين لم يكتب تلك الآيات ولا اطلع على تلك الروايات الواردة في فضل امير المؤمنين وفي لزوم مودة ذوي القربى وكذلك غيره من الخلفاء لم يطلعوا على هذه الآثار والاخبار مع شدة صحبتهم ومصاحبتهم للنبي (ص) او طاعوا عليها ورووها ولكن نسوها او تناسوها حتى جعلوا امير المؤمنين (ع) معزولا ولم يأتمنوه على ادنى الامارات كما أتمنوا غيره ولم يرضوا به شاهدا في حق فاطمة (ع) وفعلوا ما فعلوا وتركوا ما تركوا فالله يحكم بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين

المبحث الخامس

اعلم ان الله سبحانه وتعالى حيث كانت له الحجة البالغة على عباده واجرى الحق على لسان المخالفين والمتعصبين في ذكرهم تلك الفضائل الباهرة والكرامات الظاهرة لامير المؤمنين واولاده الطاهرين وانهم هم المستحقون للإمامة الكبرى والخلافة العظمى وانهم افضل الخلق لم يكتفوا بذلك حتى ذكروا في صحاحهم وكتبهم وزبرهم اخبارا صحيحة وآثارا صريحة ومثالب لا تحصى ومطاعن لا تستقصى في حق اصحابهم تدل على عدم لياقتهم لذلك وقابليتهم لما هنالك واستقصاء تلك المطاعن التي ذكروها في مصنفاتهم وهاتيك المعايب التي رووها في مؤلفاتهم يحتاج الى افراد كتاب كبير الحجم ولكنا نشير هنا الى نبذة قليلة مما ذكروه وجملة يسيره مما سطروه فمن ذلك ما تقدم من روايتهم عنه (ص) بطرق متضافره انه عزل ابا بكر عن اداء سورة براءة وبعث عليا (ع) ليأخذها منه ويقرأها على الناس ورجع ابو بكر الى النبي حزينا قائلا هل نزل في شيء فقال (ص) لا يؤدي عني الا انا او رجل مني (١) مع ان النبي (ص) لم يوله شيئا من الاعمال في حياته وكان يولي غيره ومن لم يصلح لاداء سورة واحدة الى اهل بلدة كيف يصلح للرياسة العامة المتضمنة لاداء جميع الاحكام الى عموم الرعايا في سائر البلدان

(١) انظر خصائص النسائي ص١٤ في خصائص علي (ع) والاصابة لابن حجر بترجمة علي (ع) ج٢ ص٥٠٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٠٨ في تفسير قوله تعالى براءة من الله ورسوله وجامع البيان للطبري في تفسيرها ج١٠ ص٤١ والصواعق لابن حجر في الشبهة الثانية ص١٩

ومنها تخلفهم عن جيش اسامه (١) مع علمهم بقصد التنفيذ وتأكيد النبي (ص) ذلك باللعن وتواتر لعن المتخلف عن جيش اسامه وقد رووا في كتبهم ان الشيخين كانا داخلين في جيش اسامه وممن روى ذلك ابن ابي الحديد والبلاذري والكازروني في تاريخيهما وغيرهم وعلة التخلف واضحة يدركها كل ذي عقل سليم وفهم مستقيم وقد ادركها بعض علمائهم كما في شرح النهج

ومنها منعهم فاطمة الزهراء ارثها برواية مخالفة للقرآن يشهد بكذبها الانس والجان لم يسمعها من النبي غيره ومنعه اياها فدكا مع ادعائها النحلة لها وشهادة الحسنين وام ايمن لها بذلك (٢) وعدم تصديق الشيخين لهم مع تصديقهما الازواج في ادعاء الحجرة لهن من غير شاهد وقد روى البخاري في صحيحه بطريقين ان فاطمة ارسلت الى ابي بكر تطالبه بميراثها فمنعها ذلك (٣) فغضبت فاطمه (ع) على ابي بكر وهجرته ولم تكلمه حتى ماتت ودفنها علي ليلا ولم يؤذن بها ابا بكر (٤) وروى البخاري ايضا عنه (ص) انه قال فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني الحديث (٥) فانظر ايدك الله الى ما يحصل من الجمع بين هذين الخبرين واكتف بذلك مع انه يلزم ان يكون النبي (ص) قد خالف الله في قومه في قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فكيف لم ينذر عليا وفاطمة والحسنين والعباس ولا احدا من بني هاشم الاقربين ولا احدا من نسائه ولا من المسلمين وقد روى الحافظ بن مردويه باسناده الى عائشة انها ذكرت كلام فاطمة لأبي بكر وقالت في آخره وانتم تزعمون لا ارث لنا افحكم الجاهلية تبغون يا ابن ابي قحافة

---

(١) انظر شرح النهج ج١ ص٥٣ وج٢ منه ص٢٠ وص٤٥٩ وج٣ منه ص١١٦ وج٤ منه ص ١٧٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ترجمة اسامة بن زيد ج٢ ص ٣٩١ وطبقات ابن سعد في القسم الثاني ج٢ ص٤١ ط ليدن (٢) انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨ والصواعق لابن حجر ص ٢٢ وص٣٢ وشرح النهج ج٤ ص٧٨ الى ص١٠٦ (٣) انظره في صحيح البخاري في كتاب الفرائض في باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة ج٤ ص١٠١ وفي كتاب الجهاد في باب فرض الخمس منه ج١ ص١١٥ وج٣ منه ص ٤٠ ط مصر سنة ١٣٠٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩٠

(٤) انظر شرح النهج ج٤ ص١٠٤ وتاريخ الطبري ج٣ ص٢٠٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص ٣٩٠ وصحيح البخاري ج ٣ ص٤٠ ط مصر سنة ١٣٠٤ (٥) انظر البخاري في فضائل فاطمة (ع) ج٢ ص١٨٥ وخصائص النسائي ص٢٥ وتفسير النيشابوري ج٣ سورة الشورى

أ في كتاب الله ترث اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مرحولة مخطومة في عنقك تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والخريم محمد (ص) والموقف القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون (١)

وروى الواقدي وغيره من العامة ان النبي (ص) لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود فنزل عليه جبرائيل بهذه الآية وآت ذا القربى حقه فقال النبي (ص) ومن ذا القربى وما حقه فقال جبرائيل فاطمة الزهراء فدفع اليها فدكا (٢) والعوالي فاستغلتها حتى توفي ابوها فلما بويع ابو بكر منعها فكلمته فقال ما امنعك ما دفع اليك ابوك فاراد ان يكتب لها فاستوقفه عمر فقال امرأة فلتأت على ما ادعت بينة فامرها ابو بكر فجاءت بعلي والحسنين (٣) وام ايمن واسما بنت عميس فرد شهادتهم وقال اما علي فيجر نفعا الى نفسه والحسنان ابناك وام ايمن واسما نساء فعند ذلك غضبت فاطمة عليهما وحلفت ان لا تكلمه حتى تلقى اباها وتشكو اليه هذا مع نداء آية التطهير بعصمتهم من الارجاس والادناس فكيف يقدمون على غصب اموال المسلمين وقد روى مسلم في صحيحه بطريقين ان النبي قال فاطمة الزهراء بضعة مني يؤذيني من يوذيها (٤) ونحوه في صحيح البخاري وفي الجمع بين الصحاح الستة عنه (ص) فاطمة سيدة نساء العالمين

ومنها ما اتفقو على روايته واعتذروا عنه باعذار فاسدة تضحك منها الثكلى من قول عمر ابن الخطاب مع كونه وليا وناصرا لابي بكر كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه (٥) ولا يتصور في الذم والتخطئة اكثر من ذلك ومنها انه ترك اقامة الحد والقود في خالد بن الوليد وقد قتل مالك بن نويرة وضاجع امرأته من ليلته واشار عليه عمر

---

(١) الخطبتان رواهما احمد بن ابي طاهر في كتاب بلاغات النساء ص١٦ و٢٣ وروى بعضها سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص١٧٩ (٢) انظر الدر المنثور في سورة بني اسرائيل في تفسير قوله تعالى وآت ذا القربى حقه ج ٤ ص ١٧٧ ولباب النقول أيضا (٣) أنظر المواقف وبشرحه ص٧٣٥ ط لكنهور هند سنة ١٣١٤ (٤) انظر صحيح مسلم ج٢ ص٢٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩١ (٥) انظر تذكرة الخواص ص٣٥ وتاريخ ابن الأثير ج٢ ص ١٣٥ وتاريخ الطبري ج٣ ص ٢٠٠ والصواعق المحرقة ص٦ و٢٢ ومسند احمد ج١ ص٥٥ وكنز العمال ج٣ ص١٣٩ وصحيح البخاري في باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت ج٤ ص ١١١ وشرح النهج ج١ ص١٢٣ و١٢٤ وج٤ منه ص ١٦٩

بقتله وعزله فقال انه سيف من سيوف الله سله الله على اعدائه وقال عمر مخاطبا لخالد لئن وليت لاقيدنك له(١) وقال قاضي القضاة في المغني ناقلا عن ابي علي ان الرده قد ظهرت من مالك لان في الاخبار انه رد صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله (ص) كما فعله سائر اهل الرده فاستحق القتل قال ابو علي وانما قتله لانه ذكر رسول الله فقال صاحبك واوهم بذلك انه ليس بصاحب له وكان عنده ان ذلك ردة وهو امير القوم فجاز ان يقتله وان كان الاولى ان لا يستعجل وان يكشف الامر في ردته وبهذين الوجهين اجاب الفخر الرازي في نهاية العقول وشارح المواقف وشارح المقاصد فانظر ايدك الله الى هذه الاعذار فإنه يلزم من ذلك على كل حال تخطئة احد الشخصين إما عمر في اعتراضه وملامته وتوعيده لخالد وإما ابو بكر في ترك الحد والقود وكيف جاز له الدخول بامرأته في ليلتها مع ان قصة مالك بن نويره معروفة قد ذكرها اهل التواريخ والسير وانه كان مؤمنا ولم يرتد بل المرتد من حكم بارتداده ومنها قول ابي بكر مخبرا عن نفسه ان لي شيطانا يعتريني فان استقمت فاعينوني وان زغت فقوموني (٢) ولا يصلح للارشاد من يطلب الرشاد

ومنها قوله اقيلوني اقيلوني فلست بخيركم وزيد في بعض الاخبار وعلي فيكم (٣) ولا يحل للإمام الاستقالة من البيعة واعتذر القوم بأنه قال ذلك هضما لنفسه وهو ان كان صدقا او كذبا يدل على عدم لياقته للخلافة وقد اشار امير المؤمنين في خطبته الشقشقية الى ذلك قال فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته

ومنها انه كان جاهلا باكثر احكام الدين فقد قال في الكلالة اقول فيها برأي فإن كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني(٤) ولم يعرف ميراث الجدة فقال لجدة سألته عن ارثها لا

---

(١) انظره في تاريخ الطبري ج٣ ص٢٤٢ و٢٤٣ ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمة بنيمة ابن موسى ج٢ ص١٧٢ وشرح النهج ج٤ ص ١٨٣ والصواعق لابن حجر ص٢١ (٢) انظر تاريخ الطبري ج٣ ص٢١١ والصواعق لابن حجر ص٧ وكنز العمال ج٣ ص١٢٦ و١٣٥ وشرح النهج الحديدي ج٢ ص٨ وجلد ٤ منه ص١٦٧ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٢٨ (٣) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٢٤ ط مصر سنة ١٣٢٨ وكنز العمال في كتاب الخلافة ج٣ ص١٣٢ و١٣٥ و١٤١ وشرح النهج الحديدي ج١ ص٥٦ وج٤ منه ص١٦٩ والصواعق لابن حجر ص ٣١

(٤) انظر شرح النهج الطعن السادس ج ٤ ص ١٨٣

اجد (١) لك شيئا في كتاب الله وسنة نبيه (ص) فاخبره المغيرة ومحمد بن سلمه بأن الرسول اعطاها السدس وقالو اطعموا الجدات السدس وقطع يسار السارق (٢) ولم يعرف ميراث العمة والخالة «٣» الى غير ذلك مما لا يحصى واجاب المخالفون بانه لا يشترط في الإمام العلم بجميع الاحكام ويكفي في جوابهم انه اضحوكة للأنام

ومنها الشك عند موته وقوله ليتني كنت سألت النبي «ص» هل للانصار في هذا الامر شيء (٤) وذكر المخالفون ان اسمه عبد الله بن عثمان ابي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لوي وقيل اسمه عتيق وقيل كان اسمه عبد رب الكعبة فسماه النبي (ص) عبد الله وامه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون سنة ومولده بمكة بعد الفيل بسنتين واربعة اشهر الا اياما ومدة خلافته سنتان واربعة اشهر وكان في الإسلام خياطا وفي الجاهلية معلم الصبيان وكان ابوه سيئ الحال ضعيفا وكان كسبه اكثر عمره من صيد القماري والدباسي ولما عمي وعجز ابنه عن القيام به التجأ الى عبد الله بن جدعان من رؤساء مكة فنصبه ينادي على مائدته وفي الصواعق المحرقة لابن حجر ان ابا قحافة لما سمع بولاية ابنه قال هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت «٥»

واما مناقب الخليفة الثاني فهي كثيرة منها ما رواه العامة والخاصة بطرق متضافرة واسانيد متواترة ان النبي «ص» اراد في مرضه ان يكتب كتابا لأمته لئلا يضلوا بعده ولا يختلفوا فطلب دواة وكتفا اونحو ذلك فمنع عمر من احضار ذلك وقال انه ليهجر او مايؤدي هذا المعنى وقد وصفه الله تعالى بانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يسم الله تعالى نبيه باسمه تعظيما له

(١) انظر الصواعق لابن حجر ص ٢١ وانظر ميراث الجدة في مسند احمد ج ٤ ص ٢٢٥ وشرح النهج الحديدي الطعن السابع ج ٤ ص ١٨٣ (٢) انظر الصواعق لابن حجر ص ٢١

(٣) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٣١ وكنز العمال ج ٣ ص ١٣٥ (٤) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٣١ وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٣ وكنز العمال في كتاب الخلافة ج ٣ ص ١٣٥ وشرح النهج الحديدي ج ٤ ص ١٦٩ (٥) انظر الصواعق لابن حجر ص ٧ وشرح النهج الحديدي ج ١ ص ٥٢

واجلالا بل قال يا ايها المدثر ويا ايها المزمل ويا ايها النبي وطه وكثر اختلافهم وارتفعت اصواتهم حتى تسأم النبي «ص» وتضجر فقال بعضهم احضروا ما طلب وقال بعضهم القول ما قاله عمر وقد قال سبحانه « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » وقد روى ذلك البخاري في صحيحه في مواضع عديدة في كتاب الجهاد والسير وفي باب كتابة العلم من كتاب العلم وفي باب قول المريض قوموا عني ورواه مسلم في صحيحه في مواضع والجمع بين الصحيحين وغيرها «١» وفي صحيح البخاري عن ابن عباس لما اشتد بالنبي «ص» وجعه قال ائتوني بكتف اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده قال عمر ان النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط فقال «ص» قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول ان الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه وروى مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال قال رسول الله «ص» ائتوني بالكتف والدواة او اللوح والدواة اكتب كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقالوا ان رسول الله يهجر وقد رووا بهذا المعنى كثيرا

ومنها التخلف عن جيش اسامه «٢» ولا خلاف في انه كان من جيش اسامه وقد لعن رسول الله المتخلف عنه

ومنها انه بلغ به الجهل الى حيث لم يعلم بان كل نفس ذائقة الموت وانه يجوز الموت على رسول الله «ص» وانه اسوة الانبياء في ذلك فقال والله ما مات حتى يقطع ايدي رجال وارجلهم فقال له ابو بكر اما سمعت قول الله عز وجل « انك ميت وانهم ميتون » وقوله تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم » قال عمر فلما

---

(١) انظر البخاري ج٢ ص١١١ في باب جوائز الوفد على ثلثي كتاب الجهاد والسير وج٤ منه ص٥ في باب قول المريض قوموا عني وايضا ج٤ منه ص١٦٧ في باب كراهة الخلاف من باب الاعتصام بالكتاب والسنة وانظر صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج٢ ص١١ ومسند احمد ج١ ص ٣٥٥ وتاريخ ابن الأثير ج٢ ص١٣٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧١ (٢) تقدم في مطاعن ابي بكر وانظر تاريخ الطبري ج٣ ص٢١٢

سمعت ذلك ايقنت بوفاته وسقطت الى الارض وعلمت انه قد مات «١» وفي رواية انه قال عند سماع الآية كأني لم اسمعها

ومنها انه حرم المتعتين متعة الحج ومتعة النساء وقال على المنبر متعتان كانتا على عهد رسول الله «ص» وانا محرمهما ومعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء «٢» لم يكن له ان يشرع في الاحكام وينسخ ما امر به سيد الانام ويجعل اتباع نفسه اولى من اتباع من لا ينطق عن الهوى قال ابن ابي الحديد وفي حديث عمر انه قال في متعة الحج قد علمت ان رسول الله «ص» فعلها واصحابه ولكن كرهت ان يظلوا بها معرسين ثم يلبون بالحج تقطر رؤوسهم «٣» وفي النهاية الاثيرية في الاعراس ومنه حديث عمر نهى عن متعة الحج وقال قد علمت ان رسول الله فعله ولكن كرهت ان يظلوا بها معرسين اي ملمين بنسائهم وعن الترمذي في صحيحه ان رجلا من اهل الشام سأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة الى الحج فقال عبد الله بن عمر ارأيت ان كان ابي ينهى عنها وصنعها رسول الله «ص» أأمر ابي يتبع ام امر رسول الله «ص» فقال الرجل بل امر رسول الله فقال لقد صنعها رسول الله «ص» «٤» وروي ايضا ان رجلا من اهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال هي حلال (٥) فقال ان اباك قد نهى عنها فقال ابن عمر ارأيت ان كان ابي نهى عنها وصنعها رسول الله انترك السنة ونتبع قول ابي ومنها تعطيل حد الله في المغيرة بن شعبه وتلقين الشاهد الرابع فامتنع من الشهادة وكان عمر يقول «٦»

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٧ وكامل ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٤ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٧٩ في باب فضائل إبي بكر وشرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٤٧ و ١٦٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٣ والشهرستاني في الملل والنحل في الخلاف الثالث ج ١ ص ٢٠ والسيرة الدحلانية ج ٣ ص ٣٧١

(٢) انظر منتخب كنز العمال بهامش مسند احمد ج ٦ ص ٤٠٤ ومسند احمد ج ٣ ص ٣٠٤ و ٣٨٠ و ٣٥٦ وشرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٦٧ والراغب في المحاضرات ج ٢ ص ٩٤ وتاريخ الخلفا لجلال الدين السيوطي ص ٥٣ (٣) انظر شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٦٨ (٤) لاحظ احاديث عبد الله بن عمر في مسند احمد ج ٢ (٥) انظر احاديث عبد الله بن عمر في مسند احمد ج ٢

(٦) انظر (الاستيعاب) لابن عبد البر بترجمة المغيره ج ١ ص ٢٥٩ وترجمة زياد بن ابيه ج ١ ص ٢٠١ وترجمة نافع بن الحارث ج ١ ص ٣٠٥ وترجمة اخيه ابي بكرة ج ٢ ص ٦٢٧ (واسد الغابة) لابن الأثير الجزري بترجمة نافع ج ٥ ص ٨ وابي بكرة ج ٥ ص ١٥١ وزياد بن ابيه (والاصابة) لابن حجر بترجمة نافع ج ٣ ص ٥٤٤ والمغيرة بن شعبه ج ٣ ص ٤٥٢ (وفتوح البلدان) للبلاذري —

اذا رأى المغيرة قد خفت ان يرميني الله بحجارة من السماء

ومنها بيعته لأبي بكر وخصومته عليها بغير دليل ولا برهان وحكمه على من تخلف عن بيعته بالايذاء واعظم منه وقد قال الله تعالى «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون» ومنها منعه المغالاة في مهور النساء (١) وقال من غالى في مهر ابنته اجعله في بيت مال المسلمين فقالت له امرأة اما تقرأ قوله تعالى « وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» فقال كل الناس افقه من عمر حتى المخدرات في البيوت او في الحجال وروى ابن ابي الحديد في الشرح (٢) انه خطب فقال لا يبلغني ان امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله (ص) الا ارتجعت ذلك منها فقامت اليه امرأة فقالت والله ما جعل الله ذلك لك انه تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا فقال عمر الا تعجبون من امام اخطأ وامرأة اصابت ناضلت امامكم فنضلته والمناضلة المغالبة وقال الرازي في تفسيره روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل الناس افقه منك يا عمر ورجع عن كراهة المغالاة ثم قال وعندي ان الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة لانه لا يلزم من جعل الشيء شرطا لآخر كون ذلك الشرط جائز الوقوع في نفسه كما يقول الرجل لو كان الإله جسما لكان محدثا اقول ان صح كلام الرازي ففيه طعن آخر على امامه من حيث عدم ادراكه معنى

— ص ٢٥٣ (والاغاني) لابي الفرج ج ١٤ ص ١٤٠ ط مصر سنة ١٣٢٣ (وكنز العمال) في كتاب الحدود ج ٣ ص ٨٨ و ٩٥ (ومنتخب كنز العمال) بهامش مسند احمد ج ٢ ص ٤١٣ (والمستدرك) على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٤٤٨ ط حيدر أباد دكن سنة ١٣٤١ (وتلخيص) المستدرك للذهبي في ذيله ج ٣ ص ٤٤٨ (وطبقات) الشافعية للسبكي عبد الوهاب بن تقي الدين ج ٢ ص ٢٠٩ ط مصر سنة ١٣٢٤ (ووفيات الاعيان) لابن خلكان بترجمة يزيد بن زياد بن ابي ربيعة ابن مفرغ ج ٢ ص ٢٩٨ (وتاريخ الطبري) ج ٤ ص ٢٠٦ حوادث سنة ١٧ (وتاريخ ابن الأثير) ج ٢ ص ٢٢٨ حوادث سنة ١٧ (والأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري ص ١١٨ (وشرح النهج الحديدي) ج ٣ ص ١٥٩

(١) انظر كنز العمال في كتاب النكاح ج ٨ ص ٢٩٠ وشرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٩٦ و ١٥٢ ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٧٧ والدر المنثور في تفسير قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا ج ٢ ص ١٣٣

(٢) انظر شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٦١ وج ٣ منه ص ١٥٢

الآية وجهله لم يخف على رئيس المشككين ومنها ما رواه جملة من الجمهور ومنهم ابن ابي الحديد(١) انه كان يعسّ ليلة فمر بدار سمع فيها صوتا فارتاب وتسور فوجد رجلا عنده امرأة وزق خمر فقال ياعدو الله اظننت ان الله تعالى يسترك وانت على معصيته فقال لا تعجل ياامير المؤمنين إن كنت اخطأت في واحدة فقد اخطأتَ في ثلاث قال الله تعالى (ولاتجسسوا) وقد تجسست وقال تعالى (واتوا البيوت من ابوابها) وقد تسورت وقال تعالى (وإذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها) وما سلمت فقال هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله لا اعود فقال اذهب فقد عفوت عنك وفي رواية اخرى فلحقه الخجل اقول وهذه رابعة ايضا فإن العفو في حدود الله وتعزيراته لا معنى له بالنسبة اليه (ومنها) ما رووه انه امر برجم حامل حتى نبهه معاذ (٢) وقال ان يكن لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها فرجع عن حكمه وقال لولا معاذ لهلك عمر . ومن كان جاهلا هذا المقدار كيف يجوز أن يكون إماما وفي جملة من رواياتهم ان الذي نبهه على ذلك امير المؤمنين(ع)(٣)

ومنها ما رووه انه امر برجم مجنونة فنبهه امير المؤمنين (ع) (٤) وقال إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق فقال لولا علي لهلك عمر وقد اعترف قاضي القضاة وابن ابي الحديد بصحة ذلك وهو يدل على عدم معرفته بظواهر الشريعة التي لا تخفى على اكثر العوام

ومنها ما رواه ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري ان رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى(فاكهة وابا) ماالاب فقال عمر نهينا عن التعمق والتكلف (٥) وروي نحوه عن انس وعن حماد بن سلمه وعن عبد الرحمن ان رجلا سأل عمر عن (فاكهة وابا) (٦) فلما رآهم عمر

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ٩٦ واحياء العلوم للغزالي ج ٢ ص ١٧٣ المطبوع بهامش عوارف المعارف وكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٤ حوادث سنة ٢٣ وتاريخ الطبري ج٥ ص ٢٠

(٢) انظر شرح النهج ج٣ ص ١٥٠ (٣) لاحظ مسند احمد وذكره نصير الدين الطوسي في التجريد ولم يناقش فيه القوشجي (٤) انظر مستدرك الحاكم ج١ ص ٢٥٨ والبخاري في كتاب المحاربين في باب لا يرجم المجنون والمجنونة ج٤ ص ١٠٩ وكنز العمال في كتاب الحدود ج٣ ص ٩٥ والاستيعاب لابن عبد البر بترجمة علي (ع) ج٢ ص ٤٧٤ وشرح النهج الحديدي ج٣ ص ١٥١

(٥) انظر شرح النهج ج ٣ ص ١٠١ (٦) لاحظ المسألة في احاديث انس بن مالك واحاديث حماد بن مسلمة واحاديث عبد الرحمن

يقولون اقبل عليهم بالدرة وعن ابراهيم النخعي قال قرأ ابو بكر الصديق (وفاكهة وابا) فقيل ما الأب فقيل كذا وكذا فقال ابو بكر ان هـذا هو التكلف اي ارض تقلني واي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله مالا اعلم فظهر ان تفسير الأب كان معضلة عندهما لم يعلماهـا (ومنها) ما رواه ابن ابي الحديد (١) قال مر عمر بشاب مـن الانصار وهو يلمآن فاستسقاه فخاض له عسلا فردّه ولم يشرب وقال اني سمعت الله سبحانه يقول اذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا واستمتعتم بها) فقال الفتى انها والله ليست لك اقرأ ياامير المؤمنين ما قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا عـلى النار اذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا) فشرب وقال كل الناس افقه من عمر

(ومنها) انه ابدع في الدين بدعا كثيرة منها صلاة التراويح فإنها بدعـة لما روي عن النبي (ص) انه قال ايها الناس ان الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة وصلاة الضحى بدعة ألا فلا تجتمعوا ليلا في شهر رمضـان في النافلة ولا تصلوا صلاة الضحى فإن قليلا في سنة خير من كثير في بدعة ألا وان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار وقد روي ان عمر خرج في شهر رمضان ليلا فرأى المصابيح في المسجد فقال ما هذا فقيل ان الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع فقال بدعة ونعمت البدعة (٢)

(ومنها) انه وضع الخراج على السواد ولم يعط ارباب الخمس منها خمسهم وجعلها موقوفة على كافة المسلمين وقد اعترف بجميع ذلك المخالفون وصرح بها ابن ابي الحديد (٣) وذلك مخالف للكتاب والسنة وبدعة في الدين

(ومنها) انه زاد الجزية عما قررها رسول الله (ص) وقد حرمها فقهاؤهم الاربعة (٤) إلا احمد في رواية

(ومنها) ما قاله ابن ابي الحديد قال قال المؤرخون ان عمر اول من سن قيام شهر رمضان

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج١ ص٦١ (٢) انظر تاريخ الطبري ج٥ ص٢٢ وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي في فصل خلافتـه ص٥١ وطبقات ابن سعد ج ٣ بترجمة عمر وروضة الناظر لابن الشحنة حوادث سنة ٢٣ عند وفاة عمر وشرح النهج الحديدي ج ٣ ص١٧٨ (٣) انظر شرح النهج ج٣ ص١١٣ و١٧٨ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص٥٣ (٤) انظر كنز العمال في كتاب الجهاد ج٢ ص٣٠٠ وانظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص١٧٨

في جماعة وكتب به إلى البلدان واول من ضرب في الخمر ثمانين واحرق بيت رويشد الثقفي وكان نباذا واول من عسّ في عمله بنفسه واول من حمل الدرة وادب بها وقيل بعده كانت درة عمر اهيب من سيف الحجاج واول من قاسم العمال وشاطرهم اموالهم وهو الذي هدم مسجد رسول الله (ص) وزاد فيه وادخل دار العباس فيما زاد وهو الذي اخر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت انتهى (١)

(ومنها) المسح على الخفين ونقص تكبيرة من الصلاة على الجنائز وجعلها اربعا (٢) والقول بالعول والتعصيب في الميراث وقول الصلاة خير من النوم في الأذان (٣)

(ومنها) انه كان يعطي من بيت المال مالا يجوز فاعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كل سنة (٤) وحرم اهل البيت خمسهم الذي جعله الله لهم (٥) وكان عليه ثمانون الف درهم من بيت المال يوم مات على سبيل القرض (٦)

(ومنها) انه كان يتلون في الاحكام حتى رووا انه قضى في الجدة بسبعين قضية (٧) ومثله لا يليق بإمامة المسلمين

(ومنها) انه همّ باحراق بيت فاطمة (ع) وقد كان فيه امير المؤمنين (ع) وفاطمة والحسنان

---

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص١١٣ وتاريخ ابن الأثير ج٣ ص٢٩ في ذكر سيرة عمر وتاريخ الطبري ج٥ ص٢٢ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص٥٣ وطبقات ابن سعد في ترجمة عمر ج ٣ وروضة الناظر لابن الشحنة عند ذكر وفاة عمر حوادث سنة ٢٣ والاستيعاب لابن عبد البر بترجمة عمر ج٢ ص٤٢٨ (٢) انظر ابن الأثير في ذكر وفاة ابي بكر ج٢ ص١٧٦ وبهامشه تاريخ القرماني في اوليات عمر ج٣ ص٢٠٣ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص٥٣ وابن الاثير ايضا ج٣ ص٢٣ في اوليات عمر ومنه ايضا ص٢٤ وروضة الناظر لابن الشحنة وكنز العمال في كتاب الموت ج٨ ص١١٣

(٣) اما العول فشدد ابن الخطاب فيه انظر تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٧١ وايضا انظر تاريخ الخلفا لجلال الدين السيوطي ط مصر سنة ١٣٠٥ ص٥٣ وكنز العمال ج٦ ص٧ واما التثويب وهو قول الصلاة خير من النوم فانظره في السيرة الحلبية ج٢ ص١٠٩ (٤) انظر الطبري ج ٤ ص١٦٣ حوادث سنة ١٥ وابن الاثير ج٢ ص٢١٢ وشرح النهج الحديدي ج٣ ص١٥٣ (٥) انظر شرح النهج ج٣ ص١٥٣ (٦) انظر كنز العمال في وفاة عمر ج٦ ص٣٦٢ و٣٦٧ وشرح النهج ج٣ ص١٥٣ (٧) انظر كنز العمال كتاب الفرائض ج٦ ص١٥ و١١ و١٧ و٦ و٨ وانظر ماذكره كنز العمال من التلون في الكلالة ج٦ ص٣٠ وشرح النهج ج٣ ص١٦٥

وهددهم وآذاهم (١) مع ما عرفت من تضافر الروايات من ان من آذاهم فقد آذى رسول الله

(ومنها) ما وقع في قصة الشورى فقد ابدع فيها امورا كثيرة (٢) وخالف النبي (ص) وابا بكر في ذلك وشهد على الستة انهم من اهل الجنة ثم نص على ذمهم ثم جعل الامر إلى اربعة ثم إلى واحد ثم امره بقتل المخالف ثم امره بقتلهم اجمع ان لم يتفقوا إلى ثلاثة ايام وفيها من البدع والزور والبهتان ما لا يحصى

(ومنها) انه اوصى بدفنه ببيت النبي «ص» وكذلك تصدى لدفن ابي بكر هناك وهو تصرف في ملك الغير من غير جهة شرعية وقد نهى الله الناس عن دخول بيته (ص) من غير اذن بقوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم) وضربوا المعاول عند اذنه «ص» وقال تعالى (ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) وقال رسول الله «ص» حرمة المسلم ميتا كحرمته حيا ولا يخلو موضع قبر النبي «ص» من أن يكون باقيا على ملكه او يكون انتقل في حياته إلى عائشة فإن كان الاول لا يخلو من ان يكون ميراثا بعده او صدقة فإن كان ميراثا فما كان يحل لها من بعده إلا بعد ارضاء الورثة وإن كان صدقه فيجب ارضاء جماعة المسلمين وكل ذلك لم يكن وان كان انتقل في حياته إلى عائشة فقد كان يجب اظهار الحجة في ذلك وفاطمة عليها السلام لم يقنع منها في فدك بقولها مع عصمتها ولا بشهادة من شهد لها فكيف قنع منها بذلك وروى العلامة (ره) في نهج الحق وغيره عن الكلبي وهو من رجال اهل السنة في كتاب المثالب قال كانت صهاك امة حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها نفيل ابن هاشم ثم وقع عليها عبد العزى بن رياح فجاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب (٣) وقال الناصب الفضل بن روزبهان بعد الفدح في صحة النقل ان انكحة الجاهلية على ما ذكره ارباب التواريخ على اربعة اوجه منها ان يقع جماعة على امرأة ثم يولد منها فيحكم القائف او تصدق المرأة وربما كان هذا من أنكحة الجاهلية واورد عليه الفاضل الشارح بأنه لو صح ما ذكره لما تحقق زنى في الجاهلية ولما عد مثل ذلك في المثالب ولكان كل من وقع على امرأة كان ذلك نكاحا

(١) انظر كنز العمال ج٣ ص١٤٠ واوائل كتاب السياسة والإمامة لابن قتيبة ج١ ص ٢١ والشهرستاني في الملل والنحل ج١ ص٧٣ وشرح النهج ج٢ ص١٩ وتاريخ الطبري ج٣ ص١٩٨ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج٢ ص١٩٧ (٢) انظر تفصيلها في شرح النهج ج ٣ ص١٦٩

(٣) انظر شرح النهج الحديدي جزء ٣ ص٢٤

منه عليها ولم يسمع عن احد ان من انكحة الجاهلية كون امرأة واحدة في يوم واحد او شهر واحد في نكاح جماعة من الناس واما نسب عمر فهو على ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب(١) ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي إلى آخر ما تقدم وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

واما تفصيل مثالب عثمان فهي لا تحصى ولا تستقصى وكفاك في ذلك اتفاق من بايعه من الصحابة والتابعين على استحلال قتله واهراق دمه (٢) لما ظهر منه من البدع ومخالفة الله ورسوله ما الله اعلم به حتى اجمعوا على استحلال قتله وتركوا غسله وكفنه ودفنه وبقي ملقى على المزابل وقد جعل الولاية لشرابي الخمور والمعلنين بالفسق والفجور اعداء الله ورسوله كالوليد بن عقبه (٣) الذي دعاه الله فاسقا ونزل فيه (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون) وفيه قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وكتب إلى عدو الله عبد الله بن ابي سرح بقتل محمد بن ابي بكر (٤) وذلك من جملة اسباب قتله وحصره

ورد الحكم بن العاص طريد رسول الله «ص» إلى المدينة (٥) وكان عثمان قد كلم الشيخين في رده فلم يقبلا وزيراه ولما رده جاء علي «ع» وطلحة والزبير واكابر الصحابة وخوفوه من الله ولم يسمع وكان يوثر قومه بالأموال حتى زوج اربعة نفر من قريش ببناته ودفع اليهم

(١) انظره في الاستيعاب بترجمة عمر جزء ٢ ص٤٥٨ ط مصر سنة ١٣٢٨ (٢) انظر تاريخ الطبري جزء ٥ ص٩٦ و١١٤ و١١٥ و١١٦ و١٤٣ و١٤٤ والعقد الفريد جزء ٢ ص ١٨٨ وكنز العمال ج٦ ص٣٨٨ عند بيان حصره وقتله وشرح النهج ج١ ص١٥٧ (٣) انظر كامل ابن الاثير ج٣ ص٣٤٠ والطبري ج٥ ص٤٧ و٥٨ و٤٥ و٤٦ والاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٦٢١ وشرح النهج ج١ ص٢٢٦ وج٤ منه ص١٩٢ والامامة والسياسة لابن قتيبه جزء ١ ص٥٤ (٤) انظر تاريخ الطبري جزء ٥ ص١٢٠ حوادث سنة ٣٥ وابن الأثير عند ذكر ولاية عبد الله بن سعد جزء ٣ ص٣٦ حوادث سنة ٢٦ ومنه ص٤٨ حوادث سنة ٣١ والشهرستاني في الملل والنحل جزء ١ ص ٢٥ والسيرة الحلبيه جزء ٢ ص ٨٦ وجزء ٣ منها ص١٠٢ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص ٦١ والعقد الفريد جزء ٢ ص ١٨٦ (٥) انظر العقد الفريد ج٢ ص١٨٤ رشرح النهج ج١ ص٦٦ و٢٣٢ وكامل ابن الاثير ج٣ ص٤٣ حوادث سنة ٢٦ عند ذكر ولاية ابن ابي سرح والطبري ج٥ ص١٠٢ والسيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص٨٥ ط مصر سنة ١٣٢٩ والاستيعاب ج١ ص١٢١

اربعمائة الف دينار من بيت مال المسلمين (١) واعطى مروان مائة الف دينار (٢) وضرب ابا ذر واهانه (٣) مع تقدمه في الإسلام وعلو مكانه عند النبي «ص» وورد فيه ما ورد من الفضائل ومع ذلك نفاه إلى الربذة وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر بعض اضلاعه (٤) وقد رووا في فضله في صحاحهم اخبارا كثيرة وكان ابن مسعود يذمه ويشهد بفسقه وظلمه وعهد ان لا يصلي عليه ولما عاده عثمان في مرضه قال له استغفر لي فقال ابن مسعود اسأل الله ان يأخذ لي حقي منك

(ومنها) ما صنع بعمار بن ياسر (٥) الذي اطبق المخالف والموالف على فضله وعلو شأنه ورووا اخبارا مستفيضة دالة على علو درجته ورفعة رتبته حيث ضربه ضربا شديدا فاصابه الفتق وكان ضعيفا كبيرا فغشي عليه وحمل إلى منزل ام سلمة فغضبت له وبلغ ذلك عائشة فغضبت واخرجت شعرا من شعر رسول الله ونعلا من نعاله وثوبا من ثيابه وقالت ما اسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا ثوبه وشعره ونعله لم يبل بعد

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني في الخلاف التاسع ج١ ص٢٥ والعقد الفريد ج٢ ص ١٨٤ وابن الاثير في الكامل ج٣ ص٤٣ و٤٤ حوادث سنة ٢٦ والسيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج٢ ص٨٢ والصواعق لابن حجر في آخر الكلام بخلافة عثمان ص٦٩ إلى ٧١ وشرح النهج الحديدي ج١ ص٦٦ و٢٣٣ (٢) انظر ما قاله ابن قتيبة في كتاب السياسة والإمامة تحت عنوان ما انكر الناس على عثمان ج١ ص٥٣ وكامل ابن الاثير ج٣ ص٣٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٨٧ والعقد الفريد ج٢ ص١٨٤ وكنز العمال ج٦ ص٣٨٥ (٣) انظر كامل ابن الاثير ج٣ ص ٥٥ والشهرستاني في الملل والنحل ج١ ص٢٥ وابن الأثير في اسد الغابة بترجمة ابي ذر (ره) ج٥ ص١٨٨ وابن ابي الحديد ج٢ ص٣٧٦ ومسند احمد ج٥ ص١٥٦ وأول احاديث ابي ذر ص١٤٤ و١٩٧ وج٦ منه ص٤٥٧ ومستدرك الحاكم في بيان محنة ابي ذر ج٣ ص٢٤٤ وفي كتاب المغازي منه ص٥٠ وكتاب الفتن ج٤ منه ص٤٨٠ والعقد الفريد ج٢ ص١٨٤ وارسله القوشجي في شرح التجريد ارسال المسلمات (٤) انظر شرح النهج الحديدي الطعن السادس من مطاعن عثمان ج١ ص٢٣٦ والصواعق لابن حجر ص٧٠ والعقد الفريد ج٢ ص١٨٥ (٥) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج ٢ ص٨٧ وشرح النهج ج١ ص ٢٣٨ والعقد الفريد ج٢ ص١٨٥ والاستيعاب بترجمة عمار ج٢ ص٤٣٤ والطبري ج٥ ص١٣٥ والامامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٥٥

(ومنها) انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة واحرق المصاحف الباقية (١) وذلك منكر واستخفاف بالدين ومحادة لرب العالمين مع ان ابن مسعود قد رووا في ترجيح قراءته اخبارا كثيرة مع ان هذا الفعل لو كان حسنا لفعله من قبله

(ومنها) انه عطل الحدود الواجبة كالحد في عبيد الله بن عمر فإنه قتل الهرمزان بعد اسلامه فلم يقد به (٢) وقد كان امير المؤمنين «ع» يطلبه ولذلك خرج مع معاوية على امير المؤمنين «ع»

(ومنها) انه حمى الحمى عن المسلمين (٣) مع ان رسول الله «ص» جعلهم شرعا سواء في الماء والكلأ واجابوا عنه بأنه حماه لإبل الصدقة وقد رد بأن المروي من فعله خلاف ذلك

(ومنها) اتمامه الصلاة بمنى مع كونه مسافرا (٤) وهو مخالف للسنة والسيرة من تقدمه

« ومنها » جرأته على رسول الله «ص» ومضادته له كما روي عن الحميدي عن السدي في تفسير قوله تعالى « ولا تنكحوا ازواجه من بعده » انه لما توفي ابو سلمة وعبد الله بن حداقة وتزوج النبي «ص» امرأتيهما ام سلمة وحفصة قال طلحة وعثمان اينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات والله لو قد مات لقد اجلنا على نسائه بالسهام وكان طلحة يريد عائشة وعثمان ام سلمة « فانزل الله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما »

« ومنها » ما روي عن الثعلبي في تفسيره في قوله تعالى « ان هذان لساحران » قال

---

(١) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج ٢ ص ٨٧ والصواعق لابن حجر ص ٧٠ وصحيح البخاري في باب جمع القرآن من باب فضائل القرآن ج ٣ ص ١٤٠ وشرح النهج ج ١ ص ٢٢٧ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص ٦٤ (٢) انظر الطبري ج ٥ ص ٤١ وكامل ابن الاثير ج ٣ ص ٣١ واسد الغابة بترجمة عبيد الله ج ٣ ص ٣٤٢ والاستيعاب بترجمة عبيد الله ج ٢ ص ٤١٧ وشرح النهج ج ١ ص ٢٤٢ الطعن العاشر والصواعق لابن حجر ص ٧١ (٣) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج ٢ ص ٨٧ وشرح النهج ج ١ ص ٢٣٥ والامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٥٤ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص ٦٤

(٤) انظر السيرة الحلبية عند بيان فتنة قتل عثمان ج ٢ ص ٨٧ والصواعق لابن حجر في آخر الكلام بخلافة عثمان ص ٧١ ومسند احمد ج ٥ ص ١٦٥ والبخاري في باب الصلاة بمنى من ابواب القصر ج ١ ص ٢٢ وصحيح مسلم في باب قصر الصلاة بمنى ج ١ ص ١٩٣ وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٥٦ كامل ابن الاثير ج ٣ ص ٤٢

قال عثمان ان في المصحف لحنا فقيل له الا تغيره فقال دعوه فلا يحل حراما ولا يحرم حلالا ورواه الرازي ايضا في تفسيره

« ومنها » تقديمه الخطبتين في العيدين على الصلاة «١» وهو مخالف للسنة المتواترة وفعل النبي «ص» والشيخين كما اعترفوا به وفعل ذلك ليحبس الناس للصلاة

« ومنها » احداثه الاذان يوم الجمعة زائدا على سنة رسول الله «ص» «٢» وهو بدعة محرمة كما اعترفوا به وكان عمار ومحمد بن ابي بكر ممن اعانا على قتله ويقولان قتلناه كافرا «٣» وكان عمار يقول ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وانا الرابع « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » وقيل لزيد بن ارقم بأي شيء كفرتم عثمان فقال بثلاث «٤» جعل المال دولة بين الاغنياء وجعل المهاجرين والانصار من الصحابة بمنزلة من حارب الله ورسوله وعمل بغير كتاب الله وكان حذيفة يقول ما في كفر عثمان بحمد الله شك «٥» وتبرأ كل من الصحابة من عثمان فكانوا بين قاتل له وراض بقتله والعجب من المخالفين انهم يستدلون على حقية خلافة المشايخ بسكوت علي الدال على رضاه ولا يستدلون بسكوته عن قتل عثمان على رضاه وقد كان قاتله بيده اخص خواصه وحواريه محمد بن ابي بكر «ره»

﴿ وصل ﴾ واما معاوية ففضائله لا تحصى ومناقبه لا تستقصى والروايات عن النبي (ص) في لعنه وسبه والدعاء عليه وذمه متضافرة (٦) واخبار كفره وزندقته وخلافه على رسول الله (ص)

(١) انظر تاريخ الخلفا لجلال الدين السيوطي ص ٦٤ (٢) انظر صحيح البخاري في كتاب الجمعة في باب زيادة النداء الثاني وفي باب زيادة النداء الثالث وهي متقاربة جزء ١ ص ١٠٤ والطبري جزء ٥ ص ١٣٦ وتاريخ الخلفا للسيوطي ص ٦٤ (٣) انظر شرح النهج جزء ١ ص ٢٣٩ (٤) انظر شرح النهج جزء ١ ص ٢٣٩ (٥) انظر شرح النهج الحديدي جزء ١ ص ٢٣٩

(٦) دعاء النبي (ص) بأن لا يشبع الله بطنه مشهور انظره في الاستيعاب جزء ٢ صفحة ٢٦٣ وشرح النهج الحديدي جزء ١ صفحة ٣٥٥ والبلاذري في فتوح البلدان صفحة ٤٧٩ واسد الغابة جزء ٤ صفحة ٣٨٦ وأما كفره تعميما وتخصيصا فالتعميم كالشجرة الملعونة في القرآن الشامل بعمومه لمعاوية إذ الشجرة الملعونة بنو امية انظره في السيرة الدحلانية بهامش الحلبية جزء ١ صفحة ٢٤٦ و ٢٤٧ والحلبي صفحة ٣٣٨ و ٤٠٨ وتفسير الدر المنثور للسيوطي جزء ٤ صفحة ١٩١ وجزء ٦ منه صفحة ٣٧١ والفخر الرازي في تفسيره ج ٥ صفحة ٦٠٩ وجزء ٨ منه صفحة ٦٣٠ و ٦٣١ وكالاحاديث الواردة في قتل عمار (ره) وانه تقتله الفئة الباغية ورأس هذه الفئة معاوية انظر العقد الفريد لابن

متواتر وهو الذي سن سب امير المؤمنين وإمام المتقين ومحبوب رب العالمين وأخي سيد المرسلين في خطبه وقنوته وأوجب ذلك على نفسه حتى قيل له انك بلغت ما املت فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلا ثم تورثها ولده يزيد (لعنه) فقتل فرخ رسول الله (ص) وقرة عينيه وثمرة فؤاده وجماعة من اصحابه وشيعته ثم تورثها سائر بني امية وفعلوا ما فعلوا كل هذا ومخالفونا يقولون ان الكل معذورون ويعتذرون عنهم تارة بالاجتهاد وكأن إيمان علي (ع) واسلامه عندهم نظري اوان تحريم لعن المسلم نظري وتارة بالتوبة وكأن معنى التوبة عندهم هزيمة الجند وموت معاوية وعقر جمل عائشة فالله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين

﴿ فصل ﴾ قال السيد ابن طاووس (ره) (١) في جواب من اعترض على الإمامية بتعرضهم للصحابة واما ما ذكرتم من تعرض من اشرتم اليه بذم بعض الصحابة فأنتم تعلمون ان كثيرا من الصحابة استحل بعضهم دماء بعض في حرب طلحة والزبير وعائشة لولا ناعلي (ع)

عبدربه ج٢ ص٢٠٤ وخصائص النسائي ص٢٩ والاستيعاب ج٢ ص٤٧٩ بترجمة علي وج١ منه بترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب ص٣٨٠ وكنز العمال ج٦ ص١٥٥ وابو حنيفة الدينوري في الاخبار الطوال ص١٤٩ وابن قتيبة في الامامة والسياسة ج١ ص٢٠٣ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٢ ص٢٤٢ والقاضي الحلبي في السيرة النبوية ج٢ ص٧٩ واما الطعن عليه بالخصوص فقد قال فيه الحسن البصري ما ذكره ابن ابي الحديد في الشرح ج١ ص٢٠٠ وابن الاثير في التاريخ ج٣ ص١٩٣ وابو الفداء في تاريخه ج١ ص١٩٦ واما لعن النبي (ص) له خاصة فقد قال له الحسن بن علي (ع) لعنك رسول الله (ص) واباك في سبعة مواطن في قصة طويلة ذكرها من علماء السنة ابن ابي الحديد المعتزلي في الشرح ج٢ ص١٠٢ ومن الاشاعرة ابن حجة الحموي في ثمرات الاوراق بهامش المستطرف ج١ ص٤٠ وغير ذلك مما عم وخص مما يطول شرحه وان معاوية من القاسطين انظر المحاسن والمساوي لابراهيم بن محمد البيهقي الشافعي من علماء القرن الخامس ج١ ص٣٢ ط مصر سنة ١٢٢٥ وقد طعن النسائي صاحب الصحيح على معاوية فقال وقد سئل في دمشق عن فضائل معاوية فقال معاوية لا يرضى رأسا برأس حتى يفضل فما زالوا به يدفعون في خصييه حتى اخرج انظر معجم ياقوت الحموي ج٥ ص٢٨٣ ط مصر سنة ١٢٢٤

(١) انظر كشف المحجة للسيد علي بن طاووس في الفصل التاسع والسبعون ص٧٥ ط ايران سنة ١٣٠٦

وفي حرب معاوية له (ع) ايضا واستباحوا اعراض بعضهم لبعض حتى لعن بعضهم بعضا على منابر الإسلام فأولئك هم الذين طرقوا للناس اللعن عليهم وبهم اقتدى من ذمهم او نسب القبح اليهم فان كان لهم عذر في الذي عملوه من استحلال الدماء واستباحة الأعراض فالذين اقتدوا بهم اعذروا بعد من ان تنسبوهم إلى سوء التعصب وقال أيضا (١) وليس بغريب من قوم قد بلغ اختلالهم وجهلهم وجنونهم إلى ان عرفوا متواترا لا يختلفون فيه ان جميع من يعتبر بأعماله من اهل المدينة والصحابة والتابعين والصالحين ومن حضرهم من سائر المؤمنين أجمعوا على ان عثمان بن عفان حلال الدم يجب المبادرة إلى قتله ولا يحل تغسيله ولا الصلاة عليه ولا دفنه وقتلوه على هذه الحالة وبقي ثلاثة ايام لا يرى احد منهم دفنه حتى دفنه بعض بني امية سرا من الصحابة والتابعين والصالحين ثم بعد الاجماع والتواتر والبراءة من عثمان وخروجه عن حكم الإسلام والإيمان عادوا إلى تكذيب الصحابة واهل المدينة ومن حضرهم من المسلمين وطعنوا عليهم وفضحوهم في البلاد وشرعوا يمدحون عثمان بن عفان ويشكرونه ويثنون عليه بالبهتان ويطعنون بذلك على اهل المدينة كافة واعيان الصحابة ويشهدون عليهم انهم قد يجمعون على المحال ويستحلون ما حرم الله من الدماء استحلالا وفي ذلك طعن على رواياتهم عنهم وهدم لما نقلوه من الإسلام الذي ظهر منهم وزاد حديث التعصب بعثمان حتى صار يذكر على المنابر بالمدح وتعظيم الشأن وافتضحنا مع اليهود والنصارى واعداء الدين بهذه المناقضات البعيدة من صفات العقلاء والعارفين وقد كان الواجب قطع حديث عثمان بالكلية في الملة النبوية حتى لا يبقى له ذكر ان امكن بحال من الاحوال تزكية للصحابة والتابعين ومن وافقهم على استحلال دمه وموافقته لهم في الفعل وهل يستبعد من مثل هؤلاء الجهال المخالفة لمحمد (ص) والتعصب على علي (ع) بما وقع بينهم من الاختلال

* أقول * واعجب من ذلك انهم يستدلون على حقية خلافة ابي بكر واولويته من غيره باجتماع جمع من الصحابة على بيعته وخلافته وغفلوا عن ان اجماع الصحابة والتابعين الذين هم اكثر من أولئك على استحلال قتل عثمان واهراق دمائه وتكفيره موجب لذلك واستدلوا بسكوت امير المؤمنين (ع) وعدم منازعته في بيعة الاول والثاني على حقية خلافتهما وانها لو كانت

(١) انظر كشف المحجة للسيد علي بن طاووس في الفصل الثالث والستون ص٦٣ ط ايران سنة ١٣٠٦

باطلة لنازع (ع) في ذلك ولما سكت ولم يستدلوا بسكوت امير المؤمنين عن قتل عثمان وعدم نصرته على استحقاقه لذلك ولما اعتذر عن سكوته هناك بأنه لم يكن له ناصر ولا معين اوردوا علينا بأنه هو الشجاع البطل المطاع في قومه ولو نازع وادعى الأمر لنفسه لكان منصوراً غالبا وغفلوا عن كون ذلك واردا عليهم في عدم منازعته (ع) في قتل عثمان وعدم نصرته له وعدم دفع خصومه واعدائه عنه ولكن الله ابتلى الكاذبين بعدم الحافظة وكثرة النسيان ليكون ذلك موجبا لافتضاحهم كما في الاثر والعيان يغني عن الخبر ثم قال السيد (ره)(١) ومهما وجدت في الكتب شيئا منسوبا إلى ابي بكر وعمر واعداء علي من الآداب والحكم والخطب والصواب فاعلم انها موضوعة وليست من ألفاظ أولئك المتغلبين وان اكثرها نسب اليهم في ايام معاوية وابنه يزيد (لعه) وايام بني امية وما كان منها في ايامهم فهي من اهل الكتابة والخطابة من الصحابة الذين لهم عادة بالاصابة لأن الخلفاء الثلاثة ما عرفنا منهم ابدا في الجاهلية مقاما ولا مقالا يقتضي تصديق نسبة الفصاحة اليهم ولا عول فيها احد عليهم واما ما ذكر عنهم من الفاظ المكاتبات أيام خلافتهم فالعادة جارية في مثلهم ممن لم يعرف الفصاحة اوقات ولا يتهم انهم يستخدمون من ينشئ المكاتبات والجوابات كما ترى للمماليك من الأمراء الترك عند ولا يتهم كتبا وجوابات منسوبات اليهم ومن المعلوم ان نوابهم واصحابهم ما عولوا في انشائها عليهم واما ما يتعلق بالخطب والحكمة فإن بني امية لما تظاهروا بلعنة امير المؤمنين (ع) على المنابر تقرب الطالبون للدنيا اليهم بوضع المناقب والفضائل لكل عدو له (ع) من الأواخر والأوائل تقية وطلبا للأمور الدنيوية وحسداً له على الشرف بالسعادة النبوية انتهى

﴿ المبحث السادس ﴾

في الدليل على حقية امامة باقي الأئمة الاثني عشر وهم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن القائم المهدي امام العصر والزمان عليهم السلام

(اعلم) ان لفظ الشيعة يطلق على من قال بخلافة امير المؤمنين (ع) بعد النبي (ص) بلا فصل والمخالف في ذلك العامة ولفظ الإمامية والاثنى عشرية مختص بمن قال بامامة الاثني

(١) هو السيد علي بن طاوس في كتاب كشف المحجة في الفصل السادس والتسعين ص ١٠٤ ط ايران سنة ١٣٠٦

عشر صلوات الله عليهم والمخالف في ذلك سائر فرق الشيعة (كالزيدية) القائلين بامامة زيد ابن علي بن الحسين (ع) بعد ابيهم وربما ذهب بعضهم إلى امامته بعد الحسين وربما قال بعضهم بحقية الخلفاء الثلاثة المتقدمين على امير المؤمنين (ع) لاقتضاء المصلحة ذلك (وكالكيسانية) القائلين بامامة محمد بن الحنفية بعد اخيه الحسين وذهب بعضهم إلى انه لم يمت بل هو القائم المنتظر وبعضهم إلى موته وانتقال الإمامة إلى اولاده (وكالاسماعيلية) القائلين بامامة اسماعيل بن الصادق الذي توفي في ايام والده الصادق وحملت جنازته علانية ليشاهدوا موته وهم فرق منهم من قال بعدم موته بل اخفاه الصادق (ع) تقية من المنصور فعاش بعده وانتقلت منه إلى أولاده ومنهم من قال غير ذلك (وكالناووسية) القائلين بغيبة الصادق (ع) وانه لم يمت بل هو المهدي الذي يظهر (وكالفطحية) القائلين بامامة عبدالله الافطح بن الصادق (ع) بعده لأنه اكبر اولاده (وكالواقفية) الواقفين على امامة الكاظم (ع) زعما منهم انه لم يمت بل هو الغائب القائم ونحو ذلك من الفرق الضالة المبتدعة وقد انقرضوا كلهم ولله الحمد ولم يبق لهم ذكر سوى الزيدية والاسماعيلية ونحن إذا اثبتنا بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية والآيات القرآنية والاحاديث المعصومية امامة الأئمة الاثني عشر بطلت سائر المذاهب موجودة كانت او منقرضة إذ الحق في واحدة وما عداها باطل عقلا ونقلا آية ورواية فاذا بعد الحق إلا الضلال وقوله (ص) في الفرق كلها في النار إلا واحدة ولنا في الاستدلال على ذلك طرق

(الاول) النصوص المتضافرة والاخبار المتواترة الدالة على امامتهم التي رواها المخالف والموالف وهي كثيرة يحتاج جمعها وبسط الكلام فيها إلى كتاب مفرد ولكنا نقتصر منها على ما اورده المخالفون في كتبهم المعتمدة وصحاحهم المعتبرة كصحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة وصحيح ابي داود ومسند احمد بن حنبل وغيرها بطرق عديدة ومتون سديدة (١) من ان خلفاء النبي (ص) اثنى عشر وذلك لا ينطبق الا على مذهب الامامية الاثني عشرية فروى البخاري في صحيحه عن جابر بن سمره قال سمعت

(١) انظر صحيح مسلم في اول كتاب الامارة ج٢ ص٧٩ ومسند احمد ج١ ص٣٩٨ و٤٠٦ وج٢ منه ص٢٩ وج٥ منه ص٨٩ وصحيح البخاري في اول كتاب الاحكام في باب الأمراء من قريش ج٤ ص١٤٤ وفيه في آخر كتاب الاحكام ص١٥٣ وابن حجر في الصواعق في الفصل الثالث من الباب الاول ص١٢ وكنز العمال ج٦ ص١٦٠

رسول الله (ص) يقول يكون بعدي اثنا عشر اميرا ثم قال كلمة لم أسمعها قال قال ابي كلهم من قريش وعن ابن عيينة قال قال رسول الله (ص) لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا ثم تكلم بكلمة خفيت عليّ فسألت ابي ماذا قال رسول الله (ص) فقال قال كلهم من قريش ورواه مسلم ايضاً في صحيحه وفي الجمع بين الصحيحين بالاسناد عن جابر بن سمره عن النبي (ص) انه قال يكون من بعدي اثنا عشر خليفة ثم تكلم بكلمة خفية ثم قال كلهم من قريش وروى مسلم في صحيحه هذا الحديث بثمانية طرق ورواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين بستة طرق ورواه الثعلبي في تفسيره بثلاثة طرق وفي صحيح مسلم عنه (ص) قال لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وفي الجمع بين الصحاح الستة في موضعين عنه (ص) قال ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وكذا عن صحيح ابي داود والجمع بين الصحيحين وروي عن ابن عباس قال سألت النبي (ص) حين حضرته الوفاة وقلت إذا كان ما نعوذ بالله فإلى من فأشار بيده إلى علي (ع) وقال هذا مع الحق والحق معه ثم يكون من بعده احد عشر اماما ورووا عن عائشة انها سئلت كم خليفة لرسول الله فقالت اخبرني انه يكون من بعده اثنا عشر خليفة وقالت ان اسماءهم مكتوبة عندي باملاء رسول الله (ص) فقيل لها فأعرضيه فأبت ورووا في هذا المعنى اخباراً كثيرة تنيف على ستين حديثا كلها تشتمل على ذكر الاثني عشر وفي بعضها ذكر اسمائهم وروي عن صدر الأئمة أخطب خوارزم باسناده إلى رسول الله (ص) قال ليلة اسري بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) فقلت (والمؤمنون) فقال لي صدقت من خلفت في امتك قلت خيرها قال علي بن ابي طالب قلت نعم يا رب قال تعالى يا محمد اني اطلعت إلى الارض اطلاعة اخترتك منها فشققت لك اسما من اسمائي فلا اذكر في موضع إلا ذكرت معي فأنا المحمود وانت محمد ثم اطلعت ثانية واخترت منها عليا وشققت له اسما من اسمائي فأنا الأعلى وهو علي يا محمد اني خلقتك وخلقت عليا وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولده من نوري وعرضت ولايتكم على اهل السماوات والارض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان من الكافرين يا محمد لو ان عبدا من عبادي عبدني حتى يصير كالشن البالي ثم اتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم يا محمد تحب ان تراهم قلت نعم فقال التفت إلى يمين العرش فالتفت فإذا

انا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون وهو يعني المهدي في وسطهم كأنه كوكب دري فقال يا محمد هؤلاء الحجج وهذا هو الثائر من عترتك وعزتي وجلالي انه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من اعدائي ورووا عن ابي طالب انه قال له رسول الله (ص) يا عم يخرج من ولدك اثنا عشر خليفة منهم يخرج المهدي من ولدك به تصلح الأرض ويملأها الله عدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن السدي في تفسيره وهو من علماء الجمهور وثقاتهم قال لما كرهت ساره مكان هاجر اوحى الله تعالى إلى ابراهيم الخليل فقال انطلق باسماعيل وامه حتى تنزله بيت النبي (ص) التهامي يعني مكة فاني ناشر ذريته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي وجاعل منهم نبيا عظيما ومظهره على الأديان وجاعل من ذريته اثني عشر عظيما وجاعل من ذريته عدد نجوم السماء ورووا عن ابن عباس ان النبي (ص) قال له يا عم يكون من ولدي اثنا عشر خليفة فتحدث امور كريهة وشدة عظيمة فيخرج المهدي من ذريتي فيملأ الأرض عدلا الحديث وفيه وفيما قبله ضرب من التغليب مع ان اطلاق الولد على مثل أمير المؤمنين صحيح لكونه (ص) مربيا له ومعلما ورووا عنه (ص) انه قال اوصيائي من بعدي عدد اوصياء موسى أو حواري عيسى وكانوا اثني عشر وعن ابن مسعود ان النبي (ص) قال ان اوصيائي من بعدي عدد نقباء بني اسرائيل وكانوا اثني عشر اشارة إلى قوله تعالى (وجعلنا منهم اثني عشر نقيبا) وروى الزمخشري باسناده عن النبي (ص) انه قال فاطمة ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولدها امناء وحي وحبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى والاخبار في هذا المعنى كثيرة وهي مروية من طرقنا ايضا بأسانيد لا تحصى وطرق لا تستقصى وقد جمع جملة منها مؤلف نصوص المعجزات وهي صريحة فيما عليه الفرقة المحقة والطائفة الحقة إذ لا يمكن حملها على خلفاء الجور لزيادة عددهم من قريش على ذلك ومن الأمر الغريب والعجب العجيب ان آية الله العلامة (ره) بعد ان نقل جملة من روايات النص على الاثني عشر عن صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح ابي داود والجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة وتفسير السدي قال الناصب الفضل بن روزبهان ما لفظه اقول ما ذكر من الأحاديث الواردة في شأن اثني عشر خليفة من قريش فهو صحيح ثابت في الصحاح الى ان قال ثم ما ذكر من عدد اثني عشر خليفة قد اختلف (العلماء) في معناه فقال بعضهم

هم الخلفاء بعد رسول الله (ص) وكان اثناعشر منهم ولاة الأمر الى ثلثمائة سنة وبعدها وقعت الفتن والحوادث فيكون المعنى ان أمر الدين عزيز في مدة خلافة اثني عشر كلهم من قريش وقال بعضهم ان عدد صلحاء الخلفاء من قريش اثنا عشر وهم الخلفاء الراشدون وهم خمسة وعبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وخمسة أخر من خلفاء بني العباس فيكون هذا اشارة الى الصلحاء من الخلفاء القرشية واما حمله على الأئمة الاثني عشر فإن أريد بالخلافة وراثة العلم والمعرفة وايضاح الحجة والقيام بإتمام منصب النبوة فلا مانع من الصحة ويجوز هذا الحمل بل يحسن وإن أريد به الدعامة الكبرى والايالة العظمى فهذا امر لا يصح لأن من الاثني عشر اثنين كانا صاحبي الدعامة الكبرى وهما علي (ع) والحسن (ع) والباقون لم يقصدوا الدعامة الكبرى ولو قال الخصم انهم كانوا خلفاء لكن منعهم الناس عن حقهم قلنا سلمنا انهم لم يكونوا خلفاء بالفعل بل بالقوة والاستحقاق وظاهر ان مراد الحديث ان يكونوا خلفاء قائمين بالدعامة والولاية والا فما الفائدة في خلافتهم في اقامة الدين وهذا ظاهر والله اعلم انتهى ومراده بالخمسة ابو بكر وعمر وعثمان وامير المؤمنين (ع) والحسن (ع) والسبعة الباقون بنوا أمية ومنهم معاوية ويزيد الى ان ينتهوا الى السبعة ومنهم الوليد ومراده بصلحاء الخلفاء الخمسة المذكورون وعبد الله بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وخمسة من بني العباس

اقول ولا يخفى ما في كلامه المختل النظام المتهافت المرام من التهافت والتناقض والعصبية والعناد واللجاج والفساد من وجوه عديدة لا تخفى على البليد فضلا عمن القى السمع وهو شهيد اما اولا فلأنهم استندوا في حقية خلفائهم الى ما رووه عن النبي (ص) انه قال الخلافة ثلاثون سنة وبعد ذلك ملك عضوض وادعى بعضهم ان الثلاثين تتم بخلافة امير المؤمنين وبعضهم بالستة اشهر التي تخلف فيها الحسن (ع) فكيف ادعوا هنا ان الخلفاء اكثر من ذلك مع انهم قد اعترفوا وصرحوا في كتبهم بأن معاوية لم يكن من الخلفاء بل كان من الملوك (واما ثانيا) فأن معاوية على ما حققه جملة من علمائهم المحققين المنصفين لم يكن من المسلمين فضلا عن ان يكون خليفة رسول رب العالمين وأمينا على الدنيا والدين في الخلائق أجمعين وهو الذي حارب امير المؤمنين (ع) الذي قال فيه سيد المرسلين حربك حربي وأعلن بسبه على المنابر ودس السم الى الحسن (ع) نور عين المصطفى وسيد شباب أهل الجنة وابنه يزيد كان معلنا بالفسق والفجور متجاهراً بشرب الخمور وهو الذي قتل سيد شباب أهل الجنة وسبى ذرية رسول الله

(ص) وهتك حرمته وهتك حرمة مكة والمدينة حرم الله ورسوله وأباح نساء أهل المدينة ثلاثة ايام حتى تولد من النساء اربعة آلاف ولد من تلك الواقعة والوليد هو الذي كان معلنا بالفسق والفجور وهو الذي رمى القرآن المجيد بالنبل حتى خرقه لما تفاءل به يوما فجاءت الآية (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فجعل القرآن منضلا للنبل ورماه بالنبل حتى خرقه وأنشأ يقول :

تهددني بجبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وكل ذلك قد اعترفوا به ورووه في كتبهم فبالله أهؤلاء يكونون خلفاء رسول الله (ص)

ليبك على الإسلام من كان باكيا فقد هدمت اركانه ودعائمه

(وأما ثالثا) فإن ما زعمه من الحمل على صلحاء الخلفاء الذين زعمهم فاسد ايضا فإنه يلزم الفصل الكلي وعدم الاتصال بينهم بهذا التلفيق الذي ظنه على ان ابن الزبير بمعزل عن الصلحاء لما رووه في كتبهم انه كان من رؤساء حرب أهل الجمل وانه كان معلنا بعداوة أهل البيت الذين أوجب الله مودتهم حتى انه في ايام خلافته كان يخطب ولا يصلي على النبي (ص) فقيل له في ذلك فقال ان له اهيل سوء إذا ذكرته شمخوا بأنوفهم وقال صاحب الاستيعاب من الجمهور انه كانت فيه خلال لا يصلح معها للخلافة(١) لأنه كان بخيلا ضيق العطن سيئ الخلق حسوداً كثير الخلاف اخرج محمد بن الحنفية ونفى عبد الله بن عباس الى الطائف وقال علي بن ابي طالب (ع) ما زال الزبير بعد منا أهل البيت حتى نشأ عبد الله وايضا يلزم خلو الأزمنة الفاصلة بين الخليفتين الصالحين وما بعد تمام الاثني عشر منهم عن الخليفة والإمام وقد تقدم ان الارض لا تخلو من خليفة وهو مناف لظاهر هذه الأخبار ايضا (واما رابعا) فإن ظاهر هذه الأخبار بل صريحها ان الاثني عشر متصلون بآخر الزمان وفي بعضها آخرهم المهدي

(١) انظره في الاستيعاب بترجمة ابن الزبير ج ١ ص ٣٦٤ وفي شرح النهج ج٤ ص٤٨٧ وصحيح مسلم في باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها من كتاب الفضائل ج٢ ص ٢٧٤ وصحيح البخاري في كتاب الفتن في باب اذا قال عنه قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه ج٤ ص١٤١ وايضا فيه في تفسير سورة براءة من كتاب التفسير في باب قوله تعالى ثاني اثنين ج٣ ص٨٥ وفي كتاب البيوع في باب ما قيل في الصواع ج٢ ص٦ ومسند احمد ج١ ص٦٤

وفي بعضها لا يزال الدين وفي بعضها فإذا مضوا ماجت او ساخت الأرض بأهلها كما رووا عن أنس قال قال رسول الله (ص) لا يزال هذا الدين قائماً الى اثني عشر خليفة من قريش فإذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها (واما خامسا) فإن ما ذكره الناصب من الترديد مردود بأن الخلافة والإمامة رياسة عامة في امور الدين والدنيا نيابة عن النبي (ص) وفعليتها إنما تكون بالنص والتعيين لا بشيوع التصرف والتظاهر بجريان الأحكام والالما كان ابو بكر حال امتناع الاعراب عن اداء الزكاة خليفة ولو بالنسبة اليهم ولا كان عثمان حين حوصر خليفة ولا كان أمير المؤمنين (ع) حين محاربة معاوية وعائشة وطلحة والزبير والخوارج خليفة ولما كان الأنبياء حين تكذيب نبوتهم انبياء وكل ذلك باطل بالإجماع بل الخليفة والإمام هو القابل لذلك المنصوص عليه وإن لم يكن متصرفا كما قال النبي (ص) في شأن السبطين ابناي هذان امامان قاما او قعدا وبالجملة فكلام هذا الناصب ومن حذا حذوه في غاية التهافت والاختلال ولعل قوله في آخر كلامه والله اعلم اشارة إلى عدم اعتقاده بما قاله بل إنما صدر منه لساناً ومن مستطرفات الآثار ما حكي عن بعض الامراء والوزراء انه لما عثر على هذه الأخبار من طرقهم جمعهم وسألهم عن معناها موردا عليهم بأنه ان عنى مطلق قريش فعدد سلاطينهم فوق ذلك اضعافاً مضاعفة وان اراد غير ذلك فبينوه فاستمهلوه عشرة أيام فأمهلهم فلما حل الوعد تقاضاهم الجواب فحاروا وتحيروا وافتقد رجلاً منهم مبرزا وطلب الأمان فأعطاه الأمان فقال هذه الأخبار لا تنطبق إلا على مذهب الشيعة الاثني عشرية ولكنها اخبار آحاد لا توجب العمل فرضي بقوله وانعم عليه ولعمري انها اخبار متواترة وروايات متضافرة قد اتفق على روايتها الفريقان العامة والخاصة وحفظها في كتبهم مع اقتضاء الحال اخفاءها أدل دليل واصدق شاهد على صحتها وليتهم اتوا بخبر واحد يدل على حقية خلافة أئمتهم ولكن لا تعمى الأبصار بل تعمى القلوب التي في الصدور وقد روى احمد بن حنبل في مسنده وغيره من الجمهور عن النبي (ص) انه قال للحسين انت السيد ابن السيد أخو السيد ابو السادة انت الإمام ابن الإمام اخو الإمام ابو الأئمة انت الحجة ابن الحجة اخو الحجة ابو الحجج التسعة من صلبك تاسعهم قائمهم وهذا ايضا نص صريح على امامتهم ونحوه مروي عن الطبري وغيره وليس في نسخهم أخو السيد واخو الإمام واخو الحجة والظاهر انه سقط ورووا ايضا في صحاحهم وكتبهم بطرق عديدة تنيف على مائتي طريق كابن مردويه واحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في

تفسيره وابن عبد ربه في العقد وابي داود في صحيحه والترمذي في صحيحه ومسلم في صحيحه وفي الجمع بين الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) قال ايها الناس إنما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب وانا تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه النور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وفي بعضها اني تارك فيكم الثقلين ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني في عترتي وفي بعضها خليفتين بعد الثقلين ولا يخفى ما فيها من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على امامتهم حيث قرنهم بالكتاب المجيد وامر بالتمسك بهم فكما ان التمسك بالقرآن والعمل بما فيه موجب للنجاة الأخروية والسعادة الابدية فكذا التمسك بأهل البيت (ع) ولا معنى لإمامتهم إلا ذلك وأيضاً فقد اخبر (ص) بأنهم لا يفترقون ولا يفارقون القرآن وانهم باقون ببقائه وان التمسك بالقرآن من دونهم غير نافع وذلك كله لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية وروى احمد بن حنبل في مسنده وغيره من الجمهور بطرق عديدة والفاظ متقاربة ان النبي (ص) قال ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك (١) وفي بعضها اهل بيتي فيكم كباب حطة في بني اسرائيل (٢) ولا يخفى ما فيها من الدلالة ولا تنطبق على مذهب العامة الا ان يدعوا أن أهل البيت عبارة عن «ابي حنيفة» «والشافعي» «ومالك» «وابن حنبل» الراوين لهذا الحديث وابي هريرة وانس ونحوهم وروى ابن ابي الحديد في الشرح (٣) عن صاحب حلية الأولياء عن النبي (ص) انه قال من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوالِ عليا من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين لهم من امتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي ونحوه مروي عن فضائل احمد بن حنبل ونخب ابن جبير وخصائص النضيري وفيه بدل ويسكن

(١) انظر الصواعق لابن حجر في الآية السابعة من الآيات الواردة فيهم (ع) ص ٩٣ وتفسير الفخر الرازي ج٧ ص٤٠٦ والنيشابوري ج٣ في تفسير سورة الشورى (٢) انظر الصواعق لابن حجر الفصل الثاني في فضائل علي (ع) ص٧٧ والفصل الاول من الآيات الواردة فيهم (ع) ص٩٣ وكنز العمال ج٦ ص ١٥٣ (٣) انظر شرح النهج الحديدي ج٢ ص ٤٥٠ وكنز العمال ج٦ ص١٥٥

جنة عدن إلى آخره ويدخل جنة عدن منزلتي فليتولَّ علي بن ابي طالب (ع) وليأتم بالأوصياء من ولده فتأمل من الذي قطع وصلهم وفصل بينهم وبين جدهم (ص) وروى الديلمي في الفردوس (١) عن النبي (ص) قال يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله عز وجل واخذت انت بحجزتي واخذ ولدك بحجزتك واخذ شيعة ولدك بحجزهم فترى اين يؤمر بنا ونحوه في كتاب شرف النبي وزيد فيه فانهم لن يدخلوكم نار ضلالة ولن يخرجوكم من نور هدى وبالجملة فاستقصاء الاخبار المروية فيهم (ع) من طرق العامة فضلا عن الخاصة لا تحصى هذا كله مضافا إلى ما صدر منهم من العلوم والاسرار مما اعترف به الأخيار والأشرار وما ورد عن النبي (ص) فيهم ولنذكر جملة يسيرة فيهم مما ذكره الناصبي ابن حجر في الصواعق المحرقة (٢) قال في آية التطهير اخرج احمد عن ابي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين واخرجه ابن جرير مرفوعا بلفظ انزلت هذه الآية في خمسة فيَّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة واخرج الطبراني ايضا ومسلم انه «ص» أدخل اولئك تحت كساء كان عليه وقرأ هذه وصح انه «ص» جعل على هؤلاء كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة وانا معهم قال انك على خير وفي رواية بعد تطهيراً أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم وصح عن كعب بن عجره انه لما نزل قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قيل يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية الحاكم فقلنا يارسول الله كيف الصلاة عليكم اهل البيت فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره ثم قال ويروى ان لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء فقالوا يا رسول الله وما الصلاة البتراء قال

(١) الذي وجدته بمعنى الرواية لا لفظها عن ابن حجر في الصواعق ص١٤٠ وليس فيه لفظ حجزة ونصه عن النبي «ص» اول اربعة يدخلون الجنة انا وانت يعني عليا «ع» والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وازواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا انتهى ومثله في نور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص٩٩ ط مصر سنة ١٣١٥ (٢) انظر ما ذكره الماتن قدس سره في الصواعق المحرقة لابن حجر من ص٨٧ إلى ص ١١٧ تجده فيه برمته في طي كلماته وخلال صفحاته

تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقال في قوله تعالى (سلام على آل ياسين) نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس ان المراد بذلك سلام على آل محمد و كذا قاله الكلبي وأخرج الترمذي وقال حسن غريب انه (ص) قال اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما واخرجه احمد في مسنده بمعناه ولفظه اني أوشك ان ادعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا بما تخلفونني فيهما وفي رواية ان ذلك كان في حجة الوداع وعن زيد بن ارقم انه (ص) قال ذلك يوم غدير خم وهو ماء بالجحفة وزاد اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي قلنا لزيد من اهل بيته نساؤه قال لا أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى ابيها وقومها اهل بيته وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده وفي رواية صحيحة اني تارك فيكم امرين لن تضلوا ان اتبعتموهما كتاب الله واهل بيتي وعترتي وزاد الطبراني سألت الله ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم اعلم منكم وفي رواية كتاب الله وسنتي قال والحاصل ان الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من اهل البيت ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا وفي بعض كتب تلك الطرق انه قال ذلك في حجة الوداع بعرفة وفي أخرى بغدير خم وفي أخرى في المدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه وفي أخرى بعد انصرافه من الطائف ولا تنافي اذ لا مانع من انه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن واخرج ابن سعد والملا في سيرته انه (ص) قال استوصوا بأهل بيتي خيراً الحديث وأخرج الأول أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا والثاني حديث في كل خلف من امتي عدول من اهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الا وان أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون ثم قال وفي احاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما ان الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض واخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق (ع) قال

نحن حبل الله الذي قال الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) وأخرج ابو الحسن المغازلي عن الباقر (ع) في قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال نحن الناس قال وفي قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اشارة الى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وانهم أمان لأهل الأرض كما كان هو امانا لهم وفي ذلك احاديث كثيرة منها النجوم امان لاهل السماء واهل بيتي امان لأمتي وفي رواية ايضا اهل بيتي امان لأهل الأرض فاذا هلك اهل بيتي جاء اهل الارض من الآيات ما كانوا يوعدون وفي اخرى لأحمد فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الأرض وفي رواية صححها الحاكم النجوم امان اهل الأرض من الغرق واهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفي رواية هكذا انما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له الذنوب وقال في قوله تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) قال ثابت البناني اهتدى الى ولاية أهل البيت وجاء ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وأخرج الديلمي مرفوعا انما سميت ابنتي فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وأخرج أحمد في المناقب انه (ص) قال لعلي أما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا وأخرج الطبراني انه (ص) قال لعلي أول اربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرياتنا خلف ظهورنا وازواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا وأخرج الديلمي ياعلي ان الله عز وجل قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فابشر فانك الانزع البطين وقال في قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) الآية قال اخرج احمد والطبراني وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس ان هذه الآية لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ثم روى روايات كثيرة من هذا القبيل عن البزاز والطبراني واحمد قال واخرج الثعلبي عن ابن عباس في قوله (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) قال المودة لآل محمد ونقل الثعلبي والبغوي عنه انه لما نزلت قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قال قوم في نفوسهم ما يريد إلا ان يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبرائيل النبي (ص)

اتهموه بهذه الآية فأنزل (أم يقولون افترى على الله كذبا) الآية فقال القوم يا رسول الله انك صادق فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال في قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية انه قال في تفسير هذه الآية لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي (ع) واهل بيته واخرج الديلمي انه (ص) قال ادبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب اهل بيته وعلى قراءة القرآن والحديث واخرج ابو الشيخ من جملة حديث طويل يا ايها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله (ص) وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل واخرج الدارقطني ان الحسن (ع) جاء الى ابي بكر وهو على منبر رسول الله (ص) فقال انزل عن مجلس ابي فقال صدقت والله انه لمجلس ابيك ثم اخذه واجلسه في حجره وبكى فقال علي (ع) والله ما كان عن رأيي فقال صدقت ما اتهمتك فانظر محبة ابي بكر وتعظيمه وتوقيره للحسن (ع) حيث اجلسه في حجره وبكى ووقع للحسين (ع) نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر فقال له والله منبر ابيك لا منبر ابي فقال علي (ع) ما كان امرت بذلك فقال عمر والله ما اتهمناك والله ما اتهمناك وزاد ابن سعد انه أخذه فأقعده الى جنبه وقال وهل انبت الشعر على رؤوسنا إلا ابوك اي الرفعة ما نلناه إلا به واخرج الحاكم عن ابي ذر ان رسول الله (ص) قال ان مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق واخرج الترمذي عن حذيفة ان رسول الله (ص) قال ان هذا ملك لم ينزل الى الأرض قط قبل هذه الليلة (خل الساعة) استأذن ربه ان يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين (ع) سيدا شباب أهل الجنة واخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ان رسول الله (ص) قال انا حرب لمن حاربهم وأنا سلم لمن سالمهم وأخرج احمد والترمذي عن ابي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن ابي هريرة وعن أسامة بن زيد وعن البراء بن عازب عن ابن مسعود ان النبي (ص) قال الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأخرج ابن عساكر عن علي (ع) وعن ابن عمر وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر والطبراني عن قرة عن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود ان النبي (ص) قال ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما وفي رواية أخرى ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وفي خبر آخر أن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا انتهى

﴿ وصل ﴾ اعلم ان جمعا من المتعصبين الذين ليس لهم قدم راسخ في الدين قد انكروا وجود النص من خاتم النبيين على امير المؤمنين واولاده الطاهرين مع أن النصوص من طرقهم متضافرة والاخبار في كتبهم متواترة ولما رأى متأخروهم أن الشمس لاتستر بالراح اعتذروا تارة بأن خلافة من تقدم دراية وخلافة امير المؤمنين «ع» رواية وهي لا تعارض الدراية وتارة بأن هذه الاخبار آحاد لم تصل إلى حد التواتر فلا تكون حجة وتارة بأنها معارضة بالاخبار المروية في حق الخلفاء وتارة باستبعاد وجود النص من وجوه (الاول) انه لو كان نص في هذا المطلب العظيم والمنصب الجسيم لما عدل عنه اكابر الصحابة والتابعين مع تقدسهم وورعهم وصلاحهم ولما اختلفوا في السقيفة وقالوا منا امير ومنكم امير فكيف اتفقوا كلهم على ذلك ولم يذكروا نصا مع كونهم خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وامة وسطا شهداء على الناس (الثاني أن النبي لو كان عالما باتفاق اكثر امته على الباطل والعدول عن النص كيف كان يقول عليكم بالسواد الاعظم (الثالث) إن امير المؤمنين كان في غاية الشجاعة ونهاية القوة وهو الذي قاتل الشجعان ونكس الفرسان وكان المطاع في قومه والمتبع في عشيرته فلو كان له حق كيف سكت عنه ولم يدعه ولم يقاتل عليه وابو بكر على دعواكم كان شيخا ضعيفا جبانا (الرابع) انه قد ثبت قول العباس لأمير المؤمنين «ع» هلم لأبايعك فيقال أن عم رسول الله (ص) قد بايع عليا فلا يختلف عليك اثنان ولو كان نص لما قال له ذلك ولما قال ابو سفيان يابني عبد مناف اترضون أن يتولى عليكم رجل من تيم ولو شئت لملأتها خيلا ورجلا ولو كان نص لمارضي امير المؤمنين «ع» بالدخول في الشورى وما رأينا امير المؤمنين «ع» احتج يوما على معاوية وغيره بالنص والجواب . ان هذه المزخرفات الوهمية والاستبعادات الاعتبارية والشبهات الشيطانية غير مسموعة في مقابلة الادلة القطعية والبراهين اليقينية والاحاديث المتواترة والاخبار المتضافرة المروية في صحاحكم وكتبكم مع قطع النظر عما روته الفرقة المحقة والطائفة الحقة خلفا عن سلف بما يزيد على التواتر ولم يقم من الاخبار والآثار على مطلب من المطالب اكثر مما قام على هذا الامر مع اقتضاء الحال اخفاء ذلك من وجوه عديدة لا تخفى على الفطن هذا كله مع تأيدها بالادلة العقلية والبراهين القطعية والقرائن الحالية وبالروايات التي تزيد على عدد التواتر من طرق الإمامية وعدم معارض لها من طرقكم ايضا بل رويتم في مثالب خلفائكم ومطاعن ائمتكم في صحاحكم وكتبكم اخبارا

لاتحصى وروايات لا تستقصى تدل على عدم لياقتهم للرئاسة العامة والإيالة التامة واستبعاد ذلك باطباق اكثر الصحابة والتابعين على خلافه غير مسموع لأن جملة منهم كانوا منافقين كما نطق بذلك القرآن الكريم والسنة كما يأتي وجملة منهم كانوا مصرين على بغض أمير المؤمنين «ع» اما لحب الرئاسة أو لأضغان بدرية وأحقاد حنينية قتل فيها آباءهم وأبناءهم واستأصل عشائرهم وقبائلهم وكان «ع» لم يزل يشتكي من قريش ويقول قد ابت الا قطعي وعداوتي حتى رويتم انه «ع» لم يكن معه من قريش في وقعة صفين إلا خمسة محمد بن أبي بكر وجعده بن هبيرة وأبو الربيع بن ابي العاص ومحمد بن أبي حذيفه بن اخت معاوية وهاشم بن عتبه بن ابي وقاص وكان مع معاوية ثلاث عشرة قبيلة منهم مع اهاليهم وقد اعترفتم بأن معاوية لم يكن محقا في دعواه ومع ذلك أصبت قريش على عداوة علي «ع» ومقاتلته وجملة منهم لما رأوا امير المؤمنين «ع» جالسا في بيته ومشغولا بما اصابه من فراق ابن عمه زعموا انه رفع يده عن الخلافة وليس له رغبة فيها وجملة منهم اعترضوا على الغاصبين كبريدة الاسلمي ونحوه بالنص فاجابوهم بأنا قد شهدنا وغبتم ويرى الحاضر ما لا يرى الغائب وجملة منهم كانوا يزعمون أن الإمامة والخلافة عبارة عن الملك والإمارة وقالوا انا رعايا فكل من تأمر اطعناه سواء كان الحق له او لغيره وما لنا والدخول بين الامراء كما قال ابو بكر لا تجتمع النبوة والملك في بيت واحد وما كان الله ليجمع النبوة والخلافة لأهل بيت واحد مع ان صاحب الحق في يوم وفاة ابن عمه كان مشغولا بتجهيزه وهم اغتنموا الفرصة وذهبوا إلى السقيفة ولم يحضروا نبيهم وفي اليوم الثاني احتج امير المؤمنين «ع» على جملة من المهاجرين والانصار باحقيته بالخلافة وبالنص عليه فسلموا واذعنوا واعتذروا بأنا لو سمعنا مقالك اليوم امس لما بايعنا معه انكم قد رويتم في صحاحكم أن امير المؤمنين «ع» لم يبايع ابا بكر مدة مديدة وقولكم أن أمير المؤمنين لم يحتج بالنص كذب وافتراء فكم احتج بذلك مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى كما هو مروي من طرقكم وقد روى ذلك ابن المغازلي الشافعي في مناقبه والترمذي في صحيحه وغيرهما وأما احتجاجه بالقرابة والفضيلة ايضا فلا ينافي ذلك فإنه «ع» تابع قوله تعالى (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فادعى أولويته بالطرق الثلاثة بالنص وهو البرهان وذكر الفضائل وهي الموعظة الحسنة وتسمى الخطابة وبالقرابة وهي المجادلة بالتي هي احسن كما قال

فإن كنت بالقربى حججت امورهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وان كنت بالشورى حججت امورهم فكيف بهذا والمشاورون غيب

واما الاستبعاد من كتمان اكثر الصحابة بل جلهم هذا والاعراض عنه فليس بمستبعد لما عرفت من جهاته ومعارضة ذلك بقوله (ص) عليكم بالسواد الاعظم مع تسليمه غير مسموع لأن الله سبحانه وتعالى قد ذم الكثرة ومدح القلة في مواضع عديدة فقال تعالى (وإن تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقوله تعالى (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله تعالى (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) وقال تعالى (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) وقال تعالى (واكثرهم للحق كارهون) وقال تعالى (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) وقال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) إلى غير ذلك من الآيات والروايات وايضا فإن بني اسرائيل على كثرتهم قد اتفقوا على مخالفة هارون وعبدوا العجل بعد غيبة موسى وقد تواتر عنه (ص) انه يقع في هذه الأمة ما وقع في الامم الماضية حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وقد اشار (ص) إلى ذلك بقوله انت مني بمنزلة هارون من موسى ولعل المراد بالسواد الاعظم ما كان عظيما بحسب الشأن والمرتبة فيكون عبارة عن كتاب الله او عن الكتاب والعترة اللذين هما الثقلان كما ترشد اليه الاخبار والعجب من المخالفين انهم ذكروا في كتبهم ورووا عن علمائهم ان هؤلاء الصحابة الذين بايعوا ابابكر قد اجتمعوا كلهم ومعهم اضعافهم على قتل عثمان وسفك دمه ومع ذلك لم يجعلوا ذلك قادحا في مرتبة عثمان فإن كان اتفاق جلهم على امر حجة فليكن في قتل عثمان كذلك وان لم يكن حجة فكيف يستدلون به على حقية خلافة ابي بكر وايضا قد استدلوا بعدم منازعة امير المؤمنين في بيعة ابي بكر على حقيتها فكيف لم يجعلوا عدم منازعة امير المؤمنين قتلة عثمان دليلا على حقيتهم ان هذا لعجيب واي عجيب وغريب واي غريب واما ما استبعدوه من عدم نزاع امير المؤمنين (ع) من تغلب عليه مع قوته وشجاعته فقد عرفت انه ادعى اولويته بالخلافة مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى واما تركه لمحاربتهم ومقاتلتهم كما فعل ذلك بمعاوية وعائشة والزبير وطلحة واهل النهروان فله عندنا محامل صحيحة

(احدها) انه (ع) تابع رب العالمين في صبره وحلمه على الكفار والمنافقين والمشركين والعاصين ومن ادعى الربوبية والنبوة من الكاذبين حيث امهلهم مددا مديدة ودهورا عديدة مع اطلاعه على احوالهم وعلمه بسرائرهم وعلانيتهم وقدرته عليهم

(ثانيها) التأسي بسيد المرسلين حيث انه صبر في اوائل الاسلام على اذى المشركين وتحمل غاية التعب ومنتهى المشاق وانواع الاذى وصبر عند مقاتلتهم ومحاربتهم ولم يدع الله تعالى على اهلاكهم مع اعلامه تعالى اياه باحوالهم وبقي الاسلام ضعيفا في اوائله إلى اثني عشرة سنة ثم بعد ذلك قوي الاسلام وكثرت شوكة المسلمين فأمر بمحاربة الكفار ومقاتلتهم

(ثالثها) التأسي بهدى الانبياء الماضين والرسل السالفين كما قال تعالى (فبهداهم اقتده) كما روي ان قوما من الناس قالوا ما بال علي لم ينازع ابابكر وعمر وعثمان كما حارب طلحة والزبير فبلغ الخبر امير المؤمنين (ع) فأمر ان ينادي بالصلاة جماعة فلما اجتمع الناس قام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه ثم قام فقال معاشر الناس بلغني أن قوما قالوا ما بال علي لم ينازع ابابكر وعمر وعثمان كما نازع طلحة والزبير الا وان لي في سبعة من انبياء الله اسوة اولهم نوح اذ قال الله تعالى مخبرا عنه (اني مغلوب فانتصر) فإن قلتم ما كان مغلوبا كفرتم وكذبتم القرآن وإن كان نوح مغلوبا فعلي اعذر

(الثاني) ابراهيم حيث يقول (واعتزلكم وما تعبدون من دون الله) فإن قلتم انه اعتزلهم من غير مكروه كفرتم وإن قلتم رأى المكروه منهم فاعتزلهم فانا اعذر

(الثالث) لوط اذ قال لقومه (لو أن لي بكم قوة او آوي إلى ركن شديد) فإن قلتم انه كان له قوة فقد كفرتم وكذبتم القرآن وان قلتم انه لم يكن له بهم قوة فأنا اعذر

(الرابع) يوسف (اذ قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه) فان قلتم انه دعي بغير مكروه وسخط فقد كفرتم وان قلتم انه دعي لما اسخط الله عز وجل فاختار السجن فانا اعذر

(الخامس) موسى بن عمران (ع) اذ قال (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين) فإن قلتم لم يفر خوفا على نفسه فقد كفرتم وان قلتم انه فر خوفا فالوصي اعذر

(السادس) هارون اذ يقول (يا ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء) فإن قلتم انهم لم يستضعفوه ولا كادوا يقتلونه حيث نهاهم عن عبادة العجل فقد كفرتم وان قلتم انهم استضعفوه وكادوا يقتلونه لقلة من يعينه فالوصي اعذر

(السابع) محمد(ص) اذ هرب إلى الغار فإن قلتم انه هرب من غير خوف على نفسه من القتل فقد كفرتم وان قلتم انهم اخافوه فلم يسعه إلا الهرب إلى الغار فالوصي اعذر

فقال الناس بأجمعهم صدق امير المؤمنين (ع) وفي رواية اخرى الاعتذار عن ذلك

بانتظار خروج قوم مؤمنين من اصلاب قوم كافرين وكان معه (ع) يوم الجمل ثلاثون الفامن اولاد اولئك وفي رواية انه (ع) تلا هذه الآية (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء ولو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما) وقد ورد في شأن نوح عليه السلام انه صبر على اذى قومه وامهلهم إلى ان خرج من اصلابهم من يرجى ايمانه فقال: رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا

(الثاني) من طرق اثبات امامتهم (ع) انه قدثبت بالادلة العقلية والنقلية آية ورواية ان الإمام يجب ان يكون معصوما ولا احد غير من ذكر بمعصوم باتفاق المسلمين فوجب ان يكونوا هم الأئمة

(الثالث) انك قد عرفت ان الإمام يجب ان يكون منصوصا عليه وليس احد غير من ذكر بمنصوص عليه اتفاقا فتعين ان يكونوا هم الائمة

(الرابع) ان الإمام يجب ان يكون افضل من الرعية كما تقدم ولاريب انه لم يكن في ازمنتهم احد يساويهم في علم او عمل او فضل بل كانوا افضل اهل زمانهم ولم يرجعوا إلى معلم ولا اخذوا العلم من احد وانما اوتوا العلم من لدن رب العالمين وقد كان جميع العلماء والفقهاء عند حدوث المسائل الدقيقة ووقوع المسائل المشكلة يرجعون اليهم ويقتبسون من انوارهم ويحتجون باقوالهم وكان اكثر العباسيين وجملة من الأمويين يعترفون باستحقاقهم الولاية والخلافة ولهذا فعلوا معهم ما فعلوا وكتب العامة والخاصة مملوءة من ذلك وقد ظهرت منهم من الكرامات والمعجزات والعلوم والاسرار ما لا يحصى كما اعترف به المخالفون وذكروه في كتبهم ومصنفاتهم وصحاحهم

(الخامس) الاجماع وبيانه ان جميع الامة اتفقوا على ان مذهب الحق غير خارج عن المذاهب الموجودة الآن وقد ابطلت سائر المذاهب بعدم النص والمعجزة والعصمة والافضلية فتنحصر الامامة فيهم عليهم السلام

السادس النصوص المتواترة من بعضهم على بعض والسابق على اللاحق كما رووه الفرقة المحقة والطائفه الحقة بطرق متواترة واسانيد متضافرة وهم في كل عصر من الاعصار كان منهم الوف في البلدان والنواحي والاقطار واثبتوه في تصانيفهم وكتبهم ولم يكن لهم داع سوى

الديانة والتقوى واظهار الحق إذ لم تزل الدولة والسلطنة والسيف والغلبة مع اعدائهم ومخالفيهم وكانوا مع كمال الخوف يضبطون هذه الاخبار والآثار ولو كان غرضهم الدنيا لتقربوا الى المخالفين بالعدول عن ذلك وامنوا من الخوف والذل ونالوا العز والجاه هذا مع كمال صلاحهم وورعهم وتقواهم وتجاوزهم عن حد التواتر ويدل على ذلك ايضا ما رواه العامة والخاصة باسانيد عديدة ومتون سديدة ان النبي (ص) قال من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية (١) اذ فيه ابين دلالة واصرح مقالة على بقاء الائمة الى انقضاء التكليف وان الامامة من اصول الدين وذلك لا ينطبق الا على مذهبنا ونقل ان هذا الحديث صار سببا لتشيع بعض المخالفين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى (فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فان الذكر اما الرسول (ص) لقوله تعالى (لقد انزل الله عليكم ذكرا رسولا) لانه مذكر للعباد او المراد به القرآن لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقوله تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك) وهم عليهم السلام اهل القرآن لما تقدم من اخبار الثقلين وان الله تعالى قد اوجب علينا السؤال عن اهل الذكر فيجب وجودهم الى يوم القيامة ويجب وجود العالم بجميع ما يحتاج اليه الناس وليس غيرهم اتفاقا فتعين ان يكونوا هم وقد روى المخالفون اخبارا متواترة في القائم وبشارة النبي (ص) به وانه يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وذكره علماؤهم في كتبهم وصحاحهم وقد عرفت ما يدل على وجوب وجود المعصوم (ع) عقلا ونقلا وآية ورواية وذكر جملة من علمائهم ومؤرخيهم ولادته (ع) وانه ابن الحسن العسكري وتواتر ذلك من طرق الإمامية فيجب الإيمان بوجوده فوجوده لطف وتصرفه لطف آخر وغيبته منا وهي إما لخوفه على نفسه من اعدائه او لخوفه على اوليائه او لمصلحة خفية استأثر الله بعلمها وقد وقعت الغيبة للانبياء السابقين والاولياء الصالحين ولنبينا سيد المرسلين (ص) كما خاف وغاب في الغار مدة ولا استبعاد في طول عمره (ع) كما قالوا فإنه امر ممكن والله على كل شيء قدير وقد اتفق ذلك للاولياء والاشقياء كالخضر والياس وعيسى والدجال وغيرهم فلا استبعاد في وقوع ذلك له (ع) فوجب القول به عقلا ونقلا واما علة الغيبة فلم نكلف بعلمها وقد ورد عنه (ع) في التوقيع جوابا لمن سأل عن علة الغيبة (لا تسألوا عن اشياء إن تبد لكم تسؤكم) وقد

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج٣ ص ٢٦٢ ورياض الصالحين للنووي الشافعي ص١٦٤ ط مصر سنة ١٣٤٤

سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين واما الانتفاع به في زمن الغيبة فهو كانتفاع العالم بالشمس حال الغيم كما اجاب به النبي (ص) جابرا لان غيبة الشمس وإن فاتهم بها بعض النفع ولكن النفع الاصلي منها وهو وجود النهار باق وكذلك الامام فان العالم باق بوجوده فكما ان وجود النهار وبقاءه بوجود الشمس وبقائها فكذلك وجود العالم وبقاؤه بوجود المعصوم وبقائه ولولاه لساخت الارض باهلها وللتشبيه وجوه اخر تأتي الاشارة اليها ان شاء الله تعالى

﴿ المبحث السابع ﴾

في بيان الفتن الواقعة بعد النبي (ص) كما قال تعالى (الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وفي حقيقة امر الخلافة وفي سبب ارتداد اكثر هذه الامة بعد نبيها قال بعض علمائنا لا شك في انه كان في زمان رسول الله (ص) من اصحابه طائفة يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام كما اخبر الله سبحانه عنهم ووصفهم بما وصفهم في غير موضع من القرآن قال الله عز وجل (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) وقال تعالى (احسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم) وقال تعالى (وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون) والقرآن مملوء من ذكرهم وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند حذيفة انه قال قال النبي (ص) في اصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط واربعة لا احفظ ما قال فيهم ومما يدل على ذلك دلالة واضحة ما ثبت ان النبي لما اخذ البيعة لأمير المؤمنين من الناس يوم الغدير وامرهم بالتسليم عليه بأمرة المؤمنين فسلموا عليه طوعا وكرها وبخبخوا غيضا وحنقا استولت عليهم ثائرة الحسد والبغضاء وابطنوا الانكار والاباء حتى قصد منهم جماعة قتل النبي (ص) واحتالوا لذلك حيلا فلم يظفروا به كما يشهد له قصة عقبة الهرشي والدباب ومن ارتقاها من الاصحاب وهي مشهورة في كتبهم مسطورة فعند ذلك تعاقدوا على صرف الامر عن اهل بيته بعده وكتبوا لذلك كتابا وتعاهدوا عليه وكانت بواطنهم مشحونة بعداوته وعداوة اهل بيته كما اشير اليه في آية تبليغ الوصية بقوله عز

وجل (والله يعصمك من الناس وكان يبدو من افواههم البغضاء احيانا وما في صدورهم اكبر ثم لما مرض النبي (ص) وامرهم بالخروج مع جيش اسامة تخلفوا عنه طمعا في الامارة وكانوا يخفون تخلفهم ويتعرفون الخبر من عائشة وكان النبي (ص) كلما لا يقدر على الخروج إلى الصلاة في مرضه امر امير المؤمنين (ع) ان يصلي بالناس وكان يصلي بهم فشغل به يوما وقد ثقل ورأسه في حجره فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال يصلي بالناس بعضهم فإني مشغول بنفسي فقالت عائشة مروا ابا بكر يصل بهم وقالت حفصة مروا عمر يصل بهم فلما سمع كلامهما وحرص كل واحدة على تقديم ابيها قال لهن اكففن ثم اغمي عليه فقالت عائشة لبلال ان رسول الله قد اغمي عليه ورأسه في حجر علي (ع) فلا يقدر على مفارقته فمروا ابا بكر يصل بالناس فظن بلال انه بأمر النبي (ص) فلما افاق وسمع تكبير ابي بكر فقال اسندوني واخرجوني إلى المسجد فقد نزلت والله في الاسلام فتنة ليست بهينة ثم نظر إلى عائشة وحفصة نظر المغضب وقال انكن صويحبات يوسف يعني في كذبهن على يوسف فخرج بين علي والفضل بن العباس ورجلاه يخطان الارض من الضعف فنحى ابا بكر عن المحراب وصلى بالناس جالسا ثم اكد في تنفيذ الجيش ولعن المتخلف فشهده عمر معتذرا ثم حال بينه وبين ما اراد من تأكيد الوصية بالكتاب كما رووا في صحاحهم انه (ص) قال ائتوني بدواة وبياض اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا وفي رواية لازيل لكم مشكل الامر واذكر لكم من المستحق لها بعدي فقام بعض من حضر ليأتي بالدواة والبياض فقال عمر دعوا الرجل فإنه ليهجر وفي رواية ليهذي حسبنا كتاب الله قال الراوي فتنازعوا عنده فقال قائل القول ما قاله النبي فقربوا له كتابا يكتب لكم وقال قائل القول ما قاله عمر فلما كثر اللغط والاختلاف قال النبي (ص) قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع وفي رواية عن عمر انه قال كان يريد أن يصرح باسمه فحلت بينه وبين ما أراد رواه ابن ابي الحديد(١) ثم لما مضى اعرضوا عن تجهيزه والفجيعة به واشتغلوا بتهيئة اسباب الامارة لأنفسهم(٢) وتهييج ذوي الأحقاد على سيد العباد الذين كانوا

(١) أنظر شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١١٤ (٢) أنظر كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ وانظر الرياض النضرة للمحب الطبري ج ١ ص ١٦٤ ولفظه بعد الكلام على السقيفة هكذا فلما فرغ ابو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعد على المنبر فبايعه الناس حتى امسوا وشغلوا عن دفن رسول الله (ص) حتى كان آخر الليل من ليلة الثلاثاء وانظر اعتذاره البارد المستهجن عن هذا الفعل الشنيع في ص ١٦٥

إنما اسلموا خوفا من سيفه وقتاله بعد ان قتل آباءهم وأبناءهم في مواقف نزاله فحملوا عمود الخلافة ونبذوا العقود بعد تلك الحصافة وادعوا التأمر على عباد الله وتسموا زوراً وبهتانا بخلفاء رسول الله(ص) بغير قدم راسخ في علم ولا سبق في فضيلة ثم تنازعوا واختلفوا وتخالفوا وارتفعت اصواتهم وقال بعضهم لبعض منا امير ومنكم امير وارعدوا وابرقوا وسلوا سيوفهم ثم بعد ذلك كله سموه اجماعا وكان امير المؤمنين(ع) مشغولا بتجهيز رسول الله(ص) فما فرغ إلا من بعد ما أحكموا الأمر لأنفسهم ثم اظهروا من نفوسهم ما كان كامنا فيها من عداوة ذوي القربى الذين كانت مودتهم أجر الرسالة فلم يستطيعوا ان يخفوا العداوة في صدورهم فكانت تبدو منهم في احيان ورودهم وصدورهم فأولى لهم ثم أولى لهم على ان الخليفة في الحقيقة ما كان في زمن خلافة الاعداء إلا من كانت الخلافة حقه لترتب اكثر فوائدها على وجوده(ع) حتى ان الثلاثة كانوا يرجعون اليه في اكثر المسائل الدينية التي كانوا يسألون عنها بل وفي كيفية تسخير البلاد وساسة العباد وسائر كليات الأمور لجهلهم بها وعجزهم عنها فالمقصود الأصلي من الخلافة ما فات كما قال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ولا ريب انه لم يكن نص وحجة على خلافة الأول كما اعترف به الجمهور وان تشبث بخلافة من أتى بالزور وغاية ما استدلوا به اجماع الصحابة على بيعته وهو مع عدم حجيته غير متحقق لأن كثيراً منهم وجملة من جلتهم واساطينهم لم يكونوا داخلين في اجماع الزور ولا في حلقة بيعة دار الغرور كصاحب الحق وأهله وأولاده وكعمه العباس وابنائه واسامة بن زيد والزبير ومشاهير الصحابة الكبار كسلمان(ره) وأبي ذر(ره) والمقداد(ره) وعمار(ره) وحذيفة بن اليمان وابي بريده الاسلمي وأبي بن كعب وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وأخيه عثمان وأبي ايوب الانصاري وجابر بن عبد الله وخالد بن سعيد وسعد بن عباده وقيس بن سعد الى غير ذلك وقد ذكر أبي قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلا منهم قال وكانوا رافضة وبعضهم إنما بايع بالتهديد والوعيد ولو بعد حين وبعضهم بقي مصرا على الانكار الى يوم الدين كما هو في كتبهم مذكور وفي صحاحهم مسطور فأين الاتفاق مع هذا النفاق والنبي (ص) لم يقصر في تبليغ الوصية وانهم قد سمعوا منه النصوص على الخصوص مرة بعد أخرى وكرة غب أخرى فلبسوا الامر وتسلطوا على العالم ولا شبهة ان النبي (ص) كان له كمال الشفقة والرأفة بامته حتى لم يترك لهم تعليم الآداب حتى آداب الخلوة والخلاء كما قال الصادق (ع) مامن

شيء يحتاج اليه احد من بني آدم الا وقد جرت فيه من الله ومن رسوله سنة عرفها من عرفها وانكرها من انكرها واي عقل يجوّز ان يترك منصب الخلافة الذي عليه ثبات بناء اركان الدين وقواعد الشرع المبين مع هذا الاختلاف المشاهد في نوع الانسان حاشاه ثم حاشاه مع ان علماء المخالفين وثقاتهم قد رووا نص الغدير ونصب الامير وبيعة الصحابة له وبجبخة الثاني وقد روى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن ابي ذر الغفاري (ره) قال قال رسول الله (ص) من ناصب عليا في الخلافة فهو كافر ومن شك في علي فهو كافر وقد روى العامة والخاصة حديث الثقلين (١) وكونهم كسفينة نوح (٢) وقد ثبت عندنا وعندهم احقيته (ع) بهذا الامر لما تواتر عندنا وروده في كتبهم من شدة جهاده وعظم بلائه في وقائع الرسول وعدم بلوغ احد درجته في غزواته وشجاعته وقوة حدسه وذكائه وشدة ملازمته للرسول وتربيته اياه منذ حين الصبا الى ان خلفه بعده ورجوع الصحابة في اكثر الوقائع اليه (٣) واستناد الفضلاء في جميع العلوم اليه (٤) وكونه اسخاهم كفا واكملهم زهدا واجدهم عبادة واعظمهم حلما واوفرهم علما واحسنهم خلقا واطلقهم وجها واقدمهم ايمانا وافصحهم لسانا واصدقهم قولا واقلهم كلاما واصوبهم منطقا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا واكرمهم خصالا واتمهم كمالا واعظمهم عناء وارفعهم درجة واشرفهم منزلة واحكمهم حكمة واسدهم رأيا واقضاهم قضاء واشدهم حياء واعلاهم همة وشهامة واقواهم عزما وحزما وارفعهم شأنا واروعهم واكثرهم حرصا على اقامة حدود الله واحكامه واحفظهم لكتاب الله ومواقع تنزيله واعلمهم بتفسيره وتأويله ولما ثبت من اخباره بالغيب مرارا (٥) واستجابة دعائه كثيرا (٦) وظهور المعجزات عنه مرة بعد اولى كرد الشمس (٧) واحياء النفس ومكالمة الثعبان والجان والسلطنة على الاكوان ولما ظهر من اختصاصه بالقرابة والاخوة (٨) ولما صح من وجوب محبته ونصرته (٩) ومساواته الانبياء (١٠) ومساواة الرسل وخبر الطائر (١١) والمنزلة (١٢) والغدير (١٣)

---

(١) تقدم ص ١٥٨ (٢) تقدم ص ٢٠٢ (٣) تقدم ص ١٨٥ (٤) تقدم ص ١٧٣

(٥) انظر شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٢٠٨ وج ٢ منه ص ١٧٥ وص ٥٠٨ (٦) انظر شرح النهج ج ١ ص ٣٦١ و ج ٤ منه ص ٣٨٨ (٧) انظر الصواعق لابن حجر في الفصل الثالث من الباب التاسع ص ٧٨ وشرح النهج ج ١ ص ٢٧٧ وينابيع المودة في الباب السابع والاربعين (٨) تقدم ص ١٥٦ (٩) تقدم ص ١٥٣ وانظر تفسير الفخر ج ٧ ص ٤٠٥ (١٠) انظر شرح النهج الحديدي ج ٢ ص ٤٤٩ وينابيع المودة باب اربعين (١١) تقدم ص ١٦١ (١٢) تقدم ص ١٦٣ (١٣) تقدم ص ١٥٣

وحديث الكساء في آيتي المباهلة والتطهير (١) واختصاصه بسورة هل اتى (٢) وكثير من الآيات التي لا تحصى ولو لم يكن سوى نزول اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي (٣) حين نصب للإمامه يوم الغدير لكفى واعطاؤه الراية يوم خيبر بعد انهزام ابي بكر وعمر (٤) وثناؤه اياه حينئذ بما انتشر مكنيا به عن العيوب الاخر وقلعه بروحانية الباب (٥) وابقاؤه بابه عند سد الابواب (٦) ومبيته على الفراش ليلة الغار (٧) وارتقاؤه كتف النبي (ص) لالقائه الاصنام (٨) بما فيه من الاسرار وتشبيهه اياه بعيسى في بغض طائفة اياه واتخاذه الاخرى الإله (٩) والمباهلة به وبزوجه وولديه (١٠) واظهار بركة فضل طهوره وتراب قدميه وأن نوره ونور النبي (ص) واحد وسلمها واحد وحربها واحد (١١) بل هما كنفس واحدة إلى ما لا يمكن احصاؤه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما والثقلان كاتبين والملائكة حاسبين كما ورد فيه عن سيد المرسلين (١٢) كما قيل بالفارسية

كتاب فضل تراب بحركا في نيست كرتر كنى سرانكشت وصفحة شاري

قال وقد اخبر رسول الله (ص) عن ارتداد الصحابة بما رووه في صحاحهم (١٣) انه قال ليردن الناس من اصحابي علي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول اصحابي اصحابي وفي رواية اصيحابي اصيحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك وزاد في اخرى وارتدوا على ادبارهم القهقرى وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

(١) تقدم ص ١٥٩ وص ٢٠٣ (٢) انظر الزمخشري في الكشاف ج ٢ ص ٥١١ والبيضاوي ص ٧٧٥ والواحدي في البسيط والبغوي في معالم التنزيل وغيره (٣) انظر الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٩ (٤) تقدم ص ١٦٣ (٥) انظر كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ والاصابة لابن حجر بترجمة علي (ع) ج ٢ ص ٥٠٩ ط مصر سنة ١٣٢٨ (٦) تقدم ص ١٦٢ (٧) انظر مسند احمد ص ٣٣١ وتفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٢٨٣ والاستيعاب بترجمة علي (ع) ج ٢ ص ٥٠٩ ط مصر سنة ١٣٢٨ (٨) انظر السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٧ والرياض النضرة في مناقب العشرة ج ٢ ص ٢٠٠ وخصائص النسائي ص ٢٢ وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠٧ (٩) تقدم ص ١٦٢ (١٠) تقدم ص ١٦٣ (١١) ان عليا والنبي (ص) نور واحد قبل خلق الخلق انظره في الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ج ٢ ص ١٦٤ الطبعة الاولى المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٧ وقوله (ص) لعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) انا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم انظره في الكتاب المذكور ج ٢ ص ١٨٩ (١٢) تقدم ص ١٦٦ (١٣) انظر صحيح البخاري اوائل كتاب الفتن ج ٤ ص ١٣٦

الى قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر الآية) وكان هذا من ابتلائه تعالى اولياءه المخلصين وخواص عباده المؤمنين لينظر كيف يعملون وعلى البلاء كيف يصبرون والسبب في ارتداد اكثر هذه الامة بعد نبيها انه لما اختار الله تعالى للوصاية والخلافة والإمارة من اختار واخذت له البيعة في الغدير يوم ممن شهد من الاقطار غلب على اراذل العرب حب الرياسة والهوى واشتعلت في قلوبهم نار الحسد والبغضاء فعادوا إلى الخلاف الاول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فصاروا صنفين صنفا من اهل التدليس والتلبيس من جنود ابليس وصنفا من اهل العمى والتقليد قد شبه لهم الامر فدخلوا فيه على غير بصيرة تعصبا لمن تولى وكفر وتقليدا لشياطين البشر ممن كان في الجاهلية لا يفرق بين الله وبين الخشب والحجر فكيف بين علي وبين ابي بكر وعمر وكان معهم تلك العقول السقيمة فلا غرو ان يعدلوا عن الطريقة القويمة وصنفا تبعوهم خوفا وتقية فارتد اكثر الناس بسبب ارتداد الصحابة عن الدين وخرجوا عن زمرة المسلمين كسنة الله في امم سائر النبيين وذلك انه لما استتم الامر لابي بكر صعد المنبر وقام خطيبا فقام اليه جماعة من المهاجرين والانصار فانكروا عليه اشد الانكار وذكروه حديث يوم الغدير فقال ايها الناس اقيلوني اقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم (١) فقام اليه عمر وقال له والله ما اقلناك ولا يلي هذا الامر احد غيرك فكان في جملة من انكر عليه مالك بن نويره حين دخل المدينة ورآه على المنبر فتعجب من نبذهم حديث يوم الغدير مع تلك التأكيدات فخافوا ان يصيبهم من قبله فتق اذ كانت له قبيلة وكان من شجعان العرب يعد بمائة فارس فلما دخل الى اهله بعث اليه خالد بن الوليد في جيش ليأخذ منه زكاة ماله فاخذ من خالد العهود والمواثيق على ان لا يتعرض له بمكروه فيعطيه الزكاة فلما جن عليه الليل ونام مالك واصحابه بيت عليهم خالد واصحابه فقتلوهم غدرا ودخل بأمرأته في ليلته وطبخ رأسه في وليمة عرسه وسبى حريمهم وسماهم اهل الردة افتراء وكذبا فلما رأى الناس امثال ذلك منهم دخلوا تحت سلطتهم الجائرة كما كانت الناس يدخلون تحت سلطان الملوك الجبابرة ومابقي إلا شرذمة قليلون وكانوا خائفين متقين روى الكشي باسناد معتبر عن الباقر (ع) انه ارتد الناس إلا ثلاثة نفر سلمان وابوذر والمقداد قال الراوي فقلت فعمار قال كان حاص حيصة ثم رجع وفي رواية اخرى ثم اناب الناس بعد وكان اول من اناب

(١) تقدم ص ١٨٠

ابو ساسان الانصاري وعمار وابو عمرة وشثيرة وكانوا سبعة فلم يعرف حتى امير المؤمنين (ع) إلا هؤلاء السبعة وباسناده عن امير المؤمنين (ع) قال ضاقت الارض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسي والمقداد وابو ذر وعمار وحذيفة ثم قال وانا امامهم ثم اخذوا في تغيير احكام الشرع واحداث البدع فيها فمنها ما غيروه لجهلهم بها ومنها ما بدلوه ليوافق اغراضهم ومنها ما احدثوه لجهم احداث البدع وقد اشار امير المؤمنين الى بعض منكراتهم في دعاء ... وكان ابو بكر يقول ان لي شيطانا يعتريني فان استقمت فاعينوني وان عصيت فجنبوني (١) وكان عمر يقول كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله شرها ومن عاد الى مثلها فاقتلوه (٢) ثم جعل الخلافة بعده شورى بين ستة شهد لهم بأنهم من اهل الجنة وان النبي (ص) مات وهو عنهم راض ثم امر بضرب اعناقهم ان لم يبايعوا واحدا منهم ثم بعد ذلك بدت من انفسهم العداوة والبغضاء على حطام الدنيا حتى آل الامر الى ان استحل بعضهم دماء بعض وقتل بعضهم على ايدي بعض كما اخبر به النبي (ص) لا لفينكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان ممن اتفقوا على اباحة دمه خليفتهم عثمان وكانوا له بين قاتل وخاذل وكان من الباعثين على قتله عائشة ثم انها خرجت على امير المؤمنين مع طائفة شركوا في دم عثمان يطلبونه بدمه وقد رووا ان رسول الله «ص» نص على عشرة من الصحابة بأنهم من اهل الجنة وذكرهم باسمائهم وعدوا منهم العمرين والطلحتين وعثمان وعليا مع اعترافهم وعلمهم بأن عليا هو المقاتل للطلحتين في وقعة الجمل فقاتلاه باغين عليه وهم الذين رووا عن النبي «ص» انه قال اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قيل فما بال المقتول قال لأنه اراد قتل صاحبه ثم بعد ما تقرر الامر تشبثوا في فضائل ائمتهم بما لا يدل اكثره على فضيلة مع رواياتهم فيهم كل رذيلة وبما يلوح من فحاويه فحائل الاختلاق ويفوح من مطاوية رائحة الوضع والنفاق ثم بعد التتبع يظهر ان ما هو من امثاله انما وضع في زمان بني امية طمعا في الانتفاع بجاه احدهم وماله وقال امير المؤمنين «ع» في حديث له وقد كذب على رسول الله «ص» في عهده حتى قام خطيبا فقال ايها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ثم كذب عليه بعده ثم قال بعد كلامه ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم

(١) تقدم ص ١٨٠ (٢) تقدم ١٧٩

على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله وقد روت طائفة من العامة ان معاوية كان يبذل الاموال لمن كان موثوقا به عند الناس من الصحابة ليضع حديثا في فضل الخلفاء الثلاثة او في منقصة امير المؤمنين (ع) ثم يرويه عن النبي (ص) على المنبر بمشهد من الناس او يروي ما ورد في فضل علي (ع) في فضلهم وقد روى ابن ابي الحديد الحنفي المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة (١) ان معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروي ان هذه الآية نزلت في علي (ع) (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام) وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم (لعنه) (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) فلم يقبل فبذل له مائتي الف فلم يقبل فبذل له ثمانمائة الف فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف فقبل وفي الاحتجاج عن سليم بن قيس ان منادي معاوية نادى ان برئت الذمة ممن روى حديثا من مناقب علي وفضل اهل بيته وكان اشد الناس بلية اهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة فاستعمل زياد بن ابيه وضم اليه العراقين الكوفة والبصرة فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف يقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدي والارجل وصلبهم في جذوع النخل وسمل اعينهم وطردهم حتى نفوا عن العراق فلم يبق فيها احد منهم معروف مشهور ثم اخذ الناس في الروايات في فضل عثمان ومعاوية زورا على المنبر في كل كورة ومسجد بأمره والقوا على معلمي الكتاتيب فعلموا ذلك كما يعلمونهم القرآن ونشأ عليه الصبيان فاجتمعت على ذلك جماعتهم وصارت في ايدي المتنسكين والمتدينين منهم الذين لا يستحلون الافتعال لمثلها فقبلوها وهم يرون انها حق ولو علموا بطلانها وتيقنوا انها مفتعلة لا عرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ولم يبغضوا من خالفها فصار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلا والباطل حقا والكذب صدقا والصدق كذبا ولعمري ان اكثر الامة ما اتبعوا رسولهم ولا من الصحابة خيارهم ولا استعملوا عقولهم ولا افكارهم ولكن الله اصم آذان مقلدة الجمهور واعمى ابصارهم ثم تركهم حيارى في ظلمات هلك فيها من هلك ونجى من نجى (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ولما جرى في الصحابة ما جرى

(١) انظر شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٣٦١

وخدع بهم عامة الورى وغلب على الامراء الاولون واستبهم الحق على الآخرين اعرض الناس عن الثقلين وتاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلا شرذمة من المؤمنين فمكثوا بذلك سنين وعمهوا في غمرتهم حين ثم تسافل الامر إلى ان تقمصها علوج بني امية الشرابون للخمور والمعلنون بالفجور المستعلون بلبس الحرير ولعب الطنابير قاتلوا ذرية المصطفى وتدينوا بسب المرتضى ثم تلقفها بنوا العباس السالكون مسالك اولئك الارجاس اخذوها بسيف الخراساني كما ملك من قبلهم بصولة فضاضة الثاني وكان العلم في هذه المدة المتطاولة مكتوما واهله مظلومين لا سبيل لهم إلى ابرازه الا بتعميته والغازه ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين الولاية ولا ناصبين العداوة لم يدروا ما صنعوا وعمن اخذوا فعمدوا الى طائفة مادين من اهل الهواء وقوم مرائين من الجهلاء زعموا انهم من العلماء فكانوا يفتونهم بالآراء وذلك الآن من جملة ما كان عندهم من حديث رسول الله (ص) في الحلال والحرام والفرائض والاحكام ليست الا اربعة الآف على ما قالوه ولم يكفهم ذلك فإذا نزلت حادثة ولم يكن لهم فيها رواية خاضوا في استنباط الحكم بالرأي عن اصول وضعوها وقواعد اسسوها استنادا إلى رواية كانت من اختلاق ائمتهم وافتراء رؤسائهم وكانوا وضعوها لترويج اهوائهم وبالجملة غمضوا العينين ورفضوا الثقلين واحدثوا في العقائد بدعا وتحزبوا فيها شيعا واخترعوا في الاحكام اشياء حكموا فيها بالآراء وزادوا ونقصوا في التكاليف وصنفوا فيها تصانيف حتى كثر الاختلاف وخيف على بيضة الاسلام من شيوع القول بالجزاف فمنعهم ملوكهم من الاجتهاد على السعة وحصروا المجتهد في الاربعة واعتمد جمهورهم في الاصول على قول رجل يقال له ابو الحسن الاشعري وكان يقول بالجبر وبالصفات الزائدة واثبات القدماء الثمانية إلى غير ذلك ثم لم يف الناس بذلك ولم يمتنعوا من منع اولئك بل اتسعوا في اهوائهم واكثروا من آرائهم قرنا بعد قرن حتى آل الامر إلى ما آل وكان فيهم وبين اظهرهم ائمة الحق الذين اقامهم الله مقام رسوله واحدا بعد واحد ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ما حمده الحامدون ان جعل لنا اماما بعد امام ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا إلى أن انقضى من الهجرة النبوية مائتان وستون سنة ثم جعل للأخير بعد غيبته سفراء إلى قرب من تمام ثلثمائة وثلاثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة المديدة ياخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها بقدر قابليتهم ومنزلتهم عن اطمئنان من قلوبهم وانشراح من صدورهم فاغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده

ونجاهم به من حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون الى الاصول المأخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما يحتاج اليه الناس حتى شذّ مسئلة لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم(ع) وُفق له من وفق

المبحث الثامن

في نبذة يسيرة من أحوال الغائب المستتر الإمام الثاني عشر صاحب العصر والزمان والحجة على الإنس والجان والكلام في ذلك يقع في مقاصد

المقصد الأول

في ولادته اعلم انه قد ورد في روايات متواترة وأحاديث متظافرة البشارة بالمهدي (ع) وبأنه تكون له غيبة من طرق العامة والخاصة وقد روى ذلك من العامة البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ومؤلف جامع الأصول وغيرهم(١) وقد ورد في كتب العامة من الروايات في القائم المهدي ما يزيد على مائة وخمسين حديثا وفي الكتب المعتبرة والأصول المقررة ما يزيد على الف حديث وفي الصواعق المحرقة لابن حجر(٢) في احوال العسكري ما لفظه ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة(ع) وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة وسمي القائم المنتظر قيل لأنه(ع) ستر بالمدينة وغاب ولم يعرف أين ذهب وذكر نحو ذلك غيره من العامة كابن خلكان وصاحب الفصول المهمة ومطالب السؤل وشواهد النبوة قال ابن خلكان في تاريخه هو ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف الحي وهذا الذى تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين ولما توفي ابوه كان عمره خمس سنين واسم أمه خمط وقيل نرجس والشيعة يقولون انه دخل السرداب في دار ابيه وامه تنظر اليه فلم يخرج بعد

---

(١) انظر السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٠ و ص ٧٢ و ص ٢٠٧ وانه من ولد الحسين (ع) ص ٢٠٧ وشرح النهج ج ١ ص ٩٣ ونور الابصار للشبلنجي ص ١٤٩ وص ٥٠ و ص ١٥١ ومشارق الانوار للشيخ حسن الحمزاوي ص ١٠٤ ط مصر ١٣١٨ واسعاف الراغبين بهامش نور الابصار من ص ١٠٤ الى ص ١١٦

(٢) انظر الصواعق لابن حجر ص ١٢٤ ط مصر سنة ١٣١٢ سبائك الذهب للسويدي ص ٧٦

اليها وذلك في سنة خمس وستين ومئتين وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين وهو الاصح وانه لما دخل السرداب كان عمره اربع سنين وقيل خمس سنين وقيل انه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومئتين وعمره عشر سنين والله اعلم انتهى

وقد تقدم ما يدل من الادلة العقلية والبراهين النقلية على وجوب وجود الإمام وعصمته وليس في هذا الزمان امام موجود غيره فوجب القول بأمامته وقد تواتر عنه (ص) من طرق العامة والخاصة ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية (١) والاخبار من طرق الشيعة بالنص عليه وانه الامام الثاني عشر وانه ابن الحسن العسكري (ع) متواترة بل تزيد على عدد التواتر وكلها مقرونة بالاعجاز لان كل واحد من آبائه الكرام اخبر بترتيب امامتهم إلى الثاني عشر وبخفاء ولادته وغيبته الكبرى والصغرى على انه قد رآه جملة كثيرة من اوليائه وشيعته واستفادوا منه وقد تقدم ان استبعاد المخالفين بقاءه وتعميره في هذه المدة سفسطة ظاهره لا تعارض الادلة الفعلية والنقلية وقد غاب جملة من الانبياء والمرسلين قبله غيبات طويلة وقصيرة كما هو مذكور في اكمال الدين وغيره وقد تواتر عن النبي (ص) من طرق العامة والخاصة ان ما يقع في الامم السالفة والاعصار الماضيه يقع في هذه الامة (٢) والمشهور ان ولادته في سنة خمس وخمسين بعد المئتين من الهجرة وقيل ست وخمسين فتأريخ الولادة نور والمشهور انه في ليلة الجمعة ليلة النصف من شعبان والقابه الشريفة المهدي والقائم والحجة والمنتظر وصاحب الامر والمروي انه (ع) لما ولد ظهر له نور ساطع بلغ افق السماء وعلى ذراعه الايمن مكتوب جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وهبطت طيور بيض من السماء تمسح اجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم طارت ولما اوتي به إلى ابيه العسكري اخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما ثم ادخله في فيه فحنكه ثم ادخاله في اذنيه واجلسه في راحته اليسرى فاستوى ولي الله جالسا فمسح يده على رأسه وقال له يابني انطق بقدرة الله فاستعاذ ولي الله من الشيطان الرجيم واستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم اونريدان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وصلى على رسول الله (ص) وعلى امير المؤمنين (ع) والأئمة واحدا واحدا

(١) انظر شرح النهج ج ٣ ص ٢٦٢ ورياض الصالحين للنووي الشافعي ص ١٦٤ ط مصر سنة ١٣٤٤ (٢) انظر شرح النهج ج ٢ ص ٤٩٠ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٩

حتى انتهى الى أبيه وفي رواية ثم قال(ع) يا بني اقرأ مما انزل الله على أنبيائه ورسله فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانية وكتاب ادريس وكتاب نوح وكتاب صالح وصحف ابراهيم وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى وفرقان رسول الله(ص) ثم قصّ قصص الأنبياء والمرسلين الى عهده

المقصد الثاني

في صفاتـه وعلاماته في العيون عن الكاظم قال لا يكون القائم إلا إماماً ابن إمام ووصيا ابن وصي ، وفي ارشاد المفيد وغيبة الشيخ عن الباقر(ع) انه سئل امير المؤمنين(ع) عن المهدي ما اسمه فقال اما اسمه فإن حبيبي عهد إلي أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله قال فأخبرني عن صفته قال هو شاب مربوع حسن الوجه حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه ونور وجهه يعلوسواد لحيته ورأسه وعن الصادق (ع) قال إذا توالت ثلاثة اسماء محمد وعلي والحسن كان رابعهم القائم وعنـه(ع) اسمه اسم نبي واسم أبيه اسم وصي وعنه(ع) قال يقوم القائم وليس في عنقه بيعة لأحد وفي الفصول المهمة صفته(ع) شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل على منكبيه اقنى الأنف أجلى الجبهة قيل انه غاب في السرداب والحرس عليه كان ذلك سنة ست وسبعين ومائتين

المقصد الثالث

في بعض معجزاته واحوال سفرائه قال الطبرسي(ره) في الاحتجاج اما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحـون فأولهم الشيخ الموثوق به ابو عمر وعثمان بن سعيد العمري نصبه أولا ابو الحسن علي بن محمد العسكري ثم ابنه ابو محمد الحسن بن علي فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان وكانت توقيعاتـه(ع) وجواب المسائل تخرج على يديه فلما مضى لسبيله قام ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك فلما مضى قام بذلك ابو القاسم حسين بن روح من بني نوبخت فلما مضى قام مقامه ابو الحسن علي بن محمد السمري ولم يقم احد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الزمان ونص صاحبه الذي تقدم عليه فلم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم فلما حان رحيل ابي الحسن السمري

عن الدنيا وقرب اجله قيل له الى من توصي اخرج توقيعا اليهم نسخته بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري اعظم الله اجر اخوانك فيك فانك ميت ما بينك وبين ستة ايام فاجمع امرك ولا توصي الى احد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد اذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب وامتلاء الارض جورا وسيأتي من يدعي المشاهدة الا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلما كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك فقال لله امر هو بالغه وقضى فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه

المقصد الرابع

فيما فيه (ع) من سنن الانبياء والاستدلال بغيباتهم على غيبته (ع) في الاكمال عن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) قال في القائم سنة من موسى بن عمران فقلت وما هي قال خفاء مولده وغيبته عن قومه فقلت وكم غاب موسى عن اهله وقومه فقال ثماني وعشرين سنة وفي الاكمال وغيبة الشيخ عن الباقر (ع) قال في صاحب هذا الامر اربع سنن من اربعة انبياء سنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من يوسف وسنة من محمد (ص) فأما من موسى فخائف يترقب واما من يوسف فالسجن واما من عيسى فيقال انه مات ولم يمت واما من محمد (ص) فالسيف وعن السجاد (ع) قال في القائم منا سنن من سنن الانبياء سنة من آدم وسنة من نوح وسنة من ابراهيم وسنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من ايوب وسنة من محمد (ص) فاما من آدم ومن نوح فطول العمر واما من ابراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس واما من موسى فالخوف والغيبة واما من عيسى فاختلاف الناس فيه واما من ايوب فالفرج بعد البلوى واما من محمد (ص) فالخروج بالسيف وعن الصادق (ع) اما سنة من موسى فخائف يترقب واما سنة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى واما سنة من يوسف فالستر جعل الله بينه وبين الخلق حجابا يرونه ولا يعرفونه واما سنة من محمد (ص) فيهتدي بهداه ويسير بسيرته

المقصد الخامس

في ذكر بعض ما ظهر من معجزاته (ع) في الخرايج عن حكيمة قالت دخلت على ابي محمد بعد

اربعين يوما من ولادة نرجس فاذا مولانا صاحب الزمان يمشي في دار فلما رأته افصح من لغته فتبسم ابو محمد (ع) فقال انا معاشر الائمة ننشأ في كل يوم كما ينشأ غيرنا في سنة قالت ثم كنت بعد ذلك اسأل ابا محمد (ع) عنه (ع) فقال استودعناه الذي استودعت ام موسى ولدها وعن محمد بن هارون الهمداني قال كان علي خمسمائة دينار لصاحب الزمان وضقت بها ذرعا ثم قلت في نفسي لي حوانيت اشتريتها بخمسمائة دينار وثلاثين دينارا قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار ولا والله ما نقطت بذلك ولا قلت فكتب (ع) الى محمد بن جعفر اقبض الحوانيت من محمد بن هارون بخمسمائة دينار التي لنا عليه وعن الاسترابادي قال صرت الى العسكري (ع) ومعي ثلاثون دينارا في خرقة منها دينار شامي فوافيت الباب واني لقاعد اذ خرج الي غلام او جارية الشك مني قال هات ما معك قلت ما معي شيء فدخل ثم خرج وقال معك ثلاثون دينارا في خرقة خضراء منها دينار شامي وخاتم كنت نسيته فأوصلته اليه واخذت الخاتم وعن محمد بن شاذان قال اجتمع عندي خمسمائة درهم ناقصة عشرين فاتممتها من عندي وبعثت بها الى محمد بن احمد القمي ولم اكتب كم لي منها فانفذ الي كتابه وصلت خمسمائة درهم لك فيها عشرون درهما وفي الارشاد عن السياري قال اوصلت اشياء للمرزباني الحارثي في جملتها سوار ذهب فقبلت ورد السوار وامرت بكسره فكسرته فاذا في وسطه مثاقيل حديد ونحاس وصفر فأخرجته وانفذت الذهب بعد ذلك فقبل وعن علي بن محمد قال حمل رجل من اهل أبه شيئا يوصله ونسي سيفا كان اراد حمله فلما وصل الشيء كتب اليه بوصوله وقيل في الكتابة ما خبر السيف الذي انسيته والاخبار في ذلك كثيرة جداً

المقصد السادس

في علامات ظهوره (ع) قال الشيخ المفيد (ره) في الارشاد قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي وحوادث تكون امام قيامه وآيات ودلالات فمنها خروج السفياني وقتل الحسيني واختلاف بني العباس في الملك الدنياوي وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخر الشهر على خلاف العادات وخسف بالبيداء بالمغرب وخسف بالمشرق وركود الشمس من عند الزوال الى وسط اوقات العصر وطلوعها من المغرب وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام وهدم حائط

مسجد الكوفة واقبال رايات سود من قبل خراسان وخروج اليماني وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات ونزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه وحمرة تظهر في السماء وتنشر في آفاقها ونار تظهر بالمشرق طولا وتبقى في الجو ثلاثة ايام او سبعة ايام وخلع العرب اعنتها وتملكها البلاد وخروجها على سلطان العجم وقتل اهل مصر اميرهم وخراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيه ودخول رايات قيس والعرب الى مصر ورايات كندة الى خراسان وورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة واقبال رايات سود من قبل المشرق نحوها وشق في الفرات حتى يدخل الماء ازقة الكوفة وخروج ستين كذابا كلهم يدعي النبوة وخروج اثني عشر من آل ابي طالب كلهم يدعي الامامة لنفسه واحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولا وخانقين وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد وارتفاع ريح سوداء بها في اول النهار وزلزلة حتى ينخسف كثير منها وخوف يشمل اهل العراق وموت ذريع فيه ونقص من الانفس والاموال والثمرات وجراد يظهر في اوانه وفي غير اوانه حتى يأتي على الزروع والغلات وقلة ريع ما يزرعه الناس واختلاف من العجم وسفك دماء كثيرة فيما بينهم وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم ومسخ لقوم من اهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير وغلبة العبيد على بلاد السادات ونداء من السماء يسمعه اهل الارض كل اهل لغة بلغتهم ووجه وصدر يظهران للناس في عين الشمس واموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا الى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون ثم يختم ذلك باربع وعشرين مطرة تتصل فتحيي الارض بعد موتها وتعرف بركاتها وتزول بعد ذلك كل عاهة من معتقد الحق من شيعة المهدي فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الاخبار ومن جملة هذه الاحداث محتومة وفيها مشترطة والله اعلم بما يكون وانما ذكرناها على حسب ما ثبت في الاصول وتضمنها الاثر المنقول انتهى كلامه (ره)

المقصد السابع

في فضل انتظار فرجه ومدح المؤمنين بغيبته في العيون عن الرضا (ع) عن آبائه (ع) قال قال رسول الله (ص) افضل اعمال امتي انتظار فرج الله تعالى وفي الاحتجاج عن السجاد (ع) قال تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من اوصياء رسول الله (ص) والائمة من بعده وان اهل

زمان غيبته القائلون بامامته المنتظرون لظهوره افضل اهل كل زمان لأن الله تعالى ذكره اعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف اولئك المخلصون حقا وشيعتنا صدقا والدعاة الى دين الله سرا وجهراً وقال (ع) انتظار الفرج من اعظم الفرج وعن الصادق (ع) عن آبائه قال قال النبي(ص) لعلي (ع) يا علي واعلم ان اعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي (ص) وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض وعن السجاد (ع) قال من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا اعطاه الله اجر الف شهيد مثل شهداء بدر واحد

المقصد الثامن

في يوم خروجه ومدة ملكه وسيره وعدد اصحابه وخصائص زمانه في الاكمال عن الرضا(ع) قال علامة القائم ان يكون شيخ السن شاب النظر حتى ان الناظر اليه ليحسبه ابن اربعين سنة او دونها وان من علامته ان لا يهرم بمرور الليالي والأيام عليه حتى يأتي اجله وفي غيبة الشيخ عن الصادق (ع) ان القائم ينادى اسمه ليلة ثلاث وعشرين ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل فيه الحسين بن علي (ع) وعن الباقر (ع) قال كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائما بين الركن والمقام بين يديه جبرائيل ينادي البيعة لله فيملؤها عدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن الصادق (ع) قال يملك القائم سبع سنين تكون سبعين سنة من سنينكم هذه وعنه (ع) قال لا يخرج القائم الا في وتر من السنين سنة احدى او ثلاث او خمس او سبع او تسع وعن السجاد (ع) قال اذا قام قائمنا اذهب الله عز وجل عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزبر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة اربعين رجلا ويكونون حكام الارض وسنامها وعن الباقر(ع) قال اذا خرج القائم من مكة ينادي مناديه الا لا يحملن احد طعاما ولا شرابا وحمل معه حجر موسى بن عمران وهو وقر بعير فلا ينزل منزلا الا انفجرت منه عيون فمن كان جائعا شبع ومن كان ظمآنا روي وروّيت دوابهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة وعن الصادق(ع) قال قال ان قائمنا اذا قام اشرقت الارض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له الف ذكر لا يولد فيهم انثى ويبنى في ظهر الكوفة مسجد له الف باب وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلا وبالحيرة حتى يخرج الرجل يوم الجمعة على بغلة شقراء يريد الجمعة

فلا يدركها وعن الباقر (ع) قال يملك القائم ثلاثمائة سنة ويزداد تسعا كما لبث اهل الكهف في كهفهم يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا فيفتح الله له مشرق الارض وغربها ويقتل الناس حتى لا يبقي الا دين محمد ويسير بسيرة سليمان بن داود ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه وتطوى له الارض الحديث وعن الصادق (ع) قال ان المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى اخاه الذي في المغرب وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي بالمشرق اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من انصاره واعوانه ومقوية سلطانه تم الكتاب في ليلة الخميس رابع وعشرين صفر سنة ١٢٢٦ والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وآله ويتلوه المجلد الثاني في الرجعة والحمد لله وصلى الله على محمد وآله

تنبيه

لا يخفى على القراء المحترمين انه لما كان الكتاب المسمى بالحق اليقين في معرفة اصول الدين للسيد الجد الاكبر السيد عبد الله شبر قدس الله سره من اهم كتب الإمامية شأنا وانفسها قدرا ومكانا قد الف قبل سنين تناهز المائة والثلاثين ليس بالمطول الممل ولا بالمختصر المخل قد جمع بين الادلة العقلية والنقلية تهش اليه الطباع السليمة وتشتاقه الافهام المستقيمة لا يوجد منه فيما اعلم سوى اربع او خمس نسخ دعاني بعض الفضلاء المحصلين والعلماء العاملين والاخوان في الدين ان اقوم بنشره وطبعه على نفقة اولئك المحترمين وكان يوقفني عن ذلك العزم والقيام بهذا المشروع الخيري تشتت البال وتفاقم الاحوال فكثر علي الالحاح من اولئك المحترمين بصورة لم يسعني مخالفتهم فاستخرت الله سبحانه وبادرت لامتثال اوامرهم طالبا من الله المعونة والامداد والتوفيق والسداد انه ولي ذلك واهله وكان اعتماد الطبع على نسخة الاصل التي هي بخط المصنف (قده) فجاءت بحمد الله مهذبة احسن تهذيب مبوبة اجود تبويب حسب الجهد والطاقة واستفراغ الوسع الا ما زاغ عنه البصر وشذ عنه القلم ثم لما قدمتها إلى النشر وقاربت بحث الامامة ورأيت جل ما رواه (قده) في ذلك المبحث عن كتب اهل السنة والجماعة مستقاة من الكتب المعتبرة المعول عليها لديهم كالصحاح الستة والجمع بينها والجمع بين الصحيحين وغيرها والتواريخ المعتبرة كتاريخ ابن الاثير والطبري وماشاكلهما احببت ضبط تلك الروايات على نحو الطريقة المتبعة اليوم من تعيين الابواب والاجزاء تسهيلا للطالب

فجاء والله الحمد على وفق المراد ولربما اضفت اليها كتباً أخر نقلت فيها ايضاً تلك الروايات وهاتيك الآثار زيادة في الاستناد وقوة في الاعتماد ولربما نقل المصنف (قده) عن كتاب لم يتسن لي العثور عليه اما لعدم طبعه أو لقلة نسخته أو لعدم تيسره في الوقت الحاضر لدي حيث كان الوقت ضيقاً لا يسع كمال البحث والتنقيب ذلك اني شرعت في هذا الامر المهم الذي يحتاج الى متسع من الوقت بعد ان قدمت الكتاب للنشر وخرج منه جملة ملزمات لذلك اضطررت ان انقل عن كتاب آخر اذ كان الغرض ذكر المستند لتلك الآثار من كتب اهل السنة والجماعة وما لا يدرك كله لا يترك كله والميسور لا يسقط بالمعسور

هذا وقد اهملت كثيراً من المطالب ولم اذكرها مستندا وليس ذلك لعدم وجوده بل للعلة التي ذكرتها من ضيق الوقت وقصور الباع وقلة الاطلاع وعدم تيسر تلك الكتب لدي في الوقت الحاضر ولا يخفى ان كل كتاب نقلت عنه عنت الطبعة في اي محل وفي اي سنة ليكمل النفع ويقل بحث الطالب وها هي مشروحة لديك

مسند احمد طبعة مصر المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣ هـ

صحيح البخاري المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٢٠ هـ

صحيح مسلم طبع مصر سنة ١٢٩٠ هـ

الصواعق المحرقة لابن حجر طبع مصر سنة ١٣٠٨ هـ

فتوح البلدان للبلاذري طبع مصر سنة ١٣١٨ هـ

الاصابة لابن حجر طبع مصر سنة ١٣٢٨ هـ

كشف المحجة للسيد علي بن طاوس طبع ايران سنة ١٣٠٦ هـ

الاستيعاب لابن عبد البر طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ

كامل ابن الاثير طبع مصر سنة ١٢٩٠ هـ

تاريخ الطبري الطبعة الاولى بالمطبعة الحسينية المصرية

السيرة الحلبية الطبعة الاولى مصر سنة ١٣٠٨ هـ

الملل والنحل للشهرستاني الطبعة الاولى المطبعة الادبية مصر سنة ١٣٢١ هـ

تفسير السيوطي الدر المنثور المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣١٤ هـ

الكشاف للزمخشري المطبعة الشرقية مصر سنة ١٣٠٧ هـ

تفسير القاضي البيضاوي طبع اسلامبول سنة ١٣٠٥ هـ

تفسير الفخر الرازي طبع اسلامبول مطبعة علي باك سنة ١٢٩٤ هـ

تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٢١ هـ

تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيشابوري طبع ايران سنة ١٢٨٠ هـ

كنز العمال طبع حيدر آباد الدكن دائرة المعارف النظامية سنة ١٣١٤ هـ

تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي طبع طهران سنة ١٢٨٧ هـ

تفسير الجلالين طبع مصر سنة ١٣٠٨ هـ

نور الابصار للشبلنجي واسعاف الراغبين بهامشه طبع مصر سنة ١٣١٥ هـ

الإمامة والسياسة لابن قتيبة طبع مصر مطبعة النيل سنة ١٣١٠ هـ

وفيات الاعيان لابن خلكان المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣١٠ هـ

تاريخ الخلفاء للسيوطي جلال الدين المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٠٥ هـ

العقد الفريد لابن عبد ربه مطبعة الشرقية مصر سنة ١٣١٦ هـ

محاضرة الادبا للراغب طبع مصر سنه ١٣٢٦ هـ

اسد الغابة لابن الاثير طبع مصر سنة ١٢٨٠ هـ

خصائص النسائي احمد بن شعيب طبع مصر سنة ١٣٠٨ هـ

علي شبر الحسيني

حق اليقين

في
معرفة أصول الدين

تأليف

السيد الأعظم والعماد الأقوم علامة العلماء وتاج الفقهاء
غياث المسلمين رئيس الملة والدين جامع المعقول
والمنقول مهذب الفروع والاصول السيد
الأكبر السيد عبد الله شبر قدس سره

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة العرفان ✲ صيدا ١٣٥٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين أما بعد فهذا هو المجلد الثاني من كتاب ﴿ حق اليقين ﴾ في معرفة أصول الدين بالبراهين القطعية والأدلة اليقينية والآيات القرآنية والأخبار المعصومية تأليف قليل البضاعة وكثير الإضاعة أفقر الخلق الى ربه الغني عبدالله بن محمد رضا الحسيني (١) وفقهما الله لطاعاته ومراضيه وجعل مستقبل حالها خيراً من ماضيه

المقصد التاسع

﴿ في اثبات الرجعة وحقيقتها وكيفيتها ﴾

اعلم ان ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة بل هي من ضروريات مذهبهم وقال العلامة المجلسي رحمه الله أجمعت الشيعة على ثبوت الرجعة في جميع الاعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار حتى نظموها في اشعارهم واحتجوا بها على المخالفين في جميع امصارهم وشنع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم واسفارهم منهم الرازي والنيشابوري وغيرهما وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الاطهار فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الاعلام في ازيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الإسلام الكليني والصدوق محمد بن بابويه والشيخ ابي جعفر الطوسي والسيد المرتضى والنجاشي والكشي والعياشي وعلي ابن ابراهيم وسليم الهلالي والشيخ المفيد والكراجكي والنعماني والصفار وسعد بن عبد الله وابن قولويه وعلي بن عبد الحميد والسيد علي بن طاوس وولده صاحب كتاب زوائد الفوائد ومحمد بن علي بن ابراهيم وفرات بن ابراهيم ومؤلف كتاب التنزيل والتحريف وابي الفضل الطبرسي وابي طالب الطبرسي وابراهيم بن محمد الثقفي ومحمد بن العباس بن مروان والبرقي وابن شهراشوب والحسن

---

(١) هو عبد الله بن محمد رضا بن محمد بن محسن بن أحمد بن علي بن محمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن محمد بن نعيم الدين بن رجب بن الحسن بن محمد بن حمزة بن احمد بن أبي علي علي بن الحسين بن علي بن عمر بطله بن الحسن الافطس بن علي الاصغر بن زين العابدين السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (ع)

ابن سليمان والقطب الراوندي والعلامة الحلي والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم واحمد بن داود بن سعيد والحسن بن علي بن ابي حمزة والفضل بن شاذان والشيخ الشهيد محمد بن مكي والحسين بن حمدان والحسن بن محمد بن جمهور والحسن بن محبوب وجعفر بن محمد بن مالك الكوفي وطهر بن عبد الله وشاذان بن جبرئيل وصاحب كتاب الفضائل ومؤلف الكتاب العتيق ومؤلف كتاب الخطب وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلفه على التعيين وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي اي شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف وظني ان من يشك في امثالها فهو شاك في ائمة الدين ولا يمكنه اظهار ذلك من بين المؤمنين فيحتال في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع اليه عقول المستضعفين من استبعادات المتفلسفين وتشكيكات الملحدين (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقد صنف جماعة من القدماء كتبا في حقية الرجعة فمنهم احمد بن داود بن سعيد الجرجاني قال الشيخ في الفهرست له كتاب المتعة والرجعة ومنهم الحسن بن علي بن ابي حمزة البطايني وعدّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرجعة . ومنهم الفضل بن شاذان النيشابوري ذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي ان له كتابا في اثبات الرجعة ومنهم الصدوق محمد بن علي ابن بابويه فإنه عدّ النجاشي من كتبه كتاب الرجعة . ومنهم محمد بن مسعود النجاشي ذكر النجاشي والشيخ في الفهرست كتابه في الرجعة . ومنهم الحسن بن سليمان وستأتي الرواية عنه (اقول) ولذا تضافرت الأخبار عن الائمة الأطهار (ع) ليس منا من لم يؤمن برجعتنا ففي الفقيه عن الصادق (ع) قال ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا والرجعة عبارة عن حشر قوم عند قيام القائم ممن تقدم موتهم من اوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته وقوم من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب والقتل على ايدي شيعته وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته وهي عندنا تختص بمن محض الإيمان ومحض الكفر والباقون مسكوت عنهم كما وردت به النصوص الكثيرة ويدل على ثبوتها مضافا إلى الإجماع بل ضرورة المذهب الكتاب والسنة اما الكتاب فآي ✻ الأولى ✻ قوله تعالى (ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا) حيث دلت هذه الآية على ان هذا الحشر خاص ببعض دون بعض فتعين أن يكون غير الحشر الأكبر الذي في القيامة لأنه عام بالاتفاق ولقوله تعالى فيه (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) وروى القمي في تفسيره عن الصادق (ع)

أنه سئل عن تفسير الآية الاولى فقال (ع) ما يقول الناس فيها قلت يقولون إنها في القيامة فقال (ع) ايحشر الله يوم القيامة من كل امة فوجا ويترك الباقين إنما ذلك في الرجعة فأما آية القيامة فهذه (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) والاخبار بهذا المضمون كثيرة ﴿ الثانية ﴾ قوله تعالى (وإذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعني إذا وجب العذاب والوعيد عليهم او اذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم بلسان يفهمونه بأن يقول لهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقد تضافر في أخبارنا أن المراد بهذه الدابة امير المؤمنين (ع) وانه يخرج قبل القيامة ومعه عصا موسى وخاتم سليمان فيضرب المؤمن فيما بين عينيه بالعصى فينتقش فيها انه مؤمن حقا ويسم الكافر بين عينيه فينتقش فيه أنه كافر حقا وروى القمي في تفسيره عن الصادق (ع) في الصحيح قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى امير المؤمنين (ع) وهو نائم في المسجد قد جمع رملا ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال قم يا دابة الله فقال رجل من اصحابه يارسول الله إسمي بعضنا بعضا بهذا الاسم فقال لا والله ماهو الا له خاصة وهو الدابة التي ذكرها الله في كتابه واذا وقع القول (الخ) ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم يا علي إذا كان آخر الزمان اخرجك الله في احسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك فقال الرجل لأبي عبد الله (ع) ان العامة يقولون هذه الدابة انما تكلمهم يعني بالتخفيف من الكلم بمعنى الجرح فقال (ع) كلمهم الله في نار جهنم انما هو تكلمهم من الكلام وعنه (ع) قال قال رجل لعمار بن ياسر يا ابا اليقظان آية في كتاب الله قد افسدت قلبي وشككتني قال عمار وأية آية هي قال قول الله وإذا وقع القول الآية فأية دابة هذه قال عمار والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى اريكها فجاء عمار مع الرجل الى امير المؤمنين (ع) وهو يأكل تمرا وزبدا فقال يا ابا اليقظان هلم فجلس عمار واقبل يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله يا ابا اليقظان حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى ترينيها قال عمار قد أريتكها إن كنت تعقل وقد روى العامة في كتبهم ما يقرب من ذلك عن عمار وابن عباس وغيرهما وروى الزمخشري في الكشاف أنها تخرج من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه كأنه كوكب دري أو تكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه او تكتب بين عينيه كافر ثم

قال وقرأ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصى والخاتم وقد روى العامة والخاصة عن امير المؤمنين (ع) انه قال في مواطن كثيرة في خطبه انا صاحب العصى والميسم وروى العامة عن ابي هريرة وابن عباس والاصبغ بن نباتة ان دابة الأرض في الآية امير المؤمنين (ع) وروي عن كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله تأليف ابي عبد الله محمد بن عباس بن مروان باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال قال لي معاوية يا معشر الشيعة تزعمون أن عليا دابة الأرض فقلت نحن نقول اليهود تقوله فأرسل إلى رأس الجالوت فقال ويحك تجدون دابة الأرض عندكم فقال نعم فقال ما هي فقال رجل قال اتدري ما اسمه قال نعم اسمه اليا قال فالتفت إلي فقال ويحك يا اصبغ ما اقرب اليا من علي ❊ الثالثة ❊ قوله تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) فعن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال ما احسب نبيكم إلا سيطلع عليكم اطلاعة وعن الصادق (ع) فيها قال لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي (ع) فيلتقيان ويبيتان بالثوية وهو موضع بالكوفة مسجدا له اثني عشر الف باب وعن السجاد في الآية قال يرجع اليكم نبيكم وعن الباقر (ع) قال رحم الله جابرا لقد بلغ من علمه انه كان يعرف تأويل هذه الآية ان الذي فرض الآية يعني الرجعة ❊ الرابعة ❊ قوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لإلى الله تحشرون) فروى القمي عن الباقر (ع) ان المراد القتل في سبيل علي وذريته فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله وليس احد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة انه من قتل في فينشر حتى يموت ومن مات ينشر حتى يقتل وقال (ع) في قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه ان من قتل لا بد ان يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت ❊ الخامسة ❊ قوله تعالى (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فقد ورد في اخبار كثيرة ان هذه النصرة تكون في الرجعة وعن الصادق (ع) في هذه الآية قال ما بعث الله نبيا من لدن آدم إلا ويرجع إلى الدنيا فينصر امير المؤمنين (ع) وقوله لتؤمنن به يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولتنصرنه يعني امير المؤمنين (ع) وعن الصادق (ع) في الآية قال ليؤمنن برسول الله ولينصرن عليا امير المؤمنين قال نعم والله من لدن آدم وهلم جرا فلم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين

يدي علي بن ابي طالب وروى الحسن بن سليمان في منتخب البصائر عن كتاب الوحدة بإسناده عن عاصم بن حميد عن الباقر (ع) قال قال امير المؤمنين ان الله تبارك وتعالى احد واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلك النور محمدا وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور واسكنه في ابداننا فنحن روح الله وكلماته فبنا احتج الله على خلقه فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه وذلك قبل ان يخلق الخلق واخذ ميثاق الانبياء بالإيمان والنصرة لنا وذلك قوله عز وجل وإذ اخذ الله الآية يعني لتؤمنن به ولتنصرن وصيه وسينصرونه جميعا وإن الله اخذ ميثاقي مع ميثاق محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمدا وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه ووفيت لله بما اخذ علي من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينصرني احد من انبياء الله ورسله وذلك لما قبضهم الله اليه وسوف ينصرونني ويكون لي ما بين مشرقها الى مغربها وليبعثهم الله احياء من آدم إلى محمد كل نبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعا فيا عجبا وكيف لا اعجب من اموات يبعثهم الله احياء يلبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك ياداعي الله قد تخللوا سكك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ليضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم واتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله عزوجل (وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) أي يعبدونني آمنين لا يخافون احدا في عبادي ليس عندهم تقية وان لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة وانا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات واناقرن يعني حصن من حديد وانا عبد الله واخو رسول الله وانا امين الله وخازنه وعيبة سره وحجابه ووجهه وصراطه وميزانه وانا الحاشر إلى الله وانا كلمة الله التي يجمع بها المفرق ويفرق بها المجتمع وانا اسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآيته الكبرى وانا صاحب الجنة والنار اسكن اهل الجنة الجنة واسكن أهل النار النار والي تزويج اهل الجنة وإلي عذاب اهل النار وإلي اياب الخلق جميعا وانا الأياب الذي يؤب اليه كل شيء بعد القضاء وإلي حساب الخلق جميعا وانا صاحب الهنات وانا المؤذن على الأعراف وانا بارز الشمس وانا دابة الأرض وانا قسيم النار وانا خازن الجنان وصاحب

الأعراف وانا امير المؤمنين ويعسوب المتقين وآية السابقين ولسان الناطقين وخاتم الوصيين ووارث النبي وخليفة رب العالمين وصراط ربي المستقيم وقسطاسه والحجة على اهل السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما وانا الذي احتج الله به عليكم في ابتداء خلقكم وأنا الشاهد يوم الدين وانا الذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والانساب واستحفظت آيات النبيين المستخفين (المستخففين خ ل) وانا صاحب العصى والميسم وانا الذي سخرت لي السحاب والرعد والبرق والظلم والانوار والرياح والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر وانا القرن الحديد وانا فاروق الامة وانا الهادي وانا الذي احصيت كل شيء عددا بعلم الله الذي اودعته وبسره الذي اسرّه الى محمد واسره النبي الي وانا الذي انحلني ربي اسمه وكلمته وحكمه وعلمه وفهمه يامعشر الناس اسألوني قبل ان تفقدوني اللهم اني اشهدك واستعديك عليهم ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم والحمد لله متبعين امره ﴿ السادسة ﴾ قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) روى القمي عن الصادق (ع) قال العذاب الأدنى عذاب الرجعة بالسيف والعذاب الاكبر في القيامة ومعنى لعلهم يرجعون يرجعون في الرجعة فيعذبون ﴿ السابعة ﴾ قوله تعالى (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) روى القمي عن الصادق (ع) قال ذلك في الرجعة يعني احد الإحيائين في الرجعة والآخر في القيامة واحدى الإماتتين في الدنيا والاخرى في الرجعة والآية ظاهرة كال الظهور في الرجعة وتكلف المفسرون شططا لتصحيح التثنية بالاحياء في القبر للسؤال والإماتة فيه ومنهم من حمل الإماتة الاولى على خلقهم ميتين ككونهم نطفة ويبطل الأول ان الحياة للمساءلة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله وظاهر الآية انهم يندمون على ما فاتهم في الحياتين ويبطل الثاني انه لا يقال لمن خلقه الله ميتا اماته وإنما يقال ذلك فيمن كان حيا ﴿ الثامنة ﴾ قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) فروى القمي في تفسيره وسعد بن عبد الله عن الصادق (ع) قال ذلك والله في الرجعة اما علمت ان انبياء الله كثيرا لم ينصروا في الدنيا وقتلوا والأئمة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدنيا فذلك في الرجعة ﴿ التاسعة ﴾ قوله تعالى (وجعلكم انبياء وجعلكم ملوكا) عن سليمان الديلمي قال سألت ابا عبد الله (ع) عنها فقال الأنبياء رسول الله وابراهيم واسماعيل وذريته والملوك الأئمة فقلت وأي ملك اعطيتم فقال ملك الجنة وملك الكرة

﴿ العاشرة ﴾ قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) روى القمي أن رسول الله ﷺ إذا رجع آمن به الناس كلهم وعن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج آية في كتاب الله قد اعيتني فقلت ايها الامير أية آية هي فقال قوله تعالى وان من أهل الكتاب (الآية) والله إني لأمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت اصلح الله الامير ليس على ما تأولت قال كيف هو قلت ان عيسى (ع) ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي قال ويحك أنى لك هذا ومن اين جئت به فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقال جئت والله بها من عين صافية ﴿ الحادي عشر ﴾ قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) روى القمي في الصحيح عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن الصادق (ع) والباقر (ع) قالا كل قرية اهلك الله اهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة فهذه الآية من اعظم الدلالة على الرجعة لأن احداً من أهل الاسلام لا ينكر ان الناس كلهم يرجعون الى القيامة من هلك ومن لم يهلك فقوله لا يرجعون عنى في الرجعة فأما الى القيامة يرجعون حتى يدخلوا النار ﴿ الثانية عشر ﴾ قوله تعالى (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فقد فسرت في الاخبار الآتية بالرجعة الى غير ذلك من الآيات ويأتي جملة منها في ضمن الاخبار

وأما السنة فهي كثيرة حتى أدعي تواترها منها ما رواه في البصائر عن الخثعمي قال سمعت أبا عبدالله يقول إن ابليس قال انظرني الى يوم يبعثون فابى الله ذلك عليه فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فاذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر ابليس في جميع اشياعه منذ خلق الله آدم الى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين فقلت وانها لكرات قال نعم انها لكرات وكرات ما من إمام في قرن الا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتى يديل الله تعالى المؤمن الكافر فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أمير المؤمنين في أصحابه وجاء ابليس في اصحابه ويكون ميقاتهم في ارض من أراضي الفرات يقال له الروحا قريب من كوفتكم فيقتتلون قتالا لم يقتتل مثله منذ خلق الله عز وجل العالمين فكأني أنظر الى أصحاب علي أمير المؤمنين (ع) وقد رجعوا الى خلفهم القهقرى مائة قدم وكأني أنظر اليهم وقد وقعت بعض ارجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار أي ينزل آيات عذابه في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر رسول الله

أمامه بيده حربة من نور فإذا نظر اليه إبليس رجع القهقرى ناكصا على عقبيه فيقولون له أصحابه أين تريد وقد ظفرت فيقول إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين فيلحقه النبي فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئا ويملك أمير المؤمنين (ع) اربعا واربعين الف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي (ع) الف ولد من صلبه ذكراً في كل سنة ذكرا وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بمايشاء الله وبهذا الاسناد عن الصادق (ع) قال إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي (ع) الحديث وفي البصائر ايضا بأسانيد عديدة عن الباقر (ع) قال إن أول من يرجع لجار كم الحسين فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر وروي ايضا بإسناده عن أبي ابراهيم قال لترجعن نفوس ذهبت وليقتصن يوم يقوم ومن عذب يقتص بعذابه ومن أغيظ أغاظ له بغيظه ومن قتل اقتص بقتله ويرد لهم اعداءهم معهم حتى يأخذوا بثارهم ثم يعمرون بعدهم ثلاثين شهرا ثم يموتون في ليلة واحدة قد أدركوا ثارهم وشفوا أنفسهم ويصير أعداؤهم الى اشد النار عذابا ثم يوقفون بين يدي الجبار عز وجل فيؤخذ لهم بحقوقهم وروى القمي في تفسيره وغيره عنه (ع) في تفسير قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) قال نزلت في الرجعة كذبوا بها أي انها لا تكون وروي ايضا عن معاوية ابن عمار قال قلت لأبي عبدالله (ع) قول الله (ان له معيشة ضنكا) قال هي والله للنصاب قلت جعلت فداك قد رأيناهم دهرهم الأطول في كفاية حتى ماتوا قال ذلك والله في الرجعة يأكلون العذرة وروى القمي في تفسيره قال (طسم تلك آيات الكتاب المبين) ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (نتلوا عليك) يا محمد (من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة) الى قوله (يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) أخبر الله نبيه بما نال موسى وأصحابه من فرعون من القتل والظلم ليكون تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته من أمته ثم بشره بعد تعزيته انه يتفضل عليهم بعد ذلك ويجعلهم خلفاء في الارض وأئمة على أمته ويردهم الى الدنيا مع اعدائهم حتى ينتصفوا منهم فقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما) وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم وقوله منهم أي من آل محمد ما كانوا يحذرون أي من القتل والعذاب ولو كانت هذه الآية

نزلت في موسى وفرعون لقال ونري فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون أي من موسى ولم يقل منهم فلما تقدم قوله ونريد أن نمن (الآية) علمنا ان المخاطبة للنبي وماوعد الله رسوله فإنما يكون بعده والأئمة يكونون من والده وانما ضرب الله هذا المثل لهم في موسى وبني اسرائيل وفي اعدائهم بفرعون وجنوده فقال ان فرعون قتل بني اسرائيل وظلم فأظفر الله موسى بفرعون وأصحابه حتى اهلكهم الله وكذلك أهل بيت رسول الله أصابهم من اعدائهم القتل والغصب ثم يردهم الله ويرد اعداءهم الى الدنيا حتى يقتلوهم وروى القطب الراوندي في الخرائج وغيره بإسناده عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال الحسين (ع) لأصحابه قبل ان يقتل إن رسول الله ﷺ قال لي يا بني انك ستساق الى العراق وهي أرض قد التقى بها النبيون واوصياء النبيين وهي أرض تدعى غمورا وانك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد وتلا (قلنا يا نار كوني برداً وسلاما على ابراهيم) يكون الحرب بردا وسلاما عليك وعليهم فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا ﷺ قال (ع) ثم أمكث ما شاء الله فأكون اول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة امير المؤمنين وقيام قائمنا ثم لينزلن علي وفد من السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الأرض قط ولينزلن إلي جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجنود من الملائكة ولينزلن محمد وعلي وانا وأخي وجميع من من الله عليه في حمولات الرب خيل بلق من نور لم ير كبها مخلوق ثم ليهزن محمد لواءه وليدفعنه إلى قائمنا مع سيفه ثم انا نمكث من بعد ذلك ما شاء الله ثم ان الله يخرج من مسجد الكوفة عينا من دهن وعينا من ماء وعينا من لبن ثم ان امير المؤمنين يدفع إلي سيف رسول الله ويبعثني إلى المشرق والمغرب فلا آتي على عدو الله إلا اهرقت دمه ولا ادع صنما إلا احرقته حتى اقع إلى الهند فأفتحها وان دانيال ويونس (ويوشع خ ل) يخرجان إلى امير المؤمنين يقولان صدق الله ورسوله وبعث الله معهما الى البصرة سبعين رجلا فيقتلون مقاتليهم ويبعثون بعثا إلى الروم فيفتح الله لهم ثم لأقتلن كل دابة حرم الله لحمها حتى لا يكون على وجه الأرض الا الطيب واعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل ولأخيرنهم بين الإسلام والسيف فمن أسلم منت عليه ومن كره الإسلام اهرق الله دمه ولا يبقى رجل من شيعتنا الا أنزل الله اليه ملكا يمسح عن وجهه التراب ويعرفه ازواجه ومنزلته في الجنة ولا يبقى على وجه الأرض اعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت ولتنزلن البركة

من السماء إلى الأرض حتى ان الشجرة لتقصف يعني تنكسر اغصانها بما يزيد الله فيها من الثمرة ولتأكان ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء وذلك قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) ثم ان الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها حتى ان الرجل منهم يريد ان يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون وروى الصدوق في العيون بإسناد معتبر عن الحسن بن الجهم قال قال المأمون للرضا (ع) يا ابا الحسن ما تقول في الرجعة فقال (ع) انها الحق قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله ﷺ يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وقال (ع) اذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم (ع) فصلى خلفه وقال (ع) ان الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ثم يكون ما ذا قال ثم يرجع الحق الى أهله (الخبر) وروى العياشي في تفسيره عن الصادق (ع) قال لقد تسموا يعني خلفاء الجور باسم ما سمى الله به أحداً إلا علي بن ابي طالب يعني بذلك الاسم أمير المؤمنين (ع) قال (ع) وما جاء تأويله قلت جعلت فداك متى يجيء تأويله قال إذا جاء جمع الله أمامه أي اذا جاء تأويله جمع الله أمام أمير المؤمنين النبيين والمؤمنين حتى ينصروه وهو قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة) الى قوله (انا معكم من الشاهدين) فيومئذ يدفع رسول الله اللواء الى علي بن ابي طالب فيكون أمير الخلائق كلهم أجمعين يكون الخلائق كلهم تحت لوائه ويكون هو أميرهم فهذا تأويله وعن كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي رواه عنه أبان ابن ابي عياش وقرأه جميعه على سيدنا علي بن الحسين بحضور جماعة من اعيان أصحابه منهم ابو الطفيل فأقره عليه زين العابدين (ع) وقال هذه أحاديثنا صحيحة قال ابان لقيت ابا الطفيل بعد ذلك في منزله فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد وابي بن كعب قال ابو الطفيل فعرضت هذا الذي سمعته منهم على علي بن ابي طالب بالكوفة فقال هذا علم خاص لا يسع الأمة جهله ورد علمه الى الله تعالى ثم صدقني (ع) بكل ما حدثوني وقرأ علي بذلك قراءة كثيرة فسره تفسيراً شافيا حتى صرت ما انا بيوم القيامة أشد يقينا مني برجعة وكان مما قلت اخبرني عن حوض النبي ﷺ في الدنيا ام في الآخرة فقال بل في الدنيا قلت فمن الذائد عنه فقال أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه اعدائي وفي رواية اخرى ولأوردنه أوليائي

ولأصرفن عنه اعدائي فقلت يا أمير المؤمنين قول الله عز وجل (واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) ما الدابة قال يا ابا الطفيل الهو عن هذا فقلت يا أمير المؤمين أخبرني به جعلت فداك قال هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الاسواق وتنكح النساء فقلت يا أمير المؤمنين من هو قال هو رب الأرض الذي تسكن الارض به فقلت يا أميز المؤمنين من هو قال صديق هذه الأمة وفاروقها وربيها (بكسر الراء) إشارة الى قوله تعالى (وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) والربيون هم العلماء الأتقياء او العابدون وذوقرنيها قلت ياامير المؤمنين من هو قال الذي قال الله تعالى (ويتلوه شاهد منه والذي عنده علم الكتاب والذي جاء بالصدق والذي صدق به) والناس كلهم كافرون غيره قلت ياأمير المؤمنين فسمه لي قال قد سميته لك يا ابا الطفيل والله لو ادخلت علي عامة شيعتي الذين بهم اقاتل الذين اقروا بطاعتي وسموني امير المؤمنين واستحلوا جهاد من خالفني فحدثتهم ببعض ما اعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ لتفرقوا عني حتى ابقى في عصابة من الحق قليلة انت واشباهك من شيعتي ففزعت وقلت ياامير المؤمنين انا واشباهي نتفرق عنك او نثبت معك قال بل تثبتون ثم اقبل علي فقال إن امرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرّبه إلا ثلاثة ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن نخيب امتحن الله قلبه للإيمان يا ابا الطفيل إن رسول الله ﷺ قبض فارتد الناس ضلالا وجهالا إلا من عصمه الله بنا اهل البيت وروى صاحب منتخب البصائر عن سعد بن عبد الله باسناده عن جابر الجعفي عن ابي عبد الله (ع) قال ان لعلي (ع) في الأرض كرة مع الحسين ابنه يقبل برايته حتى ينتقم له من بني امية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه ثم يبعث الله اليهم بأنصاره يومئذ من اهل الكوفة ثلاثين الفا ومن سائر الناس سبعين الفا فيلقاهم بصفين مثل المرة الاولى حتى يقتلهم ولا يبقي منهم مخبرا ثم يبعثهم الله عز وجل فيدخلهم اشد عذابه مع فرعون وآل فرعون ثم كرة اخرى مع رسول الله حتى يكون خليفة في الأرض وتكون الائمة عماله وحتى يبعثه الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سرا في الأرض ثم قال إي والله واضعاف ذلك ثم عقد بيده اضعافا يعطي الله نبيه ملك جميع اهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها حتى ينجز له موعده في كتابه كما قال (ويظهره على الدين كله ولو كره

المشركون) وروى الشيخ المفيد في المجالس والارشاد والكشي باسانيد عديدة عن عباية الاسدي والاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (ع) انه كان يقول انا سيد الشيب وفي سنة من ايوب والله ليجمعن الله لي اهلي كما جمعوا لأيوب وفي رواية كما جمعوا ليعقوب وروى الكشي ايضا عن الصادق (ع) قال اني سألت الله في اسماعيل ان يبقيه بعدي فأبى ولكنه قد اعطاني فيه منزلة اخرى انه يكون اول منشور في عشرة من اصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه روي ايضا عن الباقر (ع) قال كأني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذوآبتا كتفيه مصعدا في نجف الجبل اي اصله بين يدي قائمنا اهل البيت في اربعة آلاف يكبرون ويكرون و في نسخة ومكررون وفي اخرى مكرون وفي ثالثة يكررون والمراد بالكرة الرجعة وروي ايضا عن داود الرقي قال قلت له يعني للصادق (ع) اني قد كبرت ودق عظمي احب ان يختم عمري بقتل فيكم فقال وما من هذا بد ان لم يكن في العاجلة يكون في الآجلة اي في الرجعة وروى الشيخ حسن بن سليمان في منتخب البصائر عن امير المؤمنين انه قال في جملة خطبة طويلة ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للإيمان لا يعي حديثنا الا حصون حصينة او صدور أمينة او احلام رزينة ياعجبا كل العجب بين جمادى ورجب فقال رجل من شرطة الخميس ما هذا العجب ياامير المؤمنين قال ومالي لا اعجب وسبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث الاصوتات بينهن موتات حصد نبات ونشر اموات واعجبا كل العجب بين جمادى ورجب فقال ايضا رجل ياأمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه قال ثكلت الآخر امه واي عجيب يكون اعجب منه اموات يضربون هوام الاحياء قال انى يكون ذلك ياأمير المؤمنين قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة كأني انظر قد تخللوا سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم يضربون كل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين وذلك قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور) وروى الصدوق في العلل عن الباقر (ع) قال اما لو قد قام قائمنا لقد ردت اليه الحميرا حتى يجلدها الحد وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة منها وروى المفيد في الارشاد عن الصادق (ع) قال اذا آن قيام القائم مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة ايام من رجب مطرا لا ترى الخلائق مثله فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم وكأني انظر اليهم مقبلين من قبل جهينة وهي قبيلة

ينفضون شعورهم من التراب وروى ايضا عن الصادق (ع) قال يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبع وعشرون رجلا خمسة عشر من قوم موسى (ع) الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسليمان وفي نسخة سلمان وابو دجانة الانصاري والمقداد ومالك الاشتر فيكونون بين يديه انصارا وحكاما وروى العياشي في تفسيره مثله وروى النعماني في كتاب الغيبة بأسناده عن الباقر (ع) قال لو خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة وأول من يتبعه محمد وعلي الثاني روى الشيخ الطوسي والنعماني في كتاب الغيبة عن الرضا (ع) في حديث طويل في علامات ظهور القائم قال والصوت الثالث يرون بدنا بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين وروى الشيخ في الغيبة عن المفضل قال ذكرنا القائم ومن مات من اصحابنا ينتظره فقال لنا ابو عبد الله (ع) اذا قام أتي المؤمن في قبره فيقال له يا هذا انه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق وان تشأ ان تقيم في كرامة ربك فأقم وفي زيارة الجامعة الكبيرة المشهورة المروية في الكافي والتهذيب عن الهادي (ع) ويكر في رجعتكم ويملك في دولتكم ويشرف في عافيتكم ويمكن في أيامكم وتقر عينه غداً برؤيتكم وفي زيارة الوداع ومكنني في دولتكم واحياني في رجعتكم وفي زيارة الاربعين المروية في التهذيب عن الصادق (ع) واشهداني بكم مؤمن وبإيابكم موقن وروى ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق (ع) في قوله تعالى (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين) قال قتل علي بن ابي طالب وطعن الحسن (ولتعلن علوا كبيرا) قال قتل الحسين (فإذا جاء وعد اولاهما) اذا جاء نصر دم الحسين (بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم (ع) فلا يدعون وترا لآل محمد الا قتلوه (وكان وعدا مفعولا) خروج القائم (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) خروج الحسين في سبعين من اصحابه عليهم البيض المذهبة لكل بيضة وجهان المؤدون الى الناس ان هذا الحسين (ع) قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وإنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين انه الحسين (ع) جاء الحجة (ع) الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين (ع) بن علي ولا يلي الوصي إلا الوصي

﴿ بيان ﴾ فإن قيل فمن يغسل الحسين (ع) قيل حيث انه كان شهيدا في هذه النشأة لا يحتاج الى غسل وتكفين او ان الإمام الذي يبعث بعده يغسله وفي زيارة الحسين (ع) المروية

في المصباح عن الصادق (ع) وأشهد الله وملائكته وانبياءه ورسله اني بكم مؤمن وبإيابكم موقن وفي زيارة العباس اني بكم وبإيابكم من الموقنين وفي الجامعة الرجبية التي رواها الاصحاب ومنهم الشيخ والسيد ابن طاوس وبرجعتي من حضرتكم خير مرجع الى جناب ممرع وخفض عيش موسع ودعة ومهل الى حين الاجل وخير مصير ومحل في النعيم الازل والعيش المقتبل ودوام الأكل وشرب الرحيق والسلسل وعل ونهل لا سأم منه ولا ملل ورحمة الله وبركاته وتحياته حتى العود الى حضرتكم والفوز في كرتكم وفي الاقبال والمصباح في الدعاء في اليوم الذي ولد فيه الحسين المروي عن الهمداني : وكيل ابي محمد (ع) وفيه المعوض من قتله أن الأئمة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في اوبته الى قوله فنحن عائذون بقبره نشهد تربته وننتظر اوبته وفي زيارات القائم التي ذكرها السيد ابن طاوس فقرات كثيرة تدل على ذلك ففي بعضها ووفقني يا رب للقيام بطاعته والمثوى في خدمته والمكث في دولته واجتناب معصيته فإن توفيتني اللهم قبل ذلك فاجعلني يا رب فيمن يكر في رجعته ويملك في دولته ويتمكن في ايامه وفي الزيارة الأخرى وان ادركني الموت قبل ظهورك فأتوسل بك الى الله سبحانه ان يصلي على محمد وآل محمد وان يجعل لي كرة في ظهورك ورجعة في ايامك لأبلغ من طاعتك مرادي واشفي من اعدائك فؤادي وفي اخرى اللهم اني ادين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة وروى الشيخ والسيد ابن طاوس وغيرهما عن الصادق (ع) قال من دعا الى الله اربعين صباحا بهذا العهد كان من انصار قائمنا فإن مات قبله اخرجه الله تعالى من قبره وفيه اللهم ان حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتما مقضيا فأخرجني من قبري مؤتزرا كفني شاهرا سيفي مجردا قناتي ملبيا دعوة الداعي الى آخره وروى السيد ايضا عن الصادق (ع) في زيارة النبي والأئمة (ع) من بعد وفيها اني من القائلين بفضلكم مقر برجعتكم لا انكر لله قدرة وفي الكافي عن الصادق (ع) في حديث طويل في صفة قبض روح المؤمن قال ثم يزور آل محمد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم ويشرب معهم من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا اهل البيت فإذا قام قائمنا بعثهم الله فاقبلوا معهم يلبون زمرا زمرا فعند ذلك يرتاب المبطلون وروى الحسن بن سليمان في منتخب البصائر عن الصادق (ع) قال قال امير المؤمنين انا الفاروق الأكبر وصاحب الميسم وانا صاحب النشر الاول والنشر الآخر وصاحب الكرات ودولة الدول وعلى يدي يتم موعد الله وتكمل كلمته وبي يكمل

الدين وفي كامل الزيارة لابن قولويه عن الصادق (ع) في زيارة الحسين ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله ويبعثكم فمعكم معكم لا مع عدوكم إني من المؤمنين برجعتكم لا انكر لله قدرة ولا اكذب له مشيئة ولا ازعم أن ما شاء لا يكون وفيه عن الصادق (ع) في زيارة الحسين (ع) ايضا ونصرتي لكم معدة حتى يحييكم الله بدينه ويبعثكم وفيه ايضا عن الصادق (ع) يقال عند قبر الحسين وقبر كل إمام اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيك وابعثه مقاما محمودا تنتصر به لدينك وتقتل به عدوك فإنك وعدته وانت الرب الذي لا تخلف الميعاد وروى الشيخ في كتاب الغيبة باسناده عن جابر الجعفي عن الباقر (ع) قال والله ليملكن منا اهل البيت رجل بعد موته ثلثمائة سنة يزداد تسعا قلت متى يكون ذلك قال بعد القائم قلت وكم يقوم القائم في عالمه قال تسعة عشر سنة ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء اصحابه فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح والظاهر ان المراد بالمنتصر الحسين (ع) وبالسفاح امير المؤمنين (ع) وفي منتخب البصائر عن جابر عن ابي جعفر قال والله ليملكن رجل منا أهل البيت بعد موته ثلثمائة سنة ويزداد تسعا قال فقلت فمتى يكون ذلك قال فقال بعد موت القائم قال قلت له وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت قال فقال تسعة عشر سنة من يوم قيامه إلى يوم موته قال فقلت له فيكون بعد موته الهرج قال نعم خمسين سنة ثم يخرج المنتصر إلى الدنيا فيطلب بدمه ودماء اصحابه فيقتل ويسبي حتى يقال لو كان هذا من ذرية الانبياء ما قتل الناس كل هذا القتل فيجتمع عليه الناس ابيضهم واسودهم فينكرون عليه حتى يلجئوه إلى حرم الله فإذا اشتد البلاء عليه وقتل المنتصر خرج السفاح إلى الدنيا غضبا للمنتصر فيقتل كل عدولنا وهل تدري من المنتصر والسفاح باجابر المنتصر الحسين بن علي (ع) والسفاح علي بن ابي طالب (ع) وفي الكافي والبصائر عن الباقر (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) لقد اعطيت الست علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب واني لصاحب كرات ودولة الدول واني لصاحب العصى والميسم والدابة التي تكلم الناس وفي الكافي والتهذيب عن الصادق (ع) قال والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء ويرد الحق إلى اهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه وروى الكليني والقمي في تفسيره عن الصادق (ع) في قوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه) إنما عني الحسن والحسين عليهما السلام ثم عطف على الحسين فقال (حملته امه كرها ووضعته كرها) وذلك ان الله اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبشره بالحسين قبل حمله وان الإمامة تكون في ولده الى يوم القيامة ثم اخبره بما يصيبه من

القتل والمصيبة في نفسه وولده ثم عوضه بأن جعل الإمامة في عقبه وأعلمه انه يقتل ثم يرده إلى الدنيا وينصره حتى يقتل أعداءه ويملكه الأرض وهو قوله تعالى (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور (الآية) فبشر الله نبيه ان اهل بيتك يملكون الأرض ويرجعون اليها ويقتلون اعداءهم (الخبر) وروي عن السيد الجليل بهاء الدين علي بن عبد الحميد في كتابه الأنوار المضيئة باسناده عن الصادق (ع) انه سئل عن الرجعة أحق هي قال نعم فقيل له من أول من يخرج قال الحسين يخرج على اثر القائم قلت ومعه الناس كلهم قال لا بل كما ذكر الله تعالى في كتابه (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً) قوم بعد قوم وعنه (ع) قال ويقبل الحسين (ع) في اصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبيا كما بعثوا مع موسى بن عمران فيدفع اليه القائم الخاتم فيكون الحسين هو الذي يلي غسله و كفنه وحنوطه و يواريه في حفرته وعن الصادق (ع) انه قال حين سئل عن اليوم الذي ذكر الله مقداره في القرآن (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) وهي كرة رسول الله فيكون ملكه في كرته خمسين الف سنة ويملك امير المؤمنين في كرته أربعة واربعين الف سنة وعن الفضل بن شاذان عن الباقر (ع) قال إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث الله تعالى من ظهر الكوفة سبعين الف صديق فيكونون في اصحابه وانصاره وروى ابن قولويه في الكامل باسناده عن بريد العجلي قال قلت لأبي عبد الله يا ابن رسول الله أخبرني عن اسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) أكان اسماعيل بن ابراهيم فإن الناس يزعمون انه اسماعيل بن ابراهيم فقال (ع) ان اسماعيل مات قبل ابراهيم وان ابراهيم كان حجة لله قائما صاحب شريعة فإلى من أرسل اسماعيل إذاً قلت فمن كان جعلت فداك قال ذاك اسماعيل بن حزقيل النبي بعثه الله الى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا فرخة وجهه فغضب الله له عليهم فوجه اليه سطاطائيل ملك العذاب فقال له يا اسماعيل انا سطاطائيل ملك العذاب وجهني رب العزة اليك لأعذب قومك بأنواع العذاب ان شئت فقال له اسماعيل لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل فأوحى الله اليه فما حاجتك يا اسماعيل فقال اسماعيل يا رب انك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خلقك بما تفعل أمته بالحسين بن علي (ع) من بعد نبيها وانك وعدت الحسين ان تكره الى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به فحاجتي اليك ان تكرني

إلى الدنيا حتى انتقم ممن فعل ذلك بي ما فعل كما تكرّ الحسين فوعد الله اسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكرّ مع الحسين بن علي (ع) وروي ايضا عن حريز قال قلت لأبي عبد الله جعلت فداك ما أقل بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق اليكم فقال ان لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج اليه ان يعمل في مدته فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف ان أجله قد حضر وأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينعى اليه نفسه وأخبره بما له عند الله وان الحسين (ع) قرأ صحيفته التي اعطيها وفسر له ما يأتي وما يبقى وبقي منها أشياء لم تنقض فخرج إلى القتال وكانت تلك الأمور التي بقيت ان الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لهم فمكثت تستعد للقتال وتتأهب لذلك حتى قتل فنزلت وقد انقطعت مدته وقتل فقالت الملائكة يارب أذنت لنا في الانحدار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته فأوحى الله تبارك وتعالى اليهم أن الزموا قبته حتى ترونه قد خرج فانصروه وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته وانكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه فبكت الملائكة تقرباً وجزعا على ما فاتهم من نصرته فإذا خرج (ع) يكونون أنصاره وفي تفسير فرات بن ابراهيم ومناقب شاذان بن جبرائيل وتفسير محمد بن العباس ابن مهيار بأسانيدهم عن الصادق (ع) في قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال الراجفة الحسين بن علي والرادفة علي بن ابي طالب (ع) وأول من ينفض عن رأسه التراب الحسين ابن علي (ع) في خمسة وسبعين الفا وهو قوله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وروي في منتخب البصائر عن كتاب التنزيل والتحريف باسناده عن عبد الله بن نجيح اليماني قال قلت لأبي عبد الله (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال النعيم الذي انعم الله عليكم بمحمد وآل محمد وفي قوله تعالى (لو تعلمون علم اليقين) قال المعاينة وفي قوله تعالى (كلا سوف تعلمون) قال مرة بالكرة وأخرى يوم القيامة وروى الحسن بن سليمان في منتخب البصائر عن امير المؤمنين (ع) انه قيل له فما ذو القرنين قال (ع) رجل بعثه الله إلى قومه فكذبوه وضربوه على قرنه فمات ثم احياه الله ثم بعثه إلى قومه فكذبوه وضربوه على قرنه الآخر فمات ثم احياه الله فهو ذو القرنين لأنه ضربت قرناه وفيكم مثله يريد نفسه وروي أيضا عن كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله تأليف ابي عبد الله محمد بن العباس باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال سألته عن قول الله عز وجل (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها

خاضعين) قال تخضع لها رقاب بني أمية قال وذلك علي بن ابي طالب (ع) يبرز عند زوال الشمس على رؤوس الناس ساعة حتى يبرز وجهه ويعرف الناس حسبه ونسبه ثم قال اما ان بني امية ليخبين الرجل منهم إلى جنب شجرة فتقول هذا رجل من بني أمية فاقتلوه وعن الصادق (ع) في قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) ان العذاب الأدنى في الرجعة وروي عن كتاب البشارة للسيد علي بن طاوس قال وجدت في كتاب تأليف جعفر بن محمد بن مالك الكوفي باسناده إلى حمران قال عمر الدنيا مائة الف سنة لسائر الناس عشرون الف سنة وثمانون الف سنة لآل محمد قال السيد واعتقد انني وجدت في كتاب طهر بن عبد الله أبسط من هذه الرواية وفي كامل الزيارة عن المفضل عن الصادق (ع) قال كأني بسرير من نور قد وضع وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجوهر وكأني بالحسين جالس على ذلك السرير وحوله تسعون الف قبة خضراء وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه فيقول الله عز وجل لهم أوليائي سلوني : فطالما اوذيتم وذللتم واضطهدتم فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم فيكون اكلهم وشربهم من الجنة فهذه والله الكرامة والظاهر ان هذا في الرجعة لا في الآخرة لأن حوائج الدنيا لا تسأل في الآخرة وروى الطبرسي في الاحتجاج فيما خرج من الناحية المقدسة الى الحميري زيارة فيها اشهد انكم حجة الله انتم الأول والآخر وان رجعتكم حق لا شك فيها (يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيراً) وفي تفسير النعماني فيما رواه عن امير المؤمنين (ع) قال واما الرد على من انكر الرجعة فقول الله عز وجل (ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي الى الدنيا فأما معنى حشر الآخرة فقوله تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) وقوله سبحانه (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) في الرجعة فأما في القيامة فهم يرجعون ومثله قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وهذا لا يكون الا في الرجعة ومثله ما خاطب الله به الأئمة ووعدهم من النصر والانتقام من اعدائهم فقال سبحانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات إلى قوله لا يشركون بي شيئا) وهذا انما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا ومثله قوله تعالى (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقوله سبحانه (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي رجعة الدنيا ومثله قوله

تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) وقوله عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) فردهم الله تعالى بعد الموت الى الدنيا وشربوا ونكحوا ومثله خبر عزير وفي مناقب ابن شهراشوب عن الباقر (ع) في شرح قول امير المؤمنين على يدي تقوم الساعة قال يعني الرجعة قبل القيامة ينصر الله بي وبذريتي المؤمنين وعن الصدوق في كتاب صفات الشيعة عن الصادق «ع» قال من أقر بسبعة اشياء فهو مؤمن وذكر منها الايمان بالرجعة وعن الرضا «ع» قال من أقر بتوحيد الله وساق الكلام إلى ان قال واقر بالرجعة والمتعتين وآمن بالمعراج والمسآلة في القبر والحوض والشفاعة وخلق الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والنشور والجزاء والحساب فهو مؤمن حقا وهو من شيعتنا أهل البيت وروى الشيخ حسن بن سليمان في منتخب البصائر باسناد معتبر وغيره عن المفضل بن عمر عن الصادق «ع» في حديث طويل في ظهور القائم وكيفيته وعلاماته وفيه قال المفضل يا سيدي فمن اين يظهر وكيف يظهر قال «ع» يا مفضل يظهر وحده ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجن عليه الليل وحده فإذا نامت العيون وغسق الليل نزل اليه جبرئيل وميكائيل والملائكة صفوفا فيقول له جبرئيل يا سيدي قولك مقبول وامرك جائز فيمسح يده على وجهه ويقول (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين) ويقف بين الركن والمقام فيصرخ صرخة فيقول يامعاشر نقبائي وأهل خاصتي ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض اءتوني طائعين فترد صيحته «ع» عليهم وهم في محاريبهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها فيسمعونه كصيحة واحدة في اذن رجل واحد فيجيبون نحوها ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام فيأمر الله عز وجل النور فيصير عمودا من الأرض إلى السماء فيستضيء به كل مؤمن على وجه الأرض ويدخل عليه نور من جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور وهم لا يعلمون بظهور قائمنا اهل البيت ثم يصبحون وقوفا بين يديه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بعدة اصحاب رسول الله يوم بدر قال المفضل يا مولاي يا سيدي فالاثنان وسبعون رجلا الذين قتلوا مع الحسين بن علي «ع» يظهرون معهم قال «ع» يظهر منهم ابو عبدالله الحسين في اثني عشر الفا مؤمنين من شيعة علي وعليه عمامة سوداء ثم قال ويسند القائم ظهره الى الحرم ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء ويقول هذه يد الله وعن الله وبأمر الله ثم يتلو هذه الآية

(ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه الآية) فيكون أول من يقبل يده جبرائيل ثم يبايعه وتبايعه الملائكة ونجباء الجن ثم النقباء ويصبح الناس بمكة فيقولون من هذا الرجل الذي بجانب الكعبة وما هذا الخلق الذي معه وما هذه الآية التي رأيناها الليلة ولم نر مثلها فيقول بعضهم لبعض هذا الرجل هو صاحب العنيزات فيقول بعضهم لبعض انظروا هل تعرفون أحدا ممن معه فيقولون لا نعرف احداً منهم إلا أربعة من أهل مكة وهم فلان وفلان ويعدونهم بأسمائهم ويكون هذا اول طلوع الشمس في ذلك اليوم فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين هذا مهدي آل محمد ويسميه باسم جده رسول الله ويكنيه وينسبه إلى ابيه الحسن الحادي عشر بايعوه تهتدوا ولا تخالفوا أمره فتضلوا قال فأول من يقبل يده الملائكة ثم الجن ثم النقباء ويقولون سمعنا واطعنا ولا يبقى ذو اذن من الخلائق إلا سمع ذلك النداء وتقبل الخلائق من البدو والحضر والبر والبحر يحدث بعضهم بعضا ويستفهم بعضهم بعضا ما سمعوا بآذانهم فإذا دنت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغربها يا معشر الخلائق قد ظهر ربكم بوادي اليابس من ارض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة الاموي من ولد يزيد بن معاوية (لع) فبايعوه تهتدوا ولا تخالفوا عليه فتضلوا فيرد عليه الملائكة والجن والنقباء قوله فيكذبونه ويقولون له سمعنا وعصينا ولا يبقى ذو شك ولا مرتاب ولا منافق ولا كافر إلا ضل بالنداء الأخير وسيدنا القائم مسند ظهره الى الكعبة ويقول يا معشر الخلائق ألا من أراد ان ينظر الى آدم وشيث فها انا ذا آدم وشيث ألا ومن أراد ان ينظر الى نوح وولده سام فها انا ذا نوح وسام ألا ومن أراد ان ينظر الى ابراهيم واسماعيل فها انا ذا ابراهيم واسماعيل ألا ومن اراد ان ينظر الى موسى ويوشع فها انا ذا موسى ويوشع الا ومن اراد ان ينظر الى عيسى وشمعون فها انا ذا عيسى وشمعون الا ومن اراد ان ينظر الى محمد واامير المؤمنين فها انا ذا محمد واامير المؤمنين الا ومن اراد ان ينظر الى الحسن والحسين فها انا ذا الحسن والحسين الا ومن اراد ان ينظر الى الأئمة من ولد الحسين فها انا ذا الأئمة واجيبوا الى مسألتي فأنا انبئكم بما نبئتم به وما لم تنبأوا به ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني ثم يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله على آدم وشيث وتقول امة آدم وشيث هبة الله هذه والله هي الصحف حقا ولقد أرانا ما لم نكن نعلمه فيها وما كان خفي علينا وما كان أسقط منها وبدل وحرف ثم يقرأ صحف نوح وصحف ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور فيقول

اهل التوراة والانجيل والزبور هذه والله صحف نوح وابراهيم حقاوما اسقط منهاوبدل وحرف منها هذه والله التوراة الجامعة والزبور التام والانجيل الكامل وانها اضعاف ما قرأنا منها ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون هذا والله القرآن حقا الذي انزله الله على محمد وما اسقط منه وحرف وبدل ثم تظهر الدابة بين الركن والمقام فتكتب في وجه المؤمن مؤمن وفي وجه الكافر كافر ثم يقبل على القائم رجل وجهه إلى قفاه وقفاه إلى صدره ويقف بين يديه فيقول يا سيدي أنا بشير امرني ملك من الملائكة ان ألحق بك وابشرك بهلاك جيش السفياني بالبيداء فيقول له القائم بين قصتك وقصة اخيك فيقول الرجل كنت أنا واخي في جيش السفياني وخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جماء وخربنا الكوفة وخربنا المدينةو كسرنا المنبروراثت بغالنا في مسجد رسول الله وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائة الف رجل نريد اخراب البيت وقتل أهله فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يابيداء أبيدي القوم الظالمين فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى فقال لأخي ويلك يا نذير امضي إلى الملعون السفياني بدمشق فانذره بظهور المهدي من آل محمد وعرفه ان الله قداهلك جيشه بالبيداء وقال لي يا بشير الحق بالمهدي من مكة وبشره بهلاك الظالمين وتب على يده فانه يقبل توبتك فيمر القائم يده على وجهه فيرده سويا كما كان ويبايعه ويكون معه قال المفضل ياسيدي وتظهر الملائكة والجن للناس قال اي والله يا مفضل ويخاطبونه كما يكون الرجل مع حاشيته واهله قلت يا سيدي ويسيرون معه قال اي والله يا مفضل وليتزلن أرض الهجرة مابين الكوفة والنجف وعدد اصحابه (ع) ست واربعون الفا من الملائكة وستة آلاف من الجن وفي رواية أخرى ومثلها من الجن بهم ينصره الله ويفتح على يديه قال المفضل فما يصنع بأهل مكة قال يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة فيطيعونه ويستخلف فيهم رجلا من اهل بيته ويخرج ويريد المدينة قال المفضل يا سيدي فما يصنع بالبيت قال ينقضه فلا يدع منه الا القواعد التي هي اول بيت وضع للناس ببكة في عهد آدم والذي رفعه ابراهيم واسماعيل منها وان الذي بني بعدهما لم يبنه نبي ولا وصي ثم يبنيه كما يشاء الله وليعفين آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم وليهدمن مسجد الكوفة وليبنينه على بنيانه الأول وليهدمن القصر العتيق ملعون ملعون من بناه قال المفضل يا سيدي يقيم بمكة قال لا يا مفضل بل يستخلف فيها رجلا من اهلها فاذا

سار منها وثبوا عليه فيقتلونه فيرجع اليهم فيأتونه مهطعين مقنعي رؤوسهم يبكون ويتضرعون ويقولون يا مهدي آل محمد التوبة التوبة فيعظهم ويذكرهم ويحذرهم ويستخلف عليهم منهم خليفة ويسير فيثبون عليه بعده فيقتلونه فيرد اليهم انصاره من الجن والنقباء ويقول لهم ارجعوا فلا تبقوا منهم بشرا إلا من آمن فلولا ان رحمة ربكم وسعت كل شيء وانا تلك الرحمة فرجعت اليهم معكم فقد قطعوا الاعذار بينهم وبين الله وبيني فيرجعون اليهم فوالله لا يسلم من المئة منهم واحد لا والله ولا من الالف واحد قال المفضل يا سيدي فأين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين قال دار ملكه الكوفة ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقتسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين قال المفضل يا مولاي كل المؤمنين يكونون بالكوفة قال اي والله لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها ولبلغن مربط شاة (مجالة فرس خ ل) منها الفي درهم اي والله وليودن أكثر الناس إنه اشترى شبراً من أرض السبع بشبر من ذهب والسبع خطة من خطط همدان ولتصيرن الكوفة أربع وخمسين ميلا وليجاورن قصورها كربلا وليصيرن الله كربلا معقلا ومقاما تختلف فيه الملائكة والمؤمنون وليكونن لها شأن من الشأن وليكونن فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربه بدعوة لأعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا الف مرة ثم تنفس ابو عبد الله وقال يا مفضل ان بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلا فأوحى الله اليها ان اسكني كعبة ولا تفتخري على كربلا فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة وإنها الربوة التي آوت اليها مريم والمسيح وفيها غسلت مريم عيسى واغتسلت من ولادتها وإنها خير بقعة عرج منها رسول الله وقت غيبته وليكونن لشيعتنا فيها خيرة إلى ظهور قائمنا قال المفضل يا سيدي ثم يسير المهدي الى أين قال الى مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيها سرور المؤمنين وخزي الكافرين قال المفضل يا سيدي ما هو ذاك قال يرد الى قبر جده فيقول يا معشر الخلائق هذا قبر جدي رسول الله فيقولون نعم يا مهدي آل محمد فيقول ومن معه في القبر فيقولون صاحباه وضجيعاه ابو بكر وعمر فيقول وهو اعلم بها والخلائق كلهم جميعا يسمعون من ابوبكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلائق مع جدي رسول الله وعسى المدفون غيرهما فيقول الناس يا مهدي آل محمد ما هنا غيرهما انهما دفنا معه لأنهما خليفتا رسول الله وابوا زوجتيه فيقول هل فيكم من يعرفهما فيقولون نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدك غيرهما فيقول هل فيكم أحد يقول غير هذا ويشك فيهما فيقولون لا (إلى أن قال «ع»)

ثم يسير المهدي إلى الكوفة وينزل ما بين الكوفة والنجف وعنده اصحابه في ذلك اليوم ستة واربعون الفا من الملائكة ومثلها من الجن والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قال المفضل ياسيدي كيف تكون دار الفاسقين الزوراء في ذلك الوقت قال في لعنة الله وسخطه تخربها الفتن وتتركها جماء والويل لها ولمن بها كل الويل من الرايات الصفر ورايات المغرب ومن كلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير اليها من كل قريب أو بعيد والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أول الدهر إلى آخره ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف فالويل لمن اتخذ بها مسكنا فإن المقيم بها يبقى بشقائه والخارج منها برحمة الله والله ليبقى من اهلها في الدنيا حتى يقال انها هي الدنيا وان دورها وقصورها هي الجنة وان بناتها هن الحور العين وان ولدانها هم الولدان وليظنن ان الله لم يقسم رزق العباد إلا بها وليظهرن فيها من الافتراء على الله وعلى رسوله والحكم بغير كتابه ومن شهادات الزور وشرب الخمور والفجور واكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها الا دونه ثم ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات حتى ليمر عليها المار فيقول ههنا كانت الزوراء ثم يخرج الحسني الفتى الصبيح الذي نحو الديلم يصيح بصوت له فيصيح بآل احمد اجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوز وأي كنوز ليست من فضة ولا ذهب بل هي رجال كزبر الحديد على البراذين الشهب بأيديهم الحراب ولم يزل يقتل للظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفا اكثر الأرض فيجعلها له معقلا فيتصل به وبأصحابه خبر المهدي ويقولون يا ابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا فيقول اخرجوا بنا اليه حتى ننظر من هو وما يريد وهو والله يعلم انه المهدي وانه ليعرفه ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرف أصحابه من هو فيخرج الحسني فيقول ان كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل وعمامته السحاب وفرسه اليربوع وناقته العضباء وبغلته الدلدل وحماره اليعفور ونجيبه البراق وصحف امير المؤمنين فيخرج له ذلك ثم يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد فتورق ولم يرد بذلك إلا ان يري اصحابه فضل المهدي حتى يبايعونه فيقول الحسني الله اكبر مد يدك يا ابن رسول الله حتى نبايعك فيمد يده فيبايعه وتبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني إلا أربعين الفا أصحاب المصاحف المعروفين بالزيدية فانهم يقولون ما هذا إلا سحر عظيم فيختلط العسكران فيقبل المهدي على الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعوهم ثلاثة

أيام فلا يزدادون إلا طغيانا و كفراً فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعا ثم يقول لأصحابه لا تأخذوا المصاحف ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها وحرفوها ولم يعملوا بما فيها قال المفضل يا مولاي ثم ماذا يصنع المهدي قال يثور سرايا على السفياني إلى دمشق فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة ثم يظهر الحسين في اثني عشر الف صديق واثنين وسبعين رجلا من اصحابه يوم كربلاء فيا لك عندها من كرة زهراء بيضاء ثم يخرج السيد الصديق الأكبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وينصب له القبة في النجف ويقام أركانها ركن بالنجف وركن بهجر وركن بصنعاء وركن بأرض طيبة لكأني انظر إلى مصابيحها تشرق في السماء والأرض كأضوء من الشمس والقمر فعندها (تبلى السرائر وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم يخرج السيد الاكبر محمد رسول الله في انصاره والمهاجرين ومن آمن به وصدقه واستشهد معه ويحضر مكذبوه والشاكون فيه والرادون عليه والقائلون فيه انه ساحر وكاهن ومجنون وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله حتى يقتص منهم بالحق ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهر رسول الله إلى ظهور المهدي مع امام امام ووقت وقت ويحق تأويل هذه الآية (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) فقال المفضل ياسيدي ومن فرعون وهامان قال . . . . . قال المفضل قلت يا سيدي ورسول الله وامير المؤمنين يكونان معه قال لابد ان يطأ الأرض اي والله حتى ما وراء الحاف اي جبل قاف اي والله وما في الظلمات وما في قعر البحار حتى لا يبقى موضع قدم إلا وطأه واقاما فيه الدين الواجب لله تعالى ثم لكأني انظر يا مفضل الينا معاشر الأئمة بين يدي رسول الله نشكو اليه ما نزل بنا من الأمة بعده وما نالنا من التكذيب والرد علينا وسبنا ولعننا وتخويفنا بالقتل وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم من دون الأئمة بترحيلنا عن الحرمة اي المدينة المحترمة الى دار ملكهم وقتلهم ايانا بالسم والحبس فيبكي رسول الله ويقول يا بني ما نزل بكم إلا ما نزل بجدكم قبلكم ثم تبتدئ فاطمة وتشكو ما نالها من . . . . . وأخذ فدك منها ومشيها اليه في مجمع من المهاجرين والأنصار وخطابها له في امر فدك وما رد عليها من قوله ان الأنبياء لا تورث واحتجاجها بقول زكريا ويحيى وقصة داود وسليمان وقول الرجل هاتي صحيفتك التي ذكرت ان اباك كتبها لك واخراجها الصحيفة

واخذه ايلها منها ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب وتظلمها فيها وتمزيقه اياها وبكاءها ورجوعها إلى قبر ابيها رسول الله باكية حزينة تمشي على الرمضاء قد اقلقتها واستغاثتها بالله وبأبيها رسول الله وتمثلها بقول رقية بنت صفي

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم فقد لعبوا
ابدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لما نأيت وحالت دونك الترب
وكل قوم لهم قربى ومنزلة ... عند الإله على الادنين مقترب

وتقص عليه ما اصابها بعده من بعض المنافقين على ما هو مذكور في بعض الاحاديث من انها همت بكشف خمارها والدعاء عليهم حتى خرج اليها امير المؤمنين من داخل الدار محمر العين حاسرا والقى ملاءته عليها وضمها إلى صدره وقوله لها يا بنت رسول الله قد علمت ان اباك بعثه الله رحمة للعالمين فالله الله ان تكشفي خمارك وترفعي ناصيتك فوالله يا فاطمة لئن فعلت ذلك لا ابقى الله على وجه الأرض من يشهد ان محمداً رسول الله ولا موسى ولا عيسى ولا ابراهيم ولا نوح ولا آدم ولا دابة تمشي على الأرض ولا طائر في السماء إلا أهلكه الله ثم قال (ع) ويشكو اليه امير المؤمنين حمله لفاطمة في سواد الليل والحسن والحسين وزينب وام كلثوم إلى دار المهاجرين والأنصار يذكرهم بالله ورسوله وعهده الذي بايعوا الله ورسوله وبايعوه عليه في أربعة مواطن في حياة رسول الله وتسليمهم عليه بامرة المؤمنين في جميعها فكل يعده بالنصر في يومه المقبل فإذا أصبح قعد جميعهم عنه ثم يشكو اليه امير المؤمنين المحن العظيمة التي امتحن بها بعده وقوله لقد كانت قصتي مثل قصة هارون مع بني اسرائيل وقولي كقوله لموسى (يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) فصبرت محتسبا وسلمت راضيا وكانت الحجة عليهم في خلافي ونقضهم عهدي الذي عاهدتهم عليه يا رسول الله ما لم يحتمل وصي نبي من سائر الاوصياء من سائر الأمم حتى قتلوني بضربة عبد الرحمن بن ملجم (لع) إلى ان قال ويقوم الحسن إلى جده فيقول يا جداه بلغ اللعين معاوية قتل ابي فأنفذ الدعي اللعين زياداً إلى الكوفة في مائة الف وخمسين الف مقاتل فأمر بالقبض علي وعلى أخي الحسين وسائر اخوتي وأهل بيتي وشيعتنا وموالينا وان يأخذ علينا البيعة لمعاوية فمن يأبى منا ضرب عنقه وسير إلى معاوية رأسه

فلما علمت ذلك من فعل معاوية خرجت من داري فدخلت جامع الكوفة للصلاة ورقأت المنبر فاجتمع الناس فحمدت الله واثنيت عليه وذكرت ما فيه الوعظ والنصيحة والحث على الجهاد قال (ع) فكأنما ألجموا بلجام الصمت عن اجابة الدعوة إلا عشرون رجلا إلى ان قال (ع) ثم رفعت رأسي نحو السماء فقلت اللهم اني قد دعوت وانذرت وامرت ونهيت وكانوا عن اجابة الدعاء غافلين وعن نصرته قاعدين وعن طاعته مقصرين ولأعدائه ناصرين اللهم فانزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك الذي لا يرد عن القوم الظالمين ثم خرجت من الكوفة راحلا إلى المدينه فجاؤوني يقولون معاوية اسرى سراياه إلى الانبار والكوفة وشن غاراته على المسلمين وقتل من لم يقاتله وقتل النساء والأطفال فأعلمتهم انه لا وفاء لهم فأنفذت معهم رجالا وجيوشا وعرفتهم انهم يستجيبون لمعاوية وينقضون عهدي وبيعتي فلم يكن إلا ما قلت لهم واخبرتهم ثم يقوم الحسين (ع) مخضبا بدمه هو وجميع من قتل معه فإذا رآه رسول الله بكى وبكى أهل السموات والأرض لبكائه وتصرخ فاطمة فتزلزل الأرض ومن عليها ويقف أمير المؤمنين عن يمينه وفاطمة عن شماله ويقبل الحسين فيضمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى صدره ويقول يا حسين فديتك قرت عيناك وعيناي فيك وعن يمين الحسين حمزة أسد الله في أرضه وعن شماله جعفر بن ابي طالب الطيار ويأتي محسن تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد ام أمير المؤمنين وهن صارخات وأمه فاطمة تقول (هذا يومكم الذي كنتم توعدون اليوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا) قال فبكى الصادق (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع ثم قال لا قرت عين لا تبكي عند هذا الذكر قال وبكى المفضل بكاء طويلا ثم قال يا مولاي ما في الدموع فقال ما لا يحصى اذا كان من محق ثم قال المفضل يا مولاي ما تقول في قوله تعالى (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت) قال يا مفضل والموؤدة والله محسن لأنه منا لا غير فمن قال غير هذا فكذبوه قال المفضل ثم ماذا قال الصادق (ع) تقوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقول اللهم انجز وعدك وموعدك لي فيمن ظلمني وغصبني وضربني واحزنني بكل اولادي فتبكيها ملائكة السموات السبع وحملة العرش وسكان الهواء ومن في الدنيا ومن تحت اطباق الثرى صائحين صارخين إلى الله تعالى فلا يبقى احد ممن قاتلنا وظلمنا ورضي بما جرى علينا إلا قتل في ذلك اليوم الف قتلة إلى ان قال قال المفضل يا مولاي فإن من شيعتكم من لا يقول برجعتكم فقال اما سمعوا قول جدنا رسول الله ونحن سائر الأئمة

نقول وقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قال الصادق (ع) العذاب الأدنى عذاب الرجعة ثم قال الصادق (ع) مقصورة شيعتنا تقول معنى الرجعة ان يرد الله الينا ملك الدنيا وان يجعله للمهدي ويحهم متى سلبنا الملك يعني ملك النبوة والإمامة والوصاية حتى يرد علينا يا مفضل لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكوا في فضلنا أما سمعوا قوله تعالى (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الآية والله يا مفضل ان تنزيل هذه الآية في بني اسرائيل وتأويلها فينا وان فرعون وهامان تيم وعدي ثم قال (ع) ثم يقوم جدي علي بن الحسين وابي الباقر (ع) فيشكون إلى جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل بهما ثم أقوم انا فأشكو إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل المنصور بي ثم يقوم ابني موسى فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به الرشيد ثم يقوم علي بن موسى فيشكو الى جده رسول الله ما فعل به المأمون ثم يقوم محمد ابن علي فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المأمون ثم يقوم علي بن محمد فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المتوكل ثم يقوم الحسن بن علي فيشكو إلى جده رسول الله ما فعل به المعتز ثم يقوم المهدي سمي جدي رسول الله وعليه قميص رسول الله مضرجا بدم رسول الله يوم شج جبينه وكسرت رباعيته والملائكة تحفه حتى يقف بين يدي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول يا جداه وصفتني ودللت علي ونسبتني وسميتني وكنيتني فجحدتني الأمة وتمردت وقالت ما ولد ولا كان واين هو ومتى كان واين يكون وقد مات ولم يعقب ولو كان صحيحا ما أخره الله إلى هذا الوقت المعلوم فصبرت محتسبا وقد اذن الله لي فيها باذنه يا جداه فيقول رسول الله (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين) ويقول جاء نصر الله والفتح وحق قول الله سبحانه وتعالى (وهو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ويقرأ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) فقال المفضل يا مولاي أي ذنب كان لرسول الله فقال الصادق يا مفضل ان رسول الله قال اللهم احملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الاوصياء ما تقدم منها وما تأخر إلى يوم القيامة ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا فحمله الله إياها وغفر جميعها قال المفضل فبكيت بكاء طويلا وقلت يا سيدي هذا بفضل الله علينا فيكم قال الصادق (ع) يا مفضل ماهو الا أنت وأمثالك بلى يا مفضل لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنا فيتكلون على هذا

الفضل ويتركون العمل فلا نغني عنهم من الله شيئا لأنا كما قال الله تبارك وتعالى فينا (لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال المفضل يا مولاي فقوله ليظهره على الدين كله ما كان رسول الله ظهر على الدين كله قال يا مفضل لو كان رسول الله ظهر على الدين كله ما كانت مجوسية ولا يهودية ولا صابئة ولا نصرانية ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة اصنام ولا أوثان ولا اللات ولا العزى ولا عبدة الشمس والقمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة وانما قوله ليظهره على الدين كله في هذا اليوم وهذا المهدي وهذه الرجعة وهو قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ثم قال الصادق (ع) ثم يعود المهدي إلى الكوفة وتمطر السماء بها جرادا من ذهب كما امطره الله لبني اسرائيل على ايوب ويقسم على اصحابه كنوز الأرض من تبرها ولجينها وجوهرها قال المفضل يا مولاي من مات من شيعتكم وعليه دين لاخوانه ولأضداده كيف يكون قال الصادق (ع) أول ما يبتدئ المهدي ان ينادي في جميع العالم ألا من له عند احد من شيعتنا دين فليذكره حتى الثومة والخردلة فضلا عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والاملاك فيوفيه اياه الحديث وهو طويل ذكرنا منه موضع الحاجة

﴿ ختام واتمام وفيه تشييد مرام ﴾

قال امين الدين الطبرسي (ره) في تفسيره عند قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) اي يدفعون وقيل يحبس أولهم على آخرهم واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال دخول من في الكلام يوجب التبعيض فدل ذلك على ان اليوم المشار اليه يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد بأن الله سيعيد عند قيام القائم قوما ممن تقدم موتهم من اوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على ايدي شيعته وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ولا يمتري عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرناه في موضعه وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله سيكون في أمتي كما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتموه

على ان جماعة من العلماء تأولوا ما ورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الاشخاص لما ظنوا ان الرجعة تنافي التكليف وليس كذلك لأنه ليس فيها مايلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعبانا وما اشبه ذلك ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها وانما المعول في ذلك على اجماع الشيعة الإمامية وان كانت الأخبار تعضده وتؤيده انتهى

وقال رئيس المحدثين الصدوق (ره) في عقائد الإمامية اعتقادنا في الرجعة انها حق وقد قال الله عز وجل (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) كان هؤلاء سبعين الف بيت وكان يقع فيهم الطاعون كل سنة فيخرج الاغنياء لقوتهم ويبقى الفقراء لضعفهم فيقل الطاعون في الذين يخرجون ويكثر في الذين يقيمون فيقول الذين يقيمون لو خرجنا لما اصابنا الطاعون ويقول الذين خرجوا لو اقمنا لأصابنا كما اصابهم فأجمعوا على ان يخرجوا جميعا من ديارهم إذا كان وقت الطاعون فخرجوا بأجمعهم فنزلوا على شط بحر فلما وضعوا رحالهم ناداهم الله موتوا فماتوا جميعا فكنستهم المارة عن الطريق فبقوا بذلك ما شاء الله تعالى ثم مرّ بهم نبي من انبياء بني اسرائيل يقال له ارميا فقال لو شئت يارب لأحييتهم فيعمروا بلادك ويلدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك فأوحى الله تعالى اليه افتحب ان أحييهم لك قال فأحياهم الله وبعثهم معه فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا ثم ماتوا بآجالهم وقال الله عز وجل (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير) فهذا مات مئة سنة ورجع الى الدنيا وبقي فيها ثم مات بأجله وهو عزير وقال الله تعالى في قصه المختارين من قوم موسى لميقات ربه (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) ذلك لما سمعوا كلام الله قالوا لانصدق حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا فقال موسى ما أقول لبني اسرائيل إذا رجعت اليهم فأحياهم الله فرجعوا الى الدنيا فأكلوا وشربوا ونكحوا النساء وولد لهم الاولاد ثم ماتوا بآجالهم وقال الله عز وجل لعيسى (وإذ تحيي الموتى باذني) وجميع الموتى الذين أحياهم عيسى باذن الله

تعالى رجعوا إلى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا بآجالهم وأصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا ليسألوا بينهم وقصتهم معروفة فإن قال قائل ان الله عز وجل قال (وتحسبهم ايقاظا وهم رقود) قيل له فانهم كانوا موتى وقد قال الله عز وجل (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) وان قالوا كذلك فإنهم كانوا موتى ومثل هذا كثير ان الرجعة كانت في الأمم السالفة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون في هذه الأمة مثل ما يكون في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فيجب على هذا الأصل ان يكون في هذه الأمة رجعة وقد نقل مخالفونا انه إذا خرج المهدي نزل عيسى بن مريم (ع) فصلى خلفه ونزوله الى الارض رجوعه إلى الدنيا بعد موته لأن الله تعالى قال (اني متوفيك ورافعك إلي) وقال عز وجل (فحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا) فاليوم الذي يحشر فيه الجميع غير اليوم الذي يحشر فيه فوج وقال الله عز وجل (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يعني في الرجعة وذلك انه يقول (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) والتبيين يكون في الدنيا لا في الآخرة وسأجرد في الرجعة كتابا ابين فيه كيفيتها والدلالة على صحة كونها إن شاء الله والقول بالتناسخ باطل ومن دان بالتناسخ فهو كافر لأن في التناسخ ابطال الجنة والنار

وقال الشيخ المفيد (ره) في اجوبة المسائل العكبرية حين سئل عن قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) وأجاب بوجوه فقال وقد قالت الإمامية إن الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم والكرة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة وروي في كتاب الفصول عن الحرث بن عبد الله الربعي قال كنت جالسا في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوار القاضي عنده والسيد الحميري ينشده

إن الاله الذي لا شيء يشبهه ... آتاكم الملك للدنيا وللدين
اتاكم الله ملكا لا زوال له ... حتى يقاد اليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذ برمته ... وصاحب الترك محبوس على هون

حتى اتى على القصيدة والمنصور مسرور فقال سوار ان هذا والله يا امير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه والله ان القوم الذين يدين بحبهم لغير كم وانه لينطوي على عداوتكم فقال السيد والله انه لكاذب وانني في مدحك لصادق وانه حمله الحسد اذ رآك على هذه

الحال وان انقطاعي اليكم ومودتي لكم اهل البيت لمعرف فينا من ابوي وان هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والاسلام وقد انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في اهل بيت هذا (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون) فقال المنصور صدقت فقال سوار يا امير المؤمنين انه يقول بالرجعة ويتناول الشيخين بالسب والوقيعة فيهما فقال السيد اما قوله اني اقول بالرجعة فإني اقول بذلك على ما قال الله تعالى (ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) وقد قال في موضع آخر (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) فعلمنا أن هاهنا حشرين احدهما عام والآخر خاص وقال سبحانه (ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) وقال تعالى فأماته الله مائة عام ثم بعثه) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا) فهذا كتاب الله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يجر في بني اسرائيل إلا ويكون في امتي مثله حتى الخسف والمسخ وقال حذيفة والله ما ابعد ان يمسخ الله عز وجل كثيرا من هذه الامة قردة وخنازير فالرجعة التي اذهب اليها ما نطق به القرآن وجاءت به السنة واني لأعتقد ان الله عز وجل يرد هذا يعني سوار الى الدنيا كلبا او قردا او خنزيرا او ذرة فإنه والله متجبر متكبر كافر قال فضحك المنصور وقال (ره) في الكتاب المذكور سأل بعض المعتزلة شيخا من اصحابنا الإمامية وانا حاضر في مجلس فيه جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة فقال له إذا كان من قولك ان الله عز وجل يردُّ الأموات الى دار الدنيا قبل الآخرة عند قيام القائم ليشفي المؤمنين كما زعمتم من الكافرين وينتقم لهم منهم كما فعل بني اسرائيل فيما ذكرتموه حيث تتعللون بقوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) فخبرني ماالذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبد الرحمن بن ملجم ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ويصيروا في تلك الحال الى طاعة الإمام فيجب عليك ولا يثيبهم والقطع بالثواب لهم وهذا نقض مذاهب الشيعة فقال الشيخ المسؤول القول بالرجعة إنما قلته بطريق التوقيف وليس للنظر فيه مجال وانا لا أجيب عن هذا السؤال لأنه لا نص عندي فيه وليس يجوز لي أن أتكلف من غير جهة النص الجواب فشنع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع فقال الشيخ أيده الله فأقول انا ان عن هذا السؤال جوابين احدهما ان العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممن ذكره السائل لأنه يكون إذ ذاك

قادرا عليه ومتمكنا منه لكن السمع الوارد عن ائمة الهدى بالقطع عليهم بالخلود في النار والتدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك في حالهم واوجب القطع على سوء اختيارهم فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون ومجرى من قطع الله عزوجل على خلوده في النار ودل القطع على انهم لا يختارون ابدا الايمان ممن قال الله تعالى (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) يريد إلا أن يلجئهم الله والذين قال الله تعالى فيهم (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) ثم قال جل قائلا في تفصيلهم وهو يوجه القول إلى ابليس (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) وقوله تعالى (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) وقوله تعالى (تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب) فقطع بالنار عليه من انتقاله إلى مايوجب له الثواب وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما توهمتموه ✻ والجواب ✻ الآخر أن الله سبحانه إذا رد الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة وجروا في ذلك مجرى فرعون لما ادركه الغرق (قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قال الله سبحانه له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب اهل الإمامة وقد جاءت به آثار متظاهرة عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فروي عنهم في قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون) فقالوا إن هذه الآية هو القائم فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف انتهى ملخصا وقال في المسائل السروية بعد الاستدلال على حقيقة الرجعة بالآيات والآثار وقد قال قوم من المخالفين لنا كيف يعود كفار الملة بعد الموت إلى طغيانهم وقد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ وتيقنوا بذلك انهم مبطلون فقلت لهم ليس ذلك بأعجب من الكفار الذين يشاهدون في البرزخ ما يحل بهم من العذاب ويعلمونه ضرورة بعد الموافقة لهم والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدنيا فيقولون (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) فقال الله عزوجل (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فلم يبق للمخالف بعد هذا الاحتجاج شبهة يتعلق بها والمنة فيما ذكرناه لله

وقال السيد المرتضى (ره) في أجوبة المسائل التي وردت عليه من بلد الري حيث سألوا

عن حقيقة الرجعة لأن شذاذ الإمامية يذهبون الى ان الرجعة رجوع دولتهم في ايام القائم من دون رجوع اجسامهم

﴿ الجواب ﴾ اعلم ان الذي تذهب اليه الشيعة الإمامية ان الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم فيلتذوا بما يشاهدونه من ظهور الحق وعلو كلمة اهله والدلالة على صحة هذا المذهب ان الذي ذهبوا اليه مما لا شبهة على عاقل في انه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه فإنا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة انكار من يراها مستحيلة غير مقدورة واذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق الى اثباتها اجماع الإمامية على وقوعها فإنهم لا يختلفون في ذلك واجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا انه حجة لدخول قول الإمام فيه وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بد فيه من كونه صوابا وقد بينا أن الرجعة لا تنافي التكليف وأن الدواعي مترددة معها حين لا يظن ظان ان تكليف من يعاد باطل وذكرنا ان التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة فكذلك مع الرجعة لأنه ليس في جميع ذلك ملجئ الى فعل الواجب والامتناع من فعل القبيح فأما من تأول الرجعة في اصحابنا على ان معناها رجوع الدولة والامر والنهي من دون رجوع الاشخاص واحياء الأموات فإن قوما من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرجعة وبيان جوازها وانها تنافي التكليف عولوا على هذا التأويل للأخبار الواردة في الرجعة وهذا منهم غير صحيح لأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيطرق التأويلات عليها فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحته باخبار الآحاد التي لا توجب العلم وانما المعول في اثبات الرجعة على اجماع الإمامية على معناها بأن الله يحيي امواتا عند قيام القائم من اوليائه وأعدائه على ما بيناه فكيف يطرق التأويل على ما هو معلوم فالمعنى غير محتمل انتهى

وروى الطبرسي (ره) في الاحتجاج والنجاشي انه كانت لمؤمن الطاق مع ابي حنيفة حكايات كثيرة فمنها انه قال يوما يا ابا جعفر تقول بالرجعة فقال نعم فقال له اقرضني من كيسك هذا خمسماية دينار فإذا عدت انا وأنت رددتها اليك فقال له في الحال ازيد ضمينا يضمن لي انك تعود انسانا واني اخاف ان تعود قردا فلا اتمكن من استرجاع ما اخذت مني

وقال السيد ابن طاوس (ره) في كتاب الطرائف روى مسلم في صحيحه في اوائل الجزء

الأول باسناده الى الجراح بن مليح قال سمعت جابرا يقول عندي سبعون الف حديث عن ابي جعفر محمد الباقر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركوها كلها ثم ذكر مسلم في صحيحه باسناده إلى محمد بن عمر الرازي قال سمعت حريزا يقول لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم اكتب عنه لأنه كان يؤمن بالرجعة ثم قال انظر رحمك الله كيف حرموا انفسهم الانتفاع برواية سبعين الف حديث عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم برواية ابي جعفر الذي هو من اعيان اهل بيته الذين امرهم بالتمسك بهم ثم وان اكثر المسلمين او كلهم قد رووا احياء الاموات في الدنيا وحديث احياء الله تعالى الاموات في القبور للمسئلة وقد تقدمت رواياتهم عن اصحاب الكهف وهذا كتابهم يتضمن (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) والسبعون الذين اصابتهم الصاعقة مع موسى وحديث العزير ومن احياه عيسى بن مريم وحديث جريح الذى اجمع على صحته ايضا وحديث الذين يحييهم الله تعالى في القبور للمسئلة فأي فرق بين هؤلاء وبين ما رواه اهل البيت (ع) وشيعتهم من الرجعة واي ذنب كان لجابر في ذلك حتى يسقط حديثه

﴿ تنبيه ﴾ قد عرفت من الآيات المتظافرة والاخبار المتواترة وكلام جملة من المتقدمين والمتأخرين من شيعة الأئمة الطاهرين ان اصل الرجعة حق لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه ومنكرها خارج عن ربقة المؤمنين فانها من ضروريات مذهب الأئمة الطاهرين وليست الأخبار الواردة في الصراط والميزان ونحوهما مما يجب الاذعان به اكثر عددا وأوضح سندا واصرح دلالة وافصح مقالة من اخبار الرجعة واختلاف خصوصياتها لا يقدح في حقيقتها كوقوع الاختلاف في خصوصيات الصراط والميزان ونحوهما فيجب الايمان بأصل الرجعة اجمالا وأن بعض المؤمنين وبعض الكفار يرجعون الى الدنيا وايكال تفاصيلها اليهم (ع) والاحاديث في رجعة امير المؤمنين والحسين (ع) متواترة معنى وفي باقي الأئمة قريبة من التواتر وكيفية رجوعهم هل هو على الترتيب او غيره فكل علمها الى الله سبحانه والى اوليائه (ع)

الباب السادس

في إثبات المعاد و كيفيته ومقدماته وتوابعه من الموت إلى انقضاء أمر العالم وفيه فصول

الفصل الأول

اعلم ان المعاد يطلق على ثلاثة معاني احدها المعنى المصدري من العود وهو الرجوع الى مكان وثانيها وثالثها مكان العود وزمانه ومآل الكل واحد وهو جسماني وروحاني فالجسماني عبارة عن ان الله تعالى يعيد ابداننا بعد موتها ويرجعها الى هيئتها الأولى والروحاني عبارة عن بقاء الروح بعد مفارقة البدن سعيدة منعمة او معذبة شقية بما اكتسبته في الدنيا وهذا هو الذي قال به الفلاسفة واول الثواب والعقاب والجنة والنار بهاتين الحالتين

وقال الرازي في كتاب نهاية العقول قد عرفت ان من الناس من أثبت النفس الناطقة فلا جرم اختلفت اقوال اهل العالم في امر المعاد على وجوه اربعة (احدها) قول من قال ان المعاد ليس إلا للنفس وهذا مذهب الجمهور من الفلاسفة (وثانيها) قول من قال المعاد ليس إلا لهذا البدن وهذا قول ثقاة النفس الناطقة وهم اكثر أهل الإسلام (وثالثها) قول من أثبت المعاد للامرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع اكثر النصارى (ورابعها) قول من نفى المعاد عن الأمرين ولا اعرف عاقلا ذهب اليه بلى كان جالينوس من المتوقفين في امر المعاد وغرضنا اثبات المعاد البدني وللناس فيه قولان (احدهما) ان الله تعالى يعدم اجزاء الخلق ثم يعيدها (وثانيها) انه تعالى يميتهم ويفرق اجزاءهم ثم انه تعالى يجمعها ويرد الحياة اليها ثم قال والدليل على جواز الاعادة في الجملة انا قد دللنا فيما مضى ان الله تعالى قادر على كل الممكنات عالم بكل المعلومات من الجزئيات والكليات والعلم بهذه الأصول لا يتوقف على العلم بصحة المعاد البدني واذا كان كذلك امكن الاستدلال بالسمع على صحة المعاد لكن نعلم باضطرار اجماع الأنبياء من اولهم الى آخرهم على اثبات المعاد البدني فوجب القطع بوجود هذا المعاد

وقال العلامة (ره) في شرح الياقوت اتفق المسلمون على اعادة الأجساد خلافا للفلاسفة واعلم ان الاعادة تقال بمعنيين (احدهما جمع الأجزاء وتأليفها بعد تفرقها وانفصالها (والثاني)

ايجادها بعد اعدامها

وقال المحقق (ره) الدواني في شرح العقائد العضدية والمعاد اي الجسماني فإنه المتبادر عن اطلاق اهل الشرع إذ هو الذي يجب الاعتقاد به ويكفر من انكره حتى باجماع أهل الملل الثلاث وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة بحيث لا يقبل التأويل كقوله تعالى (أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين الى قوله بكل خلق عليم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بن خلف خاصم رسول الله ﷺ وأتاه بعظم قد رم وبلي ففته بيده وقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار وهذا مما يقلع عرق التأويل بالكلية ولذلك قال الامام الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبي وبين انكار الحشر الجسماني قلت ولا الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لأن النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية وأمكنة غير متناهية وقد ثبت تناهي الابعاد بالبرهان انتهى وكيف كان فالقول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع الملليين وهو من ضروريات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين والآيات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها والاخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها وقد نفاه اكثر ملاحدة الفلاسفة تمسكا بامتناع اعادة المعدوم ولم يقيموا دليلا على ذلك ولا برهانا شافيا هنالك بل تمسكوا تارة في مثل هذا المطلب العظيم والأمر الجسيم في مقابلة الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة المعصومية بالبداهة وتارة بشبهات واهية أوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت والعقل الصحيح والنظر الصريح يحكم بالمعاد اذ لو لم يجب المعاد والجزاء لكان التكليف عبثا اذ الايقاع في مشقة التكليف بلا أجر ولا جزاء ولا ثواب عبث بل ظلم صريح فتنتفي الحكمة وهو محال ولولا المعاد لذهبت مظالم العباد وتساوى أهل الصلاح والفساد وضاعت الدماء ولم تبق ثمرة لإرسال الانبياء ولم يحسن الوعد والوعيد والترغيب والتهديد ولساوى أفضل الأنبياء في الفضيلة اشقى الأشقياء لأن ما وقع في هذه الحياة الدنيا من الراحة والعناء والفقر والغنى والمرض والصحة ليس بجزاء بل هو امتحان وابتلاء كما قال تعالى (خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وقال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) وقال تعالى (انما اموالكم واولادكم فتنة) والكاسب للطاعات والمعاصي البدن والروح معا فيجب عودهما معا للجزاء

قال المحقق الدواني (ره) اعلم ان المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد بـه ويكفر منكره اما المعاد الروحاني أعني التذاذ النفس بعد المفارقـة وتألمها باللذات والآلام العقلية فلا يتعلق التكليف باعتقاده ولا يكفر منكره ولا منع شرعا ولا عقلا مـن اثباته قال الإمام في بعض تصانيفه اما القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معاً فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على ان سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته وان سعادة الأجساد في ادراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لأن الانسان مع استغراقه في تجلي انوار عالم القدس لا يمكنه أن يلتفت الى شيء من اللذات الجسمانية ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت الى اللذات الروحانية وإنما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وصارت قادرة على الجمع بين الامرين ولا شبهة في ان هذه الحالة هي الحالة القصوى عن مراتب السعادات قلت هذا الكلام مشعر بأن اثبات الروحاني إنما هو من حيث الجمع بين الشريعة والفلسفة فإثباتها ليس من المسائل الكلامية وهذا كما ان الرئيس ابا علي مع انكاره للمعاد الجسماني على ما هو بسط في كتاب المعاد وبالغ فيه واقام الدليل بزعمه على نفيه قال في كتاب النجاة والشفاء انه يجب ان يعلم ان المعاد منه مـا هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته إلا من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهي الذي للبدن عند البعث وخيراته وشروره معلوم لا يحتاج الى ان يعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا به سيدنا ومولانا محمد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقه النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس الى نفس الأمر وان كان الأوهام منـا تقصر عن تصورهما الآن وسياق هذا الكلام مشعر بأن اثباته للمعاد الروحاني ليس من حيث الحكمة بل من حيث الشريعة فإن التمسك بالدلائل النقلية ليس من وظائف الفلسفة فـلا يتوهم ان اثباته من المسائل الحكمية وهو أراد أن يجمع بين الفلسفة والشريعة انتهى

اقول القول بالمعاد الجسماني والروحاني معا اقوى المذاهب وهو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية وأيدته المؤيدات العقلية حيث ان الكاسب للطاعات والمعاصي البدن والروح معا فينبغي عودهمـا معا وقد دل السمع دلالة قطعية عـلى الجسماني كما عرفت وستعرف فهو حـق واستفاض النقل مؤيداً للعقل بأن الروح جوهر لطيف نوراني مغاير للبدن

وانها تبقى بعد خرابه مبتهجة مسرورة حية مرزوقة او بالعكس فالروحاني ايضا حق قال الله تعالى (كل ما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وزوجناهم بحور عين لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الاعين . ماتعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين وأسروا الندامة لما رأوا العذاب . ومغفرة من الله ورضوان ذلك هو الفوز العظيم . ورضوان من الله اكبر) وروى العياشي في تفسيره عن ثوير عن علي بن الحسين قال اذا صار أهل الجنة في الجنة ودخل ولي الله الى جنانه ومسكنه واتكى كل مؤمن منهم على اريكة حفته خدامه وتهدلت عليه الثمار وتفجرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابي وصفت له النمارق وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك قال ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله ثم ان الجبار يناديهم فيقول لهم أولبائي وأهل طاعتي وسكان جنتي في جواري ألا هل آتيكم بخير مما انتم فيه فيقولون ربنا وأي شيء خير مما نحن فيه نحن فيما اشتهت أنفسنا وأعيننا من النعم في جوار الكريم قال فيعود عليهم بالقول فيقولون ربنا نعم فأتنا بخير مما نحن فيه فيقول لهم تبارك الله تعالى رضاي عنكم ومحبتي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه قال فيقولون نعم يا ربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا ثم قرأ علي بن الحسين هذه الآية (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم)

وروى ثقة الاسلام في الكافي عن ابي جميلة عن الصادق (ع) قال قال الله تبارك وتعالى يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فانكم تتنعمون بها في الآخرة والظاهر ان التلذذ بأصل العبادة فإن الصديقين يتلذذون بعبادة ربهم اكثر من جميع اللذات والمشتهيات بل لا يتلذذون بشيء الا بها فهم في الجنة يعبدون الله ويذكرونه لا على وجه التكليف بل لالتذاذهم وتنعمهم بها كما قال سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلت قرة عيني في الصلاة

وروى الصدوق في الأمالي باسناده عن الصادق (ع) عن آبائه عن امير المؤمنين (ع) قال (ع) في جملة حديث ومن صلى ليلة تامة تاليا كتاب الله راكعا وساجدا وذاكرا وساق الحديث الى ان قال يقول الرب تبارك وتعالى للملائكته ياملائكتي انظروا الى عبدي احيى ليلة ابتغاء لمرضاتي اسكنوه الفردوس وله فيها مائة الف مدينة في كل مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لا يخطر على بال سوى ما اعددت له من الكرامة والمزيد والقربة

وروى الطبرسي (ره) في مجمع البيان عن ابي امامة الباهلي ان رسول ﷺ قال ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي القوم اعرابي فجثا لركبتيه وقال يارسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يااعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه ابكار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سألت ابا الدرداء بما يتغنين قال بالتسبيح وفي رواية اخرى قال رجل يارسول الله اني رجل حبب الي الصوت فهل لي في الجنة صوت حسن فقال اي والذي نفسي بيده ان الله تعالى يوحي إلى شجرة في الجنة ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري من عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم تسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب وقال الصدوق في العقائد وهم يعني اهل الجنة انواع على مراتب منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك والحور العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس والحرير كل منهم انما يتلذذ بما يشتهي ويريد حسب ما تعلقت عليه همته ويعطى ما عبد الله من اجله وقال الصادق (ع) ان الناس يعبدون الله على ثلاثة اصناف صنف منهم يعبدونه رجاء ثوابه فتلك عبادة الخدام وصنف منهم يعبدونه خوفا من ناره فتلك عبادة العبيد وصنف منهم يعبدونه حبا له فتلك عبادة الكرام

وقال الشيخ المفيد (ره) في شرح هذا الكلام ثواب اهل الجنة الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل اليه ويدركون مرادهم بالظفر به وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكل ومشرب وما تدركه الحواس من الملتذات وقول من زعم أن في الجنة بشرا يلتذ بالتسبيح والتقديس من دون الأكل والشرب قول شاذ عن دين الإسلام وهو مأخوذ من قول النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون وقد اكذب الله هذا القول في كتابه بما رغب العالمين فيه من الاكل والشرب والنكاح فقال تعالى (اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا) الآية وقال تعالى (فيها انهار من ماء غير آسن) الآية وقال (حور مقصورات

في الخيام) وقال (حور عين) وقال (وزوجناهم بحور عين) وقال (فيهن قاصرات الطرف اتراب) وقال (إن اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم . واتوا به متشابهاولهم فيها أزواج مطهرة) فكيف استجاز من أثبت في الجنة طائفة من البشر لايأكلون ولا يشربون ويتنعمون مما به الخلق من الأعمال ويتألمون و كتاب الله شاهد بضد ذلك والاجماع على خلافه لولا ان قلد في ذلك من لا يجوز تقليده او عمل على حديث موضوع انتهى كلامه وهو جيد متين وجوهر ثمين

قال العلامة المجلسي(ره) بعد نقله وهو في غاية المتانة واما استدلال الصدوق بقوله(ع) وصنف يعبدونه حباً له على انهم لا يتلذذون بالمآكل والمشارب والمناكح في الجنة فهو ضعيف إذ عدم كون الجنة مقصودة لهم عند العبادة لا تستلزم عدم تلذذهم بنعيمها في الآخرة(فإن قيل) اذا ارتفعت همهم في الدنيا مع تشبثهم بعلائقها عن أن ينظروا مع محبة الله سبحانه وقربه الى جنة ونار وفي الآخرة مع قطع علائقهم ودواعيهم وقوة اسباب المحبة والقرب أحرى أن لاينظروااليها ولا يتلذذوا بشهوات الجنة وملاذها (قلت) التلذذ بالمستلذات الجسمانية ايضا مراتب ودرجات بحسب اختلاف احوال أهل الجنة فمنهم من يتلذذ بها كالبهائم يرتعون في رياضها ويتمتعون بنعيمها كما كانوا في الدنيا من غير استلذاذ بقرب ووصال أو ادراك لمحبة وكمال ومنهم من يتمتع بنعيمها من حيث انها دار كرامة الله التي اختارها لأوليائه واكرمهم بها ومحل رضوان الله تعالى وقربه فمن كل ريحان يستنشقون نسيم لطفه ومن كل فاكهة يذوقون طعم رحمته ولا يستلذون بالحور إلا لأنه اكرمهم بها الرب الغفور ولا يسكنون في القصور إلا لأنه رضيها لهم المالك الشكور فالجنة جنتان روحانية وجسمانية والجنة الجسمانية قالب للجنة الروحانية فمن كان في الدنيا يقنع من العبادات والطاعات بجسد بلا روح ولا يعطيها حقها من المحبة والإخلاص وسائر مكملات الأعمال ففي الآخرة ايضا لا ينتفع إلا بالجنة الجسمانية ومن فهم في الدنيا روح العبادة وأنس بها واستلذ منها وأعطاها حقها فهو في الجنة الجسمانية لا يستلذ إلا بالنعم الروحانية ولنضرب لك في ذلك مثلا لمزيد الايضاح فنقول ربما يجلس بعض سلاطين الزمان على سريره ويطلب عامة رعاياه ووزراءه وامراءه ومقربي حضرته ويعطيهم شيئا من الحلاوات فكل صنف من اصناف الخلق ينتفع بما يأخذه من ذلك نوعا من الانتفاع ويلتذ ويتلذذ نوعا من الالتذاذ على حسب معرفته بعظم السلطان ورتبة انعامه فمنهم جاهل

لا ينتفع بذلك إلا انه حلو ترغب الذائقة فيه فلا فرق في ذلك عنده بين أن يأخذه من بائعه في السوق او من يد السلطان ومنهم من يعرف شيئا من عظمة السلطان ويريد بذلك الفخر على بعض امثاله او من تحت يده ان السلطان اكرمني بذلك وهكذا حتى ينتهي الأمر الى من هو من مقربي حضرة السلطان ومن طالبي لطفه واكرامه فهو لا يلتذ بذلك إلا لأنه خرج من يد السلطان وانه علامة لطفه واكرامه فهو يضن بذلك ويخفيه ويفتخر بذلك ويبديه مع ان في بيته اضعاف ذلك مبذولة لخدمه وعبيده فهو لا يجد من الحلاوة إلا طعم القرب والاكرام ولو جعل السلطان علامة اكرامه في بذل أمرّ الأشياء وأبشعها لكان عنده أحلى من جميع الحلاوات ولذا ترى في عشق المجاز إذا ضرب المعشوق محبه ضربا وجيعا على جهة الاكرام فهو أشهى عنده من كل ما يستلذ منه سائر الأنام فإذا كان مثل ذلك في المجاز ففي الحقيقة أولى وأحرى فإذا فهمت ذلك عرفت ان اولياء الله في الدنيا ايضا في الجنة والنعيم إذ هم في عبادة ربهم متلذذون بقربه ووصاله وفي التنعم بنعيم الدنيا إنما يتلذذون لكونه مما خلق لهم ربهم ومحبوبهم وحباهم بذلك ورزقهم واعطاهم وفي البلايا والمصائب ايضا يتلذذون بمثل ذلك لأنهم يعلمون ان محبهم ومحبوبهم اختار ذلك لهم وعلم فيه صلاحهم فبذلك امتحنهم فهم بذلك راضون شاكرون فتنعمهم بالبلايا كتمتعهم بالنعم والهدايا إذ جهة الاستلذاذ فيها واحدة عندهم فهم في الدنيا وفي الآخرة بقربه ولطفه وحبه يتنعمون وفيها لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإذا فازوا بهذه الدرجة القصوى ووصلوا إلى تلك المرتبة الفضلى لا يعبدونه تعالى خوفا من ناره وانها محرقة بل لأنها دار الخذلان والحرمان ومحل أهل الكفر والعصيان ومن سخط عليه الرحمان ولا طمعا في جنته من حيث كونها محل المشتهيات النفسانية والملاذ الجسمانية بل من حيث انها محل رضوان الله وأهل كرامته وقربه ولطفه فلو كانت النار محل أهل كرامة الله وقربه ولطفه لاختاروها كما اختاروا في الدنيا محنها ومشاقها لعلمهم بأن رضى الله فيها، ولو كانت الجنة محل غضب الله لتركوها وفروا منها كما تركوا ملاذ الدنيا لما علموا ان محبوبهم لا يرتضيها وإذا دريت ذلك حق درايته سهل عليك الجمع بينما ورد من عدم كون العبادة للجنة والنار والمبالغة في طلب الجنة والاستعاذة من النار وما ورد في بعض الروايات والدعوات من التصريح بكون العبادة لابتغاء الدار الآخرة فإن من طلب الآخرة لقربه ووصاله لم يطلب إلا وجهه ومن طلبها لاستلذاذه وتمتعه الجسماني لم يعبد إلا نفسه انتهى كلامه(ره)

﴿ فصل ﴾ ان الله سبحانه للطفه ورأفته بعباده قد اكثر ذكر المعاد في القرآن الكريم والفرقان العظيم بطرق عديدة وسبل سديدة لصعوبته على الافهام وكثرة ما فيه من الشبه والأوهام فتارة حكم تعالى بأنه كائن لا محالة من دون ذكر دليل بل انه يجب الاذعان به والتصديق من دون تطلب دليل لذلك سيما بالنسبة الى الأعوام والضعفاء كما في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقوله تعالى (ان الله يبعث من في القبور) وقوله تعالى (والموتى يبعثهم الله) ونحو ذلك وتارة ذكره الله مشفوعا بالقسم لكثرة الشبه والاشتباه فيه فقال تعالى في النحل (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى في التغابن (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم) وتارة أثبت الله المعاد مستدلا بكونه قادراً على كل شيء وعلى أمور تشبه الحشر والنشر فلا يستبعد قدرته تعالى على الحشر والنشر كقوله تعالى في الواقعة رداً على منكري المعاد (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ووجه الاستدلال بها على ما في التفسير الكبير ان المني إنما يحصل من فضلة الهضم الرابع وهو كالظل المنبث في اطراف آفاق الأعضاء ولهذا تشترك الأعضاء في الالتذاذ بالوقاع ويجب غسلها كلها من الجنابة لحصول الانحلال عنها كلها ثم ان الله قد سلط قوة الشهوة على البنية حتى انها تجمع تلك الأجزاء الظلية المتفرقة في أوعية المني فالحاصل ان تلك الأجزاء كانت متفرقة جدا أولا في اطراف العالم ثم انه تعالى جمعها في بدن ذلك الحيوان منبثة في اطراف بدنه ثم جمعها بقوة المولدة في أوعية المني ثم أخرجها ماء دافقا إلى قرار الرحم فإذا كانت هذه الأجزاء متفرقة فجمعها وكوّن منها ذلك الشخص فإذا تفرقت بالموت مرة أخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة أخرى فهذا تقرير هذه الحجة في هذا المنهج ومن هذا النهج قوله تعالى في سورة الحج (يا ايها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب) الى قوله تعالى (وترى الارض هامدة — ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير) وقال تعالى (ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) وقال تعالى (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر) وتارة بين تعالى قدرته على المعاد بذكره مرتبا على ذكر المبدء إشارة الى ان القادر على الإيجاد قادر على الاعادة كما قال تعالى في البقرة (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم

اليه ترجعون) وقال تعالى في الاسرى (وقالوا ءإذا كنا عظاما ورفاتا ءإنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة) وقال تعالى في الروم (وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى) وقال تعالى في ياسين (قل يحييها الذي أنشأها اول مرة) وتارة استدل تعالى على البعث والحشر من جهة وجوب المجازاة وإثابة المحسن وتعذيب العاصي وتمييز احدهما عن الآخر ليتم عدل الله وحكمته في العباد إذ لولا الحساب والعقاب والجزاء والثواب للزم الجور وبطل العدل وضاعت الحقوق عن اربابها واستقرت الظلامات على اصحابها ولم يبق فرق بين إحسان المحسن وإساءة المسيء بل لكان النفع ضرا والضر نفعا فإن الخير والإحسان في اغلب الأزمان يوجب المشقة والمضرة ونقصان القوة والمال وفوات اللذة بحسب الدنيا والشر والاساءة على خلاف ذلك بحسبها فلا بد من نشأة أخرى تقع فيها المجازاة على اعمال الناس والانتقام للمظلومين من الظالمين وإيصال ذوي الحقوق الى حقوقهم وقد اشار تعالى الى هذا المضمون في مواضع منها في يونس قال تعالى (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدء الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) وقال تعالى في طه (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) وقال تعالى (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) وقال تعالى في سورة صاد (وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار) وتارة استدل تعالى بإحياء الموتى في الدنيا على صحة الحشر والنشر في الاخرى كما في خلق آدم ابتداء من غير مادة لأب وأم ومنها قوله تعالى في البقرة (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) ومنها في قصة الخليل وقوله (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى) الآية ومنها في قصة حزقيل وقوله (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها) ومنها في قصة اصحاب الكهف وقوله تعالى (ولتعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها) ومنها في قصة ايوب وقوله تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) الى غير ذلك من الآيات

✻ تأييد وتشييد ✻ قال الإمام الرازي في تفسيره عند قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل

خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) ما لفظه في هذه الآيات الى آخر السورة غرائب وعجائب نذكرها بقدر الامكان إن شاء الله فنقول المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة وهم الاكثرون ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد كما قال (وقالوا أإذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ، أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمدينون) الى غير ذلك فكذا) ههنا قال من يحيي العظام وهي رميم) على طريق الاستبعاد فبدأ اولا بابطال استبعادهم بقوله نسي خلقه أي أنسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضاء مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل اللذين بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهل لا يستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه ثم ان استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفتت والتفرق حيث قالوا من يحيي العظام وهي رميم اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد من العلم والقدرة فقال ضرب لنا مثلا أي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدنه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كان آخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين احدهما انه بعد العدم لم يبق شيء فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود وأجاب تعالى عن هذه الشبهة بقوله الذي أنشأها أول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وإن لم يكن شيئا مذكورا وثانيهما ان من تفرقت اجزاؤه في مشارق الارض ومغاربها وصار بعضه في ابدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع وأبعد من هذا هو ان إنسانا إذا أكل إنسانا وصار اجزاء المأكول في اجزاء الآكل فإن أعيد فأجزاء المأكول اما ان تعاد الى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول اجزاء يخلق منها اعضاء واما ان يعاد الى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل اجزاء يخلق منها اعضاء فقال تعالى في ابطال هذه الشبهة وهو بكل خلق عليم ووجهه ان في الآكل اجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان انسانا صار الأصلي من اجزاء المأكول فضلة من اجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الأكل والله

بكل شيء عليم يعلم الأصلي من الفضلي فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل وينفخ فيها روحه ويجمع الأصلية للمأكول وينفخ فيها روحه وكذلك يجمع الأجزاء المنفرقة في البقاع المتبددة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم وعنادهم فقال الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ووجهه هو ان الانسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه وهو الحرارة جارية فيه فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه توقدون وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السماوات والارض اكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإن الله خلق السماوات والأرض فبان لطف قوله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) وقوله تعالى (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) وقدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الأكبر لأن استبعادهم كان بالصريح واقفا على الأحياء حيث قالوا من يحيي العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها والنار في الشجر مناسب الحياة وقوله الخلاق اشارة الى انه في القدرة كامل وقوله العليم اشارة الى انه بعلمه شامل ثم أكد بيانه بقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فهذا اظهار فساد تمثيلهم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضربوا لله مثلا وقالوا لا يقدر أحد على مثل هذا قياسا للغائب على المشاهد فقال في المشاهد الخلق يكون بالآلات البدنية والانتقالات المكانية فلا تقع إلا في الأزمنة الممتدة والله يخلق بكن فيكون انتهى

﴿ فصل ﴾ في دفع جملة من الشبه الواردة في المعاد ولا بد في ذلك من تمهيد مقدمة فيما قيل في الروح ومعنى البدن . اعلم انه قد اختلف في معنى الروح على اقوال شتى وآراء مختلفة انهاها بعضهم الى اربعين قولا والذي عليه اكثر المحققين ان الانسان مركب من روح وبدن وهما جوهران حقيقتهما مختلفتان وبينهما علاقة تامة مع نهاية البعد فإن الروح مخلوقة مما خلق منه الملائكة من العالم العلوي والبدن مخلوق من التراب والعالم السفلي ولكل منهما عمل وأثر ليس للآخر فأفعال البدن الرؤية والسماع والرائحة والقول والنوم واللمس ونحوها مما يدرك بالحواس الظاهرة والقوى والأعضاء وآثار الروح اللذة والألم والصفات والملكات والفهم والعلم والاعتقادات ولذا لا يوصف البدن بالشجاعة والكرم والعلم والإيمان ونحوها

بل الأفعال الجزئية الحسية من الرؤية والسماع ونحوها افعال الروح ايضا وانما تصدر عنها بواسطة الأعضاء والجوارح التي هي كالآلة للروح ولذا تقول رأيت بعيني وسمعت بأذني وقلت بلساني فنخبر عن روحك بأن هذه الأفعال صدرت منها بواسطة هذه الأعضاء كما تقول كتبت بالقلم في كون القلم آلة للكتابة وربما قيل ان هذه الأفعال تصدر من الروح بدون واسطة الاعضاء والجوارح كما يدرك النائم ويرى ويسمع ويضرب ويأكل ويشرب بدون هذه الأعضاء الظاهرة وفيه كلام ليس هذا محله وبالجملة فالانسان في الحقيقة عبارة عن الروح والبدن بمنزلة الآلة بل هو هي وقيل ان الروح في البدن كالسراج في الفانوس فان النور كله من السراج والفانوس حائل ظلماني ولو شوهدت السراج بدونه لظهر جمالها وضوؤها اكثر وكذا الروح من دون حيلولة البدن شعاعها وجمالها اكثر وكما ان الفانوس نقص في ضياء السراج فكذا البدن نقص في جمال الروح وانما احتيج الى الفانوس لحفظ السراج من الرياح ولذا لم تحتج الشمس والمشعل الى فانوس وكذا الانسان اذا كان مريضا يضره الهواء والبرد احتاج الى اللحاف زيادة على البدن واذا كان صحيحا لم يحتج الى ذلك

وروي عن الصادق (ع) ان روح المؤمن وبدنه كالجوهرة في الصندوق فإذا رفعت الجوهرة من الصندوق رمي بالصندوق ولم يعتن به وحاصل الخلاف في الروح يرجع الى انه هل هي جسم او جسماني أوليست بجسم ولا جسماني بل مجردة وعمدة من قال بجسميتها من المتكلمين ذهبوا الى قولين احدهما انها عبارة عن هذا الهيكل المحسوس والثاني ان في بدن الانسان أجزاء أصلية مخلوقة من المني وتلك الأجزاء باقية في مدة حياة الشخص وبعد موته وتفرق اجزائه لا تتغير ولا تتبدل ولا تزيد ولا تنقص والانسان المشار اليه بهذا وانا عبارة عن تلك الأجزاء الأصلية ومدار الحشر والثواب والعقاب على تلك الأجزاء وهذا القول ذهب اليه بعض متكلمي الإمامية وربما يومي اليه بعض الاخبار وهو ما رواه ثقة الإسلام والصدوق في الكافي والفقيه عن عماد عن الصادق (ع) قال سئل عن الميت يبلى جسده قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق اول مرة إلا ان غاية ما في الخبر ان تشخص الانسان إنما هو بالأجزاء الأصلية ولا مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه وليس فيه ان الروح عبارة عن ذلك ومن ذهب الى ان الروح ليست بجسم بل عرض جسماني فلهم شبهات سخيفة لا تستحق أن تذكر

واكثر الفلاسفة والحكماء على تجردهـا وعليه بعض قدماء المعتزلة والغزالي والراغب الاصفهاني والشيخ المفيد منا والشيخ البهائي وادعى بعض المتأخرين انه يستفاد التجرد من كثير من الاخبار

وقال العلامة المجلسي (ره) اني لم أقف عـلى حديث صريح في ذلك وإن كان في بعض الأخبار النادرة اشعار او ايهام لذلك فلا ينبغي الجزم بالتجرد بمجردها وما أقيم من الأدلة على نفي تجردها وإن لم يتم إلا أن الأخبار الكثيرة الواردة في تنزيه الحق تعالى تـدل بظاهرها على ان التجرد من الصفات المختصة به تعالى والأحاديث الواردة في قبض الروح وانها تكون مع الميت وان روح الميت تأتي إلى اهله وتزورهم وتنظر اليهم وتنتقل الى وادي السلام ونحو ذلك تدل على تجسمها اللهم الا ان تؤل هذه الاخبار بالجسد المثالي وكذا الأخبار الدالة على خلق الارواح قبل الاجساد وإنها كانت حول العرش ونحو ذلك الا ان تؤل بتأويلات بعيدة عن طريقة ارباب الشريعة فالحكم بالتجرد او عدمه مشكل وقد حمل بعضهم حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه على أنه كما أن الله تعالى لا يمكن معرفته فكذا النفس لا يمكن معرفتها وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسكتوا عما سكت الله عنه وعن الصادق (ع) لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت والرد الى أئمة الهدى وعنه (ع) في الصحيح حق الله تعالى على العباد أن يقولوا ما يعلمون ويكفوا عما لا يعلمون فإذا فعلوا ذلك فقد أدوا إلى الله حقه والأخبار في ذلك متواترة فينبغي التوقف في ذلك وما قاله الاكثر من أن القول ببقاء الروح بعد مفارقة البدن ومعادها موقوف على القول بالتجرد لا وجه له إذ يمكن أن يكون ذلك مبنيا على ما ذهب اليه جماعة من المحققين من أن النفس جسم نوراني من العالم السماوي وتعلقها بهذا البدن مثل السراج في البيت يصل نورها وينفـذ في جميع اجزاء البدن والموت عبارة عن خروجها عن هذا البدن ومفارقتها إياه وجسمها في نهاية اللطافة والشفافيـة كأجسام الملائكة وسائر الأجساد السماوية تبقى محفوظة بقدرة الله تعالى وقد روى الطبرسي في الاحتجاج عن الصادق (ع) في جملة سؤالات الزنديق عنه (ع) وفيه قال الزنديق أخبرني عن السراج اذا انطفى اين يذهب نوره قال (ع) يذهب فلا يعود قال فما انكرت ان الإنسان مثـل ذلك اذا مات وفارق الروح البدن لم ترجع اليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج اليه أبدا اذا انطفى قال (ع) لم تصب القياس ان النار في الاجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديـد فإذا ضرب أحدهما الآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء فالنار ثابتة في اجسامها والضوء ذاهب

ن الروح جسم رقيق قد ألبس قالبا كثيفا وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت ان الذي خلق في الرحم جنينا من ماء صاف وركب فيه ضروبا مختلفة من عروق وعصب واسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييها بعد موتها ويعيده بعد فنائه قال فأين الروح قال في بطن الارض حيث صرع البدن إلى وقت المبعث قال فمن صلب فأين روحه قال في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الارض قال فأخبرني عن الروح أغير الدم قال نعم الروح على ما وصفت لك مادتها من الدم ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت وكثرة الضحك وإذا جمد الدم فارق الروح البدن ثم قال الزنديق أتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق قال بل هو باق الى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حس ولا محسوس ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها وذلك اربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين (الحديث) وقد دلت الآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة على تجسم الملائكة بل لعله من ضروريات الدين لم يخالف فيه احد من المسلمين فلعل الروح من هذا القبيل وعلى تقدير كونها في السماء كما دلت عليه بعض الأخبار يمكن أن يكون تعلقها بالروح الحيوانية المنبعثة من القلب السارية في البدن وبخروج الروح الحيوانية من البدن ينعدم تعلقها بالبدن وبعود البدن يرجع تعلقها وحيث دلت الأخبار الكثيرة على الجسد المثالي فيمكن من حيث الروح ان تحتاج الى آلة في الاعمال ان تتعلق بذلك الجسد المثالي بعد مفارقتها البدن والثواب والعقاب والذهاب والرجوع في العالم البرزخي في ذلك البدن بل ذهب جملة من المحققين الى ان الجسد المثالي موجود في هذا العالم ايضا وهو مماثل لهذا البدن (١) في المقدار فيه او خارج عنه ولما كانت النفوس ضعيفة لا تقدر على التصرف التام في كلا البدنين كان تعلقها في الحياة واليقظة بهذا البدن اكثر وفي النوم بالمثالي اكثر وبه تعرج الروح الى العالم العلوي وتطلع على الألواح السماوية وتسير الى المشرق والمغرب وتجتمع مع النفوس المقدسة العلوية وتلهم من علومهم وإن كانت شريرة اجتمعت مع الشياطين ورسخ فيها تسويلاتهم كما قال تعالى (ان

(١) لا يبعد القول بتعلق الروح بالأجساد المثالية عند النوم ايضا كما يشهد به ما يرى في المنام وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها بل يمكن أن تكون للنفوس القوية العالية اجساد مثالية كثيرة كأئمتنا (ع) حتى لا يحتاج إلى كثير تأويل في حضورهم عند كل ميت منه

الشياطين ليوحون الى اوليائهم) بل لعل النفوس القوية كنفوس الأنبياء والأوصياء تتصرف في الأجساد المثالية في حال الحياة ايضا كما دلت الأخبار الكثيرة على انهم (ع) يحضرون عند كل ميت في شرق الارض وغربها ولو مات ألوف في آن واحد وبذلك يجمع بين الأخبار في هذا المضمار وعلى القول بتجرد الروح فالاحتياج الى القول بالجسد المثالي أشد وبدونه يشكل فهم الآيات والأخبار الواردة في ثواب القبر وعذابه واتساعه وضيقه وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله ورؤية الأئمة باشكالهم ومشاهدة اعدائهم معذبين وسائر ما ورد في امثال ذلك فالمراد بالقبر حينئذ في اكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ وهو يتم على القول بتجسد الروح وتجردها مع ورود الأجساد المثالية في الاخبار المعتبرة وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء كما توهم إذ العمدة في نفي التناسخ ضرورة الدين واجماع المسلمين وقد قال بالابدان المثالية كثير من المسلمين من المتكلمين والمحدثين ودلت عليه اخبار الأئمة الطاهرين والتناسخية إنما كفروا بإنكارهم المعاد والثواب والعقاب وقولهم بقدم النفوس وترددها في اجسام هذا العالم وانكارهم النشأة الأخرى وإنكارهم الصانع والأنبياء وسقوط التكاليف ونحو ذلك من اقوالهم السخيفة

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند معتبر عن حبة العرني قال خرجت مع أمير المؤمنين (ع) إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى اعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني ما نالني أولا ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال يا حبة ان هو إلا محادثة مؤمن او مؤانسته قال قلت يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك قال نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقا حلقا محتبين يتحادثون فقلت اجسام او ارواح فقال ارواح ومامن مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وإنها البقعة من جنة عدن وعن ابي ولاد الحناط عن الصادق (ع) قال قلت له جعلت فداك يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال لا المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير لكن في ابدان كأبدانهم وعن ابي بصير عن الصادق (ع) قال ان الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تعارف وتسأل فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول دعوها فإنها قد أقبلت من هول عظيم وعن حماد بن عثمان عن الصادق (ع) قال ذكر الارواح

ارواح المؤمنين فقال يلتقون قلت يلتقون قال نعم ويتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان وفي بعض الاخبار هي في روضة كهيئة الاجساد في الجنة والاخبار في ذلك كثيرة هذا مايتعلق بالروح ﴿وأما الكلام﴾ في البدن فقد اختلف الناس في تفرق الجسم واتصاله على مذاهب فأكثر الفلاسفة على ان الجسم مركب من الهيولى والصورة الجسمية والصورة النوعية وإذا تفرق الجسم وتلاشى قالوا انعدمت صورتاه الجسمية والنوعية وبقيت الهيولى تفاض عليها صورة جسمية وصورة نوعية مغايرتان للأولى والمحقق الطوسي وجملة من الحكماء من النافين للهيولى والجزء الذي لا يتجزأ يقولون بعدم انعدام جزء من الجسم عند التفرق بل ليس الجسم الا الصورة وهي باقية في حال الاتصال والانفصال لاينعدم شيء منها بل انما ينعدم عرض مبنه من الاتصال والانفصال اللذان هما عرضان وهذا القول في غاية المتانة الا انه لا يدفع شبهة استحالة إعادة المعدوم واكثر المتكلمين لأجل دفع هذه الشبهة قالوا بالجزء الذي لا يتجزء وان الاجسام متفقة الحقيقة لا ينعدم شيء منها اذا تفرقت إذا عرفت ذلك فعلى القول الأول لا بد في القول بإثبات المعاد بمعنى عود الشخص بجميع اجزائه من القول بإعادة المعدوم اذ بناء على مذهبهم ان الصورة الجسمية والنوعية قد انعدمتا فلا بد من إعادتهما بعد عدمهما بجميع اجزائهما وأما القائلون بالأخيرين فقد ظنوا التخلص عن ذلك وانه يمكنهم القول بالحشر الجسماني بهذا المعنى وعدم القول بجواز اعادة المعدوم وفيه نظر اذ ظاهر انه اذا أحرق جسد زيد وذرت الرياح ترابه لا يبقى تشخص زيد وان بقيت الصورة والأجزاء بل لابد في عود الشخص بعينه من عود تشخصه بعد انعدامه اللهم الا أن نختار ما ذهب اليه بعض المتكلمين من ان تشخص الشخص انما يقوم بأجزائه الأصلية المخلوقة من المني وتلك الأجزاء باقية في مدة حياة الشخص وبعد موته وتفرق اجزائه فلا يعدم التشخص ويومئ الى ذلك رواية عمار المتقدمة وروى العامة ما يقرب منها وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير الشخصية وأعيد غيرها مكانها لا يقدح في كون الشخص باقيا بعينه ثم ان القائلين بامتناع اعادة المعدوم قد أتوا بأدلة واهية (منها) انه لو جاز اعادة المعدوم جاز اعادة وقته الاول اذ هو من المشخصات وذلك يقتضي كون الشيء مبتدءاً من حيث انه معاد وهو باطل (ومنها) انه يفضي الى صدق النقيضين من المبدء والمعاد عليه دفعة وهو باطل (ومنها) ان زمان الابتداء والاعادة يجب ان يكون واحدا للماهية والوجود فلا فرق بينهما الا بوجود الاول في زمان

والثاني في غيره فيكون للزمان زمان ويلزم ايضا اعادته فينقل الكلام اليه ويتسلسل (ومنها) ان العدم المتخلل بين المبتدا والمعاد يقتضي اما تغايرهما أو تخلل العدم بين الشيء ونفسه وكلاهما باطل اما الاول فلأنه خلاف المفروض واما الثاني فبالبديهة (ومنها) ان المعدوم ليس له هوية ثابتة فتمتنع الاشارة العقلية اليه فلا يحكم عليه بصحة العود والجواب عن الثلاثة الأول ان الزمان ليس من المشخصات وادعاء ذلك سفسطة وحكي ان بعض تلامذة ابي علي كان مصرا على ذلك فبحث معاستاذه فيه فقال الاستاذ لا يلزمني جوابك لأني غير من كان يباحثك على ان المجوزين قائلون بأن الزمان اعتباري لا تحقق له في الخارج فالتسلسل فيه جائز وعن الرابع انه لو تم لدل على امتناع بقاء شخص ثلاث ساعات لتخلل الوسطى بين الشيء ونفسه وعن الخامس ان الصحة بمعنى عدم الامتناع فيحكم بها عليه كما يحكم على الأمور العدمية بالأمور العدمية إذا تمهد هذا (فاعلم) ان القول بالحشر الجسماني على تقدير عدم القول بامتناع اعادة المعدوم حيث لم يتم دليل عليه بيّن لا اشكال فيه واما على القول به فيمكن أن يقال يكفي في المعاد كونه مأخوذا من تلك المادة بعينها او من تلك الأجزاء بعينها لاسيما إذا كان شبيها بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لو رأيته لقلت انه فلان إذ مدار اللذات والآلام على الروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه ولا تدل النصوص إلا على إعادة ذلك الشخص بمعنى انه يحكم عليه عرفا انه ذلك الشخص كما انه يحكم على الماء الواحد إذ افرغ في اناءين انه هو الماء الذى كان في اناء واحد عرفا وشرعا وان قيل بالهيولى ولا تبتني الاطلاقات الشرعية والعرفية واللغوية على امثال تلك الدقائق الحكمية والفلسفية ولذا يقال للشخص من الصبا الى الشيخوخة انه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات بل كثير من الأعضاء والآلات اذا قطعت يطلق عليه انه ذلك الشخص ايضا ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب انها عقوبة الغير الجاني وذلك اما لبقاء الأجزاء الأصلية من البدن كما تقدم او لأن العبرة في ذلك بالإدراك وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات ويرشد الى ذلك كثير من الآيات والروايات كقوله تعالى (أوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) وقوله تعالى (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) وقوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ويجمع بينها وبين الآيات الدالة على ان المعاد في الآخرة هو عين هذا الجسد الميت كقوله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها اول مرة)

ونحوها ويشهد لذلك ما روي مستفيضا في الاحتجاج وامالي الشيخ وغيرهما ان ابن ابي العوجاء سأل الصادق(ع) عن قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) ما ذنب الغير قال ويحك هي هي وهي غيرها قال فمثل لي ذلك بشيء من أمر الدنيا قال نعم أرأيت لو ان رجلا أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها وفي رواية الامالي أرأيت لو أن رجلا عمد الى لبنة فكسرها ثم صب عليها الماء وجبلها ثم ردها الى هيئتها الأولى ألم تكن هي هي وهي غيرها فقال بلى امتع الله بك فإن الظاهر ان مراده انه يعود شخصه بعينه وإنما الاختلاف في الصفات والعوارض غير المشخصات اوان المادة متحدة وإن اختلفت التشخصات والعوارض ويرشد الى ذلك ما تقدم من قول الصادق(ع) في البدن البرزخي لو رأيته لقلت هذا فلان وما ورد من أن أهل الجنة جرد مرد وما ورد ان المتكبرين يحشرون على صورة الذر وماورد في طرق الجمهور انه يحشر بعض الناس على صور تحسن عندها القردة والخنازير وكون ضرس الكافر مثل جبل أحد تغليظا للعقوبة ونحو ذلك لما عرفت فإن تشخص البدن ليس الا بالنفس ولا يتعين الا بها ولهذا يكون بدن زيد واعضاؤه تنسب اليه وتعرف به وتحكم بوحدته وان تبدل انواعا من التبدل فجوهرته واحدة في الدنيا والآخرة وروحه باق مع تبدل الصور عليه من غير تناسخ باطل كما عرفت وكلما نشأ من عمله الذي كان يعمله في الدنيا من خير او شر يعطى قالبا مناسبا لذلك أو يتجسم ذلك العمل والاعتقاد بقالب مناسب لذلك على احد القولين من تجسم الأعمال في الآخرة او خلق اجساد بازائها تناسبها فلكل خلق من الأخلاق المذمومة والهيئات الردية المتمكنة في النفس صورة كصور ابدان الاسود لخلق التجبر والتهور وابدان الثعالب وامثالها للخبث والروغان وابدان القردة واشباهها للمحاكاة والسخرية وابدان الطواويس ونظائرها للعجب والخنازير للحرص والديك للشهوة ونحو ذلك وكذا بازاء كل مرتبة قوية او ضعيفة من خلق ما صوره بدن نوع خاص من الحيوانات كعظم الجثة لشديد ذلك الخلق وصغرها لضعيفه هذا والأحوط والأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ما ورد فيه من الخصوصيات وعدم الخوض فيما زاد على ذلك إذ لم نكلف به وربما أفضى التفكر في دقائق هذه الأمور وكيفيتها الى القول بخلاف الواقع ولم نعذر في ذلك والغرض من التعرض لهذه الدقائق دفع شبه الملحدين والمعاندين والله العالم بحقائق الأمور

﴿ فصل ﴾ روى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن ابي بصير عن ابي عبد الله(ع) ان ابراهيم(ع) نظر الى جيفة على ساحل البحر تأكلها سباع البر وسباع البحر ثم تثب السباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضا فتعجب ابراهيم فقال(رب أرني كيف تحيي الموتى فقال الله له أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهنّ اليك) الآية فأخذ ابراهيم الطاوس والديك والحمام والغراب قال الله تعالى فصرهن أي قطعهن ثم اخلط لحمهن وفرقها على عشرة جبال ثم خذ مناقيرهن وادعهن يأتينك سعيا ففعل ابراهيم ذلك وفرقهن على عشرة جبال ثم دعاهن فقال أجبنني بإذن الله تعالى فكانت تجتمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه الى رأسه وطارت الى ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم ان الله عزيز حكيم

وروى الطبرسي في الاحتجاج عن هشام بن الحكم انه قال الزنديق للصادق(ع) انى للروح بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرقت فعضو في بلدة تأكله سباعها وعضو بأخرى تمزقه هوامها وعضو قد صار ترابا بني به مع الطين حائط قال(ع) الذي أنشأه من غير شيء وصوّره على غير مثال كان سبق اليه قادر أن يعيده كما بدأه قال أوضح لي ذلك قال ان الروح مقيمة في مكانها روح المحسنين في ضياء وفسحة وروح المسيء في ضيق وظلمة والبدن يصير ترابا منه خلق وما تقذف به السباع والهوام من اجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الارض ويعلم عدد الأشياء ووزنها وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الارض فتربو أي تنمو الارض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض فيجتمع تراب كل قالب فينقل بإذن الله تعالى الى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئا الخبر

وروى الصدوق في الصحيح عن الصادق(ع) قال إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الارض اربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم وعن السجاد(ع) قال عجبا كل العجب لمن انكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى قال بعض العارفين لو سمع عاقل قبل أن يشاهد أن انسانا حرك نفسه فوق امرأة مرارا كما يحرك الممخض وخرج من بعض اجزائه

شيء مثل زبد سيال فيخفي ذلك الشيء في بعض اجزاء المرأة ويبقى مدة على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاما ثم تكسى العظام لحما ثم تحصل منه الحركة فيخرج من موضع لم يعهد خروج شيء منه على حالة لا تهلك أمه ولا يشق عليها ولادته ثم يفتح عنه ويحصل في ثدي الأم مثل شراب مائع ولم يكن فيها قبل ذلك شيء ويغتذي به الطفل الى أن يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما يكون هذا الذي أصله نطفة وهو عند الولادة أضعف خلق الله عن قريب ملكا جبارا قهارا يملك اكثر العالم ويتصرف فيه فإن التعجب من ذلك اكثر وأوفر من التعجب من النشأة الثانية والى ذلك أشير في القرآن بقوله سبحانه (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

الفصل الثالث

في الموت وتوابعه وفيه مطلبان

«الاول» يجب الاقرار بأن كل حي سوى الله يموت قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (انك ميت وانهم ميتون) والموت مصلحة للمؤمن والكافر كما قال الباقر (ع) لأن الله تعالى يقول (وما عند الله خير للأبرار) ويقول (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما) وليس الموت امرا يعدمنا بل هو الحياة الحقيقية كما قال صلى الله عليه وآله وسلم خلقتم للبقاء لا للفناء وفي حديث آخر خلقتم للأبد وإنما تنقلون من دار الى دار وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال «ع» الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقيل لأمير المؤمنين «ع» صف لنا الموت فقال على الخبير سقطتم هو أحد أمور ثلاثة ترد عليه اما بشارة بنعيم الأبد واما بشارة بتعذيب الأبد واما تخويف وتهويل لا يدري من أي الفرق هو أما ولينا والمطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد واما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد واما المبهم أمره الذي لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخبر مبهما مخوفا ثم لن يسويه الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا فاحتملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب

ثلثمائة الف سنة وسئل الحسن بن علي «ع» ما الموت الذي جهلوه فقال اعظم سرور على المؤمنين إذ نقلوا عن دار النكد الى نعيم الأبد واعظم ثبور يرد على الكافرين اذ نقلوا عن جنتهم الى نار لا تبيد ولا تنفد وعن النبي ﷺ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء الى جحيمهم وعن سيد الشهداء «ع» في حديث قال فيه ما الموت الا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائم فأيكم يكره أن ينتقل من سجن الى قصر وما هو لاعدائكم الا كمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب وقيل لعلي بن الحسين ما الموت فقال للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفك قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطئ المراكب وانس المنازل وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل انيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل واعظم العذاب وقيل لمحمد بن علي الباقر «ع» ما الموت قال هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة الا انه طويل مدته لا ينتبه منه الى يوم القيامة فمنهم من راى في نومه من اصناف الفرح مالا يقادر قدره ومنهم من راى في نومه من اصناف الاهوال ما لا يقادر قدره وقيل للصادق «ع» صف لنا الموت فقال هو للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه فينقطع التعب والألم كله عنه وللكافر كلدغ الافاعي وكاسع العقارب وأشد وقال الكاظم «ع» ان الموت هو المصفاة يصفي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم وكفارة آخر وزر عليهم ويصفي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أو نعمة او رحمة تلحقهم وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم وجاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لي لا أحب الموت فقال ألك مال قال نعم قال قد قدمته قال لا قال فمن ثم لا تحب الموت وقيل لابي ذر (ره) ما بالنا نكره الموت فقال لانكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا عن عمران الى خراب فقيل له كيف ترى قدومنا على الله قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه قيل فكيف حالنا عند الله قال اعرضوا اعمالكم على الكتاب ان الله عز وجل يقول (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) قال الرجل فأين رحمة الله قال (رحمة الله قريب من المحسنين)

وروى ثقة الاسلام في الكافي عن يعقوب الاحمر في الصحيح قال دخلنا على ابي عبد الله (ع) نعزيه باسماعيل فترحم عليه ثم قال ان الله عز وجل نعى الى نبيه نفسه فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (كل نفس ذائقة الموت) ثم أنشأ (ع) يحدث فقال انه يموت أهل الارض

حتى لا يبقى أحد ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد الا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل قال فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيقول له من بقي وهو اعلم فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل فيقال قل لجبرائيل وميكائيل فليموتا فيقول الملائكة عند ذلك يا رب رسوليك وأمينيك فيقول اني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له من بقي وهو اعلم فيقول يارب لم يبق الا ملك الموت وحملة العرش فيقول قل لحملة العرش فليموتوا قال ثم يجيء مكتئبا حزينا لا يرفع طرفه فيقال له من بقي فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت فيقال له مت يا ملك الموت فيموت ثم يأخذ الأرض بيمينه والسماوات ويقول أين الذين كانوا يدعون معي شريكا أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر (الثاني) ينبغي الإقرار بملك الموت ونزعه للروح واعوانه والآيات الواردة في ذلك على اقسام ففي بعضها نسبة قبض الروح الى الله تعالى كما في قوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) وقوله تعالى (ولكن اعبدوا الله الذي يتوفاكم) وفي بعضها نسبة ذلك الى الملائكة كقوله تعالى (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) وقوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) وقوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) وقوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) وفي بعضها نسبة ذلك الى ملك الموت كقوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) وقد جمع الأكثر بين هذه الآيات بأن لملك الموت أعوانا يتوفون الناس ثم يتوفاهم ملك الموت من الملائكة ويتوفاهم الله من ملك الموت ويشهد لذلك ماروواه الصدوق في الفقيه عن الصادق (ع) وقد سئل عن الآيات المذكورة فقال (ع) ان الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت اعوانا من الملائكة يقبضون الارواح بمنزلة صاحب الشرطة له اعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه فتتوفاهم الملائكة ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة معما يقبض هو ويتوفاه الله عز وجل من ملك الموت

وروى الطبرسي في الاحتجاج في خبر الزنديق المدعي للتناقض في القرآن قال أمير المؤمنين (ع) في قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وقوله يتوفاكم ملك الموت وتوفته رسلنا وتتوفاهم الملائكة طيبين والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه وفعل رسله وملائكته فعله لأنهم بأمره يعملون فاصطفى جل

ذكره من الملائكة رسلا وسفرة بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة ومن كان من أهل المعصية تولى قبض روحه ملائكة النقمة وملك الموت له اعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره وفعلهم فعله وكل مايأتونه منسوب اليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء وإن فعل أمنائه فعله كما قال (وما تشاؤن إلا ان يشاء الله) وفي رواية التوحيد عنه (ع) إن الله تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء أما ملك الموت فإن الله عز وجل يوكله بخاصة من يشاء من خلقه ويوكل رسله من الملائكة بخاصة من يشاء من خلقه إنه تعالى يدبر الأمور كيف يشاء وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسره لكل الناس لأن منهم القوي والضعيف ولأن منه مايطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله الا من يسهل الله له حمله وأعانه عليه من خاصة اوليائه وانما يكفيك ان تعلم ان الله المحيي المميت وإنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكة وغيرهم ✻ قال العلامة المجلسي ره ✻ في هذا الحديث اشعار بأن الأئمة يقبضون بعض الارواح اولهم مدخلية في ذلك وللتقية من المخالفين وضعفاء العقول لم يصرح (ع) بذلك وقد قال أمير المؤمنين (ع) في بعض الخطب الغير المشهورة انا المحيي انا المميت بأذن الله تعالى وفيه دلالة ايضا على ان الايمان الاجمالي كاف في هذه المواطن والتفحص عن التفاصيل غير لازم وروى القمي في تفسيره عن هشام في الصحيح عن الصادق (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أسري بي الى السماء رأيت ملكا من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يمينا ولا شمالا مقبلا عليه نفسه كهيئة الحزين فقلت من هذا يا جبرائيل فقال هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح فقلت ادنني منه ياجبرائيل لأكلمه فأدناني منه فقلت له يا ملك الموت أكل من مات او هو ميت فيما بعد أنت تقبض روحه قال نعم قلت وتحضرهم بنفسك قال نعم ما الدنيا كلها عندي فيما سخر الله لي ومكنني منه الا كدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء ومامن دار في الدنيا الا وأدخلها في كل يوم خمس مرات وأقول اذا بكى أهل البيت على ميتهم لا تبكوا عليه فإن لي بكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد

وفي جامع الاخبار ان ابراهيم (ع) قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي

تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم (ع) ثم أفاق فقال لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه

وفي الكافي عن الصادق (ع) قال مامن أهل بيت شعر ولا وبر الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم خمس مرات وسئل الباقر (ع) عن لحظة ملك الموت فقال (ع) أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعتريهم السكتة فلا يتكلم أحد منهم فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم وسئل الصادق (ع) عن ملك الموت يقال الأرض بين يديه كالقصعة يمديده حيث يشاء منها قال نعم

وفي الفقيه عن الصادق (ع) قال قيل لملك الموت كيف تقبض الارواح بعضها في المشرق وبعض في المغرب في ساعة واحدة فقال ادعوها فتجيبني قال (ع) وقال ملك الموت ان الدنيا بين يدي كالقصعة بين يدى أحدكم يتناول منها ما يشاء والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف يشاء وقد اختلف في ان ارواح سائر الحيوانات هل يقبضها ملك الموت ايضا أم ملك آخر وحيث لم يرد نص في ذلك فلا ينبغي الخوض فيه ويكفي الاقرار بأن الله هو المحيي والمميت وان له ملائكة يقبضون الأرواح وأما نفي ملك الموت وتأويله بالقوى البدنية والنفوس الفلكية أو العقل الفعال فهو كفر مخالف لكتاب الله وسنة نبيه

﴿ الثالث ﴾ ينبغي الإقرار بما تضافرت به الأخبار الصحيحة وتكاثرت به الآثار الصريحة من سكرات الموت وشدائده وكيفياته وما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (ع) عند الموت وعند الدفن ولا يجب معرفة كيفية حضورهم (ع) هل هو بالأجساد العنصرية او المثالية او بالأرواح او غير ذلك

روى الصدوق وغيره في معاني الاخبار وغيره عن الصادق (ع) بأسانيد كثيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن مؤمنا أقسم على ربه عز وجل ان لا يميته ما أماته ابدا ولكن اذا حضر أجله بعث الله عز وجل اليه ريحين ريحا يقال لها المنسية وريحا يقال لها المسخية فأما المنسية فإنها تنسيه أهله وماله وأما المسخية فإنها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله تبارك وتعالى و في رواية فرات بن ابراهيم سئل الصادق (ع) عن المؤمن ايستكره على قبض روحه قال لا والله قلت و كيف ذلك قال لأنه اذا حضره ملك الموت جزع فيقول له ملك الموت لا تجزع

فوالله لأنا أبرّ بك واشفق من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك وانظر قال ويتهلل له رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب والحسن والحسين والأئمة من بعدهم والزهراء قال فينظر اليهم فيستبشر بهم أفما رأيت شخوصه قلت بلى قال فإنما ينظر اليهم قلت جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر قال ويحك ان الكافر يشخص منقلبا الى خلفه لأن ملك الموت انما يأتيه ليحمله من خلفه والمؤمن أمامه وينادي روحه مناد من قبل رب العزة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) فيقول ملك الموت اني قد امرت ان أخيرك بين الرجوع الى الدنيا والمضي فليس شيء أحب اليه من سلال روحه

وروى البرقي في المحاسن بإسناد معتبر عن عقبة والمعلى بن خنيس عن الصادق (ع) قال لن تموت نفس ابدا حتى ترى رسول الله وعليا قلت فإذا نظر اليهما المؤمن ايرجع الى الدنيا قال لا بل يمضي أمامه فقلت له يقولان شيئا جعلت فداك فقال نعم يدخلان جميعا على المؤمن فيجلس رسول الله عند رأسه وعلي عند رجليه فيكب عليه رسول الله ﷺ فيقول يا ولي الله ابشر انا رسول الله إني خير لك مما تترك من الدنيا ثم ينهض رسول الله ﷺ فيقوم عليه علي (ع) حتى يكب عليه فيقول يا ولي الله ابشر أنا علي بن ابي طالب الذي كنت تحبني اما لأنفعك ثم قال ابو عبد الله (ع) أما ان هذا في كتاب الله عز وجل قلت اين هذا جعلت فداك من كتاب الله قال في سورة يونس قول الله تبارك وتعالى ههنا (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وفي الكافي عن ابي بصير عن الصادق (ع) قال إذا حيل بينه اي بين المحتضر وبين الكلام أتاه رسول الله ﷺ ومن شاء الله فجلس رسول الله عن يمينه والآخر يعني عليا عن يساره فيقول له رسول الله ﷺ أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنته ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول هذا منزلك في الجنة وان شئت رددتك الى الدنيا فيها ذهب وفضة فيقول لا حاجة لي في الدنيا فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتتقلص شفتاه وينتشر منخراه وتدمع عينه اليسرى فأي هذه العلامات رأيت فاكتف بها فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما يعرض عليه وهو في الجسد فيختار الآخرة فيغسله فيمن يغسله ويقلبه فيمن يقلبه فإذا ادرج في اكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين

ايدي القوم قدماً وتلقاه ارواح المؤمنين يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم فإذا وضع في قبره رد اليه الروح الى وركيه ثم يسأل عما يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها قال قلت جعلت فداك فأين ضغطة القبر فقال هيهات ما على المؤمنين فيها شيء والله ان هذه الارض لتفتخر على هذه فتقول وطئ على ظهري مؤمن ولم يطئ على ظهرك مؤمن وتقول له الأرض لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ما اصنع بك فيفتح له مد بصره

وفي الكافي ايضا عن عمار بن مروان قال حدثني من سمع ابا عبد الله يقول منكم والله يقبل ولكم والله يغفر انه ليس بين احدكم وبين ان يغتبط ويرى السرور وقرة العين الا ان تبلغ نفسه ههنا وأومأ بيده الى حلقه ثم قال انه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وجبريل وملك الموت فيدنو منه علي فيقول يا رسول الله إن هذا كان يحبنا اهل البيت فأحبه ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرائيل انه كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه ويقول جبرائيل لملك الموت إن هذا كان يحب الله ورسوله واهل بيت رسوله فأحبه وارفق به فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك أخذت أمان براءتك تمسكت بالعروة الكبرى في الحياة الدنيا قال فيوفقه الله عز وجل فيقول نعم فيقول وما ذاك فيقول ولاية علي بن ابي طالب فيقول صدقت أما الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه وأما الذي كنت ترجوه فقد ادركته ابشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله وعلي وفاطمة ثم يسل نفسه سلا رفيقا ثم ينزل بكفنه من الجنة وحنوطه من الجنة بمسك اذفر فيكفن بذلك الكفن ويحنط بهذا الحنوط ثم يكسى حلة صفراء من حلل الجنة فاذا وضع في قبره فتح الله له بابا من ابواب الجنة يدخل عليه من روحها وريحانها ثم يفسح له عن امامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره ثم يقال له نم نومة العروس على فراشها ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ورب غير غضبان ثم يزور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في جنان رضوني فيأكل معهم من طعامهم ويشرب معهم من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا اهل البيت فإذا قام قائمنا بعثهم الله فاقبلوا معه يلبون زمراً زمراً فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحل المحلون يعني الذين يهتكون حرمة الأئمة ولا يتابعونهم ويهتكون حرمتهم وقليل ما يكونون هلكت المحاضير اي الذين يستعجلون في طلب الفرج بقيام القائم (ع) ونجا المقربون بكسر

الراء اي الذين يرون الفرج قريبا ولا يستبطؤونه او بفتح الراء من اجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي انت اخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام قال واذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي (ع) وجبرائيل وملك الموت فيدنو منه علي فيقول يا رسول الله ان هذا كان يبغضنا اهل البيت فابغضه ويقول رسول الله ياجبرائيل إن هذا كان يبغض الله ورسوله واهل بيت رسوله فابغضه واعنف عليه فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله اخذت فكاك رهانك اخذت امان برائتك من النار تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا فيقول لا فيقول ابشر يا عدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار اما الذي كنت تحذره فقد نزل بك ثم يسل نفسه سلاً عنيفا ثم يوكل بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم يبزق في وجهه وينادي بروحه فإذا وضع في قبره فتح له باب من ابواب النار فيدخل عليه من فيحها ولهبها وعن الباقر (ع) عن علي (ع) قال والله لا يبغضني عبد ابداً يموت على بغضي الا رآني عند موته حيث يكره ولا يحبني عبد ابداً فيموت على حبي الا رآني عند موته حيث يحب وعن ابن ابي يعفور قال كان خطاب الجهني خليطا لنا وكان شديد النصب لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان يصحب نجدة الحروري قال فدخلت عليه اعوده للخلطة والتقية فإذا هو مغمى عليه في حد الموت فسمعته يقول مالي ولك يا علي فاخبرت بذلك ابا عبد الله (ع) فقال ابو عبد الله (ع) رآه ورب الكعبة ثلاثا وعن ابي بصير قال قلت لأبي عبد الله (ع) ما معنى قول الله تبارك وتعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون) الآيات قال ان نفس المحتضر اذا بلغت الحلقوم وكان مؤمنا رأى منزله من الجنة فيقول ردوني الى الدنيا حتى اخبر اهلها بما ارى فيقال له ليس الى ذلك سبيل وعنه عليه السلام قال إن المؤمن اذا مات رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليا (ع) بحضرته (وفي كشف الغمة) (وامالي الشيخ) (ومناقب ابن شهر اشوب) عن الحسين بن عون قال دخلت على السيد الحميري عائداً في علته التي مات فيها فوجدته يساق به ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة عريض ما بين السالفين فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل نقطة من المداد ثم لم تزل تزيد وتنمى حتى طبقت وجهه بسوادها فاغتم لذلك من حضره من الشيعة وظهر من الناصبة سرور وشماتة فلم يلبث بذلك الا قليلا حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد ايضا وتنمى حتى اسفر وجهه واشرق وافتر السيد ضاحكا مستبشراً فقال شعراً

كذب الزاعمون ان عليا لن ينجي محبه من هنات
قد وربي دخلت جنة عدن وعفا لي الآله عن سيئات
فابشروا اليوم اولياء علي وتوالوا الوصي حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه واحداً بعد واحد بالصفات

ثم اتبع قوله هذا اشهد ان لا آله الا الله حقاحقا واشهد ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقا حقاً واشهد ان علياً امير المؤمنين حقا حقا اشهد ان لا آله الا الله ثم اغمض عينيه لنفسه فكأنما كانت روحه ذبالة طفيت او حصاة سقطت وروى القمي في تفسيره عن الصادق (ع) قال ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا الا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين علي والحسن والحسين (ع) فيرونه ويبشرونه وان كان غير موال يراهم بحيث يسوء والدليل على ذلك قول امير المؤمنين (ع) لحارث الهمداني

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن او منافق قبلا

وهذا البيت قد رواه الخاصة والعامة والاخبار في ذلك اكثر من ان تحصى قال العلامة المجلسي (ره) اعلم ان حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (ع) عند الموت مما قد وردت به الاخبار المستفيضة وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار وانكار مثل ذلك لمحض استبعاد الاوهام ليس من طريقة الاخيار واما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه بل يكفي فيه وفي امثاله الايمان به مجملا على ما صدر عنهم وما يقال من ان هذا خلاف الحس والعقل اما الأول فلأنا نحضر الموتى الى قبض روحهم ولا نرى عندهم احدا واما الثاني فلأنه يمكن ان يتفق في آن واحد قبض ارواح آلاف من الناس في مشارق الارض ومغاربها ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في امكنة متعددة فيمكن الجواب عن الأول بوجوه (الاول) ان الله تعالى قادر على ان يحجبهم عن ابصارنا لضرب من المصلحة كما ورد في اخبار العامة والخاصة في تفسير قوله تعالى (وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً) ان الله تعالى اخفى شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اعدائه مع ان اولياءه كانوا يرونه وانكار امثال ذلك يفضي الى انكار اكثر معجزات الانبياء والاوصياء (الثاني) انه يمكن ان يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر كحضور ملك الموت واعوانه وستأتي الاخبار في سائر الموتى ان ارواحهم تتعلق باجساد مثالية فأما الحي من الأئمة (ع) فلا يبعد تصرف

روحه لقوته في جسد مثالي ايضا (الثالث) انه يمكن ان يخلق الله تعالى لكل منهم مثالا بصورته وهذه الامثلة يكلمون الموتى ويبشرونهم عن قبلهم (ع) كما ورد في بعض الاخبار بلفظ التمثيل والجواب عن الثاني انه اذا قلنا بأن حضورهم في الاجساد المثالية يمكن ان يكون لهم اجساد مثالية كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر وبالأجوبة السابقة يندفع هذا الايراد ايضا

الفصل الرابع

في احوال عالم البرزخ

ينبغي التصديق بعالم البرزخ والقبر وثوابه وعقابه وبقاء الروح بعد مفارقة البدن وسؤال القبر ومنكر ونكير والمراد بالبرزخ العالم الذي ما بين الموت والقيامة وان الميت اذا ادخل القبر ترد روحه من رأسه الى ظهره ويأتيه الملكان ويسألانه والمسؤولون بعضهم في النعيم وبعضهم في العذاب الجسيم الى القيامة والاقرار بضغطة القبر وان السؤال والضغطة بالنسبة الى هذا البدن وسائر امور البرزخ للروح وتوضيح هذا الاجمال وتفصيل هذا المقال يتضح في فوائد (الفائدة الأولى) في بقاء الروح في العالم البرزخي وقد ورد ذلك في آيات متكاثرة وروايات متواترة قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) وقال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون) وقال تعالى (حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) وقد تظافرت الاخبار من الخاصة والعامة ان الروح بعد مفارقتها البدن تتعلق باجسام لطيفة في غاية اللطافة كاجسام الملائكة والجن مشابهة للأبدان العنصرية تتعيش بها وتطير وروى الشيخ المفيد باسناده عن يونس بن ضبيان قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فقال ما تقول الناس في ارواح المؤمنين بعد موتهم قلت يقولون في حواصل طيور خضر فقال سبحان الله المؤمن اكرم على الله من ذلك اذا كان ذلك يعني الاحتضار اتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة

الله عز وجل المقربون فإن انطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد وللنبي ﷺ بالنبوة والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون معهم وإن اعتقل لسانه خص الله نبيه ﷺ بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به وشهد على شهادة النبي ﷺ علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ومن حضر معهم من الملائكة فإذا قبضه الله اليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصور التي كانت في الدنيا وروى الصدوق في الامالي انه لما اسري بالنبي ﷺ مرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله اطفال فقال رسول الله من هذا الشيخ ياجبرائيل قال هذا ابوك ابراهيم (ع) قال فما هؤلاء الأطفال حوله قال هؤلاء اطفال المؤمنين حوله يغذوهم وروى القمي في تفسيره عن ابي بصير عن الصادق (ع) قال ان اطفال شيعتنا من المؤمنين تربيهم فاطمة وهذه الاخبار الثلاثة يمكن حملها على تجسم الروح ويمكن حملها على الجسد المثالي ولكن اكثر اخبار الباب ظاهرها الجسد المثالي ونحوها اخبار اخر تقدمت في الكلام في الروح وقد روي في ارشاد الديلمي والبصائر وغيرهما ان امير المؤمنين ارى ابا بكر رسول الله ﷺ بعد موته وان الحسن ارى بعض اصحابه امير المؤمنين وأن النبي ﷺ رأى ابراهيم (ع) وجملة من الانبياء في المعراج وأن امير المؤمنين رأى يوشع ابن نون وان الصادق (ع) رأى الباقر (ع) بعد موته وورد رؤية جماعة من اعدائهم بعد موتهم معذبين ونحو ذلك اخبار كثيرة ذكرناها في رسالتنا تسلية الفؤاد في احوال الموت والمعاد وهي يمكن حملها على احد الوجهين المتقدمين وعلى الاجساد الأصلية فإن الشيخ المفيد وجملة من المتكلمين والمحدثين من الإمامية قد ذهبوا إلى ان الانبياء والأئمة (ع) ينقلون بأجسادهم وارواحهم بعد الموت من الأرض الى السماء فيتنعمون في اجسادهم التي كانوا فيها في الدنيا وحملوا رؤية النبي ﷺ الأنبياء ليلة المعراج على ذلك ونحو ذلك الأخبار الدالة على مسخ بني امية بعد الموت وزغاً فإنها تحتمل الامور الثلاثة وإن كان احتمال الاجساد الاصلية اظهر فيها وروى البرسي في مشارق الأنوار عن الفضل ابن شاذان من كتاب صحائف الابرار أن امير المؤمنين (ع) اضطجع في نجف الكوفة على الحصى فقال قنبر يامولاي ألا افرش لك ثوبي تحتك فقال لا إن هي إلا تربة مؤمن او مزاحمته في مجلسه فقال الاصبغ اما تربة مؤمن فقد علمنا انها كانت او ستكون فما معنى مزاحمته في مجلسه فقال يا ابن نباتة في هذا الظهر

ارواح كل مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور وروى الحسن بن سليمان في كتاب المختصر عن الاصبغ بن نباتة أن امير المؤمنين (ع) خرج من الكوفة ومرّ حتى اتى الغريين فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب فقال له قنبر يا امير المؤمنين الا ابسط ثوبي تحتك قال لا هل هي إلا تربة مؤمن او مزاحمته في مجلسه قال الأصبغ تربة مؤمن قد عرفناها كانت او تكون فما مزاحمته في مجلسه فقال يا ابن نباتة لو كشف لكم لرأيتم ارواح المؤمنين في هذا الظهر حلقا يتزاورون ويتحدثون إن في هذا الظهر روح كل مؤمن وبوادي برهوت نسمة كل كافر ومن الكتاب المذكور عن الصادق (ع) قال إن ارواح المؤمنين يرون آل محمد في جنان رضوى فتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم وتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه يلبون زمرا فزمرا فعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحل المنتحلون وينجو المقربون ومن كتاب الشفاء والجلاء عن علي بن الحسين (ع) قال ان المؤمن ليقال لروحه وهو يغسّل أيسرّك ان ترد الى الجسد الذي كنت فيه فيقول ما اصنع بالبلاء والخسران والغم وروى ثقة الإسلام في الكافي عن ابي الحسن (ع) قال إن الاحلام لم تكن فيما مضى في اول الخلق وإنما حدثت فقلت وما العلة في ذلك فقال إن الله عز وجل بعث رسولا إلى اهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا إن فعلنا ذلك فالنا فما انت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرة فقال إن اطعتموني ادخلكم الله الجنة وإن عصيتموني ادخلكم الله النار فقالوا وما الجنة والنار فوصف لهم ذلك فقالوا متى نصير إلى ذلك فقال إذا متم فقالوا لقد رأينا امواتنا صاروا عظاما ورفاتا فازدادوا له تكذيبا وبه استخفافا فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وانكروا من ذلك فقال ان الله عز ذكره اراد أن يحتج عليكم بهذا هكذا تكون ارواحكم إذا متم وان بليت ابدانكم تصير الارواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان وروى البرقي في المحاسن في الصحيح عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام قال قال لي يا ابا محمد ان الميت منكم على هذا الأمر شهيد قلت وإن مات على فراشه قال وإن مات على فراشه حي عند ربه يرزق وعن عبد الله بن سليمان عن الباقر (ع) قال سألته عن زيارة القبور قال إذا كان يوم الجمعة فزرهم فإنه من كان منهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعلمون بمن اتاهم في كل يوم فإذا طلعت الشمس كانوا سدى اي مهملين غير معذبين قلت فيعلمون بمن اتاهم فيفرحون به قال نعم ويستوحشون له إذا

انصرف عنهم وروى الكليني في الصحيح عن الصادق (ع) قال إن المؤمن ليزور اهله فيرى مايحب ويستر عنه ما يكره وان الكافر ليزور أهله فيرى مايكره ويستر عنه ما يحب قال ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله وعن ابي بصير عن الصادق (ع) قال ما مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي اهله عند زوال الشمس فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك وإذا رأى الكافر اهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة وعن اسحق بن عمار عن ابي الحسن (ع) الأول قال سألته عن الميت يزور اهله قال نعم فقلت في كم يزور قال في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته فقلت في اي صورة يأتيهم قال في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم فإن رآهم بخير فرح وإن رآهم بشر حزن واغتم وعنه عنه (ع) انهم يزورون اهلهم على قدر فضائلهم منهم من يزور في كل يوم ومنهم من يزور في كل يومين ومنهم من يزور في كل ثلاثة ايام وادناهم منزلة يزور كل جمعة قال قلت في اي ساعة قال عند زوال الشمس ومثل ذلك قال قلت في اي صورة قال في صورة العصفور او اصغر من ذلك يبعث الله عز وجل معه ملكا فيريه ما يسره ويستر عنه ما يكره فيرى مايسره ويرجع إلى قرة عين وعن عبد الرحيم القصير قال قلت له المؤمن يزور اهله فقال نعم يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر اليهم ويسمع كلامهم وعن احمد بن عمر رفعه عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له إن اخي ببغداد وأخاف أن يموت بها قال ما ابالي حيثما مات انه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام فقلت وأين وادي السلام قال ظهر الكوفة اما اني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون وعن ابي بصير قال سألت ابا عبد الله (ع) عن ارواح المؤمنين فقال في حجرات الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون ربنا أقم لنا الساعة وانجز لنا ما وعدتنا وألحق آخرنا بأولنا وفي رواية اخرى قال سألته عن ارواح المشركين فقال في النار يعذبون يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا وعن الصادق (ع) قال إذا مات الميت اجتمعوا عنده يسألونه عمن مضى وعمن بقي فإن كان مات ولم يرد عليهم قالوا قد هوى ويقول بعضهم لبعض دعوه حتى يسكن مما مر عليه من الموت وعنه عليه السلام قال إن ارواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا ونحو هذه الاخبار اخبار كثيرة تدل على بقاء الروح

بعد الموت منعمة او معذبة ويلهى عنه ان كان من المستضعفين ﴿ الفائدة الثانية ﴾ في بيان سؤال القبر وضغطته وثوابه وعقابه ٠ اعلم ان عذاب البرزخ وثوابه قد انعقد عليه اجماع المسلمين بل لعله من ضروريات الدين ومنكره كافر ولم ينكره إلا شرذمة قليلة ممن يدعي الإسلام وقد انعقد الاجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً وكذا بقاء النفوس بعد الموت قال المحقق الطوسي في التجريد عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه وقال العلامة (ره) في شرحه نقل عن ضرار انه انكر عذاب القبر والاجماع على خلافه وقال شارح المقاصد اتفق الاسلاميون على حقية سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه ونسب خلافه الى بعض المعتزلة قال بعض المتأخرين منهم حكي انكار ذلك عن ضرار بن عمر وانما نسب الى المعتزلة وهم برآء منه لمخالطة ضرار اياهم وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحق ونحوه قال في المواقف وقال المحقق الدواني في شرح العقائد العضدية عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حق لقوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وقوله تعالى (ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) ولقوله (ع) ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار فيقال هذا مقعدك حتى نبعثك يوم القيامة وقوله ﷺ استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه وقوله ﷺ القبر إما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقال الغزالي في الاحياء اعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا احدها وهو الأظهر والأصح ان تصدق بأن الحية مثلا موجودة تلدغ الميت ولكنا لا نشاهد ذلك فإن تلك العين لا تصلح لمشاهدة تلك الامور الملكوتية وكلما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى أن الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرائيل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون انه ﷺ يشاهده فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك اوجب وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي ﷺ مالا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت

﴿ المقام الثاني ﴾ أن تتذكر امر النائم فإنه يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى في حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد وإن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق

بين حية تتخيل او تشاهد

﴿ المقام الثالث ﴾ ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل ذلك من غير سم فكان ذلك العذاب قد توفر وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات فإن قلت ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة فاعلم ان من الناس من لم يثبت إلا الثالث وإنما الحق الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله وعجائب تدبيره منكر من افعال الله ما لم يأنس به وما لم يألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة هذا هو الحق فصدق به ثم قال وسؤال منكر ونكير حق لقوله ﷺ إذا اقبر الميت أتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير يقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فإن كان مؤمنا يقول هو عبد الله ورسوله اشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله ﷺ الى ان قال والأحاديث الظاهرة الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين اكثر من ان يحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حد التواتر وإن كان كل منها خبر آحاد واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف وانكره مطلقا ضرار بن عمر واكثر متأخري المعتزلة وبعض الروافض متمسكين بأن الميت جماد فلا يعذب وما سبق حجة عليهم ومن تأمل عجائب الملك والملكوت وغرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول امثال هذا فإن للنفس نشآت وفي كل نشأة تشاهد صورا تقتضيها تلك النشأة فكما انها تشاهد في المنام أمورا لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال انخلاع البدن أمورا لم تكن تشاهد في الحياة والى هذا يشير من قال الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (اقول) إن أراد ببعض الروافض بعض أهل ملته ممن رفض الحق فهو اعرف بمذاهب اصحابه وإن أراد بهم الفرقة المحقة والطائفة الحقة الذين تمسكوا بالثقلين ورفضوا ما سواهما من البين وركبوا سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى فهو عليهم فرية بلا مرية وعلى المفتري ما يستحقه وكتبهم ومصنفاتهم تشهد بذلك وترشد الى ما هنالك وأهل البيت أدرى بما فيه ثم انه صرح

بعض العامة بأن الصبيان يسألون ايضا واختلفوا في الأنبياء فقيل انهم يسألون وقيل لا لأن السؤال على ما ورد في الحديث عن ربه وعن دينه وعن نبيه ولا يعقل السؤال عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ان ذلك لا يدل على عدم السؤال مطلقا بل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجري ذلك ايضا في نبي على ملة نبي آخر والذي يظهر من قواعد العدلية وظواهر النصوص الواردة في الباب انه إنما يسأل في القبر المكلف الكامل دون الصبي والمجنون بل المستضعف واما الأنبياء والأئمة فالأولى عدم التعرض لذلك نفيا او إثباتا لعدم ورود نص صريح فيه وعدم تعرض احد من علمائنا السابقين له وإن كان المفهوم من فحوى الأخبار الدالة على عدم سؤال من لقن وما دل على انه يسأل وهو مضغوط وما دل على رفعة شأنهم العدم وروى العامة ايضا في كتبهم عن ابي امامة الباهلي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا مات احدكم وسويتم عليه التراب فليقم احدكم على قبره وليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم يقول يا فلان ابن فلانة الثانية فيستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول ارشدنا يرحمك الله فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن كتابا فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق فما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته فقال يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال فلينسبه الى حواء وظاهر الحديث ان السؤال لا يكون لمن يلقن وقد قال بذلك الشهيد(ره) منا وقال الصدوق في رسالته العقائد اعتقادنا في المسائلة في القبر انها حق لا بد منها فمن أجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره وبجنة نعيم في الآخرة ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة واكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول وأشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين او شرطة حجام ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزع عند الموت ثم ذكر فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع فاطمة بنت أسد عند موتها كما يأتي وقال الشيخ المفيد(ره) في شرحه جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن ادیانهم والفاظ الأخبار بذلك متضافرة فمنها ان ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحق سلماه الى ملائكة النعيم وان ارتج عليه سلماه الى ملائكة

العذاب وقيل في بعض الأخبار ان اسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير وقيل انه يسمى ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنه ينكر الحق وينكر ما يأتيانه به ويكرهه وسمى ملكا المؤمن مبشرا وبشيرا لأنهما يبشرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم وان هذين الاسمين ليسا بلقب لهما وانهما عبارة عن فعلهما وهذه أمور يتقارب بعضها من بعض ولا يستحيل معانيها والله اعلم بحقيقة الأمر فيها وقد قلنا فيما سلف انه إنما ينزل الملكان على من محض الايمان محضا او محض الكفر محضا ومن سوى هذين فيلهى عنه وبينا ان الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه ﴿فصل﴾ وليس ينزل الملكان إلا على حي ولا يسألان إلا من يفهم المسألة ويعرف معناها وهذا يدل على ان الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمسائلة ويديم حياته بنعيم إن كان يستحقه او بعذاب إن كان يستحقه والغرض من نزول الملكين ومساءلتهما العبد أن الله تعالى يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم وملائكة العذاب وليس للملائكة طريق الى ما يستحقه إلا باعلام الله تعالى ذلك لهم فالملكان اللذان ينزلان على العبد احدهما من ملائكة النعيم والآخر من ملائكة العذاب فإذا هبطا لما وكلا به استفهما حال العبد بالمسئلة فإن أجاب بما يستحق النعيم قام بذلك ملك النعيم وعرج عنه ملك العذاب وان ظهرت فيه علامة استحقاق العذاب وكل به ملك العذاب وعرج عنه ملك النعيم وقد قيل ان الملائكة الموكلين بالنعيم والعقاب غير الملكين الموكلين بالمسائلة وإنما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العقاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المسائلة فإذا سألا العبد وظهر منه ما يستحق به الجزاء تولى منه ذلك ملائكة الجزاء وعرجا ملكا المسائلة الى مكانهما من السماء وهذا كله جائز ولسنا نقطع بأحد القولين دون صاحبه إذ الأخبار فيه متكافئة والعادة لنا في معنى ما ذكرناه الوقف والتجويز ﴿فصل﴾ وإنما وكل الله تعالى ملائكة المسائلة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبداً لهم بذلك كما وكل الكتبة من الملائكة بحفظ اعمال الخلق وكتبها ونسخها ورفعها تعبدا لهم بذلك وكما تعبد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم وطائفة منهم بإهلاك الأمم وطائفة بحمل العرش وطائفة بالطواف حول البيت المعمور وطائفة بالتسبيح وطائفة بالاستغفار للمؤمن ثم قال وطريق مسائلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا هو السمع وطريق العلم بردّ الحياة اليهم عند المسائلة هو العقل إذ لا تصح مسائلة الأموات واستخبار الجمادات وإنما يحسن الكلام للحي العاقل لما يكلم به وتقريره والزامه بما يقدر عليه مع انه قد جاء في الخبر أن كل مسائل ترد اليه الحياة عند مساءلته ليفهم ما يقال

له فالخبر بذلك أكد ما في العقل ولو لم يرد خبر بذلك لكفى حجة العقل فيه وقال في موضع آخر من شرح العقائد الذي ثبت من الحديث في هذا الباب ان الأرواح بعد الأجساد على ضربين منها ما ينقل الى الثواب والعقاب ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب وقد روي عن الصادق (ع) ما ذكرناه في هذا المعنى وبيناه فسئل (ع) عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه فقال (ع) من مات وهو ماحض للإيمان محضا او ماحض للكفر محضا نقلت روحه من هيكله الى مثله في الصورة وجوزي بأعماله الى يوم القيامة فاذا بعث الله من في القبور انشأ جسمه ورد روحه الى جسده وحشره ليوفيه اعماله فالمؤمن ينتقل من جسده الى مثل جسده في الصورة فيحل في جنات من جنات الدنيا يتنعم فيها الى يوم المآب والكافر تنتقل روحه من جسده الى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذب بها الى يوم القيامة وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي الآية) وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا) فأخبر سبحانه ان مؤمنا قال بعد موته وقد أدخل الجنة يا ليت قومي يعلمون واخبر ان كافرا يعذب بعد موته غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة يخلد في النار والضرب الآخر ما يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسمه فلا يشعر بشيء حتى يبعث وهو من لم يمحض الإيمان محضا ولا الكفر محضا وقد بين الله تعالى ذلك عند قوله (إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) فبين ان قوما عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن بعضهم ان ذلك كان عشرا ويظن بعضهم ان ذلك كان يوما وليس يجوز أن يكون ذلك من وصف من عذب الى يوم بعثه لأن من لم يزل منعما او معذبا لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته وقد روي عن ابي عبد الله (ع) انه قال إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضا او محض الكفر محضا فاما ما سوى هذين فإنه يلهى عنه وقال في الرجعة انما يرجع الى الدنيا عند قيام القائم من محض الايمان محضا او محض الكفر محضا فاما ما سوى هذين فلا رجوع لهم الى يوم المآب وقد اختلف اصحابنا فيمن ينعم ويعذب بعد موته فقال بعضهم المنعم والمعذب هو الروح التي توجه اليها الأمر والنهي والتكليف وسموها جوهرا وقال آخرون بل الروح الحياة جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا وكلا الأمرين يجوزان في العقل والاظهر عندي قول من قال انها الجوهر المخاطب وهو الذي تسميه الفلاسفة البسيط وقد جاء في الحديث ان الانبياء خاصة والأئمة من بعدهم ينقلون

بأجسادهم وأرواحهم من الأرض الى السماء فيتنعمون في اجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا وهذا خاص بحجج الله دون من سواهم من الناس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعد ابلغته وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي مرة صليت عليه عشرا ومن صلى علي عشرا صليت عليه مائة فليكثر امرؤ منكم الصلاة علي او فليقل آمين فبين انه صلى الله عليه وآله وسلم بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلوات عليه ولا يكون كذلك الا وهو حي عند الله تعالى و كذلك ائمة الهدى (ع) يسمعون سلام المسلم عليهم من قرب ويبلغهم من بعد وبذلك جاءت الآثار الصادقة عنهم (ع) وقد قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء) الآية وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد القوا في القليب لقد كنتم جيران سوء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخرجتموه من منزله وطردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه فقد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر يا رسول الله ما خطابك لهام قد صديت فقال له يا ابن الخطاب فوالله ما انت بأسمع منهم وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلا ان اعرض بوجهي هكذا عنهم وعن امير المؤمنين (ع) انه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلل الصفوف حتى مر على كعب بن سور وكان هذا قاضي البصرة ولاه إياها عمر بن الخطاب فأقام بها قاضيا بين أهلها زمان عمر وعثمان فلما وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنقه مصحفا وخرج بأهله وولده يقاتل امير المؤمنين (ع) فقتلوا بأجمعهم فوقف امير المؤمنين (ع) عليه وهو صريع بين القتلى فقال أجلسوا كعب بن سور فأجلس بين نفسين فقال يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال اضجعوا كعباً وسار قليلا فمر بطلحة ابن عبد الله صريعا فقال أجلسوا طلحة فأجلسوه فقال يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال اضجعوا طلحة فقال له رجل من اصحابه يا امير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك فقال يا رجل فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا من الأخبار الدالة على ان بعض من يموت ترد اليه روحه لتنعيمه او لتعذيبه وليس ذلك بعام في كل من يموت بل هو على ما بيناه . انتهى المقصود من كلام المفيد (ره) وروى الصدوق في الأمالي وغيره عن الصادق (ع) قال من أنكر ثلاثة اشياء فليس من شيعتنا المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة وروى الكليني في الكافي وغيره

بأسانيد عديدة عن الصادق(ع) انه لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضا او محض الكفر محضا والآخرون يلهون عنهم وفي الصحيح عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله(ع) يسأل وهو مضغوط ولعل المعنى ان الضغطة والسؤال مثلا زمان فكل من لا يضغط لا يسأل وبالعكس ويحتمل أن يكون الغرض اثبات الحالتين فقط وعن بشير الدهان عن ابي عبد الله(ع) قال يجيء الملكان منكر ونكير الى الميت حين يدفن اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يخطان الارض بأنيابهما ويطئان في شعورهما فيسألان الميت من ربك وما دينك قال فإذا كان مؤمنا قال الله ربي ودبني الاسلام فيقولان له ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم فيقول أعن محمد رسول الله تسألان فيقولان له تشهد انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول اشهد انه رسول الله فيقولان له نم نومة لا حلم فيها ويفسح له في قبره تسعة أذرع ويفتح له باب الى الجنة ويرى مقعده فيها واذا كان الرجل كافرا دخلا عليه واقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له من ربك وما دينك وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظهرانيكم فيقول لا ادري فيخليان بينه وبين الشيطان فيسلط عليه في قبره تسعة وتسعين تنينا اي افعى ولو ان تنينا واحدا منها نفخ في الأرض ما انبتت شجرا ابدا ويفتح له باب الى النار ويرى مقعده فيها وعن ابي بكر الحضرمي قال قلت لأبي جعفر (ع) اصلحك الله من المسؤولون في قبورهم قال من محض الإيمان ومن محض الكفر قال قلت فبقية هذا الخلق قال يلهون والله عنهم ما يعبأ بهم قال قلت وعما يسألون قال عن الحجة القائمة بين اظهركم فيقال للمؤمن ما تقول في فلان بن فلان فيقول ذلك إمامي فيقال له نم انام الله عينيك ويفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها الى يوم القيامة ويقال للكافر ما تقول في فلان بن فلان فيقول قد سمعت وما ادري من هو فيقال له لا دريت قال فيفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرها الى يوم القيامة وعن الكاظم عليه السلام قال يقال للمؤمن في قبره من ربك فيقول الله فيقال له ما دينك فيقول الاسلام فيقال من نبيك فيقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقال من إمامك فيقول فلان فيقال كيف علمت بذلك فيقول امر هداني الله له وثبتني عليه فيقال له نم نومة لا حلم فيها نومة العروس ثم يفتح له باب الى الجنة فيدخل اليه من روحها وريحانها فيقول يارب عجل قيام الساعة لعلي ارجع الى اهلي ومالي ويقال للكافر من ربك فيقول الله فيقال من نبيك فيقول محمد فيقال ما دينك فيقول الإسلام فيقال من اين علمت فيقول سمعت الناس يقولون

فقلت فيضربانه بمرزبة لواجتمع عليها الثقلان الانس والجن لم يطيقوها قال فيذوب كما يذوب الرصاص ثم يعيدان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار فيقول يارب اخر قيام الساعة وفي هذا الحديث الشريف دلالة على أن ايمان المخالفين بالله والرسول ظني تقليدي ولأجل عدم إيمانهم بالأئمة (ع) لم يهدهم الله للرسوخ فيه وانما الهداية واليقين مع متابعتهم (ع) كماروي عن كتاب الحسين بن سعيد عن سليمان بن خالد في الصحيح قال سألت ابا عبد الله (ع) عما يلقى صاحب القبر فقال ان ملكين يقال لهما منكر ونكير يأتيان صاحب القبر فيسألانه عن رسول الله ﷺ فيقولان ما تقول في هذا الرجل الذي خرج فيكم فيقول من هو فيقولان الذي كان يقول انه رسول الله ﷺ احق ذلك قال فاذا كان من اهل الشك قال ما ادري قد سمعت الناس يقولون فلست ادري احق ذلك ام كذب فيضربانه ضربة يسمعها اهل السماوات وأهل الأرض الا المشركين واذا كان متيقنا فإنه لا يفزع فيقول اعن رسول الله ﷺ تسألان فيقولان اتعلم انه رسول الله ﷺ فيقول اشهد انه رسول الله ﷺ حقا جاء بالهدى ودين الحق قال فيرى مقعده من الجنة ويفسح له في قبره ثم يقولان له نم نومة ليس فيها حلم في اطيب ما يكون النائم وروى الصدوق في الأمالي باسناده عن سليمان بن مقبل عن الكاظم (ع) عن ابيه (ع) قال اذا مات المؤمن شيعه سبعون الف ملك الى قبره فاذا ادخل قبره اتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ومحمد نبيي والاسلام ديني فيفسحان له في قبره مد بصره ويأتيانه بالطعام من الجنة ويدخلان عليه الروح والريحان وذلك قوله عز وجل (فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) يعني في الآخرة ثم قال (ع) اذا مات الكافر شيعه سبعون الفا من الزبانية الى قبره وانه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كل شيء الا الثقلان ويقول لو أن لي كرة فأكون من المؤمنين ويقول ارجعوني لعلي اعمل صالحا فيما تركت فتجيبه الزبانية كلا انها كلمة انت قائلها وينادیهم ملك لو ردّ لعاد لما نهي عنه فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت ولا أفلحت ثم يفتحان له بابا الى النار وينزلان اليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عز وجل (واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم) يعني في القبر (وتصلية جحيم) يعني في الآخرة واعلم ان الاخبار الواردة في السؤال قد دلت على انه يسأل عن العقائد الإيمانية

لاسيما ولاية امير المؤمنين (ع) وامامته وقد روى العامة والخاصة بطرق متواترة ان الميت يسأل في القبر عن ولاية امير المؤمنين فروى الكشي عن يونس قال دخلت على الرضا (ع) فقال لي مات علي بن ابي حمزة قلت نعم قال قد دخل النار قال ففزعت من ذلك قال اما انه سئل عن الإمام بعد موسى ابي فقال لا اعرف اما مابعده فقيل لا دريت فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره نارا وفي رواية أخرى انه اقعد في قبره فسئل عن الأئمة (ع) فأخبر بأسمائهم حتى انتهى إلي فسئل فوقف فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره نارا وفي بصائر الدرجات عن زر بن حبيش ، قال سمعت عليا (ع) يقول ان العبد إذا ادخل حفرته اتاه ملكان اسمهما منكر ونكير فاول ما يسألانه عن ربه ثم عن نبيه ثم عن وليه فإن اجاب نجا وان عجز عذباه فقال له رجل ما لمن عرف ربه ونبيه ولم يعرف وليه فقال (ع) مذبذب لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ذلك لا سبيل له وقد قيل للنبي من الولي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وليكم في هذا الزمان علي ومن بعده وصيه ولكل زمان عالم يحتج الله به لئلا يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياؤهم (ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله تعالى (قل تربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) وانما كان تربصهم ان قالوا نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى نعرف اماما فعيرهم الله بذلك فالأوصياء اصحاب الصراط وقوف عليه لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من انكرهم وأنكروه لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند أخذ المواثيق عليهم ووصفهم في كتابه فقال جل وعز (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) هم الشهداء على اوليائهم والنبي الشهيد عليهم أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم المواثيق بالطاعة فجرت نبوته عليهم وذلك قول الله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا)

وروي عن شاذان بن جبرائيل في كتاب الفضائل وغيره انه لما ماتت فاطمة بنت اسد ام امير المؤمنين اقبل علي بن ابي طالب (ع) باكيا فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك لا ابكى الله عينيك قال توفيت والدتي يارسول الله قال النبي بل والدتي ياعلي فلقد كانت تجوع اولادها وتشبعني وتشعث اولادها وتدهنني والله لقد كانت في دار ابي طالب نخلة فكانت تسابق اليها

من الغداة لتلتقط ثم تجنيه رضي الله عنها فإذا خرج بنو عمي ناولتني ذلك ثم نهض صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ في جهازها و كفنها بقميصه و كان في حال تشييع جنازتها يرفع قدما ويتأنى في رفع الاخرى وهو حافي القدم فلما صلى عليها كبر سبعين تكبيرة ثم لحدها في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها ولقنها الشهادة فلما اهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل ابنك ابنك علي بن ابي طالب قالوا يارسول الله فعلت فعلا مارأينا مثله قط مشيت حافي القدم و كبرت سبعين تكبيرة ونومك في لحدها وقميصك عليها وقولك لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل فقال صلى الله عليه وآله وسلم أما التأني في وضع اقدامي ورفعها في حال التشييع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة وأما تكبيري سبعين تكبيرة فإنها صلى عليها سبعون صفا من الملائكة وأما نومي في لحدها فاني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت واضعفاه فنمت في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتها ذلك وأما تكفيني لها بقميصي فإني ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراة فقالت واسوأتاه فكفنتها به لتقوم يوم القيامة مستورة وأما قولي لها ابنك ابنك فانها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت الله ربي وقالا من نبيك قالت محمد نبيي فقالا من وليك وامامك فاستحيت ان تقول ولدي فقلت لها قولي ابنك علي بن ابي طالب (ع) فأقر الله بذلك عينها و في هذا الحديث الشريف دلالة على أن الميت يسأل عن الإمام (ع) قبل زمان امامته ويحتمل اختصاصه بمن علم بإمامته او انه مخصوص بالمقربين او بفاطمة لاظهار جلالة شأنها كما يشعر به آخر الحديث

وروى الكليني في الكافي باسناد معتبر عن ابي بصير عن ابي عبدالله (ع) قال إن المؤمن إذا اخرج من بيته شيعته الملائكة الى قبره يزدحمون عليه حتى إذا انتهي به الى قبره قالت له الأرض مرحبا بك واهلا اما والله لقد كنت احب ان يمشي عليّ مثلك لترين ما اصنع بك فيوسع له مد بصره ويدخل عليه في قبره ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير فيلقيان فيه الروح الى حقويه فيقعدانه ويسألانه فيقولان من ربك فيقول الله فيقولان ما دينك فيقول الإسلام فيقولان من نبيك فيقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقولان ومن إمامك فيقول فلان قال فينادي مناد من السماء صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنة وافتحوا له في قبره بابا الى الجنة والبسوه من ثياب الجنة حتى ياتينا وما عندنا خير له ثم يقال له نم نومة عروس نم نومة لا حلم فيها قال وان كان كافرا خرجت الملائكة تشيعه الى قبره يلعنونه حتى اذا انتهى الى قبره قالت

له الأرض لا مرحبا بك ولا اهلا اما والله لقد كنت ابغض ان يمشي علي مثلك لاجرم لترين ما اصنع بك اليوم فتضيق عليه حتى تلتقي جوانحه قال ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير قال ابو بصير جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة فقال لا قال فيقعدانه ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له من ربك فيتلجلج ويقول قد سمعت الناس يقولون فيقولان له لا دريت ويقولان له ما دينك فيتلجلج فيقولان له لا دريت ويقولان من نبيك فيقول قد سمعت الناس يقولون فيقولان له لا دريت ويسأل عن امام زمانه قال وينادي مناد من السماء كذب عبدي افرشوا له في قبره من النار والبسوه من ثياب النار وافتحوا له بابا إلى النار حتى يأتينا وما عندنا شر له فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا يتطاير قبره نارا لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميما وقال ابو عبدالله ويسلط الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشا والشيطان يغمه غما قال ويسمع عذابه من خلق الله إلا الجن والإنس قال وانه يسمع خفق نعالهم ونفض ايديهم وهو قول الله عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)

وفي الكافي عن بشير الدهان عن الصادق (ع) قال إن للقبر كلاما في كل يوم يقول انا بيت الغربة انا بيت الوحشة انا بيت الدود انا القبر انا روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وعن سالم عن الصادق (ع) قال ما من موضع قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرات انا بيت التراب انا بيت البلى انا بيت الدود قال فإذا دخله عبد مؤمن قال مرحبا واهلا اما والله لقد كنت احبك وانت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك قال فيفسح له مد البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة قال ويخرج من ذلك رجل لم ترعيناه شيئا احسن منه فيقول ياعبد الله ما رأيت شيئا قط احسن منك فيقول انا رأيك الحسن الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله قال ثم يأخذ روحه فتوضع في الجنة حيث رأى منزله ثم يقال له نم قرير العين فلا تزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث قال واذا دخل الكافر قالت لا مرحبا بك ولا أهلا اما والله لقد كنت ابغضك وانت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني سترى ذلك فتضم عليه فتجعله رميما ويعاد كما كان ويفتح له باب الى النار فيرى مقعده من النار ثم قال ثم انه يخرج منه رجل اقبح من رأى

قط قال فيقول ياعبد الله من انت ما رأيت شيئا اقبح منك قال فيقول عملك السيء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث قال ثم يؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار ثم لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرها الى يوم القيامة يبعث ويسلط على روحه تسعة وتسعون تنينا تنهشه ليس فيها تنين ينفخ على وجه الأرض فتنبت شيئا

وقد روى العامة على ما في المناقب عن ابي هريرة في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) يعني بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله في الحياة الدنيا ثم قال وفي الآخرة قال هذا في القبر يدخلان عليه ملكان فظان غليظان يحفران القبر بأنيابهما واصواتهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ومع كل واحد منهما مرزبة فيها ثلثمائة وستون عقدة في كل عقدة ثلثمائة وستون حلقة كوزن حديد الدنيا لو اجتمع عليها أهل السماء والارض أن يقلوها ما اقلوها هي في ايديهم أخف من جناح بعوضة فيدخلان القبر على الميت ويجلسانه في قبره ويسألانه من ربك فيقول المؤمن الله ربي ثم يقولان فمن نبيك فيقول المؤمن محمد نبيي فيقولان ما قبلتك فيقول المؤمن الكعبة قبلتي فيقولان له من إمامك فيقول المؤمن إمامي علي بن ابي طالب(ع) فيقولان له صدقت ثم قال ويضل الله الظالمين يعني عن ولاية علي في القبر والله ليسألن عن ولايته على الصراط ووالله ليسألن عن ولايته في الحساب ورووا بالمعنى ايضا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله ملكين يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت في القبر يسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه فإن أجاب بالصواب سلماه الى ملائكة النعيم وان عجز عن الجواب سلماه الى ملائكة العذاب ويستفاد من بعض الأخبار انه يسأل عن بعض الأعمال ايضا كما روى الكليني في الكافي عن الصادق (ع) قال يسأل الميت في قبره عن خمس عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه وولايته ايانا أهل البيت فتقول الولاية من جانب القبر للاربع ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامه وعنه(ع) قال اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مطل عليه قال فيتنحى الصبر ناحية فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة دونكما صاحبكما فإن عجزتما عنه فأنا دونه وفي تفسير الإمام العسكري قال علي بن ابي طالب(ع) من قوى مسكينا في دينه ضعيفا في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقنه الله يوم يدلى في قبره ان يقول الله ربي ومحمد نبيي وعلي وليي والكعبة قبلتي والقرآن كتابي وعدتي و المؤمنون اخواني والمؤمنات اخواتي فيقول الله أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي

درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة

وروى البرقي في المحاسن عن ابي بصير في الصحيح عن احدهما (ع) قال إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور فيهن صورة أحسنهن وجها وابهاهن هيئة وأطيبهن ريحا وأنظفهن صورة قال فتقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجليه وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه وإن أتي عن يمينه منعته التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست قال فتقول أحسنهن صورة ومن أنتم جزاكم الله عني خيرا فتقول التي عن يمين العبد انا الصلاة وتقول التي عن يساره انا الزكاة وتقول التي بين يديه انا الصيام وتقول التي خلفه انا الحج والعمرة وتقول التي عند رجليه انا بر من وصلت من اخوانك ثم يقلن من انتِ فأنت أحسننا وجها وأطيبنا ريحا وأبهانا هيئة فتقول انا الولاية لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وروى الصدوق في الأمالي عن سعيد بن المسيب قال كان علي بن الحسين يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد الرسول وحفظ عنه وكتب كان يقول ايها الناس اتقوا الله واعلموا انكم اليه ترجعون فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضرا وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه ابن آدم إن اجلك اسرع شيء اليك قد اقبل نحوك حثيثا يطلبك ويوشك أن يدركك كأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت الى منزل وحيد فرد اليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكاك منكر ونكير لمسائلتك وشديد امتحانك ألا وإن اول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي ارسل اليك وعن دينك الذي كنت تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه ثم عن عمرك فيم أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته فخذ حذرك وانظر لنفسك واعد للجواب قبل الامتحان والمسائلة والاختبار فإن تك مؤمنا تقيا عارفا بدينك متبعا للصادقين موالیا لأولياء الله لقاك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب فأحسنت الجواب فبشرت بالجنة والرضوان من الله والخيرات الحسان واستقبلت بالروح والريحان وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعميت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل وحميم وتصلية جحيم

فصل

واما الكلام في ضغطة القبر فهو كثوابه وعقابه اجماعي كما تقدم والذي يظهر من الاخبار المعتبرة في الباب ان ضغطة القبر تقع في البدن الأصلي وليست بعامة وانما هي تابعة للسؤال فمن لم يسأل لم يضغط وفي تفسير القمي عند قوله تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) قال البرزخ هو امر بين امرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة وهو رد من انكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة وهو قول الصادق (ع) والله ما اخاف عليكم الا البرزخ فأما اذا صار الأمر الينا فنحن اولى بكم

وروى الصدوق وغيره عن الصادق (ع) قال اتي رسول الله ﷺ فقيل له ان سعد بن معاذ قد مات فقام رسول الله وقام اصحابه معه فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب فلما ان حنط و كفن وحمل على سريره تبعه رسول الله ﷺ بلا حذاء ولا رداء ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به الى القبر فنزل رسول الله حتى لحده وسوّى اللبن عليه وجعل يقول ناولوني حجرا ناولوني ترابا رطبا يسد به ما بين اللبن فلما ان فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله اني لأعلم انه سيبلى ويصل البلى اليه ولكن الله يحب عبداً اذا عمل عملاً أحكمه فلما ان سوى الترب عليه قالت ام سعد يا سعد هنيئاً لك الجنة فقال رسول الله يا ام سعد مه لا تجزمي على ربك فإن سعدا قد اصابته ضمة قال فرجع رسول الله ورجع الناس فقالوا له يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على احد انك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء فقال ﷺ ان الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها قالوا و كنت تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير اخرى قال كانت يدي في يد جبرائيل آخذ حيث يأخذ قالوا امرت بغسله وصليت على جنازته ولحّدته في قبره ثم قلت ان سعداً قد اصابته ضمة قال فقال ﷺ نعم انه كان في خلقه مع اهله سوء وعن بشير النبال عن الصادق (ع) قال خاطب رسول الله ﷺ قبر سعد فمسحه بيده واختلج بين كتفيه فقيل له يا رسول الله رأيناك خاطبت سعدا واختلج بين كتفيك وقلت سعد يفعل به هذا فقال ﷺ انه ليس من مؤمن الا وله ضمة

و في الكافي عن ابي بصير في الموفق عن احدهما قال لما ماتت رقية ابنة رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون واصحابه قال وفاطمة (ع) على

شفير القبر تنحدر دموعها في القبر ورسول الله يتلقاه بثوبه قائم يدعو قال اني لاعرف ضعفها وسألت الله عز وجل أن يجيرها من ضمة القبر

وفي الصحيح عن يونس قال سألته يعني الرضا(ع) عن المصلوب يعذب عذاب القبر قال فقال نعم ان الله عز وجل يأمر الهواء ان يضغطه وعن الصادق (ع) عن آبائه قال قال رسول الله مر عيسى بن مريم بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب فقال يا رب مررت بهذا القبر عام اول فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام فإذا ليس يعذب فاوحى الله عز وجل اليه يا روح الله انه ادرك له ولد صالح فاصلح طريقا وآوى يتيما فغفرت له بما عمل ابنه وعنه (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم وعنه (ع) قال من مات مابين زوال الشمس يوم الخميس الى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين اعاذه الله من ضغطة القبر وفي رواية البرقي عن الباقر (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق (ع) قال ان العبد اذا ادخل قبره اتاه منكر ونكير الى ان قال واذا كان كافراً قال ما ادري فيضرب ضربة يسمعها كل من خلق الله الا الانسان وسلط عليه الشيطان وله عينان من نحاس او نار كالبرق الخاطف فيقول له انا اخوك ويسلط عليه الحيات والعقارب ويظلم عليه قبره ثم يضغطه ضغطة تختلط اضلاعه عليه اي يدخل بعضها في بعض

وروي ايضا عن امير المؤمنين(ع) ان عدو الله اذا ادخل قبره قالا له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا ادري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة الا وتذعر لها ما خلا الثقلان ثم يفتحان له بابا الى النار ثم يقولان له نم بشر حال فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها وهوامها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر

وروى الكليني في الكافي عن جابر عن ابي جعفر الباقر (ع) قال قال النبي اني كنت انظر الى الابل والغنم وانا ارعاها وليس من نبي إلا وقد رعى الغنم وكنت انظر اليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة ماحولها شيء يهيجها حتى تذعر فتطير فاقول ما هذا واعجب حتى حدثني جبرائيل ان الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئا الا سمعها ويذعر لها الا الثقلين

فعلمنا ذلك لضربة الكافر فنعوذ بالله من عذاب القبر وعن الباقر (ع) من اتم ركوعه لم تدخل عليه وحشة القبر وعن ابن عباس ان عذاب القبر يكون اثلاثا ثلث من الغيبة وثلث من النميمة والفتنة وثلث من عدم الاحتراز من البول وعن امير المؤمنين قال عذاب القبر يكون من النميمة والبول وعزب الرجل عن اهله وعن الصادق (ع) ان عمدة عذاب القبر من البول

وروى الصدوق في العلل عن صفوان في الصحيح عن ابي عبد الله قال اقعد رجل من الاخيار في قبره فقيل له انا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله فقال لا اطيقها فلم يزالوا به حتى انتهوا الى جلدة واحدة فقالوا ليس منها بد قال فيم تجلدوني فيها قالوا نجلدك لأنك صليت يوما بغير وضوء ومررت على ضعيف فلم تنصره قال فجلدوه جلدة من عذاب الله عز وجل فامتلأ قبره نارا

وفي الكافي عن ابي بصير قال قلت لأبي عبد الله (ع) ايفلت من ضغطة القبر احد قال فقال نعوذ بالله منها ما اقل من يفلت من ضغطة القبر ان رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله ﷺ على قبرها فرفع رأسه الى السماء فدمعت عيناه وقال للناس اني ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضغطة القبر فوهبها الله له قال وان رسول الله خرج في جنازة سعد وقد شيعه سبعون الف ملك فرفع رسول الله رأسه الى السماء ثم قال مثل سعد يضم قال قلت جعلت فداك إنا نحدث انه كان يستخف بالبول فقال معاذ الله إنما كان من زعارة في خلقه على اهله قال فقالت ام سعد هنيئا لك ياسعد قال فقال لها رسول الله يا ام سعد لا تحتمي على الله وعن عمر بن يزيد في الصحيح قال قلت لأبي عبدالله سمعتك وانت تقول كل شيعتنا في الجنة على ما كان يفهم قال صدقتك كلهم والله في الجنة قال قلت جعلت فداك ان الذنوب كثيرة كبائر قال اما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع او وصي النبي ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ قلت وما البرزخ قال القبر منذ حين موته الى يوم القيامة

واعلم ان الذي يظهر من جملة الاخبار ان المؤمن لا تصيبه ضغطة القبر كما تقدم من الأخبار الدالة على ان المؤمن يفتح له من قبره باب الى الجنة يدخل عليه روحها وريحانها وان الارض تقول له مرحبا واهلا وكما تقدم في رواية ابي بصير انه قال للصادق (ع) جعلت فداك فأين ضغطة القبر فقال هيهات ما على المؤمنين فيها شيء ويشكل الجمع حينئذ بين هذه الاخبار والاخبار المتقدمة الدالة على انه لا يفلت من ضغطة القبر احد وحمل هذه الاخبار على المؤمن

الكامل ينافيه حديث فاطمة بنت اسد ورقية وسعد بن معاذ اللهم الا ان يقال بأن المراد بالمؤمن الذي ترتفع الضغطة عنه من يقرب من مرتبة المعصومين كسلمان وابي ذر والمقداد وتحمل ضغطة المؤمن على الضغطة الخفيفة كما يشعر بذلك خبر معاذ او تحمل ضغطة المؤمن على وجه اللطف تنقية من الذنوب ليصفى منها ويدخل الجنة كما في الفصد والحجامة وإن حصل الألم بهما لكنهما مطلوبان لحسن عاقبتهما وضغطة الكافر بعكس ذلك او يقال أن الضغطة كانت في صدر الإسلام عموما لغير المعصومين ثم ببركاتهم وشفاعتهم ارتفع عن شيعتهم والله العالم بالحال (بقي الكلام) في شيء آخر وهو ان جملة كثيرة من الاخبار السالفة قد دلت على اتصال نعيم القبر وعذابه الى يوم القيامة مع انه قد روى ثقة الاسلام في الكافي بسند حسن كالصحيح عن زرارة قال قلت لأبي جعفر ارأيت الميت اذا مات لم تجعل معه الجريدة قال يتجافى عنه العذاب والحساب ما دام العود رطبا قال والعذاب كله في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم وانما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما ان شاء الله ويمكن الجمع بينه وبين الاخبار السابقة بوجوه ثلاثة (احدها) ان يجعل اتصال العذاب مختصا بالكافر كما تضمنه بعض الاخبار المذكورة والانقطاع بالنسبة الى المؤمن العاصي «ثانيها» ان يكون المراد أن عذاب الروح في بدنه الأصلي يوم يرجع اليه يكون في ساعة واحدة «ثالثها» ان يكون المراد أن ابتداء جميع انواع العذاب واقسامه في الساعة الأولى فإذا لم يبتدئ فيها تفضلا يرتفع العذاب رأسا

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ في بيان محل الروح والجسد المثالي: في عالم البرزخ. قد تقدمت جملة من الروايات في ذلك ومنها رواية حبة العرني عن امير المؤمنين (ع) قال في جملتها ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض الا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعة من جنة عدن ومرفوعة احمد بن عمر عن الصادق (ع) قال قلت له ان اخي ببغداد واخاف ان يموت بها فقال ما تبالي: حيث ما مات اما انه لا يبقى مؤمن في شرق الارض وغربها الا حشر الله روحه الى وادي السلام فقلت له واين وادي السلام قال ظهر الكوفة اما اني كأني بهم حلق قعود يتحدثون وتقدم في جملة من الروايات ومنها رواية ابي بصير عن الصادق قال ان الارواح في صفة الاجساد في شجر في الجنة تعارف وتسأل فإذا قدمت الروح على الارواح تقول دعوها فإنها قد اقبلت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان فإن قالت لهم تركته

حيا ارتجوه وان قالت لهم قد هلك قالوا قد هوى قد هوى وبهذا المضمون اخبار كثيرة وفي رواية اخرى عنه (ع) ان ارواح المؤمنين في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون ربنا اقم لنا الساعة وانجز لنا ما وعدتنا وألحق آخرنا بأولنا وعنه (ع) ان ارواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها ويقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا

وفي الكافي ايضاً باسناد صحيح عن ضريس الكناسي قال سألت اباجعفر (ع) ان الناس يذكرون ان فراتنا يخرج من الجنة فكيف هو وهو يقبل من المغرب ويصب فيه العيون والاودية قال فقال ابو جعفر (ع) وانا اسمع ان لله تعالى جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج عنها واليها تخرج ارواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعم فيها وتتلاقى وتتعارف فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض ذاهبة وجائية وتعهد حفرها اذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف قال وأن لله ناراً في المشرق خلقها يسكنها ارواح الكفار ويأكلون من زقومها ويشربون من حميمها ليلهم فإذا طلع الفجر هاجت الى واد باليمن يقال له برهوت اشد حرا من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون فإذا كان المساء عادوا الى النار فهم كذلك الى يوم القيامة قال قلت اصلحك الله ما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يئتم فقال اما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان منهم له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنه يخد له خداً الى الجنة التي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه الروح في حفرته الى يوم القيامة فيلقى الله سبحانه بحسناته وسيئاته فإما الى جنة او الى نار فهؤلاء موقوفون لأمر الله قال وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والاطفال والصبيان واولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم فأما النصاب من اهل القبلة فإنهم يخد لهم خدا الى النار التي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم الى يوم القيامة ثم مصيرهم الى الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله أين امامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً وسئل الصادق (ع) عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة فقال كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها ابداً وروى القمي في تفسيره عند قوله تعالى (ولهم

رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال ذلك في جنان الدنيا قبل القيامة والدليل على ذلك قوله تعالى بكرة وعشيا فالبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد وانما يكون الغدو والعشي في جنان الدنيا التي تنقل اليها ارواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر وفي قوله تعالى (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والارض) قال فهذا في نار الدنيا قبل القيامة واما قوله (واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها) يعني في جنان الدنيا التي تنقل اليها ارواح المؤمنين ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متصلا به وروي ايضا انه قال رجل لأبي عبد الله(ع) ما تقول في قول الله عز وجل (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) فقال (ع) ما يقول الناس فيها فقال يقولون انها في نار الخلد وهم لا يعذبون فيما بين ذلك فقال (ع) فهم من السعداء فقيل له جعلت فداك فكيف هذا فقال إنما هذا في الدنيا فأما في نار الخلد فهو قوله (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) وعنه (ع) قال كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن علي ان سأله عن ارواح المؤمنين أين يكونون اذا ماتوا قال تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنى منها يبسط الله الأرض واليها يطويها واليه المحشر ومنها استوى ربنا الى السماء والملائكة ثم سأل عن ارواح الكفار اين تجتمع قال تجتمع في واد في حضرموت وراء مدينة اليمن

وروى الكليني باسانيد عديدة عن امير المؤمنين والصادق (ع) والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن شر ماء على وجه الأرض برهوت وهو الذي بحضرموت الذي فيه ارواح الكفار وعن الصادق(ع) قال ان من وراء اليمن وادياً يقال له وادي برهوت ولا يجاور ذلك الوادي إلا الحيات السود والبوم من الطير في ذلك الوادي بئر يقال له بلهوت يغدى ويراح اليها بارواح المشركين يسقون من ماء الصديد وفي الموثق عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال جاء اعرابي الى ابي جعفر فقال من اين جئت يا اعرابي قال من الاحقاف احقاف عاد قال رأيت واديا مظلما فيه الهام والبوم لا يبصر قعره قال وتدري ما ذاك الوادي قال لا والله ما ادري قال ذلك برهوت فيه نسمة كل كافر

وروى القمي في تفسيره عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال جاء رجل الى النبي فقال يا رسول الله رأيت امراً عظيما فقال وما رأيت قال كان لي مريض ونعت له ماء من بئر الاحقاف

يستشفى به في برهوت قال فتهيأت ومعي قربة وقدح لآخذ من مائها وأصب في القربة واذا شيء قد هبط من جوء السماء كهيأة السلسلة وهو يقول يا هذا اسقني الساعة اموت فرفعت رأسي ورفعت اليه القدح لأسقيه فإذا رجل في عنقه سلسلة فلما ذهبت اناوله القدح اجتذب حتى علق بالشمس ثم اقبلت على الماء اغرف اذ اقبل الثانية وهو يقول العطش العطش يا هذا اسقني الساعة اموت فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب حتى علق بعين الشمس حتى فعل ذلك الثالثة وشددت قربتي ولم اسقه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاك قابيل بن آدم قتل اخاه وهو قول الله عز وجل (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

وفي بصائر الدرجات عن عبد الله بن سنان قال سألت ابا عبد الله (ع) عن الحوض فقال لي هو حوض مابين بصرى الى صنعاء اتحب ان تراه قلت نعم جعلت فداك قال فأخذ بيدي واخرجني الى ظهر المدينة ثم ضرب رجله فنظرت الى نهر يجري لا تدرك حافتاه الا الموضع الذي فيه قائم فإنه شبيه بالجزيرة فكنت انا وهو وقوفا فنظرت الى نهر يجري جانبه ماء ابيض من الثلج ومن جانبه هذا لبن ابيض من الثلج وفي وسطه خمر احسن من الياقوت فما رأيت شيئا احسن من تلك الخمر بين اللبن والماء فقلت جعلت فداك من اين يخرج هذا ومن اين مجراه فقال هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه (انهار في الجنة عين ماء وعين من لبن وعين من خمر تجري في هذا النهر ورأيت حافتيه عليها شجر فيهن حور معلقات بروؤسهن شعر ما رأيت شيئا احسن منهن وبايديهن آنية ما رأيت آنية احسن منها ليست من آنية الدنيا فدنا من احداهن فأومأ بيده لتسقيه فنظرت اليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها فاغترفت ثم ناولته فشرب ثم ناولها وأومأ اليها فمالت لتغرف فمالت الشجرة معها ثم ناولته فناولني فشربت شراباً ما كان الين منه ولا الذ منه وكانت رائحته رائحة المسك فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة الوان من الشراب فقلت له جعلت فداك ما رأيت كاليوم قط ولا كنت أرى ان الامر هكذا فقال لي هذا اقل ما اعد الله لشيعتنا ان المؤمن اذا توفي صارت روحه الى هذا النهر ورعت في رياضه وشربت من شرابه وإن عدوئنا اذا توفي صارت روحه الى وادي برهوت فاخلدت في عذابه واطعمت من زقومه واسقيت من حميمه فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي

وروى ابن قولويه في كامل الزيارة عن عبد الله بن بكر الارجائي قال صحبت ابا عبد الله (ع)

في طريق مكة من المدينة فنزلنا منزلا يقال له عسفان ثم مررنا بجبل اسود عن يسار الطريق وحش فقلت له يا ابن رسول الله ما اوحش هذا الجبل ما رأيت في الطريق مثل هذا فقال لي يا ابن بكر تدري اي جبل هذا قلت لا قال هذا جبل يقال له الكمدوهو على واد من اودية جهنم وفيه قتلة ابي الحسين (ع) استودعتهم فيه تجري من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم وما يخرج من جب الحزن وما يخرج من العلق من آثام وما يخرج من طينة الخبال وما يخرج من جهنم وما يخرج من لظى من الحطمة وما يخرج من سقر وما يخرج من الجحيم وما يخرج من الهاوية وما يخرج من السعير وفي نسخة اخرى وما يخرج من جهنم وما يخرج من لظى ومن الحطمة وما يخرج من سقر وما يخرج من الحميم وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت به الا رأيتهما يستغيثان واني لأنظر الى قتلة ابي فاقول لهما هؤلاء إنما فعلوا ما استسما لم ترحمونا اذ أوليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ولو ثبتم على حقنا واستبددتم بالأمر دوننا فلا رحم الله من يرحمكما ذوقا وبال ما قد قدمتما وما الله بظلام للعبيد فقلت له جعلت فداك اين منتهى هذا الجبل قال الى الارض السادسة وفيها جهنم على وادٍ من اودية عليه حفظة اكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ماء البحار وعدد الثرى قد وكل كل ملك منهم بشيء وهو مقيم عليه لا يفارقه وعن ابي بصير قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فركض برجله الارض فإذا بحر فيه سفن من فضة فركب وركبت معه حتى انتهى الى موضع فيه خيام من فضة فدخلها ثم خرج فقال ارأيت الخيمة التي دخلتها اولا فقلت نعم فقال تلك خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأخرى خيمة امير المؤمنين (ع) والثالثة خيمة فاطمة والرابعة خيمة خديجة والخامسة خيمة الحسن والسادسة خيمة الحسين والسابعة خيمة علي بن الحسين والثامنة خيمة ابي والتاسعة خيمتي وليس احد منا يموت الا وله خيمة يسكن فيها وقد ذكرنا في جلاء العيون اخبارا كثيرة في كيفية ولادة فاطمة ومنها عن الصادق قال دخل على خديجة اربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت احداهن لا تحزني يا خديجة انا رسل ربك اليك ونحن اخواتك انا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم اخت موسى بعثنا الله اليك لنلي منك ما يلي النساء من النساء

وفي البصائر عن الوشا قال قال لي الرضا (ع) بخراسان رأيت رسول الله هاهنا والتزمته وعن ابان عن الصادق (ع) ان امير المؤمنين (ع) لقي ابا بكر فاحتج عليه ثم قال اما ترضى

برسول الله بيني وبينك قال وكيف لي به فأخذ بيده واتى مسجد قبا فإذا رسول الله فيه فقضى على ابي بكر فرجع ابو بكر مذعورا فلقي عمر فأخبره فقال تبا لك

وعن ادريس عن الصادق (ع) قال بينا انا وابي متوجهان الى مكة وابي قد تقدمني في موضع يقال له ضجنان اذ جاء رجل في عنقه سلسلة يجرها فاقبل علي فقال اسقني فصاح بي ابي لا تسقه لاسقاه الله قال وفي طلبه رجل يتبعه فجذب سلسلته جذبة طرحه بها في اسفل درك من النار وعن بشير النبال قال قال الصادق (ع) كنت مع ابي بعسفان في واد بها او بضجنان فنفرت بغلته فإذا رجل في عنقه سلسلة طرفها في يد آخر يجره فقال الرجل لا تسقه لا سقاه الله فقلت لأبي من هذا قال هذا معاوية وعن سماعة قال كنت عند ابي الحسن فأطلت الجلوس عنده فقال اتحب أن ترى ابا عبد الله فقلت وددت والله فقال قم وادخل ذلك البيت فدخلت البيت فإذا ابو عبد الله قاعد وعن يحيى بن ام الطويل قال صحبت علي بن الحسين من المدينة الى مكة وهو على بغلة وانا على راحلة فجزنا وادي ضجنان فإذا نحن برجل اسود في رقبته سلسلة وهو يقول يا علي بن الحسين اسقني فوضع رأسه على صدره ثم حرك دابته قال فالتفت فإذا برجل يجذبه وهو يقول لا تسقه لا سقاه الله قال فحركت راحلتي ولحقت بعلي بن الحسين فقال لي اي شيء رأيت فأخبرته فقال ذاك معاوية وعن الخثعمي عن ابراهيم قال خرجت مع ابي الى بعض امواله فلما برزنا الى الصحراء استقبله شيخ ابيض الرأس واللحية فسلم عليه فنزل اليه ابي واسمعه يقول له جعلت فداك ثم جلسا فتسائلا طويلا ثم قام الشيخ وانصرف وودع ابي وقام ينظر في قفاه حتى توارى عنه فقلت لأبي من هذا الشيخ الذي سمعتك تقول له ما لم تقله لأحد قال هذا ابي وعن عباية الاسدي قال دخلت على امير المؤمنين (ع) وعنده رجل رث الهيئة وامير المؤمنين مقبل عليه يكلمه فلما قام الرجل قلت ياامير المؤمنين من هذا الذي اشغلك عنا قال هذا وصي موسى وسيأتي في باب الجنة والنار ان شاء الله وعن ابي جعفر انه قال والله ما خلت الجنة من ارواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من ارواح الكفار والعصاة منذ خلقها الله عز وجل ويظهر من هذا الخبر ونحوه ان ارواح المؤمنين بعد الموت تكون في جنة الخلد ومن الاحاديث السابقة انها في جنة الدنيا والأخبار السابقة اوضح سنداوا كثر عدداً واشهر بين الاصحاب وان امكن اختصاص ما دل على جنة الخلد ببعض المقربين

وقال العلامة المجلسي في البحار اعلم ان الذى ظهر من الآيات الكثيرة والاخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو ان النفس باقية بعد الموت اما معذبة ان كان ممن محض الكفر او منعمة ان كان ممن محض الايمان ويلهى عنه ان كان من المستضعفين وترد اليه الحياة في القبر اما كاملا او الى بعض بدنه كما مر في بعض الاخبار ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الاعمال ويثاب ويعاقب بحسب ذلك وتضغط اجساد بعضهم وإنما السؤال والضغطة في الاجساد الاصلية وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقن او مات في ليلة الجمعة او يومها او غير ذلك مما مر ثم تتعلق الروح بالاجساد المثالية اللطيفة الشبيهة باجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الاصلية بسبق تعلقها بها وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتساع القبر وضيقه وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله ورؤية الأئمة (ع) باشكالهم ومشاهدة اعدائهم معذبين وسائر ماورد في امثال ذلك فالمراد بالقبر في اكثر الاخبار ما تكون الروح فيه في عالم البرزخ وهذا يتم على تجسم الروح وتجرده ومع ورود الاجساد المثالية في الاخبار المعتبرة المؤيدة بالاخبار المستفيضة التي لامحيص عن القول بها وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء اذ التناسخ لم يتم دليل عقلي على امتناعه اذ أكثرها عليلة مدخولة ولو تمت لا يجري اكثرها فيما نحن فيه كما لا يخفى على من تدبر فيها والعمدة في نفيه ضرورة الدين واجماع المسلمين وظاهر ان هذا غير داخل فيما انعقد الاجماع والضرورة على نفيه كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد وغيره من علمائنا المتكلمين والمحدثين بل لا يبعد القول بتعلق الأرواح بالأجساد المثالية عند النوم ايضاً كما يشهد به ما يرى في المنام وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها كما مر بل يمكن ان يكون للنفوس القوية العالية اجساد مثالية كثيرة كأئمتنا حتى لا يحتاج الى بعض التأويلات والتوجيهات كثيراً في حضورهم عند كل ميت وسائر ما يأتي في كتاب الإمامة في غرائب احوالهم من عروجهم الى السماوات كل ليلة جمعة وغير ذلك وقال الشيخ المفيد (ره) في اجوبة المسائل السروية حيث سئل ما قولكم ادام الله تأييدكم في عذاب القبر وكيفيته ومتى يكون وهل ترد الأرواح الى الاجساد عند التعذيب ام لا وهل يكون العذاب في القبر او يكون بين النفختين (الجواب) الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل وقد ورد عن ائمة الهدى (ع) انهم قالوا ليس يعذب في القبر كل ميت وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر محضاً ولا ينعم

كل ماض لسبيله وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً فاما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم و كذلك روي انه لا يسأل في قبره الا هذان الصنفان خاصة فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه وأما عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإن الخبر ايضا قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جنانه ينعمه فيها الى يوم الساعة فإذا نفخ في الصور انشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزق ثم اعاده اليه وحشره الى الموقف وأمر به الى جنة الخلد فلا يزال منعماً ببقاء الله عزوجل غير ان جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا بل تعدل طباعه وتحسن صورته فلا يهرم مع تعديل الطباع ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب به ونار يعذب بها حتى الساعة ثم انشأ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد اليه ثم يعذب به في الآخرة عذاب الأبد ويركب ايضا جسده تركيبا لا يفنى معه وقد قال الله عز وجل اسمه (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب) وقال في قصة الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) فدل على ان العذاب والثواب يكون قبل يوم القيامة وبعدها والخبر وارد بأنه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا والروح هاهنا عبارة عن الجوهر الفعال البسيط وليس بعبارة عن الحياة التي يصح معها العلم والقدرة لأن هذه الحياة عرض لا تبقى ولا يصح الاعادة فهذا ما عول عليه النقل وجاء به الخبر على ما بيناه انتهى

الفصل الخامس

﴿ في اشراط الساعة وعلامات القيامة الواقعة قبل نفخ الصور وعمدتها امور ﴾

﴿الأول﴾ خروج يأجوج ومأجوج كما نطق به القرآن المجيد قال الله تعالى في سورة الكهف (حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطراً فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً) وقال

تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الآية) قال الطبرسي في قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يدعون شيئا اخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه عن الكلبي قيل انهم ارادوا سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يأجوج ومأجوج قال يأجوج امة ومأجوج امة كل امة اربع مائة امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الأرز قلت يارسول الله وما الأرز قال شجر بالشام طويل وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير الا اكلوه من مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل انهم من ولد يافث بن نوح اي الترك وقال السدي : الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد وبقيت خارجه وقال قتادة ان ذي القرنين بنى السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد منهم الترك وقال كعب هم نادرة من ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جانب الأب دون الأم وهذا بعيد فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويصعدوه وما استطاعوا له نقبا اي لم يستطيعوا ان ينقبوا اسفله لكثافته وصلابته فنفي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل ان هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر وقيل انه وراء رشد وخزران من وراء ناحية ارمينية واذربيجان وقيل ان مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعا قال ذو القرنين هذا رحمة من ربي اي هذا السد نعمة من الله لعباده انعم بها عليهم في رفع شر يأجوج ومأجوج عنهم فإذا جاء وعد ربي يعني اذا جاء وقت اشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدره الله تعالى جعله دكا اي جعل السد مستويا مع الارض مدكوكا او ذادك وانما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث انهم يدأبون في حفره نهارهم حتى اذا امسوا وكادوا لا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غدا ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد

وقد استوى كما كان حتى اذا جاء وعد الله قالوا غدا نخرج ونفتح ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه وتتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله نغفاً في اقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً واكثر هذه الخصوصيات لم ترد في الاخبار المعتبرة فينبغي الإيمان بذلك وبخروجهم اجمالاً ولا يتفحص عن الخصوصيات ﴿ الثاني ﴾ دابة الارض كما تقدم في الرجعة تفصيل ذلك ﴿ الثالث ﴾ طلوع الشمس من المغرب قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون) وروى العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الآيات ست طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم اي موته وامر العامة يعني القيامة وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله في قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) قال طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة والدخان وروى الكليني والشيخ الطوسي عن الصادق (ع) قال اذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم في ذلك اليوم (فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً) وروى القمي في تفسيره عن ابي بصير في الصحيح عن الصادق (ع) قال اذا طلعت الشمس من مغربها فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه ﴿ الرابع ﴾ الدخان كما تقدم في الأحاديث السابقة واشير اليه في قوله تعالى (يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) وقد ذكر جملة من المفسرين ان الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين قبل قيام الساعة فتدخل اسماعهم حتى ان رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ ويصيب كل مؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلها كبيت اوقد فيه لبس فيه خصاص ويمكث ذلك اربعين يوما عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجبائي وزعم بعضهم ان ذلك اشارة الى ما نقل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا على قومه لما كذبوه فأجدبت الأرض فاصابت قريشا المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وهذا القول ضعيف بعيد عن الصواب وهذه التفاصيل لم ترد في اخبار اهل البيت (ع) والوارد فيها مجمل فينبغي الإيمان بذلك اجمالا

وقد ورد من طرق العامة والخاصة ان هذا الدخان يظهر في الرجعة

الفصل السادس

في نفخ الصور وفناء الاشياء

قد ورد في الاخبار المتكاثرة والنصوص المتظافرة من طرق العامة والخاصة ان الله تعالى خلق اسرافيل وخلق معه صورا يعني قرناله طرفان احدهما في المشرق والآخر في المغرب وهو قابض عليه منتظر لأمر الله تعالى فإذا أمره نفخ فيه وقال سيد الساجدين في الصحيفة واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحاول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور وقال تعالى في سورة الكهف (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) وفي سورة طه (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) وفي سورة المؤمنين (فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وفي سورة النمل (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين) وقال تعالى في سورة يس (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون) وقد ذكر جملة من المفسرين في قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة ان المراد النفخة الاولى يعني ان القيامة تأتيهم بغتة تأخذهم الصيحة وهم يختصمون في امورهم ويتبايعون في الاسواق وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه حتى تقوم والرجل يرفع لقمته الى فيه فما تصل الى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم فلا يستطيعون توصية يعني ان الساعة اذا اخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء ولا الى منازلهم يرجعون من الاسواق ثم اخبر سبحانه عن النفخة الثانية وقال ونفخ في الصور فإذا هم من الاجداث وهي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون سراعا وروى القمي في تفسيره في هذه الآية قال ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في اسواقهم يتخاصمون فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع احد منهم الى منزله ولا يوصي بوصية وذلك قوله تعالى (فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون) ثم ذكر النفخة الثانية فقال (ان كانت) الا صيحة واحدة فإذا

هم جميع لدينا محضرون) وقال تعالى في ص (ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق) وقال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وقال تعالى (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) وقال تعالى (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) ويستفاد من هذه الآيات والأخبار الآتية أنه ينفخ في الصور نفختان الأولى نفخة الصعق التي يصعق فيها من في السموات والأرض فيموتون والثانية نفخة الحشر والقيام لرب العالمين وزاد بعض المفسرين نفخة ثالثة فقالوا ثلاثة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة الحشر وهو شاذ مخالف للأخبار المعتبرة وأول بعضهم الصور بأنه جمع صورة فإن الله تعالى يصور الخلق في القبور كما صورهم في ارحام الامهات ثم ينفخ فيهم الارواح كما نفخ وهم في ارحام أمهاتهم وهو تأويل بعيد فاسد مخالف لظواهر الآيات الكثيرة بل صريحها اذ لا يتأتى ذلك في النفخة الأولى ويأبى عنه أيضا توحيد الضمير في قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى ومخالف للنصوص الصحيحة الصريحة من غير حاجة كما تقدم في كلام سيد الساجدين وروى القمي في تفسيره بأسناد معتبر عن ثوير بن ابي فاختة عن علي بن الحسين (ع) قال سئل عن النفختين كم بينهما قال ما شاء الله قيل له فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه فقال أما النفخة الأولى فإن الله يأمر اسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور والصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض قال فإذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء قال فيهبط اسرافيل بحضيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رأوا أهل الأرض قالوا أذن الله في موت اهل الأرض قال فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح الا صعق ومات ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات ذو روح الا صعق ومات الا اسرافيل قال فيقول الله تعالى يا اسرافيل مت فيموت اسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر السموات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى (يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا) يعني تبسط (وتبدل الأرض غير الأرض) يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان

أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته اي بلا حامل قال فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت جهوري اي عال يسمع اقطار السموات والارضين لمن الملك اليوم فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار عز وجل مجيبا لنفسه لله الواحد القهار وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم اني انا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيئتي وأنا أحييهم بقدرتي قال فينفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات أحد الا حيي وقام كما كان ويعود حملة العرش ويحضر الجنة والنار ويحشر الخلائق للحساب قال فرأيت علي بن الحسين (ع) يبكي عند ذلك بكاء شديداً وروى القمي في تفسيره عن زيد النرسي في كتابه عن عبيد بن زرارة قال سمعت ابا عبد الله يقول إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم واضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الدنيا ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثلما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا واضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثلما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثلما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك كله ثم أمات جبرائيل ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك كله ثم أمات اسرافيل ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك كله ثم أمات ملك الموت ثم لبث مثلما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك ثم يقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فيرد على نفسه لله الواحد القهار اين الجبارون الذين ادعوا معي إلها اين المتكبرون ونحوها ثم يبعث الخلق قال عبيد بن زرارة ان هذا كائن طولت ذلك فقال رأيت ما كان هل علمت به فقلت لا قال فكذلك هذا

أقول ظاهر هذا الخبر ينافي ظواهر الآيات والأخبار الدالة على ان موت أهل السموات بالنفخة دفعة ويمكن التوفيق بتكلفات بعيدة الا أن هذا الخبر لجهالة راويه وهو النرسي لا يصلح لمعارضة ما تقدم ثم ان ظاهره انعدام الأجساد والأرواح والمخلوقات بالعدم الصرف كما يأتي تفصيله ان شاء الله وأما ما استبعده بعضهم من انه لو انعدم جميع الخلائق عدماً صرفاً لكان خطاب لمن الملك خطاباً للمعدوم وهو سفه ينزه عنه الحكيم ففيه ان ما يصدر من الحكيم العليم

لا يخلو عن حكمة وفائدة قطعا وخفاء الحكمة لا يدل على عدمها ولعل الحكمة هنا اللطف للمكلفين من حيث الإخبار به قبل وقوعه ليكون ادعى لهم الى ترك الدنيا وعدم الاغترار بملكها ودولاتها وإلى العلم بتفرد الصانع بالتدبير وغير ذلك من المصالح للمكلفين على ان من الشائع الذائع بين العرب خطاب التلال والأماكن والمواضع ونحو هذا ﴿ بقي الكلام ﴾ في فناء الأشياء وانعدامها قبل القيامة (فنقول) لاريب في موت جميع الأحياء سوى الله تعالى وفي بعثهم في القيامة وانما الخلاف في ان ما عدى الحق تعالى من الأجساد والأرواح والجواهر والأعراض هل ينعدم انعداما بحتاً ثم يعاد ام الارواح باقية وما عداها ينعدم او أنه لا ينعدم شيء من الارواح والأجساد بالمرة بل تتفرق اجزاؤها ويحفظ الله تعالى الأجزاء الأصلية ثم يضمها اليها ويعيدها وبتقرير آخر هل إعادة الاشياء المفنيات عبارة عن إيجادها بعد اعدامها كما هو أحد القولين أم تأليف اجزائها بعد تفرقها كما هو القول الآخر والكل من القولين أدلة عقلية ونقلية واعتبارات ومؤيدات والظواهر متعارضة والجزم باحد الطرفين لا يخلو من اشكال فينبغي التوقف في ذلك كما عليه العلامة المجلسي (ره) وجملة من العامة والخاصة واكثر المتكلمين على عدم انعدام الأرواح واكثر متكلمي الإمامية على عدم الانعدام بالكلية لا سيما في الاجساد

قال المحقق الطوسي (ره) في التجريد في فناء الأجسام والسمع دل عليه ويتأول في المكلف بالتفريق كما في قصة ابراهيم انتهى وما دل على الانعدام بالمرة قوي ولنشر الى جملة من أدلة الطرفين من السمع فمما يدل على الانعدام بالمرة أمور ﴿ الأول ﴾ قوله تعالى (هو الأول والآخر) اي في الوجود ولا يتصور ذلك إلا بانعدام ما سواه وليس بعد القيامة وفاتا فيكون قبلها واجيب بأنه يجوز ان يكون المعنى هو مبدأ كل وجود وغاية كل مقصود او هو المتوحد في الألوهية او في صفات الكمال كما إذا قيل لك هذا أول من زارك أم آخرهم فتقول هو الأول والآخر وتريد انه لا زائر سواه او هو الأول والآخر بالنسبة إلى كل حي بمعنى انه يبقى بعد موت جميع الاحياء ولو كان المراد انه آخر كل شيء بحسب الزمان لما وقع الاتفاق على أبدية الجنة ومن فيها ﴿ الثاني ﴾ قوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) فإن المراد به الانعدام لا الخروج عن كونه منتفعا به لأن الشيء بعد التفرق يبقى دليلا على الصانع وذلك من اعظم المنافع وأجيب بأن المعنى انه هالك في حد ذاته لكونه ممكنا لا يستحق الوجود الا بالنظر الى العلة أو المراد بالهلاك الموت أو الخروج عن الانتفاع المقصود منه اللائق

بحاله كما يقال هلك الطعام اذا لم يبق صالحا للأكل ﴿ الثالث ﴾ قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده كما بدأنا أول خلق نعيده) والبدأ من العدم فكذا العود وايضا اعادة الخلق بعد ابدائه لا يتصور بدون تخلل العدم وأجيب بأنا لا نسلم ان المراد بإبداء الخلق الإيجاد والإخراج عن العدم بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله تعالى (وبدأ خلق الإنسان من طين) وقوله تعالى (اولم يروا كيف يبدأ الله الخلق) ﴿ الرابع ﴾ قوله تعالى (كل من عليها فان) والفناء هو العدم واجيب بالمنع بل هو خروج الشيء عن الصفة التي ينتفع بها كما يقال فني زاد القوم وفني الطعام والشراب ولذا يستعمل في الموت مثل افناهم الحرب وقيل معنى الآية كل من على وجه الأرض من الاحياء فهو ميت ﴿ الخامس ﴾ ما رواه الشيخان في الكافي والفقيه عن عمار عن الصادق (ع) انه سئل عن الميت يبلى جسده قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة واجيب بأن الابلاء لا يستلزم العدم فإن العرب يقولون بلي الثوب بمعنى خلق فيكون الإبلاء عبارة عن تفرق الاجزاء لا انعدامها وأورد عليه بأنه يلزم مثله في الطينة مع استثنائها من البلى فيكون البلى بمعنى الانعدام ليتم استثناء الطينة وقد اوضحنا معنى هذا الخبر في كتابنا (مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار) ﴿ السادس ﴾ ما رواه الطبرسي (ره) في الاحتجاج في حديث الزنديق الذي سأل الصادق (ع) عن مسائل منها ان قال أتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه ام هو باق قال بل هو باق الى وقت يوم ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حس ولا محسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها وذلك اربعمائة سنة بين النفختين ﴿ السابع ﴾ قوله (ع) في نهج البلاغة هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها الى ان قال وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك ويكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات لا شيء الا الواحد القهار الى ان قال ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه اليها الى آخره ومما يدل على القول الآخر النصوص الدالة على كون النشور بالاحياء بعد الموت والجمع بعد التفرق قوله تعالى (واذ قال ابراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى الآية) وقوله تعالى (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى

يحيي هذه الله بعد موتها الى قوله وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) وقوله تعالى (وكذلك النشور وكذلك تخرجون وكما بدأكم تعودون) بعد ماذكر بدء الخلق من الطين وعلى وجه يرى ويشاهد مثل (أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق اولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الخلق) وقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش) الى غير ذلك من الآيات الظاهرة في التفريق دون الاعدام وما رواه القمي في تفسيره عن الصادق (ع) قال اذا اراد الله ان يبعث الخلق امطر السماء على الأرض اربعين صباحا فاجتمعت الوصال ونبتت اللحوم وروى الديلمي عن السجاد (ع) في حديث قال فيه ثم يأمر الله السماء ان تمطر على الأرض اربعين يوما حتى يكون الماء فوق كل شيء ذراعا فتنبت به اجساد الخلائق كما ينبت البقل فتتدانى اجزاؤهم التي صارت ترابا الحديث وما روي في الاحتجاج في حديث الزنديق انه قال للصادق (ع) انى للروح بالبعث والبدن قد بلي والاعضاء قد تفرقت فعضو في بلدة تأكله سباعها وعضو بأخرى تمزقه هوامها وعضو قد صار ترابا بني به مع الطين حائط فقال (ع) ان الذي انشأه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق اليه قادر ان يعيده كما بدأ قال اوضح لي ذلك قال ان الروح مقيمة في مكانها روح المحسنين في ضياء وفسحة وروح المسيء في ضيق وظلمة والبدن يصير ترابا منه خلق وما تقذف به السباع والهوام من اجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض فتربو الأرض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض فيجتمع تراب كل قالب فينتقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئا الى غير ذلك من الأخبار وأجيب بأن هذه الظواهر لا تنفي الانعدام وإن لم تدل عليه وانما سيقت لكيفية الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق على انها معارضة بما دل على الإعدام والإفناء وكما يمكن الجمع بحمل الاعدام والافناء على التفرق كذا يمكن الجمع بأن الله تعالى يفني العالم بأسره ويعدمه كما دلت عليه الآيات والاخبار السابقة ثم يوجد الأرض والسماء ثم يحيي الأموات ويعيد الاشياء بجمع الأجزاء المتفرقة وبالجملة فلا يمكن الجزم بأحد الجانبين والله العالم بالحال

الفصل السابع

في بيان سائر ما يقع قبل القيامة

يجب الإيمان بجميع ما اخبر الله تعالى بوقوعه في القرآن الكريم من مقدمات الحشر ولا يلتفت الى تأويل الفلاسفة والملاحدة وشبهاتهم قال الله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) وقال تعالى (ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا) وقال تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقال تعالى (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) وقال تعالى (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) وقال الله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن) وقال تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) وقال تعالى (فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر) وقال تعالى (فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت) وقال تعالى (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا) وقال تعالى (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت) وقال تعالى (إذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت) وقال تعالى (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت والقت ما فيها وتخلت) وقال تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها الآية)

وروى القمي في تفسيره باسناد معتبر عن عمرو بن شبيه عن ابي جعفر (ع) قال سمعته يقول ابتداء منه ان الله إذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لابد منه أمر مناديا فينادي فاجتمع الإنس والجن في اسرع من طرفة العين ثم أذن للسماء الدنيا فنزلت وكان من وراء الناس وأذن للسماء الثانية فنزلت وهي ضعف التي يليها حتى ينزل كل سماء يكون كل واحدة من وراء الأخرى وهي ضعف التي يليها قال ثم يأمر الله مناديا ينادي (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) قال وبكى (ع) حتى اذا

سكت قلت جعلني الله فداك يا ابا جعفر اين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (ع) وشيعته فقال ابو جعفر (ع) رسول الله وعلي وشيعته على كثبان من المسك الأذفر على منابر من نور يحزن الناس ولا يحزنون ويفزع الناس ولا يفزعون ثم تلا (ع) هذه الآية (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) فالحسنة والله ولاية أمير المؤمنين وروى مسعدة ابن صدقة عن كليب قال كنا عند ابي عبد الله (ع) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك انه يوحي الى سماء الدنيا ان اهبطي بمن فيك فيهبط أهل السماء الدنيا على من في الأرض من الجن والإنس والملائكة ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سموات فيصير الجن والإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي مناد يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات الآية فينظرون فإذا قد احاط بهم سبعة اطواق من الملائكة

الفصل الثامن

في حشر الوحوش والجن والشياطين

قال الله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) وقال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) والمشهور بين المفسرين أن المراد بالحشر في الآيتين الحشر في القيامة قال أمين الدين الطبرسي (ره) إذا الوحوش حشرت أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء يحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الاعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا وينتصف لبعضها من بعض فإذا وصل اليها ما استحقته من الاعواض فمن قال ان العوض دائم قال تبقى منعمة إلى الأبد ومن قال باستحقاقها العوض منقطعا فقال بعضهم يديمه الله لها تفضلا لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه وقال بعضهم إذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض جعلها ترابا انتهى

وقيل في تفسير الآية الثانية أي يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد فيعوض الله ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها من بعض وهذا هو المشهور بين المتكلمين من الخاصة والعامة أن الوحوش تحشر

وعن عبد الله بن عمر قال إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء التي نطحتها وقال مجاهد يقاد يوم القيامة للمنطوحة من الناطحة وقال مقاتل إن الله يجمع الوحوش والهوام والطير و كل شيء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعد ما يقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم و كنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى الذي كنتم كونوا ترابا فيكونون ترابا فإذا التفت الكافر إلى شيء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه و كنت اليوم أي في الآخرة ترابا

وقال الرازي في تفسير الآية الأولى قال قتادة يحشر كل شي حتى الذباب للقصاص وقالت المعتزلة ان الله يحشر الحيوانات كلها في ذلك اليوم ليعوضها على آلامها التي وصلت اليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك فإذا عوضت عن تلك الآلام فإن شاء الله ان يبقي بعضها في الجنة إذا كان مستحسنا فعل وإن شاء أن يفنيه أفناه على ما جاء به الخبر وأما اصحابنا فعندهم انه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت انتهى

وروى الجمهور عن ابي ذر قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ انتطحت عنزان فقال النبي أتدرون فيم انتطحا فقالوا لا ندري قال صلى الله عليه وآله وسلم لكن الله يدري وسيقضي بينهما

وروى الكليني والبرقي في المحاسن ان أمير المؤمنين (ع) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الذنوب ثلاثة ثم أمسك فقال له حبة العرني يا أمير المؤمنين فسرها لي فقال ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن افسرها ولكنه عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام نعم الذنوب ثلاثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه قيل يا أمير المؤمنين فبينها لنا قال نعم أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله احكم وأكرم ان يعاقب عبده مرتين وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف أي ضربة كف بكف ومسحة كف بكف او بجسد بحيث يشتمل على اهانة او ايذاء او تحقير او تلذذ وشهوة ونطحة ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجماء فيقتص الله للعباد

بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة ثم يبعثهم الله الى الحساب وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فأصبح خاشعا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب

(ايضاح) الظاهر أن هذه الاقسام من الذنوب بالنسبة الى المؤمنين إذ الكفار يعاقبون في الدنيا والآخرة والخوف عليه بعد التوبة مع وجوب قبولها بشرائطها لعله لاحتمال التقصير في شرائط التوبة

وروى العامة والخاصة ومنهم الشيخ في الأمالي والمفيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أيها الناس نحن في القيامة ركبان اربعة نبس غيرنا أنا على البراق وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه وابنتي فاطمة على ناقتي العضباء وعلي بن ابي طالب على ناقة من نوق الجنة الحديث وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنا على البراق وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه وعمي حمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضباء وأخي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة

وروى الصدوق في الفقيه عن السكوني بأسناده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال أين صاحبها مروه فليستعد غدا للخصومة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال استفرهوا ضحايا كم فإنها مطاياكم على الصراط وروي ان خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنة وورد عنهم (ع) في مانع الزكاة تنهشه كل ذات ناب بنابها وتطأه كل ذات ظلف بظلفها

وروى الصدوق في الفقيه عن الصادق (ع) قال اي بعير حج عليه ثلاث سنين يجعل من نعم الجنة وروي سبع سنين وعن الصادق (ع) قال لا يكون في الجنة من البهائم سوى حمارة بلعم بن باعور وناقة صالح وذئب يوسف وكلب أهل الكهف والأخبار في ذلك غير عزيزة يقف عليها المتتبع فظهر أن الحيوانات تحشر في الجملة بعض للقصاص وبعض تدخل الجنة وبعضها لبعض المصالح وأما ما يؤول اليه أمرها بعد الحشر فعلمه عند الله ولم يصل الينا دليل معتمد في ذلك وقد أمرنا بالسكوت عما سكت الله عنه ولهذا ان اكثر المتكلمين من الإمامية اقتصروا على الاجمال في حشرها ولم يذكروا التفصيل وأما سائر المكلفين من الملائكة والجن والشياطين فلا خلاف في حشرهم وان الملائكة يدخلون الجنة والشياطين في النار إلا من ندر ممن آمن منهم كما ورد في بعض الأخبار النادرة وأما الجن فعصاتهم في النار وأما الصالحون المؤمنون

منهم فهم مثابون على إيمانهم وأعمالهم قطعا ولكن اختلف في انهم هل يدخلون الجنة وتكون منازلهم ادنى من بني آدم كما عليه الأكثر أم انهم يسكنون الاعراف كما عليه بعضهم

وقد روى القمي في تفسيره قال سئل العالم (ع) عن مؤمني الجن يدخلون الجنة فقال لا ولكن لله حضائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنو الجن وفساق الشيعة ولكن بمجرد هذا الخبر لا يثبت المدعى لاسيما وظاهر كثير من الآيات والروايات الدالة على أن ثواب المكلفين الجنة بخلافه لا سيما في سورة الرحمن حيث اظهر فيها الامتنان على الإنس والجن بنعيم الجنة وظاهر قوله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) حيث أن ظاهرها ان للجن حور ايضا وان احتمل ان يكون المعنى يعطي الإنس حورا لم يطمثهن إنس قبلهم ويعطي الجن حورا لم يطمثهن جن قبلهم والتوقف في ذلك مجال والله العالم بحقائق الأحوال

الفصل التاسع

في بيان احوال الأطفال والمجانين والمستضعفين ونحوهم

لا خلاف بين اصحابنا في ان أطفال المؤمنين يدخلون الجنة كما دل عليه الكتاب والسنة الآتية قال الله تعالى في سورة الطور (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال الطبرسي (ره) يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعا لوالده والمعنى انا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من اجل الآباء لتقر عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك وابن زيد وفي رواية اخرى عن ابن عباس انهم البالغون الحقوا بدرجة آبائهم وان قصرت اعمالهم تكرمة لآبائهم وروى زازان عن علي (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية وعن الصادق (ع) قال اطفال المؤمنين يهدون الى آبائهم يوم القيامة وما التناهم من عملهم من شيء اي لم ننقص الآباء من الثواب حين الحقنا بهم ذريتهم انتهى

اقول وسيأتي في كثير من اخبارنا إن هذه الآية في اطفال المؤمنين وذهب المتكلمون منا الى ان اطفال الكفار لا يدخلون النار فهم اما يدخلون الجنة او يسكنون الاعراف

قال العلامة المحقق الطوسي في التجريد وتعذيب غير المكلف قبيح وكلام نوح (ع) مجاز والخدمة ليست عقوبة له والتبعية في بعض الاحكام جائزة

وقال العلامة الحلي (ره) في شرحه ذهب بعض الحشوية الى ان الله (تعالى) يعذب اطفال المشركين ويلزم الاشاعرة تجويزه والعدلية كافة على منعه والدليل عليه انه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالى. احتج بوجوه: (الأول) قول نوح ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً والجواب انه مجاز والتقدير انهم يصيرون كذلك لاحال طفوليتهم (الثاني) قالوا انا نستخدمه لأجل كفر ابيه فقد فعلنا فيه ألما وعقوبة فلا يكون قبيحا والجواب ان الخدمة ليست عقوبة للطفل وليس كل ألم عقوبة فإن الفصد والحجامة ألمان وليسا بعقوبة نعم استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعوض عليه كما يعوض على امراضه (الثالث) قالوا ان حكم الطفل يتبع حكم أبيهِ في الدفن ومنع التوارث والصلاة عليه ومنع التزويج والجواب ان المنكر عقابه لأجل جرم أبيه وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء إذا لم يحصل له بها ألم وعقوبة ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه انتهى وذهب اكثر المحدثين منا الى ما دلت عليه الأخبار الصحيحة الآتية من انهم يكلفون في القيامة بدخول النار المؤججة لهم ولنذكر الأخبار الواردة عن أئمة الهدى (ع) في ذلك فروى القمي في تفسيره عن الصادق (ع) قال ان اطفال شيعتنا من المؤمنين تربيهم فاطمة (ع) ويهدون الى آبائهم يوم القيامة وفي الكافي عن ابن بكير عن الصادق (ع) في الآية المتقدمة قال (ع) قصرت الأبناء عن عمل الآباء فألحقوا الأبناء بالآباء لتقر بذلك أعينهم وبالمعنى عن نوادر الراوندي عن الكاظم (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تتزوجوا بالإمرأة الجميلة العقيم فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ألم تعلموا ان الأطفال يكونون تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم ويحفظهم ابراهيم وتربيهم سارة في جبل من المسك والعنبر والزعفران وروى الصدوق في الفقيه في الصحيح عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله إذا مات طفل من اطفال المؤمنين نادى منادٍ في ملكوت السماوات والارض ألا ان فلان بن فلان قد مات فإن كان مات والداه أو احدهما او بعض أهل بيته من المؤمنين دفع اليه يغذوه وإلا دفع الى فاطمة تغذوه حتى يقدم ابواه او احدهما او بعض أهل بيته فتدفعه اليه وروى في الصحيح ايضا عن الحلبي عن ابي عبد الله (ع) قال ان الله تبارك وتعالى يدفع الى ابراهيم وسارة اطفال المؤمنين يغذونهم بشجرة في الجنة لها اخلاف كأخلاف البقر في قصر من الدر فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيبوا وأهدوا الى آبائهم فهم ملوك في الجنة مع آبائهم وهو قوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) وروى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر

بإسناده عن الباقر(ع) قال لما صعد رسول الله الى السماء وانتهى الى السماء السابعة ولقي الأنبياء قال اين ابي ابراهيم قالوا له هو مع اطفال شيعة علي فدخل الجنة فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر فإذا انفلت الضرع من فم الصبي قام ابراهيم فردّ عليه قال فسلم عليه وسأله عن علي(ع) فقال خلفته في أمتي قال نعم الخليفة خلّفت اما ان الله تعالى فرض على الملائكة طاعته وهؤلاء اطفال شيعته سألت الله تعالى أن يجعلني القائم عليهم ففعل وان الصبي ليجرع الجرعة فيجد طعم ثمار الجنة وانهارها في تلك الجرعة ويمكن الجمع بين الاخبار الدالة على تربية ابراهيم وسارة والأخبار الدالة على تربية فاطمة(ع) بأن بعضهم تربيه فاطمة وبعضهم ابراهيم وسارة على اختلاف مراتب آبائهم أو انهم يدفعون اولا الى فاطمة ثم تدفعه فاطمة اليهما هذا واما اطفال الكفار فقد اشرنا الى الخلاف في حالهم فقيل بتبعيتهم لآبائهم وانهم في النار كما عليه اكثر العامة ولم يذهب اليه احد من الإمامية وقيل بدخولهم الجنة وقيل ان الله تعالى يعاملهم في القيامة بعلمه فيهم فمن علم انه يكون سعيدا لو بقي أدخله الجنة ومن علم منه الشقاوة ادخله النار وقيل انهم يكونون خداما لأهل الجنة وقيل انهم يكونون في الأعراف والذي عليه اكثر المحدثين من الشيعة ومنهم الكليني والصدوق ان الله يكلفهم في القيامة بأن يؤجج لهم نارا ويأمرهم بدخولها ويثيب المطيع ويعاقب العاصي ويدل على ذلك جملة من الأخبار ومنها ما رواه الصدوق في الخصال عن زرارة في الصحيح عن ابي جعفر(ع) قال إذا كان يوم القيامة احتج الله عز وجل على خمسة على الطفل والذي مات بين النبيين أي في زمان الفترة وغلبة الجور وخفاء الحجة والحق والذي أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يعقل والأبله والمجنون الذي لا يعقل والأصم والأبكم فكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل قال فيبعث الله اليهم رسولا فيؤجج لهم نارا فيقول لهم ربكم يأمركم أن تثبوا فيها فمن وثب فيها كانت عليه بردا وسلاما ومن عصى سيق الى النار وفي الكافي ومعاني الأخبار عن زرارة في الصحيح قال سألت أبا جعفر هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأطفال فقال قد سئل فقال الله اعلم بما كانوا عاملين ثم قال يا زرارة هل تدري ما قوله الله اعلم بما كانوا عاملين قال لا قال لله عز وجل فيهم المشيئة انه إذا كان يوم القيامة وأتي بالأطفال والشيخ الكبير الذي قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعقل من الكبر والخرف والذي مات في الفترة بين النبيين والمجنون والأبله الذي لا يعقل فكل واحد يحتج على الله عز وجل فيبعث الله تعالى اليهم ملكا من الملائكة ويؤجج

نارا ويقول ان ربكم يأمركم أن تثبوا فيها فمن وثب فيها كانت عليه بردا وسلاما ومن عصاه سيق الى النار وفي الكافي عن هشام في الصحيح او الحسن عن ابي عبد الله انه سئل عمن مات في الفترة وعمن لم يدرك الحنث والمعتوه فقال يحتج الله عليهم يرفع لهم نارا فيقول لهم ادخلوها فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن أبى قال ها أنتم قد امرتكم فعصيتموني وروى ايضا بهذا الاسناد قال ثلاثة يحتج عليهم الأبكم والطفل ومن مات في الفترة فيرفع لهم ناراً الحديث وروى ايضا عن العدة عن سهل رفعه انه سئل عن الأطفال فقال إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجج ناراوأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها فمن كان في علم الله عز وجل انه سعيدرمى نفسه فيها وكانت عليه بردا وسلاما ومن كان في علمه انه شقي امتنع فيأمر الله تعالى بهم الى النار فيقولون يا ربنا تأمر بنا الى النار ولم يجر علينا القلم فيقول الجبار قد امرتكم مشافهة فلم تطيعوني فكيف لو ارسلت رسلي بالغيب اليكم وروى الصدوق في التوحيد باسناد عامي عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اخبرني أيعذب الله خلقا بلا حجة قال معاذ الله قلت فأولاد المشركين في الجنة ام في النار فقال الله تبارك وتعالى أولى بهم إنه اذا كان يوم القيامة وساق الحديث الى ان قال فيأمر الله عز وجل نارا يقال لها الفلق اشد شيء في نار جهنم عذابافتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال فيأمرها الله عز وجل أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة فتنفخ فمن شدة نفختها تنقطع السماء وتنطمس النجوم وتجمد البحار وتزول الجبال وتظلم الأبصار وتضع الحوامل حملها ويشيب الولدان من هولها يوم القيامة فيأمر الله تعالى اطفال المشركين ان يلقوا انفسهم في تلك النار فمن سبق له في علم الله عز وجل ان يكون سعيدا القى نفسه فيها فكانت عليه بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ومن سبق له في علم الله تعالى ان يكون شقيا امتنع فلم يلق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتلتقطه لتركه امر الله وامتناعه من الدخول فيها فيكون تبعا لآبائه في جهنم والأخبار بهذا المضمون كثيرة والعقل لا يحيل ذلك فينبغي التسليم وقال الصدوق في الخصال بعد إيراد صحيحة زرارة المتقدمة ان قوما من اصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون انه لا يجوز ان يكون في دار الجزاء تكليف ودار الجزاء للمؤمنين إنما هي الجنة ودار الجزاء للكافرين إنما هي النار قال وإنما يكون هذا التكليف من الله عز وجل في غير الجنة والنار فلا يكون كلفهم في دار الجزاء ثم يصيرهم الى الدار التي يستحقونها بطاعتهم او معصيتهم فلا

وجه لانكار ذلك ولا قوة إلا بالله انتهى وغير مستبعد ان تكون القيامة دار جزاء لبعض ودار تكليف وجزاء لآخرين

وروى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن زرارة عن الصادق (ع) قال حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة فقال زرارة كيف ذلك جعلت فداك قال يموت الناطق ولا ينطق الصامت فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة ﴿ توضيح ﴾ المراد بالضلال بعض المخالفين الضالين عن الحق والمراد بالناطق الإمام الحجة الحي وبالصامت الإمام الذي بعده الذي كان صامتا في زمن ابيه او صامتا للتقية فإذا مات المخالف بينهما ولم يعرف الحق من دون تقصير لخفاء الحق دخل الجنة وروى صاحب تأويل الآيات الباهرة في قوله تعالى(يطوف عليهم ولدان مخلدون) عن امير المؤمنين انه قال الولدان اولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيئات فيعاقبون عليها فأنزلوا هذه المنزلة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن اطفال المشركين فقال خدم أهل الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنة

وروى الشيخ الطوسي هذين الحديثين ايضا في تأويل الآية والتحقيق في الجمع بين الأخباران الأخبار الدالة على انهم يعذبون ويلحقون بآبائهم اما محمولة على التقية كما هو مذهب جمع من العامة او محمولة على انه سبق في علم الله تعالى انهم يختارون العصيان حينئذ فحكم عليهم بالنار ويشهد لذلك رواية سهل المتقدمة وتخص الاخبار الدالة على دخولهم النار مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم دار التكليف واما الأخبار الدالة على تكليف الأطفال في القيامة مطلقا فهي مقيدة بالاخبار الدالة على انتفاء ذلك عن اطفال المؤمنين

وروى الكليني في الصحيح عن زرارة قال قلت لأبي عبد الله(ع) ماتقول في الأطفال الذين ماتوا قبل ان يبلغوا فقال سئل عنهم رسول الله فقال الله اعلم بما كانوا عاملين ثم اقبل علي فقال يا زرارة هل تدري ما عنى بذلك رسول الله قال قلت لا فقال إنما عنى كفوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئا وردوا علمهم الى الله ﴿ اقول ﴾ هذا هو الأصل في الباب وينبغي أن يعلم مجملا ان الله تعالى منزه عن الظلم والجور واما بالنسبة الى الأطفال والمجانين ونحوهما ممن لم تتم عليه الحجة ومن ناقصي العقول الذين لم يميزوا بين الحق والباطل فلا يعذبهم الله تعالى بدون إتمام حجة عليهم فإما ان يكلفهم الله تعالى في القيامة كما دلت عليه الاخبار السابقة وذهب اليه محيي الدين العربي من العامة او انهم يسكنون في الأعراف او يكونون في أدنى درجات

الجنة او انهم يكونون خدما لأهل الجنة او يكون بعضهم في الجنة وبعضهم في الاعراف فينبغي أن يوكل علمهم الى الله تعالى كما دل عليه الخبر الصحيح ويعلم ان الله يحكم فيهم بالعدل وإذا كانوا خدما لأهل الجنة فذلك ليس على طور يشق عليهم بل يلتذون بذلك كما يلتذ الملائكة بخدمة اهل الجنة والله العالم بالحال

الفصل العاشر

﴿ في بيان الميزان والحساب والسؤال ورد المظالم وفيه مقالتان ﴾

الأولى في الميزان ولا خلاف بين المسلمين في حقيقتها وقد ذكرها الله تعالى في مواضع عديدة من الكتاب المجيد قال الله تعالى في سورة الأعراف (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) وقال تعالى في الكهف (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وفي الأنبياء (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وفي المؤمنين (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) وفي القارعة (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فأمه هاوية) والاخبار ايضا بهذا المضمون كثيرة وبالجملة فأصل الميزان مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه وإنكاره كفر وإنما الخلاف في معناها فالذي عليه اكثر المفسرين والمتكلمين من العامة والخاصة الحمل على ظاهرها وان الله تعالى في القيامة ينصب ميزانا له لسان وكفتان فتوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات ثم اختلف هؤلاء في كيفية الوزن حيث ان الأعمال اعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها فقيل توزن صحائف الأعمال وقد روى العامة عن ابن عمر انه سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وقيل ان الموزون في الآخرة نفس الأعمال والاعتقادات لأن الأعمال تتجسم في النشأة الأخروية كما ورد في احاديث كثيرة من طرق المخالف والمؤالف بل قال بعض ارباب العرفان ان الحيات والعقارب والنيران التي تظهر في القبر والقيامة هي بعينها الأعمال القبيحة والاخلاق الذميمة والعقائد الباطلة كما ان الروح والريحان والحور والثمار هي الاخلاق الزكية والأعمال

الصالحة والاعتقادات الحقة اذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف الاماكن فتحلى في كل موطن بحلية وتتزيى في كل مقام بزي

وقال الشيخ البهائي (ره) الحق ان الموزون في الآخرة هو نفس الاعمال لا صحائفها وما يقال من ان تجسم العرض طور خلاف طور العقل فكلام ظاهري عامي والذي عليه الخواص من اهل التحقيق ان سنخ الشيء وحقيقته مغاير للصورة التي يتجلى بها على المشاعر الظاهرة ويلبسها لدى المدارك الباطنة وانه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت فيلبس في كل موطن لباسا ويتجلبب في كل نشأة بجلباب كما قالوا ان لون الماء لون انائه واما الاصل الذي تتوارد هذه الصور عليه ويعبرون عنه تارة بالسنخ ومرة بالوجه واخرى بالروح فلا يعلمه إلا علام الغيوب فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضا وفي آخر جوهرا الا ترى الى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم فإنه في تلك النشأة امر عرضي ثم انه يظهر في النوم بصورة اللبن فالظاهر في الصورتين سنخ واحد تجلى في كل موطن بصورة فقد تجسم في مقام ما كان عرضا في مقام آخر وذكر جملة من الاحاديث تدل على ذلك ذكرناها في كتابنا (مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار)

وقال العلامة المجلسي (ره) جميع الاحوال والأفعال في الدنيا تتجسم وتتمثل في النشأة الأخرى اما بخلق الامثلة الشبيهة بها بازائها او بتحول الاعراض هناك جواهر والاول اوفق بحكم العقل ولا ينافيه صريح ماورد في النقل ثم قال بعد نقل كلام الشيخ البهائي والقول باستحالة انقلاب الجوهر عرضا والعرض جوهرا في تلك النشأة مع القول بإمكانها في النشأة الآخرة قريب من السفسطة اذ النشأة الآخرة ليست الا مثل تلك النشأة وتخلل الموت والإحياء بينهما لا يصلح ان يصير منشئا لامثال ذلك والقياس على حال النوم واليقظة أشد سفسطة إذ ما يظهر في النوم إنما يظهر في الوجود العلمي وما يظهر في الخارج فإنما يظهر بالوجود العيني ولا استبعاد كثيرا في اختلاف الحقائق بحسب الوجودين واما النشأتان فهما من الوجود العيني ولا اختلاف بينهما إلا بما ذكرنا وقد عرفت انه لا يصلح لاختلاف الحكم العقلي في ذلك واما الآيات والاخبار فهي غير صريحة في ذلك إذ يمكن حملها على ان الله تعالى يخلق هذه بإزاء تلك أو هي جزاؤها ومثل هذا المجاز شائع وبهذا الوجه وقع التصريح في كثير من الآيات والاخبار والله يعلم وحججه وقد اختلف ايضا على تقدير إرادة المعنى الحقيقي من الميزان انه هل هو ميزان واحد لجميع

الناس او لكل واحد ميزان على حدة وعلى الثاني فهل لكل واحد ميزان واحد او موازين عديدة بأن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر كما يشعر بذلك قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه الآية) وخصوص هذه الشقوق والتفاصيل غير معلومة والإيمان الاجمالي كاف في ذلك

وذهب جماعة من متكلمي الخاصة والعامة الى ان الميزان كناية عن العدل والقضاء لأن العدل في الأخذ والاعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا فجعل الوزن كناية عن العدل والدليل على ذلك ان الميزان إنما يراد ليتوصل به الى معرفة مقادير الشيء ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن اظهارها بالميزان لأن اعمال العباد اعراض وهي قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وايضا فبتقدير بقائها كان وزنها محالا واما القول بأن الموزون هو صحائف الأعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فيقال في جوابه ان المكلف يوم القيامة اما ان يكون مقرا بأن الله تعالى عادل حكيم أو لا فإن كان مقراً بذلك كفاه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في عمله بأنه عدل وصواب وان لم يكن مقراً بذلك لم يعرف من رجحان كفة الحسنات على كفة السيئات او بالعكس حصول الرجحان لاحتمال انه تعالى اظهر ذلك الرجحان لا على سبيل العدل والإنصاف فالوزن لا فائدة فيه البتة

قال الشيخ المفيد (ره) الموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ووضع كل جزاء في موضعه وإيصال كل ذي حق الى حقه وليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب اليه أهل الحشو من ان في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيهما اذ الأعمال أعراض والأعراض لا يصح وزنها وانما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز والمراد بذلك ان ما ثقل منها هو ما كثر واستحق عليه عظيم الثواب وما خف منها ما قل قدره ولم يستحق عليه جزيل الثواب والخبر الوارد ان امير المؤمنين (ع) والأئمة من ذريته هم الموازين فالمراد انهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها والحاكمون فيها بالواجب والعدل ويقال فلان عندي في ميزان فلان ويراد به نظيره ويقال كلام فلان عندي أوزن من كلام فلان والمراد به ان كلامه اعظم وافضل قدرا والذي ذكره الله في الحساب والخوف منه انما هو المواقفة على الأعمال لأن من وقف على اعماله لم يتخلص من تبعاتها ومن عفا الله عنه في ذلك فاز بالنجاة ومن ثقلت موازينه بكثرة استحقاقه الثواب فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه بقلة اعمال

الطاعات فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون والقرآن انما أنزل بلغة العرب وحقيقة كلامها ومجازه ولم ينزل على الفاظ العامة ما سبق الى قلوبها من الأباطيل

اقول لا يمكن الخروج عن ظواهر الآيات والروايات بهذه الوجوه العقلية والمؤيدات الاعتبارية والاعتبارات الوهمية التي هي اوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت ووزن الإعمال قد عرفت تحقيقه واما ما قيل من عدم الفائدة فجوابه ان جميع المكلفين يعلمون يوم القيامة انه تعالى منزه عن الظلم والجور فينبغي على هذا انتفاء الحساب والصحف والكتابة وغيرها وقد ابى الله إلا ان تكون له الحجة البالغة على خلقه ولعل الفائدة في وضع ذلك الميزان ان يظهر ذلك الرجحان لاهل القيامة فإن كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد فرحه وسروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لأهل القيامة وان كان بالضد فيزداد غمه وحزنه وحرقته وفضيحته يوم القيامة ولكن ما ذهب اليه المفيد (ره) قد ورد في جملة من الروايات فكان الاستناد في ذلك اليها اولى ففي الاحتجاج عن هشام بن الحكم انه سأل الزنديق ابا عبد الله (ع) فقال اوليس توزن الاعمال قال لا إن الاعمال ليست باجسام وانما هي صفة ما عملوا وانما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها وان الله تعالى لا يخفى عليه شيء قال فما معنى الميزان قال العدل قال فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه قال فمن رجح عمله (الخبر)

وروى الكليني في الكافي والصدوق في معاني الاخبار عن هشام بن سالم قال سألت ابا عبد الله عن قول الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا قال هم الانبياء والاوصياء والاحوط والاولى الايمان بالميزان ورد العلم بحقيقتها الى الله وانبيائه وخلفائه ولا نتكلف علم مالم يوضح لنا بصريح البيان والله العالم بالحال

﴿ المقالة الثانية ﴾ في الحساب والسؤال ورد مظالم العباد والآيات والاخبار في ذلك كثيرة والإيمان بذلك مجملا واجب قال الله تعالى في مواضع كثيرة والله سريع الحساب وقال تعالى (وهو اسرع الحاسبين) وقال تعالى (أولئك لهم سوء الحساب) وقال تعالى (ويخافون سوء الحساب) وقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) وقال تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) وقال تعالى (إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم)

وروى الطبرسي (ره) في المجمع ان الله سبحانه يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر

وروي بقدر حلب شاة وروي عن امير المؤمنين (ع) انه تعالى يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة

وقال الصدوق في رسالة العقائد اعتقادنا في الحساب والميزان انهما حق منه ما يتولاه الله عز وجل ومنه ما يتولاه حججه فحساب الأنبياء والأئمة يتولاه الله عز وجل ويتولى كل نبي حساب اوصيائه وينولى الأوصياء حساب الأمم والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل وهم الشهداء على الأوصياء والأئمة شهداء على الناس وذلك قوله تعالى (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وقوله عز وجل (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وقوله عز وجل (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) والشاهد امير المؤمنين (ع) وقوله تعالى (ان الينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) وسئل الصادق (ع) عن قول الله عز وجل (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) قال الموازين الأنبياء والاوصياء ومن الخلق من يدخل الجنة بغير حساب فأما السؤال فهو واقع على جميع الخلق لقول الله تعالى (فلنسألنّ الذين ارسل اليهم ولنسألنّ المرسلين) يعني عن الدين واما غير الدين فلا يسأل الا من يحاسب قال الله عز وجل (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) يعني من شيعة النبي والأئمة (ع) دون غيرهم كما ورد في التفسير وكل محاسب معذب ولو بطول الوقوف ولا ينجو من النار ولا يدخل الجنة احد الا برحمة الله تعالى والله يخاطب عباده من الأولين والآخرين بحساب عملهم مخاطبة واحدة يسمع منها كل احد قضيته دون غيرها ويظن انه مخاطب دون غيره لا يشغله عز وجل مخاطبة عن مخاطبة ويفرغ من حساب الأولين والآخرين في مقدار ساعة من ساعات الدنيا ويخرج الله عز وجل لكل انسان كتابا يلقاه منشورا ينطق عليه بجميع اعماله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فيجعله الله حاسب نفسه والحاكم عليها بأن يقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويختم الله تبارك وتعالى على قوم افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم وجميع جوارحهم بما كانوا يكسبون (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) انتهى كلامه رحمه الله وقد جمع بين الآيات والاخبار بهذا النحو وفي الكافي عن السجاد (ع) في حديث قال فيه اعلموا عباد الله ان اهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنما يحشرون الى جهنم زمرا وإنما

تنصب الموازين وتنشر الدواوين لأهل الإسلام : وروى القمي في تفسيره والشيخ في الامالي: والصدوق في الخصال عن الباقر (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله حتى يسأله عن اربع خصال عمرك فيما افنيته وجسدك فيما ابليته ومالك من اين كسبته واين وضعته وعن حبنا اهل البيت وروى الصدوق في الأمالي بسند معتبر عن الصادق (ع) قال إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من اهل الجنة فقير في الدنيا وغني في الدنيا فيقول الفقير يارب علي م أوقف فوعزتك انك لتعلم انك لم تولني ولاية فاعدل فيها او اجور ولم ترزقني مالا فأؤدي منه حقا او امنع ولا كان رزقي يأتيني منها إلا كفافا على ما علمت وقدرت لي فيقول الله جل جلاله صدق عبدي خلوا عنه يدخل الجنة ويبقى الآخر حتى يسيل منه من العرق ما لو شربه اربعون بعيرا لكفاها ثم يدخل الجنة فيقول له الفقير ما حبسك فيقول طول الحساب ما زال الشيء يجيئني بعد الشيء يغفر لي ثم أسأل عن شيء آخر حتى تغمدني الله عز وجل برحمته وألحقني بالتائبين فمن انت فيقول انا الفقير الذي كنت معك آنفا فيقول لقد غيرك النعيم بعدي وفي كتاب الزهد للحسين بن سعيد عن حجر بن زائدة عن رجل عن ابي جعفر (ع) قال قلت يا ابن رسول الله اني أذنبت ذنبا بيني وبين الله لم يطلع عليه احد فعظم علي وأجلك ان استقبلك به فقال انه اذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبده المؤمن اوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم غفرها له لا يطلع على ذلك ملكا مقربا ولا نبيا ولا مرسلا قال الراوي واخبرني عن غير واحد انه (ع) قال ويستر عليه من ذنوبه ما يكره ان يوقفه عليها قال ويقول لسيئاته كوني حسنات قال وذلك قول الله تبارك وتعالى (اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)

وروى الشيخ في الأمالي عن محمد بن مسلم قال سألت ابا جعفر عن قوله تعالى فأولئك يبدل الله الآية فقال (ع) يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه احدا من الناس فيعرفه ذنوبه حتى اذا أقر بسيئاته قال الله عز وجل للكتبة بدلوها حسنات واظهروها للناس فيقول الناس حينئذ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة ثم يأمر الله به الى الجنة فهذا تأويل الآية وهي للمذنبين من شيعتنا خاصة وروى الصدوق في العيون عن الرضا عن آبائه (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل يحاسب كل الخلق إلا من اشرك بالله عز وجل فإنه لا يحاسب ويؤمر به الى النار وبأسانيد

عديدة عنه (ع) قال قال النبي ﷺ اول ما يسأل عنه العبد حبنا اهل البيت

وروى الشيخ في الأمالي وغيره في كتاب امير المؤمنين (ع) لأهل مصر من عمل له اعطاه الله اجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهم فيهما وقد قال الله تعالى (ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) فما اعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة قال الله تعالى (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) والحسنى هي الجنة والزيادة هي الدنيا الخبر

وفي امالي الشيخ عن الصادق (ع) قال ما من عبد الا ولله عليه حجة اما في ذنب اقترفه واما في نعمة قصر عن شكرها وعن امير المؤمنين (ع) قال يوقف العبد بين يدي الله فيقول قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله فلتستغرق النعم العمل فيقولون قد استغرق النعم العمل فيقول هبوا له نعمي وقيسوا بين الخير والشر منه فإن استوى العملان اذهب الله الشر بالخير وادخله الجنة وإن كان له فضل اعطاه الله بفضله وان كان عليه فضل وهو من اهل التقوى لم يشرك بالله تعالى واتقى الشرك به فهو من اهل المغفرة يغفر الله له برحمته ان شاء ويتفضل عليه بعفوه وفي امالي الشيخ ايضا عن الصادق (ع) قال اذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله ان يهبه لنا فهو لهم وما كان لنا فهو لهم ثم قرأ عليه السلام (ثم إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم)

وفي البصائر عن الصادق (ع) قال قال رسول ﷺ انا اول قادم على الله ثم يقدم علي كتاب الله ثم يقدم علي اهل بيتي ثم تقدم علي امتي فيقفون فيسألهم ما فعلتم في كتابي واهل بيت نبيكم وروى العياشي في تفسيره عن الصادق (ع) في قول الله تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) قال يسأل السمع عما سمع والبصر عما يطرف والفؤاد عما عقد عليه

وفي الكافي والمحاسن عن الحلبي في الصحيح عن الصادق (ع) قال ثلاثة اشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهن طعام يأكله وثوب يلبسه وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه

وفي العيون بإسناده عن ابراهيم بن العباس الصولي قال كنا يوما بين يدي علي بن موسى الرضا (ع) فقال ليس في الدنيا نعيم حقيقي فقال له بعض الفقهاء ممن حضره فيقول الله عزوجل (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) اما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد فقال له الرضا (ع) وعلا صوته وكذا فسرتموه انتم وجعلتموه على ضروب فقالت طائفة هو الماء البارد وقال غيرهم

هو الطعام الطيب وقال آخرون هو طيب النوم ولقد حدثني ابي عن ابيه ابي عبد الله (ع) ان اقوالكم هذه ذكرت عنده فغضب وقال (ع) ان الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم والامتنان بالانعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف الى الخالق عز وجل ما لا يرضى المخلوقون به ولكن النعيم حبنا اهل البيت وموالاتنا يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة لأن العبد إذا وفى بذلك اداه الى نعيم الجنة التي لا تزول ولقد حدثني بذلك ابي عن ابيه عن محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه (ع) انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي ان اول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وانك ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك فمن اقر بذلك وكان يعتقده صار الى النعيم الذي لا زوال له

وروى ثقة الإسلام في الكافي بأسناد معتبر عن ثوير بن ابي فاختة عن السجاد عن علي (ع) قال إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عزلا مهلا جرداً مردا والعزل جمع أعزل وهو الاغلف والمهل من المهلة بمعنى السكينة والرفق كناية عن الحيرة والدهشة والمراد مسرعين فإن الماهل السريع المتقدم ويحتمل ان يكون تصحيف بهم كما في الروايات العامة جمع بهيم وهو في الأصل الذي لا يخالط اونه لون سواه يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا كالعمى والعور والعرج وغير ذلك والجرد جمع الاجرد وهو الذي لا شعر عليه وكذا المرد لفظا ومعنى منه في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر فير كب بعضهم بعضا ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي فتشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع اصواتهم قال وهو أول هول من أهوال يوم القيامة قال فيأمر الجبار ملكا من الملائكة فينادي فيهم يا معشر الخلائق انصتوا واستمعوا منادي الجبار قال فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم قال فتنكسر اصواتهم عند ذلك وتخشع ابصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي قال فعند ذلك يقول الكافر هذا يوم عسر قال فيشرف الله الحكم العدل عليهم فيقول انا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجور اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي لا يظلم اليوم عندي أحد اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات واثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولا أحد عنده

مظلمة إلا مظلمة يهبها لصاحبها وأثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهد لكم بها عليهم وكفى بي شهيداً قال فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها قال فيمكثون ما شاء الله فيشتد حالهم فيكثر عرقهم وفي رواية يكون عرقهم إلى أفواههم ويشتد غمهم وترتفع اصواتهم بصجيج شديد فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها قال ويطلع الله عز وجل على جهدهم فينادي مناد من عند الله عز وجل يسمع آخرهم كما يسمع أولهم يا معشر الخلائق انصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا ان الله تبارك وتعالى يقول لكم أنا الوهاب ان أحببتم ان تواهبوا فتواهبوا وان لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم قال فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم قال فيهب بعضهم مظالمهم رجاء ان يتخلصوا مما هم فيه ويبقى بعضهم فيقول يا رب مظالمنا اعظم من ان نهبها قال فينادي مناد من تلقاء العرش اي رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال فيأمر الله عز وجل أن يطلع من الفردوس قصراً من فضة بما فيه من الآنية والخدم قال فيطلعه عليهم في حفافة القصر الوصائف والخدم قال فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى يامعشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا الى هذا القصر قال فيرفعون رؤوسهم فكلهم يتمناه قال فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى يا معشر الخلائق هذا لكل من عفا عن مؤمن قال فيعفون كلهم إلا القليل قال فيقول الله عز وجل لا يجوز الى جنتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى نأخذها منه عند الحساب أيها الخلائق استعدوا للحساب قال ثم يخلي سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يكوداي يسوق ويدفع بعضهم بعضا حتى ينتهون إلى العرصة والجبار تبارك وتعالى على العرش اي مستولي عليه ينفذ حكمه عنده قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين واحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل ودعاهم إلى سبيل الله قال فقال له رجل من قريش يا ابن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار فقال له علي بن الحسين (ع) يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ماله على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة قال فقال له القرشي فإذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف تؤخذ مظلمته من المسلم قال يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فيزاد على حسنات المظلوم قال فقال له القرشي فإن لم يكن

للظالم حسنات قال ان لم يكن للظالم حسنات فإن للمظلوم سيئات تؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم ﴿تذييل﴾ قد دلت الآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة على ان أصل الحساب حق لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه فيجب الاعتقاد به اجمالا إلا انها اختلفت فيمن يحاسب ويسأل وعن أي شيء يحاسب ويسأل فذهب جمع الى ان السؤال والحساب عن جميع النعم الدنيوية لما ورد في الحديث من طرق العامة والخاصة ان في حلال الدنيا حساب وفي حرامها عقاب وقد تقدم في جملة من الأخبار أن المؤمن لا يحاسب على النعم الدنيوية وتقدم في جملة منها نفي الحساب على المأكول والملبوس والمنكوح وورد في اخبار كثيرة في ثواب الأعمال ان من عمل العمل الفلاني دخل الجنة بغير حساب وحينئذ فيمكن تخصيص هذه الأخبار الدالة على نفي الحساب عن المؤمن أو الاشياء الخاصة ونحوها لعموم الأخبار الدالة على الحساب ويمكن الجمع ايضا بوجهين آخرين ﴿الأول﴾ حمل ما دل على نفي الحساب على المؤمنين وما دل عليه على غيرهم ﴿الثاني﴾ حمل الأول على الأمور الضرورية كالمأكل والملبس والمسكن والمنكح والآخر على ما زاد على الضرورة كجمع الأموال زائدا على ما يحتاج اليه او صرفها فيما لا يدعوه اليه ضرورة ولا يستحسن شرعا وتقدم ما يؤيد ذلك من الأخبار وأيضا مادل عليه الخبر من حشر الناس جردا أي عراة يدل عليه جملة من الأخبار ايضا كما تقدم في فاطمة بنت أسد وورد في جملة من الأخبار تنوقوا بأكفانكم فإنكم تحشرون بها يوم القيامة ويمكن حمل الثاني على المؤمنين أو الكاملين منهم والأول على غيرهم وما تقدم من فعله صلى الله عليه وآله وسلم في قبر فاطمة لمزيد الاطمئنان أو يقال انهم يحشرون أولا في الأكفان ثم تبلى اكفانهم فإن يوم القيامة يوم طويل والله العالم

الفصل الحادي عشر

في السؤال عن الرسل والأمم وتطاير الكتب وانطاق الجوارح وبعض احوال القيامة وأهوالها قال الله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب) وقال الله تعالى (فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وقال تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) وقال تعالى (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) وقال تعالى

(وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وقال تعالى (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وقال تعالى (ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وفي جملة من الآيات أن السعداء يؤتون كتابهم بأيمانهم والأشقياء بيسارهم وفي الكافي وغيره بأسانيد صحيحة عن الباقر (ع) في قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتم قالوا لا علم لنا) قال فقال ان لهذا تأويلا يقول ما ذا أجبتم في اوصيائكم الذين خلفتموهم على أممكم قال فيقولون لا علم لنا بما فعلوا بعدنا وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن ضريس عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرون بأهوال يوم القيامة فينتهون إلى العرصة ويشرف الجبار عليهم حتى يجهدوا جهدا شديدا قال ويقفون بفناء العرصة فأول من يدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين ان يهتف باسم محمد بن عبد الله النبي القرشي العربي قال فيتقدم حتى يقف على يمين العرش قال ثم يدعى بصاحبكم علي بن ابي طالب فيتقدم حتى يقف على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدعى بأمة محمد فيقفون عن يسار علي ثم يدعى كل نبي وأمته معه من أول النبيين إلى آخرهم وأمتهم معهم فيقفون عن يسار العرش قال ثم أول من يدعى للمساءلة القلم فيتقدم فيقف بين يدي الله عز وجل في صورة الآدميين فيقول الله هل سطرت في اللوح ما الهمتك وأمرتك به من الوحي فيقول القلم نعم يا رب قد علمت اني قد سطرت في اللوح ما أمرتني والهمتني به من وحيك فيقول الله فمن يشهد لك بذلك فيقول يارب هل اطلع على مكنون سرك خلق غيرك قال فيقول افلجت حجتك اي اظهرتها وقومتها قال ثم يدعى باللوح فيتقدم في صورة الآدميين حتى يقف مع القلم فيقول له هل سطر فيك القلم ما ألهمته وامرته به من وحيي فيقول اللوح نعم يارب وبلغته اسرافيل ثم يدعى باسرافيل فيتقدم مع القلم واللوح في صورة الآدميين فيقول الله له هل بلغك اللوح ما سطر فيه القلم من وحيي فيقول نعم يارب وبلغته جبرائيل فيدعى بجبرائيل فيتقدم حتى يقف مع اسرافيل فيقول الله له هل بلغك اسرافيل ما بلغ فيقول نعم يارب وبلغته جميع

انبيائك وانفذت اليهم جميع ما انتهى الي من امرك واديت رسالاتك الى نبي نبي ورسول رسول وبلغتهم كل وحيك وحكمتك وعلمك و كتبك وان آخر من بلغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك و كتابك وكلامك محمد بن عبد الله العربي القرشي الحرمي حبيبك قال ابو جعفر فأول من يدعى من ولد آدم للمسألة محمد بن عبد الله فيدنيه الله تعالى حتى لا يكون خلق اقرب الى الله تعالى يومئذ منه فيقول الله يا محمد هل بلغك جبرائيل ما أوحيت اليه وأرسلته به اليك من كتابي وحكمتي وعلمي وهل أوحى ذلك اليك فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم يا رب قد بلغني جبرائيل جميع ما أوحيته اليه وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك وأوحاه إلي فيقول الله لمحمد هل بلغت أمتك ما بلغك جبرائيل من كتابي وحكمتي وعلمي فيقول رسول الله نعم يارب قد بلغت أمتي ما أوحيت الي من كتابك وحكمتك وعلمك وجاهدت في سبيلك فيقول الله لمحمد فمن يشهد لك بذلك فيقول محمد يا رب وانت الشاهد لي بتبليغ الرسالة وملائكتك والأبرار من أمتي وكفى بك شهيدا فيدعى بالملائكة فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة ثم يدعى بأمة محمد فيسألون هل بلغكم محمد رسالتي و كتابي وحكمتي وعلمي وعلمكم ذلك فيشهدون لمحمد بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم فيقول الله لمحمد هل استخلفت في أمتك من بعدك حجة لي وخليفة في الأرض فيقول محمد نعم يا رب قد خلفت فيهم علي بن ابي طالب أخي ووزيري ووصيي وخير أمتي ونصبته لهم علما في حياتي ودعوتهم الى طاعته وجعلته خليفتي في أمتي إماما يقتدي به الأمة بعدي الى يوم القيامة فيدعى بعلي بن ابي طالب (ع) فيقال له هل اوصى اليك محمد واستخلفك في أمته ونصبك علما لأمته وهل قمت فيهم من بعده مقامه فيقول له علي نعم يا رب قد أوصى الي محمد وخلفني في أمته ونصبني لهم علما في حياته فلما قبضت محمداً اليك جحدتني أمته ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني وقدموا قدامي من أخرت وأخروا من قدمت ولم يسمعوا مني ولم يطيعوا أمري فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني فيقال لعلي فهل خلفت من بعدك في أمة محمد حجة وخليفة في الأرض يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي فيقول علي نعم يا رب قد خلفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيك فيدعى الحسن بن علي فيسأل عما سئل عنه علي بن ابي طالب قال ثم يدعى بإمام إمام وبأهل عالمه فيحتجون بحجتهم فيقبل الله عذرهم ويجيز حجتهم قال ثم يقول الله اليوم ينفع الصادقين صدقهم قال ثم انقطع حديث أبي جعفر

وروى ثقة الإسلام في الكافي بأسناد معتبر عن يوسف بن سعيد قال كنت عند ابي عبد الله ذات يوم فقال لي إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح (ع) أول من يدعى به يعني بالنسبة إلى سائر الأنبياء والا فخاتم الأنبياء أول من يدعى كما دل عليه النقل فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال له من يشهد لك فيقول محمد بن عبد الله قال فيخرج نوح فيتخطى الناس حتى يجيء الى محمد وهو على كثيب المسك ومعه علي وهو قول الله عزوجل (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) فيقول نوح لمحمد يا محمد ان الله تبارك وتعالى سألني هل بلغت فقلت نعم فقال من يشهد لك فقلت محمد فيقول يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا أنه قد بلغ فقال ابو عبد الله (ع) لجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء بما بلغوا فقلت جعلت فداك فعلي اين هو فقال هو اعظم منزلة من ذلك

وروى العياشي عن السجاد عن آبائه عن أمير المؤمنين قال إذا كان يوم القيامة ونصب الموازين وأحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل ودعاهم الى سبيل الله

وفي الكافي عن الصادق (ع) في قول الله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال نزلت في أمة محمد خاصة في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم ومحمد شاهد علينا وفي كثير من الأخبار أنه يؤتى كل إمام مع عالمه وقرنه فمن شهد له بالإيمان نجا ومن شهد له بالخلاف هلك

وروى الشيخ في الأمالي في الصحيح عن الصادق (ع) وقد سئل عن قول الله تعالى (فلله الحجة البالغة) فقال ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة عبدي أكنت عالما فإن قال نعم قال له أفلا عملت بما علمت وان قال كنت جاهلا قال له أفلا تعلمت حتى تعمل فيخصم فتلك الحجة البالغة لله عز وجل على خلقه

وفي الكافي عن الصادق (ع) قال ان الرجل منكم ليكون في المحمل فيحتج الله يوم القيامة على جيرانه فيقال لهم ألم يكن فلان بينكم ألم تسمعوا كلامه ألم تسمعوا بكاءه في الليل فيكون حجة الله عليهم

وفي تفسير القمي في قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال صحائف الاعمال وفي تفسير العياشي عن الصادق (ع) في قوله تعالى (إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

قال يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قوله (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها)

وروى القمي في تفسير قوله تعالى (حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) انها نزلت في قوم تعرض عليهم اعمالهم فينكرونها فيقولون ما عملنا منها شيئا فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم اعمالهم فقال الصادق فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئا وهو قوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين فعند ذلك يختم الله على السنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به الى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا مما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله ثم انطق الله السنتهم فيقولون هم لجلودهم لم شهدتم علينا فيقولون انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أي من الله ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والجلود الفرج ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون

وفي الكافي عن الباقر (ع) قال وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه

وروى العياشي في تفسيره عن ابي معمر السعدي قال أتى علي رجل فقال يا أمير المؤمنين اني شككت في كتاب الله المنزل فقال له علي (ع) ثكلتك أمك فكيف شككت في كتاب الله المنزل فقال له الرجل لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضا وينقض بعضه بعضا قال فهات الذي شككت فيه فقال لأن الله يقول (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) ويقول حيث استنطقوا (قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) ويقول (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) ويقول (ان ذلك لحق تخاصم أهل النار) ويقول (لا تختصموا لدي) ويقول (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) فمرة يتكلمون ومرة لا يتكلمون ومرة ينطق الجلود والأيدي والأرجل ومرة لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا فأنى ذلك يا أمير المؤمنين فقال له علي (ع) ان ذلك ليس في موطن واحد هي في مواطن في ذلك اليوم الذي مقداره

خمسون الف سنة يجمع الله الخلائق في ذلك اليوم في موطن يتعارفون فيه فيكلم بعضهم بعضا ويستغفر بعضهم لبعض أولئك الذين بدت منهم الطاعة من الرسل والأتباع وتعاونوا على البر والتقوى في دار الدنيا والمستكبرون منهم والمستضعفون يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا ثم يجمعون في موطن يفر بعضهم من بعض وذلك قوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) اذ تعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا (لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) ثم يجمعون في موطن يبكون فيه فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلائق عن معائشهم وصدعت الجبال الا ما شاء الله فلا يزالون يبكون حتى يبكون الدم ثم يجتمعون في موطن يستنطقون فيه فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ولا يقرون بما عملوا فيختم على أفواههم وتستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتنطق فتشهد بكل معصية بدت منهم ثم يرفع الخاتم عن السنتهم فيقولون لجلودهم وأيديهم لم شهدتم علينا فتقول انطقنا الله الذي انطق كل شيء ثم يجمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ويجتمعون في موطن يختصمون فيه ويدان لبعض الخلائق من بعض وهو القول وذلك كله قبل الحساب فإذا أخذ بالحساب شغل كل بما لديه نسأل الله بركة هذا اليوم

وروى الصدوق في العلل عن الصادق (ع) وقد سئل يصلي الرجل نوافله في موضع او يفرقها قال (ع) لا بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة

وفي الكافي في الصحيح عن الصادق (ع) قال إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله وستر عليه في الدنيا والآخرة فقيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ويوحي الى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه ويوحي الى بقاع الارض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب وقد ورد في جملة من الاخبار أن القرآن المجيد يشهد لمن تلاه وعمل به وعلى من ضيعه ويشفع للعامل به حتى يدخل الجنة

وروى الصدوق في كتاب فضائل الشيعة عن الصادق (ع) قال نحن الشهداء على شيعتنا وشيعتنا شهداء على الناس وبشهادة شيعتنا يجزون ويعاقبون

وروى السيد علي بن طاوس في كتاب محاسبة النفس وغيره عن الصادق (ع) قال ما من

يوم يأتي على ابن آدم الا قال ذلك اليوم يا ابن آدم انا يوم جديد وانا عليك شهيد فافعل بي خيرا واعمل فيَّ خيرا اشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها ابدا

وفي رواية واذا جاء الليل قال مثل ذلك عن الصادق (ع) قال ان المؤمن يعطى يوم القيامة كتابا منشورا مكتوب فيه كتاب الله العزيز الحكيم ادخلوا فلانا الجنة

وفي تفسير الإمام العسكري (ع) قال رسول الله ﷺ اما ان الله عز وجل كما امركم ان تحتاطوا لأنفسكم واديانكم واموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم فكذلك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم فلله عز وجل على كل عبد رقباء من كل خلقه وله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يحفظون عليه ما يكون منه من اعماله واقواله والفاظه والحاظه والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له او عليه والليالي والايام والشهود عليه اوله وسائر عباد الله المؤمنين شهود عليه اوله وحفظته الكاتبون اعماله شهود له او عليه فكم يكون يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه ان الله عز وجل يبعث يوم القيامة عباده اجمعين واماءه فيجمعهم في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي وتحشر الليالي والأيام وتستشهد البقاع والشهود على اعمال العباد فمن عمل صالحا شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره واعوامه وساعاته وايامه وليالي الجمع وساعاتها وايامها فيسعد بذلك سعادة الأبد ومن عمل سوء شهدت عليه فيشقى بذلك شقاء الأبد فاعملوا ليوم القيامة واعدوا الزاد ليوم الجمع يوم التناد وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص الحديث وذكر فيه فضيلة رجب وشعبان وشهر رمضان وصومها

وروى الحسين بن سعيد في كتاب الزهد باسناده عن الصادق (ع) قال إن الله تبارك وتعالى إذا اراد ان يحاسب المؤمن اعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول عبدي فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا فيقول نعم يارب قد فعلت ذلك فيقول قد غفرتها لك وابدلتها حسنات فيقول الناس سبحان الله اما كان لهذا العبد سيئة واحدة وهو قول الله عز وجل (فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا) قلت اي اهل قال اهله في الدنيا هم اهله في الجنة إن كانوا مؤمنين قال وإذا اراد بالعبد شرا حاسبه على رؤوس الناس وبكته واعطاه كتابه بشماله وهو قوله عز وجل (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في اهله مسرورا) قلت اي اهل قال اهله في الدنيا قلت قوله فظن ان لن يحور قال ظن ان لن يرجع وفيه اشارة الى ان ايدي الكفار

والمنافقين مغلولة في اعناقهم وان صحائفهم تعطى من وراء اظهرهم بشمالهم وايدي المؤمنين بخلاف ذلك والى ذلك اشير ايضا في دعاء الوضوء بقوله اللهم اعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيساري وحاسبني حسابا يسيرا وقوله اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا تجعلها مغلولة الى عنقي واعوذ بك من مقطعات النيران واعلم ان في كيفية شهادة الجوارح اقوالا ✻ احدها ✻ ان الله يجعلها على بنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة ✻ الثاني ✻ ان الله تعالى يفعل فيها كلاما يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله تعالى دون الجوارح واضيف اليها الكلام على التوسع لأنها محل الكلام ✻ والثالث ✻ ان الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة ويظهر فيها امارات دالة على كون اصحابها مستحقين للنار فسمي ذلك شهادة مجازا كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وكذا اختلف في شهادة السماء والارض والبقاع التي يعبد الله فيها فقيل ان الملائكة الموكلة بها تشهد ونسبت الشهادة اليها مجازا وقيل ان للجمادات شعورا ما كما قال تعالى (وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ويدل عليه ظواهر كثير من الآيات والروايات وقيل ان الله يعطيها في القيامة عقلا وشعورا دالة للنطق وقيل ان الله يخلق لها مثالا وصورة والاولى والاحوط الإيمان بذلك اجمالا وعدم الخوض في ذلك والسكوت عما سكت الله عنه

الفصل الثاني عشر

في بيان الوسيلة واللواء والحوض والشفاعة وسائر منازل النبي واهل بيته في القيامة وقد تواترت بذلك الأخبار من طرق العامة والخاصة بل كاد ان يكون من ضروريات الدين فالإيمان بذلك واجب لاسيما الحوض والكوثر والشفاعة الكبرى ولنورد قليلا من الاخبار هنا

فروى الكليني والصدوق في الخصال ومعاني الاخبار وعلي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادق (ع) قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة فسألنا النبي عن الوسيلة فقال هي درجتي في الجنة وهي الف مرقاة ما بين المرقاة الى المرقاة حضر الفرس الجواد شهرا وهي ما بين مرقاة جوهر الى مرقاة زبرجد الى مرقاة لؤلؤ الى مرقاة ذهب الى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال طوبى لمن كانت هذه درجته

فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذه درجة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل يومئذ متزرا بريطة من نور علي تاج الملك واكليل الكرامة وعلي بن ابي طالب امامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله فإذا مررنا بالنبيين قالوا هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما واذا مررنا بالملائكة قالوا هذان نبيان مرسلان حتى اعلو الدرجة وعلي يتبعني فإذا صرت في اعلا الدرجة منها وعلي اسفل مني بيده لوائي فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم الي يقولون طوبى لهذين العبدين ما اكرمهما على الله فينادي المنادي يسمع النبيين وجميع الخلائق هذا حبيبي محمد وهذا وليي علي بن ابي طالب طوبى لمن احبه وويل لمن ابغضه وكذب عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة احد يحبك إلا استروح الى هذا الكلام وابيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى احد ممن عاداك ونصب لك حربا او جحد لك حقا إلا اسود وجهه واضطربت قدماه فبينا انا كذلك اذا ملكان قد اقبلا الي أما احدهما فرضوان خازن الجنة واما الآخر فمالك خازن النار فيدنو رضوان ويسلم علي ويقول السلام عليك يارسول الله فأرد عليه وأقول ايها الملك الطيب الريح الحسن الوجه الكريم على ربه من انت فيقول انا رضوان خازن الجنة امرني ربي ان آتيك بمفاتيح الجنة فخذها يامحمد فأقول قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما انعم به علي ادفعها الى اخي علي امير المؤمنين علي بن ابي طالب فيدفعها ويرجع رضوان ثم يدنو مالك خازن النار فيسلم ويقول السلام عليك يارسول الله يا حبيب الله فأقول له وعليك السلام ايها الملك ما انكر رؤيتك واقبح وجهك من انت فيقول انا مالك خازن النار امرني ربي أن آتيك بمفاتيح النار فأقول قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما انعم به علي وفضلني به ادفعها الى اخي علي بن ابي طالب فيدفعها اليه ثم يرجع مالك فيقبل علي ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقعد على عجزة جهنم اي مؤخرها ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرورها وكثر شررها فتنادي جهنم ياعلي جزني قد اطفأ نورك لهبي فيقول علي لها ذري هذا وليي وخذي هذا عدوي فلجهنم يومئذ اشد مطاوعة لعلي من غلام احدكم لصاحبه فإن شاء يذهب بها يمنة وان شاء يذهب بها يسرة ولجهنم يومئذ اشد مطاوعة لعلي من جميع الخلائق وذلك ان عليا يومئذ قسيم الجنة والنار

وروى القمي في تفسيره عن ابي بصير عن الصادق (ع) قال اذا كان يوم القيامة دعي

محمد فيكسى حلة وردية ثم يقام عن يمين العرش ثم يدعى بابراهيم فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار العرش ثم يدعى بعلي امير المؤمنين فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدعى باسماعيل فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار ابراهيم ثم يدعى بالحسن فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين امير المؤمنين ثم يدعى بالحسين فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين الحسن ثم يدعى بالأئمة فيكسون حللا وردية فيقام كل واحد عن يمين صاحبه ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب ثم ينادي مناد من بطنان العرش من قبل رب العزة والأفق الاعلى نعم الاب ابوك يامحمد وهو ابراهيم ونعم الاخ اخوك وهو علي بن ابي طالب ونعم السبط سبطاك وهما الحسن والحسين ونعم الجنين جنينك وهو محسن ونعم الأئمة الراشدون ذريتك وهم فلان وفلان ونعم الشيعة شيعتك ألا ان محمدا ووصيه وسبطيه والأئمة من ذريته هم الفائزون ثم يؤمر بهم الى الجنة وذلك قوله تعالى (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز)

وفي بصائر الدرجات عن الصادق (ع) قال إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ملك وعن يساره ملك ينادي الذي عن يمينه يامعشر الخلائق هذا علي بن ابي طالب يُدخل النار من يشاء

وفي تفسير العياشي عن محمد بن جعفر عن ابيه جعفر (ع) قال إذا كان يوم القيامة نصب منبر عن يمين العرش له اربع وعشرون مرقاة ويجيء علي بن ابي طالب (ع) وبيده لواء الحمد فيرتقيه ويعلوه ويعرض الخلائق عليه فمن عرفه دخل الجنة ومن انكره دخل النار وتفسير ذلك في كتاب الله (قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) قال هو والله امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)

وروى العامة والخاصة بطرق عديدة في تفسير قوله تعالى (القيا في جهنم كل كفار عنيد) ان الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي (ع)

ورووا عن الأعمش والحسن بن صالح وغيرهم ان الآية هكذا نزلت يامحمد ياعلي القيا في جهنم كل كفار عنيد

وروى فرات بن ابراهيم في تفسيره معنعنا عن الصادق عن آبائه قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعدني المقام المحمود وهو واف لي بـه واذا

كان يوم القيامة نصب لي منبر له الف درجة فأصعد حتى اعلو فوقه فيأتيني جبرائيل بلواء الحمد فيضعه في يدي ويقول يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى فأقول لعلي اصعد فيكون اسفل مني بدرجة فأضع لواء الحمد في يده ثم يأتيني رضوان بمفاتيح الجنة فيقول يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى فيضعها في يدي فأضعها في حجر علي بن ابي طالب ثم يأتي مالك خازن النار فيقول يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى هذه مفاتيح النار ادخل عدوك وعدو ذريتك وعدو امتك النار فآخذها وأضعها في حجر علي بن ابي طالب فالنار والجنة يومئذ اسمع لي ولعلي من العروس لزوجها فهي قول الله تعالى (القيا في جهنم كل كفار عنيد) القى يا محمد ياعلي عدو كما في النار ثم اقوم واثني على الله ثناء لم يثن عليه احد قبلي ثم اثني على الملائكة المقربين ثم اثني على الأنبياء المرسلين ثم اثني على الامم الصالحين ثم اجلس فيثني الله علي وتثني علي ملائكته وتثني علي انبياؤه ورسله وتثني علي الامم الصالحة ثم ينادي مناد من بطنان العرش يامعشر الخلائق غضوا ابصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها فتمر فاطمة بنتي عليها ريطتان خضراوان حولها سبعون الف حوراء فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدت الحسن قائما والحسين قائما مقطوع الرأس فتقول للحسن من هذا فيقول هذا اخي إن امة ابيك قتلوه وقطعوا رأسه فيأتيها النداء من عند الله تبارك وتعالى يابنت حبيب الله اني انما اريتك ما فعلت به امة ابيك لأني ذخرت لك عندي تعزيتك بمصيبتك اني لا انظر في محاسبته حتى تدخلي الجنة انت وذريتك وشيعتك ومن اولاكم معروفا ممن ليس هو من شيعتك قبل ان انظر في محاسبة العباد فتدخل فاطمة ابنتي الجنة وذريتها وشيعتها ومن اولاها معروفا ممن ليس هو من شيعتها فهو قول الله تعالى في كتابه (لايحزنهم الفزع الاكبر) قال هو يوم القيامة (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) هي والله فاطمة وذريتها وشيعتها ومن اولاهم معروفا ممن هو ليس من شيعتها

وروى الصدوق في العيون عن الرضا (ع) عن آبائه عن امير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله ياعلي انت اول من يدخل الجنة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد وهو سبعون شقة الشقة منه اوسع من الشمس والقمر

وفي العلل عن السجاد (ع) عن آبائه عن علي قال قال لي رسول الله انت اول من يدخل الجنة فقلت يا رسول الله ادخلها قبلك قال نعم لأنك صاحب لوائي في الآخرة كما انك صاحب

لوائي في الدنيا وصاحب اللواء هو المتقدم ثم قال ياعلي كأني بك وقد دخلت الجنة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه

وروى الصدوق في الخصال والأمالي بأسانيد عديدة عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاني جبرائيل وهو فرح مستبشر فقلت له حبيبي جبرائيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخي وابن عمي علي بن ابي طالب عند ربه فقال جبرائيل يا محمد والذي بعثك بالنبوة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلا لهذا يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول محمد نبي رحمتي وعلي مقيم حجتي لا أعذب من والاه وان عصاني ولا أرحم من عاداه وان اطاعني قال ابن عباس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة أتاني جبرائيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر فيدفعه إلي فآخذه وأدفعه إلى علي بن ابي طالب فوثب عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله وكيف يطيق علي حمل اللواء وقد ذكرت انه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامه يعطي الله عليا من القوة مثل قوة جبرائيل ومن النور مثل نور آدم ومن الحلم مثل حلم رضوان ومن الجمال مثل جمال يوسف ومن الصوت ما يداني صوت داود ولولا أن يكون داود خطيبا لعلي في الجنان لأعطي مثل صوته وان عليا أول من يشرب من السلسبيل والزنجبيل لا تجوز لعلي قدم على الصراط إلا وثبتت له مكانها أخرى وان لعلي وشيعته من الله مكانا يغبطه به الأولون والآخرون

وروى البرقي والكليني والعياشي وغيرهم بأسانيد عديدة عنهم (ع) في تفسير قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) أي ندعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم فيجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قرنه وعلي في قرنه والحسن في قرنه والحسين في قرنه وكل إمام في قرنه الذي هلك بين ظهرانيهم فإن اثبت امامه اعطي كتابه بيمينه ومن انكره كان من اصحاب الشمال الذين قال الله فيهم (اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم) وفي رواية عنه ليس من قوم ائتموا بإمامهم في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنوه إلا أنتم ومن على مثل حالكم

﴿ تذييل ﴾ في الحوض قال الله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) المشهور بين المفسرين ان المراد به النهر المعروف في الجنة قال الطبرسي (ره) في تفسيره اختلفوا في تفسير الكوثر فقيل هو نهر في الجنة عن عائشة وابن عمر قال ابن عباس لما نزلت إنا أعطيناك الكوثر صعد

رسول الله المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي اعطاكه الله قال نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن وأشد استقامة من القدح حافتاه قباب الدر والياقوت ترده الطير الخضر لها اعناق كأعناق البخاتي قالوا يا رسول الله ما انعم تلك الطير قال افلا اخبركم بأنعم منها قالوا بلى قال من أكل الطائر وشرب الماء فاز برضوان الله تعالى

وروي عن ابي عبد الله انه قال نهر في الجنة اعطاه الله نبيه عوضاً من أمته وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطا وقال انس بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بين اظهرنا إذ اخفى اخفاء ثم رفع رأسه مبتسما فقلت ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفاً سورة فقرأ سورة الكوثر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب انهم من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اورده مسلم في الصحيح وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقيل هو النبوة والكتاب عن عكرمة وقيل القرآن عن الحسن وقيل هو كثرة الأصحاب والأشياع عن ابي بكر بن عياش وقيل هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله صلى الله عليه وآله وسلم من وليد فاطمة حتى لا يحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم وقيل هو الشفاعة رووه عن الصادق (ع) واللفظ محتمل للكل فيجب ان يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال فقد اعطاه الله سبحانه الخير الكثير ووعده الخير الكثير في الآخرة وجميع هذه الأقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين انتهى

وروى السيد ابن طاوس وغيره عن ابي ذر (ره) انه اجتمع هو وعلي والمقداد وقال أنشدكم تشهدون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أمتي ترد علي الحوض على خمس رايات أولها راية العجل فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه ومن فعل ذلك تبعه فأقول ماذا خلفتموني في الثقلين من بعدي فيقولون كذبنا الأكبر ومزقناه واضطهدنا الأصغر وابتززناه حقه فأقول اسلكوا ذات الشمال فيصرفون ظمآء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة واحدة ثم ترد علي راية فرعون امتي فيهم اكثر الناس وهم المبهرجون قلت يا رسول الله وما المبهرجون ابهرجوا الطريق قال لا ولكنهم بهرجوا دينهم أي محقوه وأبطلوه وعدلوا عن الجادة الحقة وهم الذين يغضبون للدنيا ولها يرضون ولها يسخطون

ولها ينصبون فآخذ بيد صاحبهم فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت احشاؤه ومن فعل ذلك تبعه فأقول ما خلفتموني في الثقلين بعدي فيقول كذبنا الأكبر ومزقناه وقاتلنا الأصغر وقتلناه فأقول اسلكوا طريق اصحابكم فينصرفون ظمآء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة ثم ترد علي راية فلان وهو إمام خمسين الفا من امتي فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت أحشاؤه ومن فعل ذلك تبعه فأقول ما خلفتموني في الثقلين بعدي فيقولون كذبنا الاكبر وعصيناه وخذلنا الاصغر وخذلنا عنه فأقول اسلكوا سبيل اصحابكم فينصرفون ظمآء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة ثم يرد علي المخدج أي ذو الثدية رئيس الخوارج برايته وهو إمام سبعين الفا من امتي فإذا أخذت بيده اسود وجهه ورجفت قدماه وخفقت احشاؤه ومن فعل ذلك تبعه فأقول ماذا خلفتموني في الثقلين بعدي فيقولون كذبنا الأكبر وعصيناه وقاتلنا الأصغر فقتلناه فأقول اسلكوا سبيل أصحابكم فينصرفون ظمآء مظمئين مسودة وجوههم لا يطعمون منه قطرة ثم يرد علي امير المؤمنين وقائد الغر المحجلين فأقوم فآخذ بيده فيبيض وجهه ووجوه اصحابه فأقول ماذا خلفتموني في الثقلين بعدي فيقولون اتبعنا الاكبر وصدقناه ووازرنا الأصغر ونصرناه وقتلنا معه فأقول ردوا فيشربون شربة لا يظمأون بعدها أبدا إمامهم كالشمس الطالعة ووجوههم كالقمر ليلة البدر أو كانوا كأضوء نجم في السماء قال ألستم تشهدون على ذلك قالوا بلى قال وأنا على ذلكم من الشاهدين

وفي تفسير القمي وبشارة المصطفى عن الباقر (ع) قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين عراة حفاة فيوقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتد انفاسهم فيمكثون كذلك ما شاء الله وذلك قوله تعالى (فلا تسمع إلا همسا) قال ثم ينادي منادٍ من تلقاء العرش اين النبي الأمي قال فيقول الناس قد أسمعت فسم باسمه قال فينادي أين نبي الرحمة محمد بن عبد الله قال فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتقدم أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله بين ايله وصنعاء فيقف عليه ثم ينادى بصاحبكم فيقوم امام الناس فيقف معه ثم يؤذن للناس فيمرون قال ابو جعفر (ع) فبين وارد يومئذ وبين مصروف فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يصرف عنه من محبينا أهل البيت بكى وقال يا رب شيعة علي يا رب شيعة علي قال فيبعث الله اليه ملكا فيقول له ما يبكيك يا محمد قال فيقول

وكيف لا أبكي لأناس من شيعة أخي علي بن ابي طالب أراهم قد صرفوا تلقاء اصحاب النار ومنعوا من ورود حوضي قال فيقول الله عز وجل له يا محمد اني قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم والحقتهم بك وبمن كانوا يتولون من ذريتك وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك وقبلت شفاعتك فيهم واكرمتك بذلك ثم قال الباقر (ع) فكم من باك يومئذ وباكية ينادون يا محمداه إذا رأوا ذلك فلا يبقى احد يومئذ كان يتولانا ويحبنا إلا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا

وفي مجالس المفيد وأمالي الشيخ وبشارة المصطفى عن ابن عباس قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إنا اعطيناك الكوثر) قال له علي بن ابي طالب ما هذا الكوثر يا رسول الله قال نهر اكرمني الله به قال علي ان هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله قال نعم يا علي الكوثر نهر يجري تحت عرش الله ماؤه أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد حصاه من الزبرجد والياقوت والمرجان حشيشه الزعفران ترابه المسك الاذفر قواعده تحت عرش الله عز وجل ثم ضرب رسول الله يده في جنب علي امير المؤمنين وقال يا علي ان هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل اعطاني نهرا في السماء مجراه تحت العرش عليه الف الف قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضة وحشيشها الزعفران ورضراضها الدر والياقوت وأرضها المسك الأبيض وذلك خير لي ولأمتي وذلك قوله تعالى (إنا اعطيناك الكوثر) . وروى الصدوق في الأمالي والعيون باسناده عن الرضا (ع) عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي . وفي الامالي عنه قال يا علي أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة وأنت صاحب حوضي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني وعنه (ع) قال من أراد ان يتخلص من هول القيامة فليتول وليي وليتبع وصيي وخليفتي من بعدي علي بن ابي طالب فإنه صاحب حوضي يذود عنه اعداءه ويسقي أولياءه فمن لم يسق منه لم يزل عطشانا ولم يرو أبدا ومن سقي منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً . وفي الخصال عن امير المؤمنين (ع) قال أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعي عترتي على الحوض فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا فإن لكل اهل بيت نجيب ولنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنا نذود عنه اعداءنا ونسقي منه احباءنا وأولياءنا ومن شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً حوضنا مترع أي مملوء فيه مثعبان أي ميزابان من الجنة احدهما من تسنيم والآخر من معين على حافتيه الزعفران

وحصاه اللؤلؤ والياقوت وهو الكوثر . وفي مجالس المفيد عن امير المؤمنين قال والله لأذودن بيدي هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله اعدائنا وليردنه احباؤنا وعن ابي ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث قال فيه بعد وصف الحوض لا يرده احد من امتي إلا النقية قلوبهم الصحيحة نياتهم المسلمون للوصي من بعدي الذين يعطون ما عليهم في يسر ولا يأخذون ما عليهم في عسر يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الأجرب عن ابله من شرب منه لم يظمأ ابدا . وروى الصدوق في الأمالي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد الأنبياء والمرسلين وأفضل من الملائكة المقربين وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين وذرياتي أفضل ذريات النبيين والمرسلين واصحابي الذين سلكوا مناهجي أفضل أصحاب النبيين والمرسلين وابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين والطاهرات من ازواجي أمهات المؤمنين وامتي خير أمة اخرجت للناس وأنا اكثر النبيين تبعا يوم القيامة ولي حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه من الأباريق عدد نجوم السماء وخليفتي على الحوض يومئذ خليفتي في الدنيا فقيل ومن ذاك يا رسول الله قال امام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي علي بن ابي طالب يسقي منه أولياءه ويذود عنه اعداءه كما يذود احدكم الغريب من الابل عن الماء ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم من أحب عليا واطاعه في دار الدنيا ورد على حوضي غدا وكان معي في درجتي في الجنة ومن ابغض عليا في دار الدنيا وعصاه لم أره ولم يرني يوم القيامة واختلج دوني واخذ به ذات الشمال الى النار . وفي مناقب ابن شهراشوب عن الحافظ ابي نعيم وهو من مشاهير المخالفين باسناده إلى عطيه عن انس قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قد اعطيت الكوثر فقلت يا رسول الله وما الكوثر قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ احد منه فيشعث لا يشربه من اخفر ذمتي ولا من قتل اهل بيتي وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يذود علي عنه يوم القيامة من ليس من شيعته ومن شرب منه لم يظمأ ابدا

وروى احمد بن حنبل نحوه وروى ابن قولويه في الكامل بأسناد معتبر عن مسمع كردين عن ابي عبد الله (ع) قال ان الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى انه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي ان يصدر عنه يا مسمع من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يشق بعدها أبدا وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل أحلى من العسل

وألين من الزبد وأصفى من الدمع وأزكى من العنبر يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنة يجري على رضراض الدر والياقوت فيه من القدحان اكثر من عدد نجوم السماء يوجد ريحه من مسيرة الف عام قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجواهر يفوح في وجهه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه ليتني تركت هاهنا لا ابغي بهذا بدلا ولاعنه تحويلاأما انك يا كردين ممن تروى منه وما من عين بكت لنا الا نعمت بالنظر الى الكوثر وسقي منه من أحبنا وأن الشارب منه ليعطى من اللذة والمطعم والشهوة له اكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا وإن على الكوثر أمير المؤمنين في يده عصى من العوسج يحطم بها اعداءنا فيقول الرجل منهم اني اشهد الشهادتين فيقول انطلق الى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك فيقول تبرأ مني إمامي الذي تذكره فيقول ارجع وراءك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق فاسأله إذا كان عندك خير الخلق ان يشفع لك فإن خير الخلق حقيق ان لا يرد إذا شفع فيقول اني اهلك عطشا فيقول زادك الله ظماً وزادك الله عطشا قلت جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره قال ورع عن اشياء قبيحة وكف عن شتمنا إذا ذكرنا وترك اشياء اجترئ عليها غيره وليس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس فأما قلبه فمنافق ودينه النصب واتباع أهل النصب وولاية الماضيين وتقديمهما على كل أحد وفي الباب أحاديث كثيرة اكتفينا بما ذكر

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في الحوض انه حق وان عرضه ما بين ايله وصنعاء وهو حوض النبي وان فيه من الأباريق عدد نجوم السماء وإن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين يسقي منه أولياءه ويذود عنه اعداءه من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا

﴿ختام في الشفاعة﴾ إعلم انه لا خلاف بين المسلمين في ثبوت الشفاعة لسيد المرسلين في أمته بل في سائر الأمم الماضين بل ذلك من ضروريات الدين قال الله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وانما اختلف في معناها فالذي عليه الفرقة المحقة واكثر العامة ان الشفاعة كما تكون في زيادة الثواب كذلك تكون لإسقاط العقاب عن فساق المسلمين المستحقين للعذاب والخوارج والوعيدية من المعتزلة انها لا تكون الا في طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب زعماً منهم انه كما يجب الوفاء بالوعد فكذا يجب بالوعيد ولنا على ابطال مذهبهم مضافا الى الأخبار المتواترة ان الشفاعة لو كانت في زيادة المنافع لا غير لكنا شافعين في النبي حيث

نطلب له من الله علو الدرجات والتالي باطل قطعا لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه فالمقدم مثله وقد استدلوا بوجوه ﴿ الأول ﴾ قوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) فنفى الله تعالى قبول الشفاعة عن الظالم والفاسق ظالم وأجيب بأنه تعالى نفى الشفيع المطاع ونحن نقول به لأنه ليس في الآخرة شفيع يطاع لأن المطاع فوق المطيع والله تعالى فوق كل موجود ولا أحد فوقه ولا يلزم من نفي الشفيع المطاع نفي الشفيع المجاب سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد بالظالمين هنا الكفار جمعا بين الادلة ﴿ الثاني ﴾ قوله تعالى (وما للظالمين من انصار) ولو شفع صلى الله عليه وآله وسلم في الفاسق لكان ناصرا له ﴿ الثالث ﴾ قوله تعالى (ولا تنفعها شفاعة يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تنفعهم شفاعة الشافعين) والجواب عن هذه الآيات كلها انها مختصة بالكفار جمعا بين الأدلة ﴿ الرابع) قوله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) نفى شفاعة الملائكة عن غير المرضي لله تعالى والفاسق غير مرضي والجواب لا نسلم ان الفاسق غير مرضي بل هو مرضي لله تعالى في إيمانه وقال المحقق الطوسي (ره) والحق صدق الشفاعة فيها أي في زيادة المنافع واسقاط المضار وثبوت الثاني له بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي انتهى وهذا الحديث رواه العامة والخاصة بطرق عديدة

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في الشفاعة انها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين الى الشفاعة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا شفيع انجح من التوبة والشفاعة للأنبياء والاوصياء والمؤمنين والملائكة وفي المؤمنين من يشفع في مثل ربيعة ومضر وأقل المؤمنين شفاعة من يشفع في ثلاثين انسانا والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك ولا لأهل الكفر والجحود بل تكون للمؤمنين من أهل التوحيد انتهى

وفي الخصال من طرق المخالفين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل نبي دعوة قد دعا بها وقد سئل سؤلا وقد اخبأت دعوتي لشفاعتي لأمتي يوم القيامة . وعن الصادق (ع) عن آبائه عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء . وفي العيون عن الرضا (ع) عن آبائه عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم انما شفاعتي لأهل الكبائر من امتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل قال الراوي فقلت للرضا (ع) يا ابن رسول

الله فما معنى قوله عز وجل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى قال لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه وقال الطبرسي (ره) في المجمع وهي يعني الشفاعة ثابتة عندنا للنبي ولأصحابه المتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالح المومنين وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وما جاء في روايات اصحابنا رضوان الله عليهم مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني أشفع يوم القيامة فأشفع ويشفع علي فيشفع ويشفع أهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من اخوانه كل استوجب النار وقال في قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) العهد هو الإيمان والاقرار بوحدانية الله تعالى والتصديق بأنبيائه وقيل هو شهادة ان لا إله إلا الله وان يتبرأ من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالانبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين وفي الصحيح ان المراد به الوصية بالعقائد الحقة عند الموت وهي اللهم فاطر السموات والأرض الخ وفي قوله سبحانه (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) هو استفهام معناه الإنكار والنفي أي لا يشفع يوم القيامة احد لأحد إلا باذنه وأمره وذلك ان المشركين كانوا يزعمون ان الأصنام تشفع لهم فأخبر الله سبحانه ان أحداً ممن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد ان يأذن الله له في ذلك ويأمره به وقوله (لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة احد في غيره إلا شفاعة من أذن الله له أن يشفع ورضي قوله فيها من الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين والشهداء وفي قوله (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) أي ارتضى دينه . وروى الصدوق في الأمالي باسناده عن امير المؤمنين قال قالت فاطمة (ع) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال وهوم الفزع الأكبر قال يا فاطمة عند باب الجنة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي قالت يا أبتاه فإن لم ألقك هناك قال إلقيني عند الحوض وأنا أسقي أمتي قالت يا أبتاه وان لم ألقك هناك قال القيني عند الصراط وأنا قائم أقول ربي سلم امتي قالت فإن لم القك هناك قال القيني على شفير جهنم امنع شررها ولهبها عن امتي فاستبشرت فاطمة بذلك . وفي تفسير القمي عن سماعة عن الصادق (ع) قال سألته عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة قال يلجم الناس يوم القيامة العرق ويرهقهم القلق فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا عند ربك

فيقول إن لي ذنبا وخطيئة فعليكم بنوح فيأتون نوحا فيردهم إلى من يليه ويردهم كل نبي إلى من يليه حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول عليكم بمحمد رسول الله ﷺ فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول انطلقوا فينطلق بهم الى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن ويخر ساجدا فيمكث ماشاء الله فيقول الله عز وجل إرفع رأسك واشفع تشفع واسأل تعطى وذلك قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

وفي أمالي الصدوق وبشارة المصطفى عن ابي بصير عن الصادق (ع) قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمات شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون يا رب اكشف عنا هذه الظلمة قال فيقبل قوم يمشي النور بين ايديهم قد اضاء ارض القيامة فيقول اهل الجمع فهؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة فيقول اهل الجمع من انتم فيقولون نحن العلويون نحن ذرية محمد رسول الله نحن اولاد علي ولي الله نحن المخصوصون بكرامة الله نحن الآمنون المطمئنون فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل اشفعوا في محبيكم واهل مودتكم وشيعتكم فيشفعون فيشفعون

وفي العلل عن الصادق (ع) قال شيعتنا من نور الله خلقوا واليه يعودون ووالله انكم لملحقون بنا يوم القيامة وانا لنشفع فنشفع ووالله انكم لتشفعون فتشفعون وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه فيدخل احباءه الجنة واعداءه النار

وفي الامالي عن الصادق (ع) عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال إذا قمت المقام المحمود تشفعت في اصحاب الكبائر من امتي فيشفعني الله فيهم والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي وعن الصادق (ع) قال من انكر ثلاثة اشياء فليس من شيعتنا المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة

وفي تفسير القمي عن الباقر (ع) والصادق (ع) قالا والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى تقول اعداؤنا إذا رأوا ذلك فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين

وبسند معتبر كالصحيح عن ابيه عن ابن ابي عمير عن معاوية بن عمار عن ابي العباس المكبر قال دخل مولىً لامرأة علي بن الحسين على ابي جعفر يقال له ابو ايمن فقال له يا اباجعفر تغرُّون الناس وتقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب ابو جعفر حتى تربد اي تغير وجهه ثم قال ويحك يا اباايمن اغرك ان عف بطنك وفرجك اما لو قد رأيت افزاع القيامة لقد احتجت

الى شفاعة محمد وبلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال (ع) ما احد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد يوم القيامة ثم قال ابو جعفر (ع) إن لرسول الله الشفاعة في امته ولنا شفاعة في شيعتنا ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم ثم قال وان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر وان المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول يارب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد

وروى الصدوق في العيون مسندا عن امير المؤمنين قال إن للجنة ثمانية ابواب باب يدخل منه النبيون والصديقون وباب يدخل منه الشهداء والصالحون وخمسة ابواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا فلا ازال واقفا على الصراط ادعو وأقول يارب سلم شيعتي ومحبي وانصاري ومن توالاني في دار الدنيا فإذا النداء من بطنان العرش قداجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل او قول في سبعين الفاً من جيرانه واقربائه وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد ان لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا اهل البيت

وفي ثواب الأعمال مسندا عن الصادق (ع) قال ان المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد امر به الى النار والملك ينطلق به قال فيقول يافلان اغثني فقد كنت اصنع اليك المعروف في الدنيا واسعفك في الحاجة تطلبها مني فهل عندك اليوم مكافاة فيقول المؤمن للملك الموكل به خلِّ سبيله قال فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك ان يجيز قول المؤمن فيخلي سبيله

وعن الصادق (ع) ان المؤمن ليشفع لحميمه الا ان يكون ناصبيا ولو ان ناصبيا شفع له كل نبي مرسل وملك مقرب ما شفعوا

وفي علل الصدوق عن الصادق (ع) قال اذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد فاذا وقفا بين يدي الله عز وجل قيل للعابد انطلق الى الجنة وقيل للعالم قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم

وفي تفسير فرات بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال قال جابر لأبي جعفر جعلت فداك يا ابن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة اذا انا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك قال ابو جعفر حدثني ابي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة نصب للانبياء والرسل منابر من نور يكون منبري اعلى منابرهم يوم القيامة ثم يقول الله يامحمد

اخطب فأخطب بخطبة لم يسمع احد من الانبياء والرسل بمثلها ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب للوصي علي بن ابي طالب في اوساطهم منبر من نور فيكون منبره اعلى منابرهم ثم يقول الله يا علي اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع احد من الأوصياء بمثلها ثم ينصب لأولاد الانبياء والمرسلين منابر من نور فيكون لابني وسبطي وريحانتي ايام حياتي منبر من نور ثم يقال لهما اخطبا فيخطبان بخطبتين لم يسمع احد من اولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما ثم ينادي المنادي وهو جبرائيل اين فاطمة بنت محمد اين خديجة بنت خويلد اين مريم بنت عمران اين آسية بنت مزاحم ابن كلثوم ام يحيى بن زكريا فيقمن فيقول الله تبارك وتعالى يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم فيقول محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لله الواحد القهار فيقول الله تعالى يا اهل الجمع اني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير الى الجنة فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين خطامها من اللؤلؤ الرطب عليها رحل من المرجان فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة الف ملك ليسيروا عن يمينها ويبعث الله اليها مائة الف ملك ليسيروا عن يسارها ويبعث الله اليها مائة الف ملك يحملونها على اجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله يابنت حبيبي ماالتفاتك وقد امرت بك الى جنتي فتقول يارب احببت ان يعرف قدري في مثل هذا اليوم فيقول يابنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك ولأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة قال ابو جعفر والله ياجابر انها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردي فإذا صارت شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم ان يلتفتوا فإذا التفتوا يقول الله يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي فيقولون يارب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم فيقول الله يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة انظروا من سقاكم شربة لحب فاطمة انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وادخلوه الجنة قال ابو جعفر والله لا يبقى في الناس إلا شاك او كافر او منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فيقولون فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) قال ابو جعفر هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون

وفي الكافي بسند معتبر عن عبد الحميد الواسطي عن ابي جعفر «ع» قال قلت له ان لنا جارا يرتكب المحارم كلها حتى انه ليترك الصلاة فضلا عن غيرها فقال سبحان الله واعظم من ذلك ألا اخبركم بمن هو شر منه قلت بلى قال الناصب لنا شر منه اما انه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها إلا أن يجيء بذنب يخرجه من الايمان وان الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب وان المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول يا رب جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى أنا ربك وانا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة وان أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين انسانا فعند ذلك يقول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

وفي العلل عن الباقر «ع» قال لا تسألوهم يعني المخالفين فتكلفونا قضاء حوائجهم يوم القيامة وفي رواية أخرى قال «ع» لا تسألوهم الحوائج فتكونوا لهم الوسيلة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القيامة والأخبار في ذلك كثيرة يحتاج جمعها الى كتاب مفرد كبير الحجم

الفصل الثالث عشر

في الصراط وهو من ضروريات الدين لا خلاف فيه بين احد من المسلمين والآيات فيه متضافرة والأخبار به متواترة وقد ورد في روايات العامة والخاصة انه جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة وعليه عقبات كثيرة وهو صراطان ظاهري وهو ما ذكر وباطني وهو النبي والأئمة كما ورد عنهم نحن الصراط وقال امير المؤمنين «ع» انا الصراط الممدود بين الجنة والنار وعن الصادق «ع» الصراط المستقيم امير المؤمنين «ع» فمن كان متمسكا بولائهم ومحبتهم ومتابعتهم في اقوالهم وافعالهم فقد هدي الى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة ومن خالفهم زل وضل وفي معاني الأخبار عن المفضل بن عمر قال سألت ابا عبد الله عن الصراط فقال هو الطريق الى معرفة الله عز وجل وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم

وفي تفسير العسكري الصراط المستقيم صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما

الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر من الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل واما الصراط في الآخرة فهو طريق المؤمنين الى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في الصراط انه حق وانه جسر جهنم وان عليه ممر جميع الخلق قال الله عز وجل (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) والصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم اعطاه الله عز وجل جوازا على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة وقال النبي لعلي إذا كان يوم القيامة اقعد أنا وانت وجبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك

وقال الشيخ المفيد «ره» في شرحه الصراط في اللغة هو الطريق فلذلك سمي الدين صراطا لأنه طريق الى الثواب وله سمي الولاء لأمير المؤمنين والأئمة من ذريته صراطا ومن معناه قال امير المؤمنين انا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى التي لا انفصام لها يعني ان معرفته والتمسك به طريق الله سبحانه وقد جاء الخبر بأن الطريق يوم القيامة الى الجنة لجسر تمر به الناس وهو الصراط الذي يقف عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن شماله امير المؤمنين ويأتيهما النداء من الله تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد وجاء الخبر انه لا يعبر الصراط يوم القيامة الا من كان معه براءة من علي بن ابي طالب من النار وجاء الخبر بأن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف على الكافر والمراد بذلك انه لا يثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من اهوال القيامة ومخاوفها فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط وهو طريق الى الجنة وطريق الى النار يسير العبد منه الى الجنة ويرى من اهوال النار وقد يعبر عنه الى الطريق المعوج فلهذا قال الله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما) فميز بين طريقه الذي دعي الى سلوكه من الدين وبين طرق الضلال وقال الله تعالى فيما أمر عباده من الدعاء وتلاوة القرآن (اهدنا الصراط المستقيم) فدل على ان سواه صراط غير مستقيم وصراط الله دين الله وصراط الشيطان طريق العصيان والصراط في الأصل على ما بيناه هو الطريق والصراط يوم القيامة هو الطريق للسلوك الى الجنة والنار على ما قدمناه انتهى كلامه رحمه الله

ولا يخفى انه لا اضطرار في تأويل كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف بما ذكره (ره)

وروى الصدوق في الامالي باسناد معتبر عن الصادق(ع) قال الناس يمرون على الصراط طبقات يعني على اقسام والصراط أدق من الشعرة ومن حد السيف فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل عدو الفرس ومنهم من يمر حبوا ومنهم من يمر مشيا ومنهم من يمر متعلقا قد تأخذ النار منه شيئا وتترك شيئا

وروى الصدوق وعلي بن ابراهيم بأسانيدهما عن الباقر قال لما نزلت هذه الآية (وجيء يومئذ بجهنم) سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اخبرني الروح الأمين ان الله لا إله غيره اذا برز الخلائق وجميع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام يقودها مائة الف ملك من الغلاظ الشداد لها هدة وغضب وزفير وشهيق وانها لتزفر الزفرة فلولا ان الله عزوجل أخرهم للحساب لأهلكت الجميع ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البر منهم والفاجر فما خلق الله عز وجل عبدا من عباده ملكا ولا نبيا إلا ينادي ربي نفسي نفسي وانت يا نبي الله تنادي أمتي أمتي ثم يوضع عليها الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف عليها ثلاث قناطر فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم وثانيها فعليها الصلاة واما الثالثة فعليها عدل رب العالمين جل وعز وهو قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) والناس على الصراط فمتعلق بيد وتزل قدم ويستمسك بقدم والملائكة حولها ينادون ياحليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم سلم والناس يتهافتون في النار كالفراش فإذا نجا ناج برحمة الله عز وجل مرّ بها فقال الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجاني منك بعد اياس بمنه وفضله ان ربنا لغفور شكور قال المحقق المجلسي(ره) لعل المراد بالأمانة بالنسبة الى الأموال والعدل بالنسبة الى المظالم الأخر او يكون الأول في حقوق الله والثاني في حقوق الناس ولا يبعد ان يكون المراد بالرحم رحم آل محمد كما ورد ما يشهد له في بعض الأخبار وبالأمانة عدم الخيانة في العهد والميثاق والبيعة التي في اعناقهم حيث قدمها على الصلاة وعقبة الولاية التي هي اعظم العقبات ووردت في اخبار أخر لم تذكر هنا وهو ما يؤيد ان المراد بالأمانة عدم الخيانة في عهد الإمامة ويمكن ان يقال ان ذلك بالنسبة الى المؤمنين واما الكفار والمشركون والمخالفون ففي جهنم قبل الولوج في الصراط وفي اوله

وروى ابن شهر اشوب في المناقب من طرق المخالفين عن الشافعي عن مالك عن حميد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى(فلا اقتحم العقبة) ان فوق الصراط عقبة كؤودا

طولها ثلاثة آلاف عام الف عام هبوط والف عام شوك وحسك وعقارب وحيات والف عام صعود انا اول من يقطع تلك العقبة وثاني من يقطع تلك العقبة علي بن ابي طالب وقال ﷺ بعد كلام لا يقطعها في غير مشقة إلا محمد واهل بيته

وعن تفسير مقاتل عن عطا عن ابن عباس في قوله تعالى (يوم لا يخزي الله النبي) لا يعذب الله محمدا والذين آمنوا معه اي لا يعذب علي بن ابي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر نورهم يسعى يضيء على الصراط لعلي وفاطمة مثل الدنيا سبعين مرة فيسعى نورهم بين ايديهم ويسعى عن أيمانهم وهم يتبعونها فيمضي اهل بيت محمد وآله زمرة على الصراط مثل البرق الخاطف ثم قوم مثل الريح ثم قوم مثل عدو الفرس ثم يمضي قوم مثل المشي ثم قوم مثل الحبو ثم قوم مثل الزحف ويجعله الله على المؤمنين عريضا وعلى المذنبين دقيقا قال الله تعالى (يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) حتى نجتاز به على الصراط قال فيجوز امير المؤمنين في هودج من الزمرد الأخضر ومعه فاطمة على نجيب من الياقوت الأحمر لها سبعون الف حوراء كالبرق اللامع

وروى الشيخ الطوسي (ره) في اماليه من طرق المخالفين عن انس عن النبي ﷺ قال اذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن ابي طالب (ع) وذلك قوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) يعني عن ولاية علي بن ابي طالب

وفي تفسير الإمام (ع) عن النبي ﷺ قال ان الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين نادى منادي ربنا من تحت عرشه يا معشر الخلائق غضوا ابصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط فتغض الخلائق كلهم ابصارهم فتجوز فاطمة على الصراط لا يبقى احد في القيامة إلا غض بصره عنها إلا محمد وعلي والحسن والحسين (ع) والطاهرون من اولادهم فإنهم محارمها فإذا دخلت الجنة بقي مرطها ممدوداً على الصراط طرف منه بيدها وهي في الجنة وطرف في عرصات القيامة فينادي منادي ربنا يا ايها المحبون لفاطمة تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين فلا يبقى محب لفاطمة الا تعلق بهدبة من اهداب مرطها حتى يتعلق بها اكثر من الف فآم والف فأم قالوا وكم فأم واحد قال الف الف ينجون من النار

وفي الكافي عن الباقر (ع) عن ابي ذر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ الى الجنة واذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفيء به الصراط في النار

وفي الكافي باسناد معتبر عن الصادق (ع) قال الا تحاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا فإن في القيامة خمسين موقفا كل موقف مثل الف سنة مما تعدون ثم تلا هذه الآية (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) قال العلامة المجلسي (ره) لا يبعد ان يكون مكث اكثر الكفار في القيامة الف سنة فيكون اليوم بالنظر اليهم كذلك ويكون مكث جماعة من الكفار خمسين الف سنة فهو منتهى زمان هذا اليوم ويكون مكث بعض المؤمنين ساعة فهو كذلك بالنسبة اليهم وهكذا بحسب اختلاف احوال الأبرار والفجار ويحتمل ايضا كون الالف زمان مكثهم في بعض القيامة كالحساب مثلا

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر ان كل عقبة منها اسم فرض وامر ونهي فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسمها فرض وكان قد قصر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها فإن خرج منه بعمل صالح قدمه او برحمة تدارکه نجا منها الى عقبة اخرى فلا يزال يدفع من عقبة الى عقبة ويحبس عند كل عقبة فيسأل عما قصر فيه من معنى اسمها فإن سلم من جميعها انتهى الى دار البقاء فيجيء حياة لاموت فيها ابدا وسعد سعادة لا شقاوة معها ابدا وسكن في جوار الله مع انبيائه وحججه والصديقين والشهداء والصالحين من عباده وان حبس على عقبة فطولب بحق قصر فيه فلم ينجه عمل صالح قدمه ولا ادرکته من الله عز وجل رحمة زلت به قدمه عن العقبة فهوى في جهنم نعوذ بالله منها وهذه العقبات كلها على الصراط واسم عقبة منها الولاية يوقف جميع الخلائق عندها فيسألون عن ولاية امير المؤمنين والأئمة (ع) من بعده فمن اتى بها نجا وجاوز ومن لم يأت بها بقي فهوى وذلك قول الله عز وجل (وقفوهم انهم مسؤولون) واهم عقبة منها المرصاد وهو قول الله عز وجل (ان ربك لبالمرصاد) ويقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم واسم عقبة منها الأمانة واسم عقبة منها الرحم واسم عقبة منها الصلاة وباسم كل فرض او امر او نهي عقبة يجلس عندها العبد فيسأل وقال الشيخ المفيد (ره) في شرحه العقبات عبارة عن الاعمال الواجبة والمسائلة عنها والمواقفة عليها وليس المراد بها جبال في الارض تقطع وانما هي الاعمال شبهت بالعقبات وجعل الوصف لما يلحق الانسان في تخلصه من تقصيره في طاعة الله كالعقبة التي يجهده صعودها وقطعها قال الله تعالى (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة) فسمى سبحانه الاعمال التي كلفها العبد عقبات تشبيها بالعقبات والجبال لما يلحق الانسان في ادائها من المشاق كما يلحقه في

صعود العقبات وقطعها وقال امير المؤمنين (ع) ان امامكم عقبة كؤودا ومنازل مهولة لا بد من الممر بها والوقوف عليها فإما برحمة الله نجوتم واما بهلكة ليس بعدها انجاء اراد (ع) بالعقبة تخلص الانسان من العقبات التي عليه وليس كما ظنه الحشوية من ان في الآخرة جبالا وعقبات يحتاج الانسان الى قطعها ماشيا وراكبا وذلك لا معنى له فيما توجبه الحكمة من الجزاء ولا وجه لخلق عقبات تسمى بالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الفرائض يلزم الانسان ان يصعدها فإن كان مقصرا في طاعة الله حال ذلك بينه وبين صعودها اذ كان الغرض في القيامة المواقفة على الأعمال والجزاء عليها بالثواب والعقاب وذلك غير مفتقر الى تسمية عقبات وخلق جبال وتكليف قطع ذلك وتصعيبه او تسهيله مع انه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل فيعتمد عليه وتخرج له الوجوه وإذا لم يثبت خبر كان الامر فيه ما ذكرناه انتهى

قال المحقق المجلسي (ره) بعد نقله ونعم ما قال تأويل ظواهر الأخبار بمحض الاستبعاد بعيد عن الرشاد ولله الخيرة في معاقبة العاصين من عباده بأي وجه اراد انتهى

الفصل الرابع عشر

﴿ في حقية الجنة والنار ﴾ وحقيقتهما يجب الإيمان بالجنة والنار الجسمانيتين على نحو ما تكاثرت به الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة وذلك من ضروريات الدين لم يخالف فيه احد من المسلمين ومن انكر وجودهما مطلقا كالملاحدة او اولهما بما يأتي كالفلاسفة فلا ريب في كفره والفلاسفة في هذا الباب على فرقتين ﴿ الاولى ﴾ الاشراقيون القائلون بعالم المثال والظاهر أنهم يقولون أن الجنة والنار وسائر ما ورد به الشرع من التفاصيل ليست من قبيل الأجسام والجسمانيات ولا من عالم المجردات بل هو عالم آخر متوسط بينهما كعالم الرؤيا في المنام والصورة في المرآة والثواب والعقاب كالرؤيا الحسنة والرؤيا القبيحة وهذا مع استلزامه انكار الحشر والنشر الجسمانيين تلاعب بالدين ومخالف لصريح القرآن المبين ورد لقول الأنبياء والمرسلين لا يقال ان اكثر المسلمين قد قالوا بالعالم المثالي في عالم البرزخ كما تقدم لأنا نقول بين القولين فرق من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان قول اكثر المسلمين لا يستلزم انكار المعاد الجسماني ولا رد الآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة بخلاف هؤلاء ﴿ الثاني ﴾ ان عالم المثال الذي قال به المسلمون غير هذا المثال الذي قال به الفلاسفة فإن المسلمين قالوا ان تلك الأبدان المثالية في العالم البرزخي أجسام

لطيفة شفافة كأجسام الملائكة والجن لها وجود خارجي وتتعلق الروح بذلك الجسم ولم يؤلوا ذلك بعالم المنام والرؤيا كما فعل هؤلاء الفرقة ﴿ الثانية ﴾ المشاؤون وهم الاكثرون فجعلوا الجنة والنار والثواب والعقاب من قبيل اللذات والآلام العقلية وذلك ان النفوس البشرية سواء جعلت أزلية كما هو رأي أفلاطون أو لا كما هو رأي ارسطو فهي أبدية عندهم لا تفنى بخراب البدن بل تبقى ملتذة بكمالاتها مبتهجة بادراكاتها وذلك سعادتها وثوابها وجنانها على اختلاف المراتب وشقاوت الأحوال ومتألمة بفقد الكمالات وفساد الاعتقادات وذلك شقاوتها وعقابها ونيرانها على ما لها من اختلاف التفاصيل وإنما لم تتنبه لذلك في هذا العالم لاستغراقها في تدبير البدن وانغماسها في كدورات عالم الطبيعة وبالجملة لما بها من العلائق والعوائق الزائلة بمفارقة البدن فما ورد في لسان الشرع من تفاصيل الثواب والعقاب وما يتعلق بذلك من السمعيات فهي مجازات وعبارات عن تفاصيل أحوالها في السعادة والشقاوة واختلاف أحوالها في اللذات والآلام والتدرج مما لها من دركات الشقاوة إلى درجات السعادة فإن الشقاوة السرمدية إنما هي بالجهل المركب الراسخ والشرارة المضادة للملكة الفاضلة لا الجهل البسيط والأخلاق الخالية عن غايتي الفضل والشرارة فأن شقاوتها منقطعة بل ربما لا تقتضي الشقاوة أصلا هذا ملخص كلامهم

قال العلامة المجلسي (ره) ونعم ما قال لا يخفى على من راجع كلامهم وتتبع أصولهم ان جلها لا يطابق ما ورد في شرائع الأنبياء وإنما يمضغون ببعض أصول الشرائع وضروريات الملل على ألسنتهم في كل زمان حذرا من القتل والتكفير من مؤمني أهل زمانهم فهم يؤمنون بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم كافرون ولعمري ان من قال بأن الواحد لا يصدر عنه الا الواحد وكل حادث مسبوق بمادة وما ثبت قدمه امتنع عدمه وبأن العقول والافلاك وهيولا العناصر قديمة وان الانواع المتوالدة كلها قديمة وانه لا يجوز اعادة المعدوم وان الافلاك متطابقة ولا تكون العنصريات فوق الافلاك وأمثال ذلك كيف يؤمن بما أتت به الشرائع ونطقت به الآيات وتواترت به الروايات من اختيار الواجب وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وحدوث العالم وحدوث آدم والحشر الجسماني وكون الجنة في السماء مشتملة على الحور والقصور والأبنية والمساكن والأشجار والأنهار وان السماوات تنشق وتطوى والكواكب تنتثر وتتساقط بل تفنى وان الملائكة أجسام ملئت منهم السموات ينزلون ويعرجون وان النبي قد عرج الى السماء

وكذا عيسى (ع) وادريس (ع) وكذا كثير من معجزات الأنبياء والأوصياء من شق القمر وإحياء الأموات ورد الشمس وطلوعها من مغربها وكسوف الشمس في غير زمانه وخسوف القمر في غير أوانه وأمثال ذلك ومن أنصف ورجع إلى كلامهم علم انهم لا يعاملون اصحاب الشرائع إلا كمعاملة المستهزء بهم أو من جعل الأنبياء كأرباب الحيل والمعميات الذين لا يأتون بشيء يفهمه الناس بل يلبسون عليهم في مدة بعثتهم ويرمونهم بالضلال والجهل المركب ويلبسون لهم الباطل في صورة الحق ويحيلون هداية الخلق على هذه الفرقة الضالة الشاذة أعاذنا الله وسائر المؤمنين من تسويلاتهم وشبههم انتهى كلامه رفع مقامه

وأما كون الجنة والنار مخلوقتين الآن فقد ذهب اليه جمهور المسلمين الا شرذمة من المعتزلة كأبي هاشم والقاضي عبد الجبار ومن يحذو حذوهما فإنهم قالوا سيخلقان في القيامة والآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة دافعة لقولهم ولم يذهب الى هذا القول السخيف من الفرقة المحقة أحد وربما نسب الى السيد الرضي (ره) ذلك وهو بعيد عن جلالة شأنه وعظم قدره والقرآن صريح في وجودهما حين نزوله كما قال الله تعالى (اعدت للمتقين . أعدت للذين آمنوا . أعدت للكافرين . عندها جنة المأوى) وأحاديث المعراج المروية من طرق العامة والخاصة صريحة في ان النبي رأى الجنة والنار ودخل الجنة واكثر المتكلمين والمفسرين على ان جنة آدم التي ذكرها الله في القرآن كانت جنة الخلد . وروى الكشي في رجاله انه قيل للرضا (ع) ان فلانا يزعم ان الجنة لم تخلق قال كذب فأين جنة آدم وعن ابن سنان قال قلت لأبي الحسن (ع) ان يونس يقول ان الجنة والنار لم يخلقا قال فقال ماله لعنه الله فأين جنة آدم . وفي كتاب صفات الشيعة للصدوق (ره) باسناده عن الصادق وقال ليس من شيعتنا من انكر اربعة أشياء المعراج والمساءلة في القبر وخلق الجنة والنار والشفاعة وباسناده عن الرضا (ع) قال من أقر بتوحيد الله وساق الحديث إلى ان قال وأقر بالرجعة والمتعتين وآمن بالمعراج والمساءلة في القبر والحوض والشفاعة وخلق الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والنشور والجزاء والحساب فهو مؤمن حقا وهو من شيعتنا أهل البيت . وروى الصدوق في الأمالي والتوحيد عن الهروي قال قلت للرضا (ع) يا ابن رسول الله أخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان فقال نعم وان رسول الله قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء قال فقلت له فإن قوما يقولون انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين فقال (ع) ما أولئك منا ولا نحن منهم من أنكر خلق

الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبنا وليس من ولايتنا على شيء وخلد في نار جهنم قال الله عز وجل (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ففاطمة حوراء انسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة . وروى القمي في تفسيره عند قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) قال واما الرد على من انكر خلق الجنة والنار فقوله تعالى (عندها جنة المأوى) أي عند سدرة المنتهى فسدرة المنتهى في السماء السابعة وجنة المأوى عندها قال والدليل على ان الجنان في السماء قوله تعالى (لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة) والدليل على ان النار في الأرض قوله تعالى في سورة مريم (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) ومعنى حول جهنم البحر المحيط بالدنيا يتحول نيرانا وهو قوله تعالى (وإذا البحار سجرت) ومعنى جثيا أي على ركبهم ثم قال تعالى (ونذر الظالمين فيها جثيا) يعني في الأرض إذا تحولت نيرانا . وفي الخصال مسنداً عن ابن عباس قال قدم يهوديان فسألا أمير المؤمنين (ع) فقالا أين تكون الجنة وأين تكون النار قال أما الجنة ففي السماء وأما النار ففي الأرض قال فما السبعة قال سبعة أبواب النار متطابقات قالا فما الثمانية قال ثمانية أبواب الجنة الخبر

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في الجنة والنار انهما مخلوقتان وان النبي قد دخل الجنة ورأى النار حين عرج به واعتقادنا انه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو من النار وان المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى ترفع له الدنيا كأحسن ما رآها ويرفع مكانه في الآخرة ثم يخير فيختار الآخرة فحينئذ يقبض روحه وفي العادة ان يقال فلان يجود بنفسه ولا يجود الإنسان بشيء إلا عن طيبة نفس غير مقهور ولا مجبور ولا مكره وأما جنة آدم فهي جنة من جنان الدنيا تطلع الشمس فيها وتغيب وليست بجنة الخلد ولو كانت جنة الخلد ما خرج منها أبدا انتهى وأما مكان الجنة والنار فأكثر المسلمين على ان الجنة فوق السموات السبع والنار في الأرض السابعة وذكر المحدث الشريف الجزائري انه روي عن الرضا (ع) ان الجنة فوق السموات وسقفها العرش فعلى هذا يكون أرضها محدب الكرسي فتكون تحت العرش وفوق الكرسي وقد دخلها النبي ليلة المعراج ثم قال وأما نار الآخرة فهي في السماء فراغ أيضا وقد

استفاضت الأخبار بالدلالة عليه وقد شاهدها النبي ﷺ ليلة المعراج وحصل له فزع عظيم من هول ما شاهد إلا انها تحت الجنة وظاهر الاخبار انها في السماء الرابعة وقد رآها ادريس ودخلها لحظة فكانت عليه برداً وسلاما وهذه الجنة والنار السماويتان غير الجنة والنار المخلوقتين في الارض لعالم البرزخ فإن جنة الدنيا وادي السلام في ظهر الكوفة ونار البرزخ برهوت وهو واد في حضرموت اليمن فإذا كان يوم القيامة طوى الله سبحانه وتعالى بقدرته السموات كطي السجل وأعدمها و كذلك بدل الأرض كما قال يوم تبدل الأرض غير الأرض فيومئذ تنزل الجنة والنار من مكانيهما فتكون الجنة في موضع السموات تتفاوت درجات اهلها بتفاوت اعمالهم فمسافة ارتفاع السموات كلها تكون من بعض درجات الجنة فتكون هذه الأرض أسفل قيعان الجنة ودرجاتها وتنتهي في العلو والارتفاع واما النار فإذا نزلت يوم القيامة يكون مكانها طبقات الأرض وتتفاوت طبقاتها في العمق على قدر تفاوت المعاصي فيكون أسفل الجنة أعلى النار انتهى

وفي بعض ما ذكره نظر يظهر من ملاحظة الأخبار المتقدمة

وقال شارح المقاصد لم يرد نص صريح في تعيين مكان الجنة والنار والأكثرون على ان الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش تشبثا بقوله تعالى (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) وقوله (ع) سقف الجنة عرش الرحمن والنار تحت الأرضين السبع والحق تفويض ذلك الى الخبير انتهى

وقال الرازي في تفسيره قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض)وهاهنا سؤالات ✻ الأول ✻ ما معنى أن عرضها مثل عرض السماوات والارض فيه وجوه ✻ الاول ✻ ان المراد لو جعلت السماوات والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزأ ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها الا الله ✻ الثاني ✻ ان الجنة التي تكون عرضها مثل عرض السماوات والارض إنما يكون للرجل الواحد لأن الانسان إنما يرغب فيما يصير ملكاله فلا بد وان تكون الجنة المملوكة لكل واحد مقدار هذا فالمعنى ان ثمنها لو بيعت كثمن السماوات والأرض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها شيء وان عظم ثم قال الرابع المقصود المبالغة في وصف سعة الجنة وذلك لأنه لا شيء عندنا اعرض منهما ونظيره قوله تعالى (خالدين فيها

ما دامت السماوات والأرض) فإن اطول الأشياء بقاءً عندنا هو السماوات والأرض فخوطبنا على وفق ما عرفناه فكذا هاهنا ثم قال السؤال الثالث انتم تقولون ان الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء والجواب من وجهين ﴿ الأول ﴾ ان المراد من قولنا انها في السماء انها فوق السماوات وتحت العرش كما قال ﷺ في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل النبي ﷺ فقال انك تدعو الى جنة عرضها السماوات والأرض اعدت للمتقين فاين النار فقال النبي ﷺ سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار المعنى والله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل

وسئل انس بن مالك عن الجنة في الأرض ام في السماء فقال اي ارض وسماء تسع الجنة قيل فأين هي قال فوق السماوات السبع تحت العرش انتهى

اقول الأولى والأليق الايمان الاجمالي بذلك ولا حاجة في الخوض عما سكت الله عنه ونهى عن الخوض فيه والتفحص عن مكان الجنة والنار وان الجنة اذا كانت في السماء السابعة فكيف ينصب الصراط على جهنم وينتهي الى الجنة والتفكر في كيفية سعة الجنة والتعرض لهذه الاحتمالات والاعتبارات بالظن والتخمين من دون علم ويقين فإن الظن لا يغني من الحق شيئا نعم يمكن ان يقال على سبيل الاحتمال لرفع الاستبعاد والمحال مع عدم الاعتماد على اصول الحكماء والفلاسفة الغير الاصلية فإن القرآن والسنة قد نطقا بأن الكواكب تنتثر والسماوات تطوى كطي السجل والعرش ينزل فلعل الجنان تنزل من مكانها ايضا ويكون العرش سقفها ولعل قوله تعالى (وازلفت الجنة للمتقين) اشارة الى ذلك وقوله تعالى (وبرزت الجحيم للغاوين) اشارة الى بروز النيران عن امكنتها بحيث ترى وان الأرض والبحار تستحيل نيرانا كما ذكره القمي وتضاف اليها فينصب الصراط هناك بعد حشر الناس على انه قد ورد من الشارع ان الأرض تبدل غير الأرض وان السماوات تطوى كطي السجل للكتب وان الأمكنة والأزمنة تتغير فلعل الله تعالى يحول مكانهما بعد ذلك وقال العلامة المجلسي (ره) الذي يظهر لي من الآيات والأخبار هو ان الله تعالى بعد خرق السماوات وطيها ينزل الجنة والعرش قريبا من الأرض فيكون سقف الجنة العرش ولا يبعد أن يكون هذا هو المراد بقوله تعالى (وازلفت الجنة للمتقين) ويتحول البحار نيرانا فيوضع الصراط من الأرض الى الجنة والاعراف

درجات ومنازل بين الجنة والنار وبهذا يندفع كثير من الاوهام والاستبعادات التي تخطر في اذهان اقوام في كثير مما ورد في احوال الجنة والنار والصراط ومرور الخلق عليه ودخولهم الجنة بعده واحضار العرش يوم القيامة وامثالها وبه يقل ايضا الاستبعاد الذي مر في كلام السائل انتهى وبالجملة فينبغي ان يوكل علم ذلك الى الله سبحانه وتعالى ولا يلتفت الى هذه الاستبعادات والله العالم بحقائق الامور

الفصل الخامس عشر

في بيان بعض اوصاف الجنة التي يجب اعتقادها ودل عليها الكتاب والسنة قال الله تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) وقال تعالى (ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) وقال تعالى (إلا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم فيها مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) وقال تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار) وقال تعالى (إن الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون) وقال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) وقال تعالى (السابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) الآيات وقال تعالى (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) الى ان قال (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم

ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)

والآيات في ذلك كثيرة وبالجملة فينبغي ان يعلم ان الجنة دار البقاء ودار السلامة لاموت فيها بإجماع الأمة واما قوله تعالى في الصافات (افما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى) فإن لم يكن كلام اهل النار فالاستثناء منقطع والمراد موتة الدنيا وكذا قوله تعالى (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى) وكذا لاهرم في الجنة ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر بل هي دار البقاء ودار الغنى ودار السعادة ودار المقامة ودار الكرامة لا يمس اهلها فيها نصب ولا لغوب لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون وهي دار الطيبين الطاهرين ليس بين اهلها بغض ولا حسد ولا عداوة ولا نزاع ولا جدال وكل منهم راض بما اعطاه الله تعالى لا يتمنى مرتبة غيره وقيل أن اهل المراتب العالية يأتون إلى ذوي المراتب الدنية ولا عكس لئلا يتنغص عليهم عيشهم والتعليل عليل لأن الله تعالى قادر ان يرضيهم بمراتبهم وقد رأينا بعض ذوي المراتب الدنية في الدنيا لا يتمنون حال ذوي المراتب العلية بل هم راضون بصنائعهم وحرفهم ومسرورون بها ولكن قد روي ذلك من دون تعليل وينبغي ان يعلم ايضا ان اهل الجنة لا يبولون ولا يغوطون وليس فيهم كثافات بل تستحيل اغذيتهم وشرابهم عرقا طيبا وازواجهم من النساء والحور ليس فيهن حيض ولا استحاضة ولا نفاس ولا بول ولا غائط وليس بينهم تحاسد وبغضاء وعداوة وشحناء كما قال تعالى (وازواج مطهرة) وليس في الجنة ليل ولا ظلمة وليس ضياؤها من الشمس والقمر والنجوم بل ظلها ممدود وما بين الطلوعين مثل لها وليس في خمرها وشرابها سكر وصداع وبول وقيء ومرارة وتهوع كما في شراب الدنيا وستأتي سائر الاوصاف في الأخبار فليتفكر العاقل في لطف ربه الكريم ومنه الجسيم واحسانه العميم كيف دعا عباده الى هذا الثواب العظيم والاجر الجسيم مع قصورهم وحقارتهم ورذالتهم ووعدهم ذلك على اعمالهم الناقصة التي لو عاقبهم عليها لكان ذلك منه عدلا كما قال سيد الساجدين وزين العابدين (ع) إلهي من كانت محاسنه مساوئ كيف لا تكون مساويه مساوئ

وهـذا كله مع ان القوى والأعضاء والجوارح التي يطاع بها منه وملكه والتوفيق والتأييد منه فله الملك وله الحمد وهو الرحيم الغفور

وينبغي ان يعلم ان منازل اكثر أهل الجنة غرف مبنية كما في القرآن لأن الالتذاذ برؤية الانهار والاشجار والاثمار والجلوس في الغرف اكثر وليست كغرف الدنيا تحتاج إلى صعود وهبوط بل إذا اشتهوا الهبوط هبطت بهم بسهولة وكذلك انهارهم ترتفع إلى منازلهم بلاصعوبة وروى الصدوق في الفقيه والأمالي بسنده عن عبد الله بن علي انه لقي بلالا مؤذن رسول الله بمصر فسأله فيما سأله عن وصف بناء الجنة قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان سور الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت وملاطها وهو الذي يجعل بين الطابوق عوض الجص المسك الاذفر وشرفها الياقوت الاحمر والاخضر والاصفر قلت فما ابوابها قال ابوابها مختلفة باب الرحمة من ياقوتة حمراء قلت فما حلقته قال ويحك كف عني فقد كلفتني شططا قلت ما انا بكاف عنك حتى تؤدي الي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما باب الصبر فباب صغير له مصراع واحد من ياقوتة حمراء لاحلق له وأما باب الشكر فإنه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما خمسمائة عام له ضجيج وحنين يقول اللهم اجئني بأهلي قلت هل يتكلم الباب قال نعم ينطقه ذو الجلال والاكرام وأما باب البلاء قلت اليس باب البلاء هو باب الصبر قال لاقلت فما البلاء قال المصائب والاسقام والامراض والجذام وهو باب من ياقوتة صفراء مصراع واحد ما أقل من يدخل منه قلت رحمك الله زدني وتفضل علي فإني فقير قال يا غلام لقد كلفتني شططا أما الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون وهم أهل الزهد والورع والراغبون إلى الله عزوجل المستأنسون به قلت رحمك الله فإذا دخلوا الجنة ماذا يصنعون قال يسيرون على نهرين في مصاف (جمع مصف) اي موضع الصف اي يسيرون مجتمعين مصطفين في سفن الياقوت مجاديفها اللؤلؤ فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديدة خضرتها قلت رحمك الله هل يكون من النور اخضر قال ان الثياب هي خضر ولكن فيها نور من رب العالمين جل جلاله يسيرون على حافتي ذلك النهر قلت فما اسم ذلك النهر قال جنة المأوى قال هل وسطها غير هذا قال نعم جنة عدن وهي في وسط الجنان فأما جنة عدن فسورها ياقوت أحمر وحصباؤها اللؤلؤ قلت هل فيها غيرها قال نعم جنة الفردوس قلت وكيف سورها قال سورها نور فقلت والغرف التي هي

فيها قال هي من نور رب العالمين قلت زدني رحمك الله قال ويحك الى هـذا انتهى بنا رسول الله ﷺ طوبى لك ان انت وصلت الى بعض هذه الصفـة وطوبى لمن يؤمن بهذا الخبر وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى فيهن اي في الجنان خيرات حسان فقيل نساء خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل خيرات فاضلات في الصلاح والجمال حسان في المناظر والالوان وقيل انهن من نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن أجل من الحور العين

ورووا ان نساء اهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثله نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام فإذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات فما صمتن ونحن المتوضئات وما توضيتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبنهن والله

وروى العياشي عن الصادق (ع) انه قيل له جعلت فداك اخبرني عن المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج احدهما بالآخر فقال يا ابا محمد إن الله حكم عدل ان كان هو افضل منها خير هو فإن اختارها كانت من ازواجه وان كانت هي خيرا منـه خيرها فإن اختارته كان زوجا لها قال وقال ابو عبد الله لا تقولن ان الجنة واحـدة ان الله يقول (ومن دونهما جنتان) ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول (درجات بعضها فوق بعض) انما يتفاضل القوم بالاعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع مكانا من الآخر فيشتهي ان يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله ان يهبط ومن كان تحته لم يكن له ان يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان ولكنهم إذا احبوا ذلك واشتهوا التقوا على الاسرة وعن العلا بن سيابة عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له ان الناس يتعجبون منـا اذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع اولياء الله في الجنـة فقال يا عـلا ان الله يقول ومن دونهما جنتان لا والله لا يكون لا يكونون مع اولياء الله قلت كانوا كافرين قال لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك

وروى الصدوق في الأمالي من طرق المخالفين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ان حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقت الحلقة على الصفحة طنت وقالت يا علي

وفي تفسير القمي (ره) قال سأل نصراني الشام الباقر (ع) عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون اعطني مثله في الدنيا فقال (ع) هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط وفي الصحيح عن جميل عن الصادق (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اسري بي الى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما امسكوا فقلت لهم ما لكم ربما بنيتم وربما امسكتم فقالوا حتى تجيئنا النفقة فقلت لهم وما نفقتكم فقالوا قول المؤمن في الدنيا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فإذا قال بنينا واذا امسك امسكنا

وروى الصدوق في الأمالي والعياشي وغيرهما عن الصادق (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن منها لا تخطر على قلبه شهوة شيء الا أتاه به ذلك الغصن ولو ان راكبا مجدا سار في ظلها مائة عام ما خرج منها ولو طار غراب من اسفلها ما بلغ اعلاها حتى يسقط هرما الا في هذا ارغبوا

وفي الامالي عن امير المؤمنين (ع) قال ان في الجنة لشجرة يخرج من اعلاها الحلل ومن اسفلها خيل بلق مسرجة ملجمة ذوات اجنحة لا تروث ولا تبول فيركبها اولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاؤا فيقول الذين اسفل منهم يا رب ما بلغ بعبادك هذه الكرامة فيقول الله جل جلاله انهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون ويصومون النهار ولا يأكلون ويجاهدون العدو ولا يجبنون ويتصدقون ولا يبخلون

وعن الصادق (ع) عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها يسكنها من امتي من اطاب الكلام واطعم الطعام وافشى السلام وصلى بالليل والناس نيام

وعن الكاظم (ع) عن ابيه عن جده قال قالت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي أنت وأمي المرأة يكون لها زوجان فيموتون ويدخلون الجنة لأيهما تكون فقال يا ام سلمة تخير احسنهما خلقا وخيرهما لاهله يا ام سلمة حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة

وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق (ع) قال طوبى شجرة في الجنة اصلها في دار امير المؤمنين (ع) وليس احد من شيعته الا وفي داره غصن من اغصانها او ورقة من

ورقها يستظل تحتها امة من الامم وعنه (ع) قال كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة فانكرت ذلك عائشة فقال رسول الله يا عائشة اني لما اسري بي الى السماء دخلت الجنة فادناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فاكلته فحول الله ذلك ماء في ظهري فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فما قبلتها قط الا وجدت رائحة شجرة طوبى منها

وفي الحسن او الصحيح عن ابي بصير قال قلت لأبي عبد الله جعلت فداك يا ابن رسول الله شوقني قال يا ابا محمد ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام وان ادنى اهل الجنة منزلة لو نزل به الثقلان الجن والانس لوسعهم طعاما وشرابا ولا ينقص مما عنده شيء وان ايسر اهل الجنة منزلة من يدخل الجنة فيرفع له ثلاث حدائق فإذا دخل ادناهن رأى فيها من الازواج والخدم والانهار والثمار ما شاء الله فإذا شكر الله وحمده قيل له ارفع رأسك الى الحديقة الثانية ففيها ما ليس في الاولى فيقول يارب اعطني هذه فيقول الله ان اعطيتكها سالتني غيرها فيقول ربي هذه هذه فاذا هو دخلها وعظمت مسرته شكر الله وحمده قال فيقال افتحوا له باب الجنة ويقال له ارفع رأسك فإذا قد فتح له باب من الخلد ويرى اضعاف ما كان فيما قبل فيقول عند تضاعف مسراته ربي لك الحمد الذي لا يحصى اذ مننت علي بالجنان وانجيتني من النيران قال ابو بصير فبكيت وقلت له جعلت فداك زدني قال يا ابا محمد ان في الجنة نهرا في حافتيه جوار نابتات إذا مر المؤمن بجارية اعجبته قلعها وانبتت مكانها أخرى قلت جعلت فداك زدني قال المؤمن يزوج ثمان مائة عذراء واربعة آلاف ثيب وزوجتين من الحور العين قلت جعلت فداك من أي شيء خلقن الحور العين قال من الجنة ويرى مخ ساقيها من وراء سبعين حلة كبدها مرأته و كبده مرأتها قلت جعلت فداك ألهن كلام يتكلمن به في الجنة قال نعم كلام يتكلمن به لم يسمع الخلائق بمثله قلت ما هو قال يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن خلق لنا وطوبى لمن خلقنا له نحن اللواتي لوان قرن احدينا علق في جو السماء لأغشى نوره الابصار

وفي ثواب الاعمال عن الصادق (ع) قال ما خلق الله خلقا إلا جعل له في الجنة منزلا وفي النار منزلا فإذا سكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة اشرفوا فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم في النار فيقال هذه منازلكم التي لو عصيتم ربكم لدخلتموها فلو ان احدا مات فرحا لمات أهل الجنة ذلك اليوم فرحا لما صرف عنهم من العذاب

ثم ينادون يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنة فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم فيقال لهم هذه منازلكم التي لو اطعتم ربكم لدخلتموها قال فلو ان احدا مات حزنا لمات أهل النار ذلك اليوم حزنا فيورث هؤلاء منازل هؤلاء وهؤلاء منازل هؤلاء وذلك قول الله عز وجل (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق (ع) قال ما من عمل حسن يعمله العبد إلا وله ثواب في القرآن الا صلاة الليل فإن الله لم يبين ثوابها لعظم خطرها عنده فقال (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) إلى قوله يعملون

ثم قال إن لله كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكا معه حلة فينتهي إلى باب الجنة فيقول استأذنوا لي على فلان فيقال له هذا رسول ربك على الباب فيقول لأزواجه اي شيء ترين علي احسن فيقلن يا سيدنا والذي اباحك الجنة ما رأينا شيئا عليك احسن من هذا الذي قد بعث اليك ربك فيتزبر واحدة ويتعطف بالأخرى فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد فإذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك وتعالى أي بأنوار جلاله وآثار رحمته وافضاله فإذا نظروا إلى ذلك خروا سجدا فيقول عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا يوم عبادة قد رفعت عنكم المؤنة فيقولون يا رب وأي شيء أفضل مما اعطيتنا اعطيتنا الجنة فيقول لكم مثل ما في ايديكم سبعين ضعفا فيرجع المؤمن في كل جمعة لسبعين ضعفا مثل ما في يديه وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وهو يوم الجمعة ان ليلته ليلة غراء ويومه يوم ازهر فاكثروا فيهما من التسبيح والتكبير والتهليل والثناء على الله والصلاة على محمد وآله قال فيمر المؤمن فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى أزواجه فيقلن والذي أباحنا الجنة يا سيدنا ما رأيناك قط احسن منك الساعة فيقول اني قد نظرت إلى نور ربي ثم قال ان ازواجه لا يغرن ولا يحضن قال قلت جعلت فداك اني أردت ان اسألك عن شيء استحيي منه قال سل قلت في الجنة غناء قال ان في الجنة شجرة يأمر الله رياحها فتهب فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسنا ثم قال هذا عوض لمن ترك السماع للغنى في الدنيا من مخافة الله قال قلت جعلت فداك زدني فقال ان الله خلق جنة بيده لم ترها عين ولم يطلع عليها مخلوق يفتحها الرب كل صباح فيقول ازدادي ريحا وازدادي طيبا وهو قول الله تعالى (فلا تعلم نفس

ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون

وروى ثقة الإسلام في الكافي باسناد معتبر عن الباقر (ع) قال ان رسول الله سئل عن قول الله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) فقال ياعلي إن الوفد لا يكونون إلا ركبانا اولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله عز وجل ذكره واختصهم ورضي اعمالهم فسماهم المتقين ثم قال له ياعلي اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انهم ليخرجون من قبورهم وان الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الغر عليها رحائل الذهب مكللة بالدر والياقوت وجلائلها الاستبرق والسندس وخطيمها جدل الارجوان تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم الف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفا حتى ينتهون إلى باب الجنة الاعظم وعلى باب الجنة شجرة ان الورقة منها ليستظل تحتها الف رجل من الناس وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية قال فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد ويسقط عن ابشارهم الشعر وذلك قول الله عز وجل (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) من تلك العين المطهرة قال ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون ابدا قال ثم يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والاسقام والحر والبرد ابدا قال فيقول الجبار جل ذكره للملائكة الذين معهم احشروا اوليائي الى الجنة ولا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم وكيف اريد ان اوقفهم مع اصحاب الحسنات والسيئات قال فتسوقهم الملائكة الى الجنة فإذا انتهوا بهم الى باب الجنة الأعظم ضرب الملائكة الحلقة ضربة عظيمة تصر صريرا فيبلغ صوت صريرها كل حوراء اعدها الله عز وجل لأوليائه في الجنان فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة فيقولون بعضهم لبعض قد جاءنا اولياء الله فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة وتشرف عليهم ازواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن مرحبا بكم فما كان اشد شوقنا اليكم ويقول لهن اولياء الله مثل ذلك فقال علي يارسول الله اخبرنا عن قول الله عز وجل (لهم غرف من فوقها غرف) بماذا بنيت يارسول الله قال ياعلي تلك غرف بناها الله عز وجل لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة بالفضة لكل غرفة منها الف باب من الذهب على كل باب منها ملك موكل به فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والكافور والعنبر وذلك قول الله عز وجل (وفرش مرفوعة) إذا دخل المؤمن الى منازله في الجنة ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة

البس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوم في الاكليل تحت التاج قال وألبس سبعين حلة حرير بألوان مختلفة وضروب مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر فذلك قوله عز وجل (يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) فإذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحا فإذا استقر بولي الله عز وجل منازله في الجنان استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنيه بكرامة الله عز وجل اياه فيقول له خدام المؤمن من الوصفاء والوصائف مكانك فإن ولي الله قد اتكأ على اريكته وزوجته الحوراء تهيئ له وصائفها فاصبر لولي الله قال فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمة لها تمشي مقبلة وحولها وصائفها وعليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد هي من مسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وعليها نعلان من ذهب مكللان بالياقوت واللؤلؤ شراكها ياقوت احمر فإذا دنت من ولي الله فهمّ ان يقوم اليها شوقا فتقول له ياولي الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فلا تقم انا لك وأنت لي فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من اعوام الدنيا لا يملها ولا تمله قال فإذا فتر بعض الفتور من غير ملالة نظر الى عنقها فإذا عليها قلائد من قصب من ياقوت احمر وسطها لوح صفحته درة مكتوب فيها انت ياولي الله حبيبي وانا الحوراء حبيبتك اليك تناهت نفسي وإلي تناهت نفسك ثم يبعث الله اليه الف ملك يهنونه بالجنة ويزوجونه بالحوراء قال فينتهون الى اول باب من جنانه فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه استأذن لنا على ولي الله فإن الله بعثنا اليه نهنيه فيقول لهم الملك حتى اقول للحاجب فيعلمه مكانكم قال فيدخل الملك الى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتى ينتهي إلى اول باب فيقول للحاجب إن على باب العرصة الف ملك ارسلهم رب العالمين ليهنوا ولي الله وقد سألوني أن أأذن لهم عليه فيقول الحاجب انه ليعظم علي ان استأذن لأحد على ولي الله وهو مع زوجته الحوراء قال وبين الحاجب وبين ولي الله جنتان قال فيدخل الحاجب إلى القيم فيقول له ان على باب العرصة الف ملك ارسلهم رب العزة يهنون ولي الله فاستأذن فيتقدم القيم الى الخدام فيقول لهم ان رسل الجبار على باب العرصة وهم الف ملك ارسلهم الله يهنون ولي الله فاعلموه بمكانكم قال فيعلمونه فيؤذن للملائكة على ولي الله وهو في الغرفة ولها الف باب وعلى كل باب من ابوابها ملك موكل به فإذا اذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كل ملك بابه الموكل به قال فيدخل القيم كل ملك من باب من ابواب الغرفة قال فيبلغونه رسالة الجبار جل وعز وذلك قول الله تعالى (والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب) من ابواب الغرفة سلام عليكم إلى آخر الآية قال وذلك قوله عز وجل (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) يعني بذلك ولي الله ومـا هو من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير إن الملائكة من رسل الله عز ذكره يستأذنون عليه فـلا يدخلون عليه الا باذنه فذلك الملك العظيم الكبير قال والانهار تجري من تحت مساكنهم وذلك قول الله عز وجل (تجري من تحتهم الأنهار) والثمار دانية منهم وهو قوله عز وجـل (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بغيته وهو متكئ وان الانواع من الفاكهة ليقلن لولي الله ياولي الله كلني قبل ان تأكل هذا قبلي قال وليس لمؤمن في الجنة إلا وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات وانهار مـن خمر وانهار من ماء وانهار من لبن وانهار من عسل فإذا دعا ولي الله بغذائه أتي بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير ان يسمي شهوته قال ثم يتخلى مع اخوانه ويزور بعضهم بعضا ويتنعمون في جنات ـــ في ظل ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس واطيب من ذلك لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء واربع نسوة من الآدميين والمؤمن ساعة مع الحوراء وساعة مع الآدمية وساعة يخلو بنفسه مع الأرائك متكئ ينظر بعض الى بعض وان المؤمـن ليغشاه شعاع نور وهو على أريكته ويقول لخدامه ما هذا الشعاع اللامع فيقول له خدامه بل هذه حوراء من نسائك ممن لم تدخل بها بعد اشرفت عليك من خيمتها شوقا اليك وقد تعرضت لك وأحبت لقاءك فلما أن رأتك متكئا على سريرك تبسمت نحوك شوقا اليك فالشعاع الذي رأيت والنور الذي غشيك هو من بياض ثغرها وصفائه ونقائه ورقته فيقول ولي الله إئذنوا لهـا فتنزل اليه فيبتدر اليها الف وصيف والف وصيفة يبشرونها بذلك فتنزل اليه من خيمتها وعـليها سبعون حلة منسوجة بالذهب والفضة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد صبغهن المسك والعنبر بألوان مختلفة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة طولها سبعون ذراعا وعرض ما بين منكبيها عشرة اذرع فإذا دنت من ولي الله اقبل الخدام بصحاف الذهب والفضة فيها الدر والياقوت والزبرجد فينشرونها عليها ثم يعانقها وتعانقه فلا تمل ولا يمل ثم قال ابو جعفر (ع) اما الجنان المذكورة في الكتاب فإنهن جنة عدن وجنة الفردوس وجنة نعيم وجنة المأوى قال وان الله تعالى جنانا محفوفة بهذه الجنان وان المؤمن ليكون له من الجنان ما احب واشتهى يتنعم فيهن كيف يشاء وإذا اراد المؤمن شيئا اذا دعاه اذا اراد ان يقول سبحانك اللهم فإذا قالها تبادرت اليه الخدام بـما

اشتهى من غير أن يكون طلب منهم اوامر به وذلك قول الله عز وجل (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) يعني الخدام (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) يعني بذلك عند ما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب يحمدون الله عز وجل عند فراغهم واما قوله تعالى (أولئك لهم رزق معلوم) قال يعلمه الخدام فيأتون به اولياء الله قبل أن يسألوهم اياه واما قوله عز وجل (فواكه وهم مكرمون) قال فإنهم لا يشتهون شيئا في الجنة إلا اكرموا به وروي في الخصال من طرق المخالفين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي اخو رسول الله قبل ان يخلق السماوات والأرض بألفي عام وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله عز وجل لما خلق الجنة خلقها من لبنتين لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجل حيطانها الياقوت وسقفها الزبرجد وحصاها اللؤلؤ وترابها الزعفران والمسك الأذفر فقال لها تكلمي فقالت لا إله إلا انت الحي القيوم قد سعد من يدخلني فقال عز وجل بعزتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر ولا سكير ولا قتات وهو النمام ولا ديوث وهو القلطبان ولا قلاع وهو الشرطي ولا زنوق وهو الخنثي ولا ضيوف وهو النباش ولا عشار ولا قاطع رحم ولا قدري وعن ابي جعفر (ع) قال والله ما خلت الجنة من ارواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من ارواح الكفار العصاة منذ خلقها الله عز وجل ولعل المراد بالجنة والنار هنا جنة الدنيا ونارها لئلا ينافي الاخبار المتقدمة الدالة على ان تنعم المؤمنين قبل القيامة في جنة الدنيا وعذاب الكفار في نارها

وروى القمي في تفسيره والحسين بن سعيد في كتاب الزهد في قوله تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قال هو استفهام اي تقرير لأنه وعد الله النار ان يملأها فتمتلئ النار ثم يقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد على حد الاستفهام اي الانكاري اي ليس في مزيد قال فتقول الجنة يارب وعدت النار ان تملأها ووعدتني ان تملأني فلم تملأني وقد ملأت النار قال فيخلق الله يومئذ خلقا يملأ بهم الجنة فقال ابو عبد الله طوبى لهم انهم لم يروا غموم الدنيا ولا همومها

وفي تفسير القمي عن السجاد (ع) قال عليك بالقرآن فإن الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاها اللؤلؤ وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ القرآن قال له اقرأ وارق ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة

اعلى درجة منه ما خلا النبيون والصديقون

وفي الاحتجاج عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق ابا عبد الله (ع) فقال من اين قلت ان اهل الجنة يأتي الرجل منهم الى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيئتها قال نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا منه سراجا قال أليسوا يأكلون ويشربون وتزعم انه لا تكون لهم الحاجة قال بلى لأن غذاءهم رقيق لا ثقل له بل يخرج من اجسادهم بالعرق قال فكيف تكون الحوراء في كل ما آتاها زوجها عذراء قال انها خلقت من الطيب لا تعتريها عاهة ولا تخالط جسمها آفة ولا يجري في ثقبها شيء ولا يدنسها حيض فالرحم ملتزمة اذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى قال فهي تلبس سبعين حلة ويرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها قال نعم كما يرى احدكم الدراهم إذا القيت في ماء صاف قدره قيد رمح قال فكيف ينعم اهل الجنة بما فيها من النعيم وما منهم احد الا وقد افتقد ابنه او اباه او حميمه او امه فإذا افتقدوهم في الجنة لم يشكوفي مصيرهم إلى النار فما يصنع بالنعيم من يعلم ان حميمه في النار يعذب قال (ع) ان اهل العلم قالوا انهم ينسون ذكرهم وقال بعضهم انتظروا قدومهم ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في اصحاب الاعراف قال العلامة المجلسي ونعم ما قال كأن الترديد في جواب السؤال الأخير باعتبار قصور فهم السائل ومع قطع النظر عن الرواية يمكن ان يجاب بوجه آخر وهو ان في النشأة الأخرى لما بطلت الأغراض الدنيوية وخلصت محبتهم لله سبحانه فهم يبرأون من اعداء الله ولا يحبون إلا من احبه الله فهم يلتذون بعذاب اعدائه ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او عشيرتهم كما ان اولياء الله في الدنيا ايضا قطعوا محبتهم عنهم وكانوا يحاربونهم ويقتلونهم بأيديهم ويلتذون بذلك كما قال الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية واليه يشير قوله تعالى (يوم يفر المرء من اخيه) الآية فيمكن ان يكون الأصل في الجواب هذا الوجه لكن لضعف عقل السائل اعرض (ع) عن هذا الوجه وذكر الوجهين الآخرين الموافقين لعقله وفهمه نقلا عن غيره والله يعلم

وروى القمي في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما دخلت الجنة رأيت فيها شجرة طوبى اصلها في دار علي (ع) وما في الجنة قصر ولا منزل الا وفيها فنن منها واعلاها اسفاط الحلل من سندس واستبرق يكون للعبد المؤمن الف الف سفط في كل سفط مائة الف حلة ما فيها

حلة تشبه الأخرى على ألوان مختلفة وهي ثياب اهل الجنة وسطها ظل ممدود عرض الجنة كعرض السماء والأرض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله يسير الراكب في ذلك الظل مسيرة مائة عام فلا يقطعه وذلك قوله تعالى (وظل ممدود) واسفلها ثمار اهل الجنة وطعامه منذلل في بيوتهم يكون في القضيب منها مائة لون من الفاكهة مما رأيتم في دار الدنيا ومالم تروه وما سمعتم وما لم تسمعوا مثلها وكلما يجتني منها شيء نبتت مكانها اخرى ولا مقطوعة ولا ممنوعة ويجري نهر في اصل تلك الشجرة تنفجر منها الأنهار الأربعة انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى الخبر

وقد ورد في روايات كثيرة منها في تفسير العياشي عن الصادق عن آبائه (ع) انه قد شهد ملاك فاطمة الزهراء جبرائيل وميكائيل واسرافيل في الوف من الملائكة وامر الله طوبى فنثرت عليهم من حللها وسندسها واستبرقها ودرها وزمردها وياقوتها وعطرها فأخذوا منه حتى ما دروا ما يصنعون به ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة فهي في دار علي بن ابي طالب (ع)

وروى العياشي عن ابي ولاد قال قلت لأبي عبد الله (ع) جعلت فداك إن رجلا من اصحابنا ورعا مسلما كثير الصلاة قد ابتلى بحب اللهو وهو يسمع الغناء فقال ايمنعه ذلك من الصلاة لوقتها او من صوم او من عيادة مريض او حضور جنازة او زيارة اخ قال قلت لا ليس يمنعه ذلك من شيء من الخير والبر قال فقال هذه من خطوات الشيطان مغفور له ذلك ان شاء الله ثم قال ان طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللذات والشهوات اعني لكم الحلال ليس الحرام قال فانف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكة لهم قال فألقى الله في همة اولئك الملائكة اللذات والشهوات كيلا يعيبوا المؤمنين قال فلما احسوا ذلك من همهم عجوا إلى الله من ذلك فقالوا ربنا عفوك عفوك ردنا إلى ما خلقتنا له واجبرتنا عليه فإنا نخاف ان نصير في امر مريج قال فنزع الله ذلك من همهم قال فإذا كان يوم القيامة وصار اهل الجنة في الجنة استأذن اولئك الملائكة على اهل الجنة فيؤذن لهم فيدخلون عليهم فيسلمون عليهم ويقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم في الدنيا عن اللذات والشهوات الحلال

وروى السيد ابن طاووس عن صفوان في الموثق قال قال ابو عبد الله (ع) إذا كان يوم القيامة نظر رضوان خازن الجنة إلى قوم لم يمروا به فيقول من انتم ومن اين دخلتم قال يقولون اياك عنا فإنا قوم عبدنا الله سرا فأدخلنا الله سرا

وفي الكافي عن الكاظم (ع) قال قال لي أبي ان في الجنة نهرا يقال له جعفر على شاطئه الأيمن درة بيضاء فيها الف قصر في كل قصر الف قصر لمحمد وآل محمد وعلى شاطئه الأيسر درة صفراء فيها الف قصر في كل قصر الف قصر لابراهيم وآل ابراهيم

وفي الحسن او الصحيح عن الحلبي قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال هن صوالح المؤمنات العارفات قال قلت (حور مقصورات في الخيام) قال الحور هن البيض المضمرات المخدرات في خيام الدر والياقوت والمرجان لكل خيمة اربعة ابواب على كل باب سبعون كاعبا حجابا لهن ويأتيهن في كل يوم كرامة من الله تعالى عز ذكره ليبشر الله عز وجل بهن المؤمنين

﴿بيان﴾ المضمرات مستعار من تضمير الفرس وفي بعض النسخ المضمومات اي المصونات المستورات وعن الحسين بن اعين قال سألت اباعبد الله (ع) عن قول الرجل للرجل جزاك الله خيرا ما يعني به قال (ع) ان خيرا نهر في الجنة مخرجه من الكوثر والكوثر مخرجه من ساق العرش عليه منازل الأوصياء وشيعتهم على حافتي ذلك النهر جوار ـ ي نابتات كلما قلعت واحدة نبتت اخرى سمي بذلك النهر وذلك قوله تعالى (فيهن خيرات حسان) وإذا قال الرجل لصاحبه جزاك الله خيرا فإنما يعني بذلك تلك المنازل التي اعدها الله عز وجل لصفوته وخيرته من خلقه وفي تفسير فرات بن ابراهيم عن سليمان عن أمير المؤمنين (ع) انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صفة قصور الشهداء فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا علي بناء هذه القصور لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك الاذفر والعنبر حصاها الدر والياقوت ترابها الزعفران كثيبها الكافور في صحن كل قصر من هذه القصور اربعة انهار نهر من عسل ونهر من خمر ونهر من لبن ونهر من ماء محفوف بالأشجار من المرجان على حافتي كل نهر من هذه الانهار خيم من درة بيضاء لاقطع فيها ولا فصل قال لها كوني فكانت يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها في كل خيمة سرير مفصص بالياقوت الاحمر قوائمها من الزبرجد الأخضر على كل سرير حوراء من الحور العين على كل حوراء سبعون حلة خضراء وسبعون حلة صفراء يرى مخ ساقيها خلف عظمها وجلدها وحلبها وحللها كما ترى الخمرة الصافية في الزجاجة البيضاء مكللة بالجواهر لكل حوراء سبعون ذوابة كل ذوابة بيد وصيف وبيد كل وصيف مجمرة تبخر تلك الذوابة يفوح من ذلك المجمر بخار لا يفوح بنار ولكن بقدرة الجبار

وروى الصدوق في ثواب الاعمال عن امير المؤمنين (ع) في ثواب التهليلات في عشر ذي الحجة قال من قال ذلك كل يوم عشر مرات اعطاه الله عز وجل بكل تهليلة درجة في الجنة من الدر والياقوت ما بين كل درجتين مسيرة عام للراكب المسرع في كل درجة مدينة فيها قصر من جوهرة واحدة لا فصل فيها في كل مدينة من تلك المدائن من الدر والصحون والغرف والبيوت والفرش والازواج والسرر والحور العين ومن النمارق والزرابي والموائد والخدم والانهار والاشجار والحلي والحلل ما لا يصفه خلق من الواصفين فاذا خرج من قبره اصاب كل شعرة منه نورا وابتدره سبعون الف ملك يمشون امامه وعن يمينه وشماله حتى ينتهي إلى باب الجنة فاذا دخلها قاموا خلفه وهو امامهم حتى ينتهي إلى مدينة ظاهرها ياقوتة حمراء وباطنها زبرجدة خضراء فيها من اصناف ما خلق الله عز وجل في الجنة فاذا انتهى اليها قالوا يا ولي الله هل تدري ما هذه المدينة قال لا فمن انتم قالوا نحن الملائكة الذين شهدناك في الدنيا يوم هللت الله عز وجل بالتهليل هذه المدينة بما فيها ثواب لك وابشر بافضل من هذه في داره دار السلام في جواره عطاء لا ينقطع ابدا

وروى السيد ابن طاوس في الاقبال بسند معتبر عن البزنطي قال كنا عند الرضا (ع) والمجلس غاص باهله فتذاكروا يوم الغدير فانكره بعض الناس فقال الرضا (ع) حدثني ابي عن ابيه قال ان يوم الغدير في السماء اشهر منه في الارض ان لله في الفردوس الاعلى قصرا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فيه مائة الف قبة من ياقوتة حمراء ومائة الف خيمة من ياقوت اخضر ترابه المسك والعنبر فيه اربعة انهار نهر من خمر ونهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل حواليه اشجار جميع الفواكه عليه طيور ابدانها من لؤلؤ واجنحتها من ياقوت تصوت بألوان الأصوات فاذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر اهل السماوات يسبحون الله ويقدسونه ويهللونه تتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء وتتمرغ في ذلك المسك والعنبر فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم وانهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة (ع) فإذا كان آخر ذلك اليوم نودوا انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم الخطأ والزلل إلى قابل في مثل هذا اليوم تكرمة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي (ع)

وفي الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوتة حمراء منبتها في مسك ابيض احلى من العسل وأشد بياضا من الثلج واطيب ريحا من المسك فيها امثال ثدي الابكار تعلو عن سبعين حلة

وفي أمالي الصدوق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة اسري بي إلى

السماء أخذ جبرائيل بيدي فأدخلني الجنة واجلسني على درنوك من درانيك الجنة فناولني سفرجلة فانفلقت بنصفين فخرجت منها حوراء كان اشفار عينيها مقاديم النسور فقالت السلام عليك يا احمد السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا محمد فقلت من انت رحمك الله قالت انا الراضية المرضية خلقني الجبار من ثلاثة انواع اسفلي من المسك واعلاي من الكافور ووسطي من العنبر وعجنت بماء الحيوان قال الجبار كوني فكنت خلقت لابن عمك ووصيك ووزيرك علي بن ابي طالب (ع)

وفي كتاب الاختصاص عن جابر عن الباقر (ع) قال ان الرب تبارك وتعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتي وانجو من النار بعفوي وتقسموا الجنة باعمالكم فوعزتي لأنزلنكم دار الخلود ودار الكرامة فإذا دخلوها صاروا على طول آدم ستين ذراعا وعلى ملد عيسى اي شبابه ثلاثا وثلاثين سنة وعلى لسان محمد بالعربية وعلى صورة يوسف في الحسن ثم يعلو وجوههم النور وعلى قلب ايوب في السلامة من الغل وعنه (ع) قال ان الجنان اربع وذلك قول الله عز وجل (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وهو الرجل يهجم على شهوة من شهوات الدنيا وهي معصية فيذكر مقام ربه فيدعها من مخافته فهذه الآية فيه فهاتان جنتان للمؤمنين والسابقين أما قوله تعالى (ومن دونهما جنتان) يقول من دونها في الفضل وليس من دونها في القرب وهما لأصحاب اليمين وهي جنة النعيم وجنة المأوى وفي هذه الجنان الاربع فواكه في الكثرة كورق الشجر والنجوم وعلى هذه الجنان الأربع حائط محيط بها طوله مسيرة خمسمائة عام لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة در ولبنة ياقوت وملاطه المسك والزعفران وشرفه نور يتلألأ يرى الرجل وجهه في الحائط وفي الحائط ثمانية ابواب وعلى كل باب مصراعان عرضهما كحضر الفرس الجواد سنة وعنه (ع) قال ان ارض الجنة رخامها فضة وترابها الورس والزعفران وكنسها المسك وورضراضها الدر والياقوت

وعنه (ع) ان اسرتها يعني سررها من در وياقوت وذلك قول الله عز وجل (على سرر موضونة) يعني اوساط السرر من قضبان الدر والياقوت مضروبة عليها الحجال والحجال من در وياقوت اخف من الريش وألين من الحرير وعلى السرر من الفرش على قدر ستين غرفة من غرف الدنيا بعضها فوق بعض وذلك قول الله عز وجل (وفرش مرفوعة) وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) يعني بالأرائك السرر الموضونة عليها الحجال

وعنه (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن انهار الجنة تجري في غير اخدود اي بدون

انخفاض في الأرض اشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وألين من الزبد طين النهر مسك اذفر وحصاها الدر والياقوت تجري في عيونه وأنهاره حيث يشتهي ويريد في خباء ولي الله فلو اضاف من في الدنيا من الإنس والجن لأوسعهم طعاما وشرابا وحللا وحليا لا ينقصه من ذلك شيء

وعنه (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نخل الجنة جذوعها ذهب احمر وكربها زبرجد اخضر وشماريخها در ابيض وسعفها حلل اخضر ورطبها اشد بياضا من الفضة واحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم طول العذق اثنا عشر ذراعا منضودة من اعلاه الى اسفله لا يؤخذ منه شيء إلا اعاده الله كما كان وذلك قول الله عز وجل (لا مقطوعة ولا ممنوعة) وان رطبها لامثال القلال وموزها ورمانها امثال الدلي وامشاطهم الذهب ومجامرهم الدر وعنه (ع) قال ان اهل الجنة جرد مرد مكحلين مكللين مطوقين مسورين مختمين ناعمين محبورين مكرمين يعطى احدهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب ويجد لذة غذائه مقدار اربعين سنة ولذة عشائه مقدار اربعين سنة قد البس الله وجوههم النور واجسادهم الحرير بيض الألوان صفر الحلي خضر الثياب

وعنه (ع) إن أهل الجنة يحيون فلا يموتون ابدا ويستيقظون فلا ينامون ابداً ويستغنون فلا يفتقرون ابدا ويفرحون فلا يحزنون ابدا ويضحكون فلا يبكون ابداً ويكرمون فلا يهانون ابدا ويفكهون فلا يقطبون ابدا ويحبرون ويسرون ابداً ويأكلون فلا يجوعون ابدا ويروون فلا يظمأون ابدا ويكسون فلا يعرون ابدا ويركبون ويتزاورون ابدا يسلم عليهم الولدان المخلدون ابدا بأيديهم اباريق الفضة وآنية الذهب ابدا متكئين على سرر ابدا على الأرائك ينظرون ابدا تأتيهم التحية والتسليم من الله ابدا نسأل الله الجنة برحمته انه على كل شيء قدير

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن ادنى اهل الجنة منزلة من الشهداء من له اثنا عشر الف زوجة من الحور العين واربعة آلاف بكر واثنا عشر الف ثيب تخدم كل زوجة منهن سبعون الف خادم غير ان الحور العين يضعف لهن يطوف على جماعتهن في كل اسبوع فإذا جاء يوم احداهن او ساعتها اجتمعن اليها يصوتن بأصوات لا أصوات احلى منها ولا احسن حتى ما يبقى في الجنة شيء إلا اهتز لحسن اصواتهن يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نبؤس ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط ابدا

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها ومحرمة على الامم كلها حتى يدخلها شيعتنا اهل البيت والأخبار في ذلك أكثر من ان تحصى وأوسع من ان تستقصى رزقنا الله

وسائر المؤمنين الوصول اليها والي اليقين بها حق اليقين بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين

الفصل السادس عشر

في بيان بعض صفات النار وخصوصياتها وعقوباتها اعاذنا الله تعالى منها وسائر المؤمنين بمحمد وآله الطاهرين ﷺ قال الله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) والمشهور بين المفسرين انها حجارة الكبريت لأنها آخر شيء إذا حميت وقيل المراد بها الاصنام المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقيل ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله اياها كقوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وقال تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وقال تعالى (إن الذين كفروا لو ان لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقال تعالى (إنا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) وقال تعالى (والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) والآيات في ذلك كثيرة وسيأتي جملة منها

وروى العياشي عن حمران عن الباقر (ع) قال إن الكفار والمشركين يعيرون اهل التوحيد في النار يقولون ما نرى توحيدكم اغنى عنكم شيئا وما نحن وانتم إلا سواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ويقول الله انا ارحم الراحمين اخرجوا برحمتي فيخرجون كما يخرج الفراش ثم قال (ع) ثم مدت العمد وأوصدت عليهم وكان والله الخلود

وروى القمي في تفسيره عن ابي بصير في الحسن او الصحيح عن الصادق (ع) قال قلت له يا ابن رسول الله خوفني فإن قلبي قد قسا قال يا ابا محمد استعد للحياة الطويلة فإن

جبرائيل جاء إلى النبي ﷺ وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيئ وهو متبسم فقال رسول الله ﷺ ياجبرائيل جئتني اليوم قاطبا فقال يامحمد قد وضعت منافخ النار فقال ومامنافخ النار ياجبرئيل فقال يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها الف عام حتى ابيضت ثم نفخ عليها الف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لو ان قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها ولو ان حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها ولو ان سربالا من سرابيل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه قال فبكى رسول الله وبكى جبرائيل فبعث الله اليهما ملكا فقال لهما ان ربكما يقرئكما السلام ويقول قد آمنتكما ان تذنبا ذنبا اعذبكما عليه فقال ابو عبدالله (ع) فما رأى رسول الله جبرائيل متبسما بعد ذلك ثم قال إن أهل النار يعظمون النار وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم وان جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاما فإذا بلغوا اعلاها قمعوا بمقامع الحديد هذه حالهم وهو قول الله عز وجل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم قال (ع) حسبك يا ابا محمد قلت حسبي حسبي

وفي أمالي الصدوق عن عمر بن ثابت عن الباقر (ع) قال إن أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون من أليم العذاب ما ظنك يا عمر بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها عطاش فيها جياع كليلة ابصارهم صم بكم عمي مسودة وجوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون من العذاب ولا يخفف عنهم وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون ومن الزقوم يأكلون وبكلابيب النار يحطمون وبالمقامع يضربون والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون فهم في النار يسحبون على وجوههم ومع الشياطين يقرنون وفي الانكال والاغلال يصفدون ان دعوا لم يستجب لهم وإن سألوا حاجة لم تقض لهم هذه حال من دخل النار

وفي الإكمال عن الصادق (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال إن للنار سبعة ابواب باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون وباب يدخل منه المشركون والكفار ممن لم يؤمن بالله طرفة عين وباب يدخل منه بنوا أمية هو لهم خاصة لا يزاحمهم فيه احد وهو باب لظى وهو باب سقر وهو باب الهاوية تهوى بهم سبعين خريفا وكلما هوى بهم سبعين خريفا قاربهم فوره قذفت بهم

في اعلاها سبعين خريفا ثم تهوي بهم كذلك سبعين خريفا فلا يزالون هكذا خالدين مخلدين وباب يدخل فيه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا وإنه لأعظم الابواب وأشدها حراً

﴿ ايضاح ﴾ لعل الضمير في قوله وهو باب لظى راجع إلى جنس الباب وتكون غير باب بني أمية او هي لهم ايضا لتتم السبعة او انه (ع) لم يعد جميع الابواب بل عد معظمها وهي هذه الاربعة او ان باب بني أمية تنقسم الى تلك الابواب ولم يذكر الباب السابع لسائر الناس لظهوره او ان تلك الثلاثة اسماء لتلك الابواب الثلاثة على اللف والنشر

وفي معاني الأخبار سئل الصادق (ع) عن معنى الفلق فقال (ع) صدع في النار فيه سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت في كل بيت سبعون الف اسود في جوف كل اسود سبعون الف جرة سم لا بد لأهل النار ان يمروا عليها

وروي عن الصادق (ع) قال ان نار كم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وقد اطفئت سبعين مرة بالماء ثم التهبت ولولا ذلك ما استطاع آدمي ان يطيقها وإنه ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه فزعا من صرختها

وعن الباقر (ع) قال ان في جهنم لواد يقال له غساق فيه ثلاثون وثلاثمائة قصراً في كل قصر ثلاثون وثلاثمائة بيت في كل بيت ثلاثون وثلاثمائة عقرب في جوف كل عقرب ثلاثون وثلاثمائة قلة سم لو ان عقربا منها نضحت سمها على أهل جهنم لوسعتهم سما

وفي تفسير القمي (ره) في قوله تعالى (لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم) ان الله جعلها سبع دركات اعلاها الجحيم يقوم اهلها على الصفا منها تغلي ادمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها ﴿ والثانية ﴾ (لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) ﴿ والثالثة ﴾ (سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر) ﴿ والرابعة ﴾ (الحطمة) ومنها يثور (شرر كالقصر كأنها جمالة صفر) تدق كل من صار اليها مثل الكحل فلا يموت الروح كلما صاروا مثل الكحل عادوا ﴿ والخامسة ﴾ (الهاوية) فيها ملأ يدعون يا مالك اغثنا فإذا اغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد يسيل من جلودهم كأنه مهل فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها وهو قول الله عز وجل (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) ومن هوي فيها هوى سبعين عاما في النار كلما احترق جلده بدل

جلدا غيره ﴿ والسادسة ﴾ هي السعير فيها ثلثمائة سرادق من نار في كل سرادق ثلثمائة قصر من نار وفي كل قصر ثلثمائة بيت من نار وفي كل بيت ثلثمائة لون من عذاب النار فيها حيات من نار وعقارب من نار وجوامع من نار وسلاسل من نار واغلال من نار وهو الذي يقول الله عز وجل (انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا) ﴿ والسابعة ﴾ جهنم وفيها الغلق وهو جب في جهنم إذا فتح اسعر النار سعرا وهو أشد النار عذابا وأما صعودا اي في قوله تعالى (سأرهقه صعودا) فجبل من صفر من نار وسط جهنم وأما اثاما فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشد النار عذابا

﴿ بيان ﴾ الصفا الحجر الصلب الضخم الذي لا ينبت والجوامع جمع الجامعة وهي الغل وفي الخصال عن اسحاق بن عمار عن الكاظم (ع) قال يا اسحق ان في النار لوادي يقال له سقر لم يتنفس منذ خلقه الله تعالى لو اذن الله عز وجل له في التنفس بقدر مخيط لأحترق ما على وجه الارض وإن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره وما اعد الله فيه لأهله فأن في ذلك الوادي لجبلا يتعوذ جميع اهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله وإن في ذلك الجبل لشعبا يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره وما اعد الله فيه لأهله وان في ذلك الشعب لقليبا يتعوذ جميع اهل ذلك الجبل من حر ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله وان في ذلك القليب لحية يتعوذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ونتنها وقذرها وما اعد الله في انيابها من السم لأهلها وان في جوف تلك الحية لصناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمة قال جعلت فداك ومن الخمسة ومن الاثنان قال فأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل ونمرود الذي حاج ابراهيم في دينه فقال انا أحيي وأميت وفرعون الذي قال انا ربكم الاعلى ويهود الذي هود اليهود ويونس الذي نصر النصارى ومن هذه الأمة اعرابيان اشارة الى قوله تعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا)

وفي تفسير القمي قال أمير المؤمنين (ع) وأما أهل المعصية فخذ لهم في النار واوثق منهم الاقدام وغل منهم الأيدي الى الاعناق والبس اجسادهم سرابيل القطران وقطعت لهم مقطعات من النار هم في عذاب قد اشتد حره ونار قد اطبق على أهلها فلا يفتح عنهم ابدا ولا يدخل عليهم ريح ابدا ولا ينقضي منهم عمر ابدا العذاب ابدا شديد العقاب ابدا جديد لا الدار

زائلة فتفنى ولا اجال القوم تقضى ثم حكى نداء أهل النار فقال (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) قال اي يموت فيقول مالك انكم ماكثون وعن الصادق (ع) قال ان في النار لنارا يتعوذ منه أهل النار ما خلقت الا لكل متكبر جبار عنيد ولكل شيطان مريد ولكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وكل ناصب لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال ان اهون الناس عذابا يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي عنها دماغه كما يغلي المرجل اي القدر من النحاس ما يرى ان في النار احدا اشد عذابا منه وما في النار احد اهون عذابا منه

وفي رواية قال الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره سأل الله ان يأذن له ان يتنفس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم قال ففي ذلك الجب صندوق من نار يتعوذ اهل ذلك الجب من حر ذلك الصندوق وهو التابوت وفي ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين فأما الستة من الأولين فابن آدم الذي قتل اخاه وفرعون ابراهيم الذي القى ابراهيم في النار وفرعون موسى والسامري الذي اتخذ العجل والذي هود اليهود والذي نصر النصارى اي افسد دينهم وحرفه وابدع فيه

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال عن الصادق (ع) عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الأذى يسقون من الحميم في الجحيم ينادون بالويل والثبور يقول اهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء الاربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى فرجل معلق في تابوت من جمر ورجل يجر امعاءه ورجل يسيل فوه قيحا ودما ورجل يأكل لحمه فقيل لصاحب التابوت ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول ان الابعد قد مات وفي عنقه اموال الناس لم يجد لها في نفسه اداء ولا وفاء ثم يقال للذي يجر امعاءه ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول ان الابعد كان لا يبالي اين اصاب البول من جسده ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول أن الأبعد كان يحاكي إلى كل كلمة خبيثة فيشيدها ويحاكي بها ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة

وفي الامالي عن جابر عن الباقر (ع) قال ان عبدا مكث في النار سبعين خريفا والخريف سبعون سنة ثم انه سأل الله عز وجل بحق محمد واهل بيته لما رحمتني قال فأوحى الله الى جبرائيل

ان اهبط إلى عبدي فأخرجه قال يارب وكيف لي بالهبوط في النار قال اني قد امرتها ان تكون عليك بردا وسلاما قال يارب فما علمي بموضعه قال انه في جب من سجين قال فهبط جبرائيل فوجده وهو معقول على وجهه فاخرجه فقال عز وجل ياعبدي كم لبثت تناشدني في النار قال ما احصيته يارب قال اما وعزتي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار ولكنه حتم على نفسي ان لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا ان غفرت له ما كان بيني وبينه وقد غفرت لك اليوم

وفي الخصال عن النبي ﷺ قال تكلم النار يوم القيامة ثلاثة اميرا وقاريا وذا ثروة من المال فتقول للأمير يامن وهب الله له سلطانا فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حب السمسم وتقول للقاري يامن تزين للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدرده وتقول للغني يا من وهب الله له دنيا كثيرة واسعة في غنى وسأله الفقير الحقير اليسير قرضا فأبى الا بخلا فتزدرده

وروى الشيخ في الأمالي عن أمير المؤمنين في كتابه الى اهل مصر في وصف النار قعرها بعيد وحرها شديد وشرابها صديد وعذابها جديد ومقامعها حديد لا يفتر عذابها ولا يموت ساكنها دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لأهلها دعوة

وروى السيد بن طاوس من كتاب زهد النبي ﷺ عن ابي جعفر احمد القمي عن علي (ع) ان النبي ﷺ قال والذي نفس محمد بيده لو ان قطرة من الزقوم قطرت على جبال الأرض لساخت الى اسفل سبع ارضين ولما اطاقته فكيف بمن هو طعامه والذي نفسي بيده فلو ان قطرة من غسلين قطرت على جبال الأرض لساختها الى اسفل سبع اوضين ولما اطاقته فكيف بمن هو شرابه والذي نفسي بيده لو ان مقمعا واحدا مما ذكره الله في كتابه وضع على جبال الأرض لساخت الى اسفل سبع ارضين ولما اطاقته فكيف بمن يقع عليه يوم القيامة في النار وفي الكتاب المذكور انه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ (وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم) بكى النبي ﷺ بكاء شديدا وبكت صحابته لبكائه ولم يدروا مانزل به جبرائيل ولم يستطع احد من اصحابه ان يكلمه وكان النبي إذا رأى فاطمة فرح بها فانطلق بعض اصحابه الى باب بيتها فوجد بين يديها شعيرا وهي تطحنه وتقول وما عند الله خير وأبقى فسلم عليها واخبرها بخبر النبي وبكائه فنهضت والتفت بشملة لها خلقة قد خيطت في اثنى عشر مكانا بسعف النخل فلما خرجت نظر سلمان الفارسي

الى الشملة وبكى وقال واحزناه ان قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمد عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثنى عشر مكانا فلما دخلت فاطمة على النبي ﷺ قالت يارسول الله إن سلمان تعجب من لباسي فوالذي بعثك بالحق نبيا مالي ولعلي منذ خمس سنين الا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا فإذا كان الليل افترشناه وان مرفقتنا لمن ادم حشوها ليف فقال النبي ياسلمان ان ابنتي لفي الخيل السوابق ثم قالت ياابت ما الذي ابكاك فذكر لها مانزل به جبرائيل من الآيتين المتقدمتين قال فسقطت فاطمة على وجهها وهي تقول الويل ثم الويل لمن دخل النار فسمع سلمان فقال ياليتني كنت كبشا لأهلي فأكلوا لحمي ومزقوا جلدي ولم اسمع بذكر النار وقال عمار ياليتني كنت طائرا في القفار ولم يكن علي حساب ولا عقاب ولم اسمع بذكر النار وقال علي ياليت السباع مزقت لحمي وليت امي لم تلدني ولم اسمع بذكر النار ثم وضع علي يده على رأسه وجعل يبكي ويقول واسفاه واقلة زاداه في سفر القيامة يذهبون وفي النار يترددون وبكلاليب النار يتخطفون مرضى لا يعاد سقيمهم وجرحى لا يداوى جريحهم واسرى لا يفك اسيرهم من النار يأكلون ومنها يشربون وبين اطباقها يتقلبون وبعد لبس القطن والكتان مقطعات النيران يلبسون وبعد معانقة الازواج مع الشياطين مقرنون

وفي الصحيفة السجادية في الدعاء بعد صلاة الليل اللهم اني اعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك واتوعدت بها من صدف عن رضاك ومن نار نورها ظلمة وهينها أليم وبعيدها قريب ومن نار يأكل بعضها بعض ويصول بعضها على بعض ومن نار تذر العظام رميما وتسقي أهلها حميما ومن نار لا تبقي على من تضرع اليها ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها واستسلم اليها تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال واعوذ بك من عقاربها الفاغرة افواهها وحياتها الصالقة بأنيابها وشرابها الذي يقطع امعاء وأفئدة سكانها وينزع قلوبهم

وفي كتاب الاختصاص عن الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يدي قنبر فإذا ابليس قد أقبل فقلت بئس الشيخ انت فقال لم تقول هذا ياأمير المؤمنين فوالله لأحدثنك بحديث عني عن الله عز وجل ما بيننا ثالث انه لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت إلهي وسيدي ما احسبك خلقت خلقا هو اشقى مني فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظننت انها قد أكلتني وأكلت مالكا فقال لها اهدئي فهدأت ثم انطلق بي الى الطبق الثاني فخرجت نار هي اشد من تلك سوادا واشد

حما فقال لها اخمدي فخمدت الى ان انطلق بي إلى السابع وكل نار تخرج من طبق هي اشد من الاولى فخرجت نار وظننت انها قد اكلتني وأكلت مالكا وجميع ما خلقه الله عز وجل فوضعت يدي على عيني فقلت مرها يامالك تخمد وإلا خمدت فقال انك لن تخمد الى الوقت المعلوم فأمرها فخمدت فرأيت رجلين في اعناقهما سلاسل النيران معلقين بها الى فوق وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها فقلت يامالك من هذان فقال اوما قرأت على ساق العرش وكنت قبل قرأت قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام لا إله إلا الله محمد رسول الله ايدته ونصرته بعلي فقال هذان عدوا اولئك وظالماهم لعله تعالى خلق صورتيهما في جهنم بتعيين مكانهما وتصوير شقاوتهما للملأ الاعلى ولمن سمع الخبر من غيرهم

وفي نوادر الراوندي عن الكاظم عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان اهون اهل النار عذابا ابن جذعان فقيل يارسول الله وما بال ابن جذعان اهون اهل النار عذابا قال انه كان يطعم الطعام

وفي الكافي عن الرصافي عن الباقر (ع) قال إن مؤمنا كان في مملكة جبار فولغ به فهرب منه الى دار الشرك فنزل برجل من اهل الشرك فاظله وارفقه واضافه فلما حضره الموت اوحى الله عز وجل اليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركا ولكن يانار هيديه ولا تؤذيه ويؤتى برزقه طرفي النهار قلت من الجنة قال من حيث شاء الله والظاهر أن لفظ الخبر لا تهديه اي لا تزعجيه كما في روايات الجمهور فصحف

وروى الصدوق بسند حسن عن الكاظم (ع) قال كان في بني اسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر وكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا فلما أن مات الكافر بنا الله له بيتا في النار من طين وكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها وقيل له هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا وفي هذين الخبرين دلالة على ارتفاع العذاب عن بعض الكفار الذين عملوا عملا حسنا فلا يبعد تخصيص ما دل على عدم تخفيف عذاب الكفار بهما أو يقال بأن مجرد كونهم في النار عذاب لهم وان لم يؤذهم او ان لهم فيها نوعا من عذاب غير الاحتراق كالازعاج والتخويف والله العالم

وفي الخصال عن علي (ع) قال ان في جهنم رحى تطحن خمسا افلا تسألوني ما طحنها فقيل له وما طحنها يا امير المؤمنين قال العلماء الفجرة والقراء الفسقة والجبابرة الظلمة والوزراء الخونة والعرفاء الكذبة وإن في النار لمدينة يقال لها الحصينة أفلا تسألوني ما فيها فقيل وما فيها يا أمير

المؤمنين قال فيها ايدي النا كثين

وقال امير المؤمنين(ع) في النهج واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا فرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان أعلمتم ان مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه وإذا زجرها توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن (اي الشيخ الكبير) الذي قد لهزه القتير اي خالطه الشيب كيف انت إذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق وتشبثت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها

وفي تفسير القمي(ره) في الصحيح اوالحسن عن الصادق (ع) في خبر المعراج قال قال النبي ﷺ سمعت صوتا افزعني فقال لي جبرائيل اتسمع يامحمد قلت نعم قال هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاما فهذا حين استقرت قالوا فما ضحك رسول الله ﷺ حتى قبض قال فصعد جبرائيل وصعدت حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا وهو ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم ار خلقا اعظم منه كريه المنظر ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا انه لم يضحك ولم ار فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة فقلت من هذا ياجبرائيل فإني قد فزعت منه فقال يجوز ان تفزع منه فكلنا نفزع منه إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظاً على أعداء الله واهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى احد كان قبلك او كان ضاحكا إلى احد بعدك لضحك اليك ولكنه لا يضحك فسلمت عليه فرد السلام علي وبشرني بالجنة فقلت لجبرائيل وجبرائيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم امين ألا تأمره أن يريني النار فقال له جبرائيل يا مالك أر محمدا النار فكشف عنها غطاءها وفتح بابا منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت فقلت يا جبرائيل قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها فقال لها ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه الخبر

وفي تفسير القمي عن الصادق (ع) وقد سئل عن قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) قال ينادي مناد من عند الله وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يا أهل

الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور فيقولون لا فيؤتى بالموت في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادون جميعا اشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ثم يأمر الله به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ابدا ويا أهل النار خلود فلا موت ابدا والاخبار في ذلك كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن تنبه وتدبر ايقظنا الله من الغفلة ورزقنا اليقين بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في النار انها دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك فأما المذنبون من أهل التوحيد فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم وروي انه لا يصيب أحدا من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها وإنما تصيبهم الآلام عند الخروج منها فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم (وما الله بظلام للعبيد) وأهل النار هم المساكين حقا لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا) وإذا استطعموا اطعموا من الزقوم وإن استغاثوا أغيثوا (بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) ينادون من مكان بعيد (ربنا اخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فيمسك الجواب عنهم أحيانا ثم قيل لهم (اخسأوا فيها ولا تكلمون ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون)

وروي انه يأمر الله عز وجل برجال إلى النار فيقول لهم قل للنار لا تحرقي لهم اقداما فقد كانوا يمشون إلى المساجد ولا تحرقي لهم ايديا فقد كانوا يرفعونها إلي بالدعاء ولا تحرقي لهم ألسنة فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن ولا تحرقي لهم وجوها فقد كانوا يسبغون الوضوء فيقول مالك يا اشقياء فما كان حالكم فيقولون كنا نعمل لغير الله فقيل لنا خذوا ثوابكم ممن عملتم له

وقال الشيخ المفيد (ره) في شرحه وأما النار فهي دار من جهل الله سبحانه وقد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى غير أنه لا يخلد فيها بل يخرج منها إلى النعيم المقيم وليس يخلد فيها إلا الكافرون وقال تعالى (فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) يريد بالصلي هنا الخلود فيها (وقال تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) وقال تعالى (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) الآيتان وكل آية تتضمن ذكر الخلود في النار فإنما هي في الكفار دون أهل المعرفة بالله تعالى بدلائل العقول والكتاب المسطور والخبر الظاهر المشهور والاجماع السابق

لأهل البدع من اصحاب الوعيد ثم قال (ره) وليس يجوز ان يعرف الله تعالى من هو كافر به ولا يجهله من هو مؤمن به وكل كافر على اصولنا فهو جاهل بالله ومن خالف اصول الإيمان من المصلين الى قبلة الإسلام فهو عندنا جاهل بالله وإن أظهر القول بتوحيده كما ان الكافر برسول الله جاهل بالله وإن كان فيهم من يعترف بتوحيد الله تعالى ويتظاهر بما يوهم المستضعفين ان له معرفة بالله تعالى وقد قال الله تعالى (ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) فأخرج بذلك المؤمن من احكام الكافر وقال تعالى (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية فنفى عمن كفر بنبي الله الإيمان ولم يثبت له مع الشك فيه المعرفة بالله على حال وقال تعالى (وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون) فنفى الإيمان عن اليهود والنصارى وحكم عليهم بالكفر والضلال انتهى

﴿ تذييل يشتمل على تحقيق مرام في دفع شكوك وأوهام ﴾

اعلم إنه لا خلاف بين كافة المسلمين في ان الكفار الذين تمت عليهم الحجة مخلدون في النار وفي العذاب وقد تظافرت بذلك الآيات وتواترت به الروايات عن النبي والأئمة الهداة بل هو ضروري الدين لا خلاف فيه بين أحد من المسلمين الى ان انتهت النوبة الى بعض من ينتحل الإسلام من المتصوفة والمتفلسفين فتركوا التمسك بكتاب الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وبسنة رسول الله الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) واستبدلوا بأوهامهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة فزعموا ان الكفار وان كانوا مخلدين في النار إلى ما لا نهاية له إلا ان عذابهم لابد له من انقطاع وزوال فتكون النار عليهم بردا وسلاما بعد ذلك وأول من فتح هذا الباب فيما اظن محيي الدين العربي فقال في الفص اليونسي من فصوص الحكم وأما اهل النار فمآلهم الى النعيم ولكن في النار اذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العذاب ان تكون بردا وسلاما على من فيها وهذا نعيمهم فنعيم اهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين القي في النار وقال في الفص الاسماعيلي الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) ولم يقل وعيده بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم مع انه توعد على ذلك وصرح بذلك ايضا في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات وقال في الباب الخامس والثلاثمائة منها ولا بد من حكم الرحمة على الجميع اي أهل الجنة والنار ثم قال ولا يلزم ممن كان من أهل النار الذين يعمرونها

ان يكونوا معذبين بها فإن أهلها وعمارها وخزنتها وهم ملائكة وما فيها من الحشرات والحيات وغير ذلك من الحيوانات التي تبعث يوم القيامة ولا واحد منها يكون النار عليه عذابا كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها ولا يحيون وكل من ألف موطنه كان به مسرورا وأشد العذاب مفارقة الوطن ولو فارق النار اهلها لتعذبوا باغترابهم عما اهلوا له وان الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضب ووسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله ارحم الراحمين كما قال عن نفسه وقد وجدنا في نفوسنا ممن جبلهم الله على الرحمة انهم يرحمون جميع عباد الله حتى لو حكمهم الله في خلقه لأزالوا صفة العذاب من العالم وقد قال تعالى عن نفسه إنه ارحم الراحمين فلا يشك انه ارحم منا بخلقه فكيف يسرمد العذاب عليهم وهو بهذه الصفة العامة ان الله اكرم من ذلك ولا سيما وقد قام الدليل العقلي على ان الباري لا تنفعه الطاعات ولا تضره المخالفات وان كل شيء جار بقضائه وقدره وحكمه وان الخلق مجبورون في اختيارهم انتهى ملخصا وتبعه على ذلك القيصري وعبد الرزاق الكاشي وغيرهما والعجب من المحقق الفيلسوف الشيرازي والمحقق المحدث الكاشاني حيث تبعاه على ذلك في الاسفار وعين اليقين والمعارف وقد استقصينا كلماتهم في كتابنا (مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار) واستند بعض هؤلاء في ذلك إلى حديث عامي مقطوع مرسل وهو سيأتي على جهنم زمان ينبت فيه قمرها الجرجير وما رواه البغوي في معالم التنزيل عن ابن مسعود قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا هذا خلاصة ما شيدوا به هذا المطلب العظيم المخالف للقرآن الكريم والسنة وضرورة الدين في الشبهات التي هي اوهن من بيت العنكبوت وانه لأوهن البيوت وأقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق لا يخفى فساد مازعموه وبطلانه من وجوه ﴿الأول﴾ ان مرسلة الجرجير ومقطوعة ابن مسعود مع انهما في غاية الضعف ونهاية القصور ولم يوجد منهما عين ولا أثر في كتب الإمامية مخالفان للقرآن وقد تواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الفريقان كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف مع انه قد روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن موفق مولى ابي الحسن اي الكاظم (ع) قال كان مولاي ابو الحسن إذا أمر بشراء البقل يأمرني بالاكثار من الجرجير فيشترى له وكان يقول ما احمق بعض الناس يقولون انه ينبت في وادي جهنم والله عز وجل يقول (وقودها الناس والحجارة) فكيف تنبت البقل وروى حمران قال قلت لأبي عبد الله (ع) بلغنا انه يأتي على جهنم حين تصطفق

ابوابها فقال لا والله انه الخلود قلت خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك فقال هذه في الذين يخرجون من النار واصطفاق الابواب كناية عن خلوها من الناس وهورد على ابن مسعود وربما يتوهم من قوله تعالى في أهل جهنم (لابثين فيها أحقابا) انقطاع العذاب فقد ذكر بعض المفسرين ان الحقب ثمانون سنة من سنين الآخرة وقيل ان الأحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة

وفي معاني الاخبار عن الصادق (ع) في الآيات ان الاحقاب ثمانية احقاب والحقب ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماواليوم كألف سنة مماتعدون ولكن قد ذكر جماعة من المفسرين ان المعنى احقابا لانقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر الى أبد الآبدين فليس للاحقاب عدة الا الخلود في النار

وقال بعضهم ان المعنى (لابثين فيها احقابا) لا يذوقون في تلك الاحقاب (إلا حميما وغساقا) ثم يلبثون يذوقون فيها غير الحميم والغساق من انواع العذاب فهذا توقيت لانواع العذاب لا لمكثهم في النار وجملة منهم على ان ذلك التحديد لأهل التوحيد وهو المروي من طرقنا فروى العياشي باسناده عن حمران قال سألت أبا جعفر عن هذه الآية فقال هذه في الذين يخرجون من النار وروي عن الاحول مثله ✻ الثاني ✻ ما ذكروه من حسن خلف الوعيد كما قال تعالى (ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله) ولم يقل وعيده بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم فاسد من وجوه أما ✻ اولا ✻ فإن اثبات الشيء لا يدل على نفي ما عداه ولا دليل على وجوب انقطاع مدة العذاب وانتهائه بل الأدلة على خلافه على انه لا وعيد بالنسبة الى الرسل والانبياء وأما ✻ ثانيا ✻ فلأن الوعيد الذي يحسن خلفه من قسم الإنشاء ولكن الخلود في العذاب قد دلت عليه الآيات والروايات بطريق الاخبار واخبار الله يمتنع فيها الكذب ضرورة وأما ✻ ثالثا ✻ فلأن الله تعالى قد وعد انبياءه ورسله بالانتقام من اعدائهم وخلودهم في العذاب الدائم وعد من الله لانبيائه يمتنع خلفه فتكون الآية ردا عليهم وأما ✻ رابعا ✻ فإن مقتضى شبهاتهم المذكورة ان الكفار لا يستحقون الخلود في العذاب بل لا يجوز ذلك عليهم ووعيد الله لهم بالعذاب ودوامه يدل على استحقاقهم لذلك حتى يحسن ويصدق العفو فيلزمهم انكار أصل الوعيد وانكاره تكذيب للقرآن وما يقال من ان الغرض من هذا الوعيد اصلاح

الخلق لينزجروا عن المعاصي ففاسد إذ لو تم لقام في أصل العذاب ايضا وهم لا يقولون به وبقيام هذه الاحتمالات الواهية الركيكة ينسد باب التكليف ويرتفع الوثوق بأقوال رب العالمين والانبياء والمرسلين ويلزم منه الخروج عن زمرة المسلمين وأما ﴿ خامسا ﴾ فإن قوله تعالى (ويتجاوز عن سيئاتهم) مخصوص ببعض أهل المعاصي من فرق المسلمين الذين لا يخلدون كما ذكره المفسرون ووردت به الروايات على ان التجاوز لا يتحقق إلا قبل دخول جهنم او بعد الدخول مع الخروج عنها وأما دفع العذاب عنهم وهم فيها بعد عذابهم بقدر ما يستحقونه فلا يسمى ذلك تجاوزا بل عدلا على زعمهم ﴿ الثالث ﴾ ان قولهم ان الطاعات لا تنفع الله والمعاصي لا تضره كلام حق بل الطاعات تنفع فاعليها والمعاصي تضرهم وقولهم ان الخلق مجبورون في حال اختيارهم ظاهرة الجبر وحينئذ فأصل عذابهم قبيح فضلا عن دوامه ﴿ الرابع ﴾ ان ما يزعمون من ان من له ادنى رحمة من العباد لا يرضى بدوام عذاب عدوه وإن أساء معه ما أساء فما ظنك بأرحم الراحمين فيه ﴿ أولا ﴾ ان هذا يقبح أصل العذاب ونوعه فضلا عن دوامه ﴿ وثانيا ﴾ ان قياس ارحم الراحمين على رحم العبد الجاهل المسكين قياس مع الفارق إذ الفرق واضح بين الإيلام بطريق الاصلاح وبين العقوبة بطريق الاستخفاف والاستهانة وتعذيب الكفار من الثاني كما قال تعالى (اخسأوا فيها ولا تكلمون ذق انك أنت العزيز الكريم خذوه فغلوه) الآية وفرق بين حال العبد الضعيف الجاهل العاجز وبين الرب الخالق العالم الجبار القهار ألا ترى ان انواع الامراض والاوجاع والزمانات والبلاء والابتلاء والتعذيبات الواقعة في الدنيا التي ابتلى بها خلقه لحكم ومصالح هو اعلم بها لو فوضت الى اقسى العباد قلبا واجفاهم غلظة لرفعها عن الناس ولم يرض بها سيما بالنسبة الى الاطفال والصبيان والرضع والمشائخ والعاجزين فكيف يقاس فعل رب العالمين بحال الجاهل المسكين على ان افعال الله في الدنيا فضلا عن الآخرة تعجز عن ادراكها العقول كإنزال انواع العذاب على الأمم السالفة والقرون الماضية وجعل الله تعالى ادخال مقدار الحشفة في اللواط موجبا للقتل والحرق مع ان الله تعالى يقول في شأن أهل النار (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) ويقول سبحانه (من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) على ان جملة من محققيهم قد ذكروا في جواب من ادعى قبح اصل العذاب ان العذاب ليس بفعل منتقم خارجي بل هو من لوازم افعالهم ونتائج اعتقاداتهم واعمالهم وحينئذ فكما يصح أن يكون العذاب والعقوبة من نتائج الاعمال يصح ان يكون بعض انواعه

نتيجة لدوام العذاب والعقاب ﴿ الخامس ﴾ ان غاية ما يدل عليه حسن خلف الوعيد وشمول الرحمة ونحوهما حسن العفو والتجاوز ويدعي الخصم وجوب العفو وقبح دوام العذاب فإن كان دوام العذاب والعقاب عدلا فلا قبح فيه وإن كان ظلما وجورا فلا معنى للتجاوز والعفو ﴿ السادس ﴾ ان هؤلاء كأنهم لم يتدبروا الآيات المتظافرة والاخبار المتواترة الدالة على دوام العذاب واستمرار العقاب قال تعالى ردا على اليهود الذين زعموا ان العذاب يصيبهم مدة أيام عبادتهم العجل ثم ينقطع عنهم (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) وقد ذكر المفسرون ان السبب في نزولها ما ذكر وورد في اخبارنا نحو ذلك وقال تعالى (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) وقال تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب) وقال ايضا (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) وقال تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وفي آيات عديدة (مأواهم جهنم وساءت مصيرا) وبئس المصير وبئس المهاد وعذاب أليم عذاب مهين (وبئس مثوى الظالمين) وقال تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب اليم) وقال تعالى (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم) وقال تعالى (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) وقال تعالى (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) وقال تعالى(وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) وقال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وقال تعالى (مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) وقال تعالى (إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) وقال

تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) وقال تعالى حكاية عن أهل النار (ربنا اخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسأوا فيها ولا تكلمون) وقال تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) وقال تعالى (ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) وقال تعالى (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى(والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا) الى ان قال (فذوقوا فما للظالمين من نصير) وقال تعالى(وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) وقال تعالى (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون) اي لابثون دائمون في العذاب كما ذكره المفسرون وعن ابن عباس والسدي إنما يجيبهم بذلك مالك بعد الف سنة إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة وفيما ذكرناه كفاية وقد بسطنا الكلام في هذا المرام في (مصابيح الانوار)

الفصل السابع عشر

في الأعراف وأهلها وما يجري بين أهل الجنة والنار

قال تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) الى ان قال (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون)قال الطبرسي ونادى اي وسينادي اصحاب الجنة اصحاب النار فهذا سؤال توبيخ وشماتة يزيد به سرورا أهل الجنة وحسرة أهل النار فأذن مؤذن اي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين قال وروي

ابو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي (ع) انه قال أنا ذلك المؤذن وعن ابن عباس ان لعلي في كتاب الله اسماء لا تعرفها الناس قوله (فأذن مؤذن بينهم) فهو المؤذن بينهم يقول الا لعنة الله على الظالمين الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي وبينهما حجاب اي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ستراً وهو الأعراف والأعراف سور بين الجنة والنار عن مجاهد والسدي وفي التنزيل فضرب بينهم بسور وقيل الاعراف شرف ذلك السور وقيل الاعراف الصراط واختلف في المراد من الرجال في قوله (وعلى الأعراف رجال) فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ماشاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال الباقر (ع) هم آل محمد لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من انكرهم وانكروه وقال الصادق (ع) الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا إلى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله إياها بشفاعة النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار (ويقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم (ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) انتهى ملخصا

وقال الصدوق في العقائد اعتقادنا في الأعراف انه سور بين الجنة والنار عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم والرجال هم النبي وأوصياؤه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من انكرهم وانكروه وعند الاعراف المرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم

وقال المفيد (ره) في شرح هذا الكلام قد قيل أن الأعراف جبل بين الجنة والنار وقيل ايضا انه سور بين الجنة والنار وجملة الأمر في ذلك انه مكان ليس من الجنة ولا من النار وقد جاء الخبر بما ذكره وأنه إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والأئمة من ذريته وهم الذين عنى الله بقوله (وعلى الأعراف رجال) الآية وذلك أن الله تعالى يعلمهم اصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماء يجعلها عليهم وهي العلامات وقد بين ذلك في قوله تعالى (يعرفون كلا بسيماهم) (يعرف المجرمون بسيماهم) وقال تعالى (إن في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم) فأخبر أن في خلقه طائفة يتوسمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم وروي عن امير المؤمنين انه قال في بعض كلامه انا صاحب العصى والميسم يعني علمه بمن يعلم حاله بالتوسم وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انه سئل عن قوله تعالى (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) قال فينا نزلت أهل البيت يعني في الأئمة وقد جاء الحديث بأن الله تعالى يسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقوا بأعمالهم الحسنة الثواب من غير عقاب ولا استحقوا الخلود في النار وهم المرجون لأمر الله ولهم الشفاعة ولا يزالون على الأعراف حتى يؤذن لهم في دخول الجنة بشفاعة النبي وأمير المؤمنين والأئمة من بعده وقيل ايضا انه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلفين فيستحقون باعمالهم جنة ونارا فيسكنهم الله تعالى ذلك المكان ويعوضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون منازل أهل الثواب المستحقين له بالأعمال وكلما ذكرناه جائز في العقول وقد وردت به أخبار والله اعلم بالحقيقة من ذلك إلا أن المقطوع به في جملته أن الأعراف مكان بين الجنة والنار يقف فيه من سميناه من حجج الله تعالى على خلقه ويكون به يوم القيامة قوم من المرجون لأمر الله وما بعد ذلك فالله اعلم بالحال فيه انتهى

وروى الطبرسي في المجمع والصفار وغيرهما عن الاصبغ بن نباتة قال كنت جالسا عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية وعلى الأعراف رجال فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار

وروى القمي في تفسيره بسند كالصحيح عن الصادق (ع) قال الأعراف كثبان بين الجنة والنار والرجال الأئمة (ع) فيقفون على الأعراف مع شيعتهم وقد سبق المؤمنون الى الجنة بلا حساب فيقول الأئمة لشيعتهم من اصحاب الذنوب انظروا الى اخوانكم في الجنة قد

سبقوا اليها بلا حساب وهو قوله تعالى (سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) ثم يقولون لهم انظروا إلى اعدائكم في النار وهو قوله تعالى (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الأعرف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) ثم يقولون لمن في النار من اعدائهم هؤلاء شيعتي واخواني الذين كنتم انتم تحلفون في الدنيا ان لا ينالهم الله برحمته ثم يقول الأئمة لشيعتهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ثم (نادى اصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) قال وسئل العالم (ع) عن مؤمني الجن يدخلون الجنة فقال لا ولكن لله حضائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنو الجن وفساق الشيعة

وفي البصائر عن بريد العجلي قال سألت الباقر (ع) عن قول الله تبارك وتعالى (وعلى الأعراف رجال) قال انزلت في هذه الأمة والرجال هم الأئمة من آل محمد قلت فما الأعراف قال صراط بين الجنة والنار فمن شفع له الأئمة منا من المؤمنين المذنبين نجا ومن لم يشفعوا له هوى

وعن ابي بصير عن الصادق (ع) في الآية قال الأئمة منا اهل البيت في باب من ياقوت احمر على سور الجنة يعرف كل امام منا ما يليه قال رجل مامعنى مايليه قال من القرن الذي هو فيه

وفي تفسير العياشي عن سلمان قال سمعت رسول الله يقول لعلي اكثر من عشر مرات ياعلي انك والأوصياء من بعدك اعراف بين الجنة والنار لايدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار الا من انكركم وانكرتموه

وعن الثمالي قال سئل ابو جعفر (ع) عن قول الله تعالى وعلى الأعراف رجال الآية فقال (ع) نحن الأعراف الذين لا يعرف الله الا بسبب معرفتنا ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفنا او عرفناه ولا يدخل النار إلا من انكرنا وانكرناه وذلك ان الله لو شاء ان يعرف الناس نفسه لعرفهم ولكنه جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه

وفي تفسير فرات بن ابراهيم عن الاصبغ عن امير المؤمنين في الآية قال نحن الأعراف نعرف انصارنا بأسمائهم ونحن الاعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار الخبر

ويفهم من هذا الخبر ونحوه ان الأعراف يطلق على معان عديدة وبه يجمع بين الاخبار والله العالم

الفصل الثامن عشر

في بيان من يخلد في الجنة ومن يخلد في النار

لا خلاف في ان من دخل الجنة خلد فيها ولم يخرج منها سواء دخلها بعد العذاب او قبله ولا خلاف ايضا في ان الكفار والمنافقين والمنكر لضروري من ضروريات دين الإسلام ممن تمت عليهم الحجة مخلدون في النار ولا يخفف عنهم العذاب وتقدم ما يدل على ذلك من الآيات والأخبار واما حكم اطفال الكفار والمجانين فقد تقدم الكلام في حالهم وانهم لا يدخلون النار البتة بل اما أن يدخلوا الجنة او يسكنوا الأعراف او يكلفون في القيامة واما المستضعفون الناقصو العقول والذين لم تتم عليهم الحجة ولم يقصروا في الفحص والنظر فهم مرجون لأمر الله ترجى لهم النجاة والمراد بضروري الدين ما كان بديهيا في دين الإسلام بحيث ان من كان مسلما عرفه بديهة الا من كان جديد الإسلام بحيث لم يصر ضروريا عنده وذلك كوجوب الصلاة وصوم رمضان والحج والزكاة ونحوها فإن من استحل تركها فهو كافر وكذا من صدر منه فعل يتضمن الاستخفاف بالدين المبين والتهاون بحرمة الشرع كالذي يحرف المصحف الشريف او يلقيه في القاذورات او يسب الله تعالى او ملائكته أو أنبيائه او رسله او خلفائه أو يستخف بهم او يهجوهم في نظم او نثر او يبول او يتغوط في الكعبة المعظمة او في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم او في روضات الائمة او بالتربة الحسينية ونحو ذلك مما يجب احترامه بديهة واما غير الشيعة الإمامية من المخالفين وسائر فرق الشيعة من الزيدية والفطحية والواقفية والكيسانية والناووسية ونحوهم فإن كانوا منكرين لبعض ضروريات الدين فهم كفار نجسون مخلدون في النار كالخوارج والغلاة والنواصب فإن وجوب محبة اهل البيت من ضروريات دين الإسلام وكذا المجسمة ونحوهم واما من عداهم فهم فرقتان احداهما المتعصبون المعاندون من المخالفين ممن قد تمت عليهم الحجة فهم في النار خالدون والثانية المستضعفون منهم وهم ضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وامثالهم ممن لم تتم الحجة عليهم او من مات في زمان الفترة او كان في موضع لم يأت اليه خبر الحجة أو لم يكن له قدرة على التفحص عن المذاهب فهم المرجون لأمر الله إما يعذبهم واما يتوب عليهم فيرجى لهم النجاة من النار كما دل عليه جملة من الآيات والأخبار إلا انه روى ثقة الإسلام في الكافي عن ابي بصير عن الصادق (ع) قال من عرف

اختلاف الناس فليس بمستضعف وعن الكاظم (ع) قال الضعيف من لم ترفع اليه حجة ولم يعرف اختلاف الناس فإذا عرف الاختلاف ليس بمستضعف ولعل المراد بمعرفة الاختلاف الفهم والادراك لا مجرد السماع واما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب فالذي عليه جملة من الامامية كالسيد المرتضى انهم كفار في الدنيا والآخرة والذي عليه الاكثر الاشهر انهم كفار مخلدون في الآخرة وتجري عليهم احكام الاسلام في الدنيا من حقن دمائهم واموالهم وقيل انهم لا يخلدون في النار ولا يدخلون الجنة بل يكونون بعد الخروج من النار في الأعراف وقيل انهم يدخلون الجنة بعد العذاب الطويل وهذا القول نادر لا يعرف قائله قال آية الله العلامة في شرح الياقوت اما دافعوا النص فقد ذهب اكثر اصحابنا الى تكفيرهم ومن اصحابنا من يحكم بفسقهم خاصة ثم اختلف اصحابنا في احكامهم في الآخرة فالاكثر قالوا بتخليدهم وفيهم من قال بعدم الخلود وذلك اما بأن ينقلوا الى الجنة وهو قول شاذ عندهم اولا اليها واستحسنه المصنف (ره) انتهى

قال المحقق المجلسي (ره) بعد نقله القول بعدم خلودهم في النار ان ذلك نشأ من عدم تتبعهم للاخبار والأحاديث الدالة على خلودهم متواترة او قريبة التواتر نعم الاحتمالان الأخيران آتيان في المستضعفين منهم والقول بخروج غير المستضعفين من النار قول مجهول القائل نشأ بين المتأخرين الذين لا معرفة لهم بالاخبار ولا بأقوال القدماء الاخيار

قال الصدوق (ره) في رسالة العقائد اعتقادنا في الظالمين انهم ملعونون والبراءة منهم واجبة واستدل على ذلك بالآيات والاخبار ثم قال والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ممن ادعى الامامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون ومن وضع الامامة في غير اهلها فهو ظالم ملعون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جحد عليا امامته من بعدي فإنما جحد نبوتي ومن جحد نبوتي فقد جحد الله بربوبيته ثم قال واعتقادنا فيمن جحد امامة امير المؤمنين والأئمة من بعده انه بمنزلة من جحد نبوة الانبياء واعتقادنا فيمن أقر بامير المؤمنين وانكر واحدا من بعده من الأئمة انه بمنزلة من آمن بجميع الانبياء وانكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال الصادق (ع) المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة من بعدي اثنا عشر اولهم امير المؤمنين وآخرهم القائم طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي من انكر واحدا منهم فقد انكرني وقال الصادق (ع) من شك في كفر اعدائنا والظالمين فهو كافر واعتقادنا فيمن قاتل عليا كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل عليا فقد قاتلني وقوله من حارب

عليا فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل وقوله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم واعتقادنا في البراءة انها من الاوثان الاربعة والاناث الاربع ومن جميع أشياعهم واتباعهم وانهم شر خلق الله ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله والأئمة الا بالبراءة من اعدائهم

وقال الشيخ المفيد (ره) في كتاب المسائل اتفقت الامامية على ان من انكر امامة احد من الأئمة وجحد ما اوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار وقال في موضع آخر اتفقت الامامية على ان اصحاب البدع كلهم كفار وان على الامام ان يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم واقامة البينات عليهم فإن تابوا من بدعهم وصاروا الى الصواب والا قتلهم لردتهم عن الإيمان وان مات احدهم على ذلك فهو من اهل النار واجتمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا ان كثيرا من اهل البدع فساق وليسوا بالكفار وان فيهم من لا يفسق ببدعته ولا يخرج بها عن الإسلام كالمرجئة من اصحاب ابن شبيب والتبرية من الزيدية الموافقة لهم في الاصول وان خالفوهم في صفات الامام

وقال الشيخ الطوسي (ره) في تلخيص الشافي عندنا ان من حارب امير المؤمنين فهو كافر والدليل على ذلك اجماع الفرقة المحقة الامامية على ذلك واجماعهم حجة وايضا فنحن نعلم ان من حاربه كان منكرا لامامته ودافعا لها ودفع الإمامة كفر كما ان دفع النبوة كفر لأن الجهل بهما على حد واحد ثم استدل رحمه الله باخبار كثيرة على ذلك

وقال المحقق الطوسي (ره) في قواعد العقائد اصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته والعدل في افعاله والتصديق بنبوة الأنبياء والتصديق بإمامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء

وقال اهل السنة الإيمان هو التصديق بالله تعالى وبكون النبي صادقا والتصديق بالاحكام التي تعلم يقينا انه ﷺ حكم بها دون ما فيه اختلاف واشتباه والكفر يقابل الإيمان والذنب يقابل العمل الصالح وينقسم إلى كبائر وصغائر ويستحق المؤمن بالاجماع الخلود في الجنة ويستحق الكافر الخلود في العقاب

وقال الشهيد الثاني في رسالة حقائق الإيمان عند تحقيق معنى الإيمان والاسلام البحث الثاني في جواب الزام يرد على القائلين من الإمامية بعموم الاسلام مع القول بأن الكفر عدم

الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمنا اما الالزام فانهم حكموا باسلام من اقر بالشهادتين فقط غير عابث دون ايمانه سواء علم منه عدم التصديق بإمامة الأئمة (ع) من اصول الإيمان عند الطائفة من الامامية كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة وصرح بنقله المحقق الطوسي (ره) عنهم فيما تقدم ام لم يعلم منه ذلك ولا ريب ان الشيء يعدم بعدم اصله الذي هو جزؤه كما فيما نحن فيه فيلزم الكفر بحكم من لم يتحقق له التصديق المذكور وان اقر بالشهادتين وانه مناف ايضا للحكم باسلام من لم يصدق بإمامة الأئمة الأثني عشر وهذا الأخير لا خصوصية لوروده على القول بعموم الإسلام بل هو وارد على القائلين بإسلام من لم يتحقق له التصديق المذكور مع قطع النظر عن كونهم قائلين بعموم الإسلام او مساواته للإيمان واما الجواب فبالمنع من المنافات بين الحكمين ذلك لأنا نحكم بأن من لم يتحقق له التصديق المذكور كافر في نفس الأمر والحكم باسلامه انما هو في الظاهر فموضوع الحكمين مختلف فلا منافاة ثم قال المراد بالحكم باسلامه ظاهراً صحة ترتب كثير من الاحكام الشرعية على ذلك والحاصل ان الشارع جعل الاقرار بالشهادتين علامة على صحة اجراء اكثر الاحكام الشرعية على المقر كحل مناكحته والحكم بطهارته وحقن ماله ودمه وغير ذلك من الاحكام المذكورة في كتب الفروع وكان الحكمة في ذلك هو التخفيف عن المؤمنين لمسيس الحاجة الى مخالطتهم في اكثر الأزمنة والأمكنة واستمالة الكافر الى الاسلام فإنه اذا اكتفي في اجراء احكام المسلمين عليه ظاهرا بمجرد اقراره الظاهري ازداد ثباته ورغبته في الاسلام ثم يترقى في ذلك الى ان يتحقق له الإسلام باطنا ايضا (واعلم) ان جمعا من علماء الامامية حكموا بكفر اهل الخلاف والاكثر على الحكم باسلامهم فإن ارادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الامر لا في الظاهر فالظاهر ان النزاع لفظي اذ القائلون باسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحة جريان اكثر احكام المسلمين عليهم في الظاهر لانهم مسلمون في نفس الأمر ولذا نقلوا الاجماع على دخولهم النار وان ارادوا بذلك كونهم كافرين ظاهرا وباطنا فهو ممنوع ولا دليل عليه بل الدليل قائم على اسلامهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله انتهى وهو كلام جيد متين وجوهر ثمين جامع بين الاخبار الدالة على اسلامهم والاخبار الدالة على كفرهم وحينئذ فلا معنى للقول بخروجهم من النار في الآخرة والاخبار الواردة بكفرهم كثيرة لا تحصى ولو كانوا في الدنيا والآخرة في حكم المسلمين فأي فرق بينهم وبين فساق الشيعة واي فائدة فيما اجمع عليه الفرقة المحقة من كون الإمامة من اصول الدين

وقد روت العامة والخاصة متواترا أوقريبا منه قوله ﷺ من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية : ووردت اخبار متواترة انه لا يقبل عمل من الاعمال الا بالولاية

وفي الكافي : عن الحرث بن المغيرة في الصحيح قال قلت لأبي عبد الله (ع) قال رسول الله ﷺ من مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية قال نعم قلت جاهلية جهلاء او جاهلية لا يعرف امامه قال جاهلية كفر ونفاق وضلال

وعن الصادق (ع) قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم من ادعى امامة من الله ليست له ومن جحد إماما من الله ومن زعم ان لهما في الإسلام نصيبا

وعن حنان عن الصادق (ع) قال لا يبالي الناصب صلى ام زنا وهذه الآية نزلت فيهم (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) وعنه (ع) قال قال ابي كل ناصب وان تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) كل ناصب مجتهد فعمله هباء

وفي ثواب الأعمال عنه (ع) قال كل ناصب وان تعبد واجتهد يصير إلى هذه الغاية (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية)

وفي تفسير القمي عن الصادق (ع) قال من خالفكم وان عبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية)

وفي العيون عن المفضل عن الصادق (ع) عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ لما اسري بي إلى السماء اوحى الي ربي جل جلاله وساق الحديث في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) إلى ان قال يامحمد لو ان عبدا عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم اتاني جاحدا لولايتهم ما اسكنته جنتي ولا اظللته تحت عرشي الخبر

وفي تفسير العسكري في قوله تعالى (بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قال السيئة المحيطة به ان تخرجه عن جملة دين الله وتنزعه عن ولاية الله وتؤمنه من سخط الله وهي الشرك بالله والكفر به والكفر بنبوة محمد والكفر بولاية علي بن ابي طالب وخلفائه كل واحدة من هذه سيئة تحيط به اي تحيط بأعماله فتحبطها وتمحقها فأولئك عاملوا هذه السيئة المحيطة اصحاب النار هم فيها خالدون

وفي الكافي عن ابي حمزة عن احدهما (ع) في الآية قال إذا جحد امامة امير المؤمنين فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

وفي تفسير العياشي عن جابر قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) قال فقال هم اولياء فلان وفلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس اماما فذلك قال الله تبارك وتعالى (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا إلى قوله وما هم بخارجين من النار) قال ثم قال (ع) هم والله ياجابر أئمة الظلم واتباعهم

وفي الصحيح عن الباقر (ع) من اصبح من هذه الامة لا امام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالا تائها وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق

وأعلم أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا واضلوا فأعمالهم التي يعملونها (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شيء مما كسبوا ذلك هو الضلال البعيد)

وعن الصادق (ع) في قوله تعالى (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) الآية قال (ع) إنما عنى بذلك انهم كانوا على نور الاسلام فلما ان تولوا كل امام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم اياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله له النار مع الكفار (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

وقد ورد في الناصب ما ورد من خلوده في النار وقد روي بأسانيد كثيرة عنهم (ع) لو ان كل ملك خلقه الله عز وجل وكل نبي بعثه الله وكل صديق وكل شهيد شفعوا في ناصب لنا اهل البيت ان يخرجه الله عز وجل من النار ما اخرجه الله ابدا وان الله عز وجل يقول في كتابه (ما كثين فيه ابدا)

وقد روي بأسانيد معتبرة عن ابي عبد الله (ع) قال ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلا يقول انا ابغض محمدا وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم انكم تتولونا وتتبرأون من عدونا وعدائكم من شيعتنا والأخبار في ذلك كثيرة قد ذكرنا جملة منها في شرحنا على المفاتيح نعم لا ريب ولا شبهة في أن الشيعة من سالف الزمان الى هذا اليوم كانوا مستمرين على معاشرتهم ومساورتهم ومناكحتهم وموارثتهم وقد أقرهم الأئمة على ذلك بل الأئمة كانوا على ذلك فهم في الدنيا تجري عليهم احكام الإسلام كما ذكره الشهيد وأشار اليه المفيد والله العالم بالحال

وأما اصحاب الكبائر من الإمامية فلا خلاف في انهم لا يخلدون في النار وأما انهم هل

يدخلون النار ام لا فالاخبار فيهم مختلفة اختلافا كثيرا ولا يخفى ما في التبهيم والابهام من الحكم الكثيرة ففي تفسير فرات بن ابراهيم عن ميسرة عن الرضا (ع) قال والله لا يرى في النار منكم اثنان ابدا والله ولا واحد قال قلت اصلحك الله اين هذا في كتاب الله قال في سورة الرحمن وهو قوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه منكم إنس ولا جان) قال قلت ليس فيها منكم قال بلى والله انه لمثبت فيها وان أول من غير ذلك لابن اروى اي عثمان بن عفان وذلك لكم خاصة ولو لم يكن فيها منكم لسقط عقاب الله عن الخلق

وفي الكافي عن ميسرة قال دخلت على ابي عبد الله (ع) فقال كيف اصحابك فقلت جعلت فداك لنحن عندهم أشد من اليهود والنصارى والمجوس والذين اشركوا فقال أما والله لا يدخل النار منكم اثنان لا والله ولا واحد والله انكم الذين قال الله تعالى فيهم (وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار) ثم قال طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم احدا وورد في اخبار كثيرة ان الشيعة من شايع عليا (ع) في اعماله وان الإيمان مركب من القول والعمل

وعن الصادق (ع) انه ليس من شيعتي إلا من اعف بطنه وفرجه عن الحرام واجتهد وسعى في الطاعة والعمل الخالص لله — وفي الكافي عن جابر عن الباقر (ع) قال قال لي يا جابر يكتفي من انتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس الا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الاشياء قال جابر فقلت يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احدا بهذه الصفة فقال يا جابر لا تذهب بك المذاهب حسب الرجل ان يقول أحب عليا وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا فلو قال إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئا فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد إلى الله تعالى واكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب الى الله تعالى الا بالطاعة ما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة من كان لله مطيعا فهو لنا ولي ومن كان لنا عاصيا فهو لله عدو وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع

وعن المفضل عن الصادق (ع) قال إياك والسفلة فإنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجى ثوابه وخاف عقابه فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر

وعن جابر عن الباقر (ع) قال انما شيعة علي الحلماء العلماء الذبل الشفاه تعرف الرهبانية على وجوههم

وعن الصادق (ع) شيعتنا السائحون الذابلون الناحلون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بحزن

وعنه (ع) قال شيعتنا أهل الهدى وأهل التقوى وأهل الخير وأهل الإيمان وأهل الفتح وأهل الظفر

وعن الباقر (ع) قال ليس من شيعتنا إلا من أطاع الله وورد انه لا تدركم شفاعتنا حتى تكونوا كالفحمة السوداء والأخبار في ذلك كثيرة فينبغي للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء

الفصل التاسع عشر

فيما يكون بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

روى الصدوق في الخصال والعياشي في تفسيره عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه ثم خلق الله عز وجل أباهذا البشر وخلق ذريته منه ولا والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من ارواح الكفار والعصاة منذ خلقها عز وجل لعلكم ترون انه إذا كان يوم القيامة وصير الله ابدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار ان الله تبارك وتعالى لم يعبد في بلاده ولا يخلق خلقا يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ويخلق لهم أرضا تحملهم وسماء تظلهم أليس الله عز وجل يقول (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) وقال الله عز وجل (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد)

وفي الخصال بسند معتبر عن جابر بن يزيد قال سألت ابا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) فقال يا جابر تأويل ذلك ان الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد خلقا من غير فحولة ولا اناث يعبدونه ويوحدونه وخلق

لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى ان الله عز وجل انما خلق هذا العالم الواحد وترى ان الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى الف الف عالم والف الف آدم وانت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين ويمكن الجمع بين هذا الخبر وسابقه بحمل السبعة على الأنواع وهذا على الأشخاص ومضمون هذين الخبرين مذكور في كتب اساطين المحدثين ولم يتعرض أحد من المتكلمين لذلك بنفي ولا اثبات وادلة العقل ان لم تعضده لا تنفيه فينبغي التسليم الا ان الأخبار الواردة في ذلك لم تصل إلى حد يوجب القطع فينبغي ايكال العلم إلى الله ويعضدها مارواه ابو خالد القماط قال قلت لأبي عبد الله (ع) ويقال لأبي جعفر إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار فمه قال فقال أبو جعفر ان أراد أن يخلق الله خلقا يخلق لهم دنيا يردهم إليها فعل ولا أقول لك انه يفعل وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فمه فقال ما ازعم لك انه تعالى يخلق خلقا يعبدونه ويفهم من سياقهما ان الله تعالى يخلق خلقا آخر ولكن الإمام (ع) لم يصرح بذلك تقية وخوفا من التشنيع

خاتمة فيها مباحث

المبحث الاول

في التوبة وفيها فصول

الفصل الاول

في حقيقتها وهي عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة امور مرتبة أولها العلم وثانيها الحال وثالثها الفعل والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث والمراد بالعلم معرفة ضرر الذنوب وانها السموم المهلكة المفوتة لحياة الأبد الحاجبة للعبد عن محبوبه من السعادة الأبدية ثم يحصل من هذا العلم حال وهو ان يثور من هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم وينبعث من هذا الألم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصد إلى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذي كان له ملابسا وبالاستقبال بالعزم على ترك الذنب المفوت

للمحبوب إلى آخر العمر وبالماضي يتلافى ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر والعلم الاول هو مطلع هذه الخيرات وهو عبارة عن الإيمان والتصديق بأن الذنوب سموم مهلكة فاذا اشرق على القلب ثار الندم الباعث على ما تقدم و كثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم الندم توبة إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه

قال العلامة في شرح التجريد التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لأن ترك العزم يكشف عن نفي الندم

﴿الثاني﴾ في وجوبها وفضلها: — لا ريب في وجوب الاحتراز عن الأمراض والمهالك المفوتة لحياة الجسد عقلا وشرعا فوجوب الاحتراز عن امراض الذنوب ومهلكات الخطايا المفوتة لحياة الأبد بطريق اولى وقال تعالى (توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) والنصوح الخالص لله الخالي عن الشوائب وقال تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وعن الباقر (ع) ان الله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها وعن الصادق (ع) ان الله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح احدكم بضالته إذا وجدها وعنه (ع) في قوله تعالى توبوا إلى الله توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه أبدا قيل وأينا لم يعد قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني كثير الذنب كثير التوبة وعنه (ع) إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله وستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض ان اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب : — وعن الباقر (ع) التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو يستغفر منه كالمستهزئ : — وقال المحقق الطوسي في التجريد التوبة واجبة لدفعها الضرر واوجوب الندم على كل قبيح واخلال بواجب

وقال العلامة (ره) في شرحه وهي واجبة بالاجماع لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى انها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر والمظنون فيها ذلك ولا تجب من الصغائر المعلوم

انها صغائر وقال آخرون انها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل وقال آخرون انها تجب من كل صغيرة وكبيرة من المعاصي ﴿ اقول ﴾ الأظهر انها انما تجب لما لم يكفر من الذنوب كالكبائر والصغائر التي أصر عليها لكونها ملحقة بالكبائر فأما مع اجتناب الكبائر فهي مكفرة اذا لم يصر عليها لا تحتاج إلى التوبة

﴿ الثالث ﴾ في فوريتها:-- لا ينبغي ان يرتاب في ذلك إذ دفع ضرر الذنوب فوزي وجوبه على ان اصل التوبة هو معرفة كون المعاصي مهلكات وهذا العلم من نفس الإيمان وهو واجب فوري والعلم بضرر الذنوب انما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن إذ ليس المراد نفي الإيمان بالله وصفاته وكتبه ورسله وملائكته بل نفي الإيمان بكون الزنا مبعداً عن الله وموجبا للمقت كما إذا قال الطبيب للمريض هذا سم فلا تتناوله فإذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن أي بكونه سما مهلكا لا انه غير مؤمن بوجود الطبيب لأن العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحداً بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها الشهادتان وأدناها اماطة الأذى عن الطريق وقد صرح المعتزلة بفورية الوجوب حتى قالوا يلزم بتأخيرها ساعة اثم آخر تجب التوبة منه أيضا حتى ان من أخر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين وساعتين أربع كبائر الاولتان وترك التوبة عن كل منهما وثلاث ساعات ثمان كبائر وهكذا والاصحاب لم يذكروا هذا التفصيل ولكن وافقوهم في الفورية

﴿ الرابع ﴾ في عمومها:-- اعلم ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والأحوال فلا ينفك عنه احد البتة كما قال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا فعمم الخطاب وكل انسان لا يخلو عن معصية الا ان الأنبياء والأوصياء ذنوبهم ليست كذنوبنا وإنما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات ولذا ورد ان حسنات الأبرار سيئات المقربين وقال الصادق (ع) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة وفي حديث سبعين مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياءه بالمصائب ليؤجرهم عليها من غير ذنب أي كذنوبنا فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله وهذا باب شريف ينفتح منه معنى اعتراف الانبياء والائمة بذنوبهم وبكائهم وتضرعهم فان قلوبهم لنهاية صفائها ونورانيتها يؤثر فيها الاشتغال بالمباحات والغفلة عن الذكر والفكر بالتوجه إلى هذا العالم فيعدون ذلك معصية بالنسبة اليهم يستغفرون الله منها

﴿ الخامس ﴾ في قبولها وسقوط العقاب بها: — اعلم ان سقوط العقاب بالتوبة مما اجمع عليه أهل الاسلام وانما الخلاف في انه هل يجب على الله تعالى حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلما أو هو تفضل بفعله سبحانه كرما منه ورحمة بعباده فالمعتزلة على الأول والاشاعرة على الثاني وإلى الثاني ذهب شيخ الطائفة في كتاب الاقتصاد والعلامة في بعض كتبه الكلامية وتوقف المحقق الطوسي (ره) في التجريد وما اختاره الشيخ والعلامة هو الظاهر من الاخبار وادعية الصحيفة وهو الذي اختاره امين الاسلام الطبرسي ونسبه الى اصحابنا ولم نقف على دليل معتد به للوجوب وكيف كان فالقبول مع الشرائط مما لا ريب فيه قال تعالى (ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم) وقال في مواضع ان الله هو التواب الرحيم وقال تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وقال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب وقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات

و في الكافي بسند كالصحيح عن الباقر (ع) والصادق (ع) قال ان آدم قال يا رب سلطت علي الشيطان واجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا فقال يا آدم جعلت لك ان من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتب له حسنة وان هو عملها كتبت له عشرا قال يا رب زدني قال جعلت لك ان من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه قال يا رب حسبي وعن الصادق (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ثم قال ان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ثم قال ان الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ثم قال ان اليوم لكثير من تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته : — وفي الفقيه سئل الصادق (ع) عن قول الله عز وجل (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن) قال ذلك إذا عاين امر الآخرة

وفي ثواب الأعمال عن الصادق (ع) قال أوحى الله إلى داود يا داود ان عبدي

المؤمن إذا أذنب ذنبا ثم تاب ورجع من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره غفرت له وانسيته الحفظة وابدلته الحسنة ولا أبالي وانا أرحم الراحمين

وباسناده عن امير المؤمنين(ع) قال من تاب تاب الله عليه وامرت جوارحه ان تستر عليه وبقاع الأرض ان تكتم عليه وأنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه

وفي الكافي عن محمد بن مسلم عن الباقر(ع) قال يا محمد ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست إلا لأهل الإيمان قلت فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله تعالى منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فان فعل ذلك مرارا بذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فإياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله

وعن الصادق (ع) قال العبد المؤمن إذا أذنب ذنبا اجله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه وان مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه السيئة وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له وان الكافر لينساه من ساعته

قال بعض المحققين إذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الأصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلمة المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليالي مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم تنظفه وتطهره وتزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول فعلى الإنسان التزكية والتطهير وعلى الله القبول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه ومثال ذلك ان تتراكم

الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب مالم يغير صفته باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه

﴿ السادس ﴾ في تقسيم الذنوب التي يتاب منها:— تنحصر جميع الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية لكون طينة الإنسان معجونة من اخلاط مختلفة يقتضي كل منها أثراً ﴿ فالربوبية ﴾ كالكبر والفخر والتجبر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء ونحوها وهذه ام المهلكات ﴿ والشيطانية ﴾ كالحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر والغش والشقاق والدعوة إلى البدع والضلالة ﴿ والبهيمية ﴾ كالشره والتكالب والحرص والزنا واللواط والسرقة وأكل مال الايتام ونحوها ﴿ والسبعية ﴾ يتشعب منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ونحوها فهذه امهات الذنوب ومنابعها وتتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والدعة والنفاق واضمار السوء وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن وتنقسم قسمة ثانية الى ما بين العبد وبين الله وإلى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كتركه الصلاة والصوم ونحوها وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتل النفس وغصب الاموال وشتم العرض

وقال العلامة (ره) التوبة اما ان تكون من ذنب يتعلق به تعالى خاصة أو يتعلق به حق الآدمي والأول اما ان يكون عن فعل قبيح كشرب الخمر والزنا أو اخلالا بواجب كترك الزكاة والصلاة فالأول يكفي في التوبة منه الندم عليه والعزم على ترك العود اليه واما الثاني فتختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعية فمنه ما لا بد مع التوبة عن فعله اداء كالزكاة ومنه ما يجب معه القضاء كالصلاة ومنه ما يسقط ان عنه كالعيدين وهذا الأخير يكفي فيه الندم والعزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح وأما ما يتعلق به حق الآدمي فيجب فيه الخروج اليهم منه فان كان اخذ مال وجب رده على مالكه او ورثته ان مات ولو لم يتمكن من ذلك وجب العزم عليه وكذا ان كان حد قذف وان كان قصاصا وجب الخروج اليهم منه بأن يسلم نفسه إلى اولياء المقتول فاما ان يقتلوه او يعفو عنه بالدية او بدونها وان كان في بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقتص منه في ذلك العضو إلى المستحق من المجني عليه

أو الورثة وان كان اضلالا وجب ارشاد من أضله ورجوعه مما اعتقد بسببه من الباطل ان أمكن ذلك واعلم ان هذه التوابع ليست أجزاء من التوبة فان العقاب سقط بالتوبة ثم ان قام المكلف بالتبعات كان ذلك اتماما للتوبة من جهة المعنى لأن ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب للتوبة عما تاب منه بل يسقط العقاب ويكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزمه التوبة منها نعم التائب إذا فعل التبعات بعد إظهار توبته كان ذلك دلالة على صدق الندم وان لم يقم بها أمكن جعله دلالة على عدم صحة الندم ثم قال (ره) المغتاب اما ان يكون قد بلغه اغتيابه أولا ويلزم الفاعل للغيبة في الأول الاعتذار منه اليه لأنه أوصل اليه ضرر الغم فوجب عليه الاعتذار منه والندم عليه وفي الثاني لا يلزمه الاعتذار ولا الاستحلال منه لأنه لم يفعل به ألما وفي كلا القسمين يجب الندم لله تعالى لمخالفة النهي والعزم على ترك المعاودة انتهى

﴿ أقول ﴾ وتنقسم الذنوب قسمة أخرى إلى كبائر وصغائر ومن ذهب من الاصحاب إلى ان الذنوب كلها كبائر وانها انما تسمى صغائر بالنسبة إلى ما هو اكبر منها فهو بعيد عن الآيات والأخبار كما ستعرفه ان شاء الله وقد اختلف العلماء والاخبار في تعيين الكبائر وعددها وفي هذا الابهام حكم لا تخفى فقيل بأن الكبائر كل ذنب توعد الله عليه العقاب في القرآن وقيل كل ذنب قرر له الشارع حدا معينا أو توعد عليه بالعقاب وقيل كل ذنب يشعر بعدم اعتناء فاعله ومبالاته بالدين وقيل كل ذنب دل الدليل القطعي على حرمته وقيل كل ذنب توعد الشارع عليه بالعقاب في الكتاب أو السنة وقيل انها سبع الشرك بالله وجميع الاعتقادات الفاسدة المخلة بالإيمان وقتل النفس المحترمة ورمي المحصنة وأكل مال اليتيم ظلما والزنا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وزاد بعضهم على هذه ثلاثة عشر اللواط والسحر والربا والغيبة واليمين الفاجرة وشهادة الزور وشرب المسكر والاستخفاف بالكعبة المعظمة والسرقة ونقض البيعة والتعرب بعد الهجرة واليأس من رحمة الله والأمن من عذاب الله وزاد بعضهم على ذلك اربعة عشر أخرى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وأكل ما ذبح لغير الله من غير ضرورة وأخذ الرشا والقمار والبخس في الكيل والوزن واعانة الظالمين على ظلمهم وحبس حقوق الناس من غير عذر والإسراف في المال وصرفه في الحرام والخيانة في أموال الناس والإشتغال بالملاهي والإصرار على المعاصي وعن ابن عباس انها إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع والذي يظهر من اكثر الأخبار المعتبرة ان الكبيرة ما توعد الله في القرآن على فاعلها بالنار أو ما هدد عليها

تهديدا عظيما وترك الفرائض المعلوم وجوبها من القرآن كالصلاة والصوم والحج والزكاة وهذا هو الأظهر من أكثر الأخبار ويظهر من بعضها انها ما توعد على فاعلها في القرآن أو السنة المتواترة أو هدد تهديدا عظيما يستلزم العقاب وقيل في السنة المعلومة وان لم تكن متواترة ولنذكر الاخبار الواردة في ذلك مستقصاة ليحمل مجملها على مفصلها ومطلقها على مقيدها (فمنها) ما رواه في الكافي عن ابي بصير عن الصادق (ع) في قوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) قال معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار وعن الحلبي عنه (ع) في قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) قال الكبائر التي أوجب الله عليها النار : وفي ثواب الأعمال عن محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) في الآية قال من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمنا كفر الله عنه سيئاته : وعن احمد بن النضر قال سألت أبا جعفر (ع) عن الكبائر قال كل شيء أوعد الله عليه النار : وفي الكافي عن ابن محبوب قال كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن (ع) يسأله عن الكبائر كم هي وما هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين وأكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعن عبد العظيم الحسني قال حدثني ابو جعفر الثاني (ع) قال سمعت أبي يقول سمعت موسى بن جعفر (ع) يقول دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله (ع) فلما سلم وجلس تلى هذه الآية (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) ثم امسك فقال له ابو عبد الله (ع) ما اسكتك قال أحب ان أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل فقال نعم يا عمرو أكبر الكبائر الإشراك بالله يقول الله تعالى (من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) وبعده الأياس من روح الله لأن الله يقول (ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ثم الأمن لمكر الله لأن الله عز وجل يقول (لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ومنها عقوق الوالدين لأن الله سبحانه جعل العاق جباراً شقيا وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأن الله عز وجل يقول (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) إلى آخر الآية وقذف المحصنة لأن الله عز وجل يقول (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) وأكل مال اليتيم لأن الله عز وجل يقول (انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) والفرار من الزحف لأن الله عز وجل يقول (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس

المصير) وأكل الربا لأن الله عز وجل يقول (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) والسحر لأن الله عز وجل يقول (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) والزنى لأن الله عز وجل يقول (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عز وجل يقول (الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) والغلول لأن الله يقول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) ومنع الزكاة المفروضة لأن الله يقول (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأن الله عز وجل يقول (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وشرب الخمر لأن الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان وترك الصلاة متعمدا أو شيئا مما فرض الله عز وجل لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله عز وجل يقول (لهم اللعنة ولهم سوء الدار) قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم : وعن عبيد بن زرارة قال سألت أبا عبد الله (ع) عن الكبائر فقال هن في كتاب علي (ع) سبع الكفر بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وأكل الربا بعد البينة وأكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة قال فقلت هذا أكبر المعاصي فقال نعم قلت فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة قال ترك الصلاة قلت فما عددت ترك الصلاة في الكبائر قال أي شيء أول ما قلت لك قلت الكفر قال فان تارك الصلاة كافر يعني من غير علة : وعن محمد بن مسلم عن الصادق (ع) قال الكبائر سبع قتل المؤمن متعمدا وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا بعد البينة وكل ما اوجب الله عليه النار : وعن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) قال ان من الكبائر عقوق الوالدين واليأس من روح الله والأمن من مكر الله قال وقد روي اكبر الكبائر الشرك بالله : وعنه (ع) قال الكبائر القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وقتل النفس التي حرم الله وعقوق الوالدين وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا بعد البينة والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة والفرار من الزحف : وعن ابي بصير عنه (ع) قال الكبائر سبع منها قتل النفس متعمدا والشرك بالله العظيم وقذف المحصنة وأكل الربا بعد البينة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وعقوق الوالدين وأكل

مال اليتيم ظلما قال والتعرب والشرك واحد وفي رواية والذي إذا دعاه ابوه لعن اباه والذي إذا اجاء به ابنه يضربه وعن ابي الصامت عن الصادق(ع) قال اكبر الكبائر سبع الشرك بالله العظيم وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل أموال اليتامى وعقوق الوالدين وقذف المحصنات والفرار من الزحف وانكار ما أنزل الله عز وجل وفي كتاب علي بن جعفر عن اخيه موسى(ع) قال سألته عن الكبائر التي قال الله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) قال التي اوجب الله عليها النار : وروى الصدوق في الفقيه والخصال والعلل عن الصادق(ع) قال ان الكبائر سبع فينا انزلت ومنا استحلت فأولها الشرك بالله العظيم وقتل النفس التي حرم الله وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين وقذف المحصنة والفرار من الزحف وانكار حقنا : وروي ان الحيف في الوصية من الكبائر وعن عباد بن كثير قال سألت ابا جعفر عن الكبائر فقال كلما اوعد الله عليه النار : وعن ابي خديجة عن الصادق (ع) قال الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الاوصياء من الكبائر قال وقال رسول الله من قال عليّ ما لم اقل فليتبوء مقعده من النار : وفي العلل والخصال مسندا عن الصادق(ع) قال وجدنا في كتاب علي (ع) الكبائر خمسة الشرك وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وعن عبيد بن زرارة قال قلت لأبي عبد الله (ع) اخبرني عن الكبائر فقال هي خمس وهن ما اوجب الله عليهن النار قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به) وقال (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار) وقال عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات وقتل مؤمن متعمدا على دينه وفي ثواب الأعمال عن الحلبي عن الصادق(ع) في قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) الآية قال من اجتنب ما اوعد الله عليه النار إذا كان مؤمنا كفر عنه سيئاته وادخله مدخلا كريما والكبائر السبع الموبقات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين واكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف : وفي العيون عن الرضا (ع) في كتابه إلى المأمون قال الإيمان هو اداء الأمانة واجتناب جميع الكبائر وهو معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالأركان إلى ان قال واجتناب الكبائر وهي قتل النفس التي حرم الله والزنا والسرقة وشرب الخمر وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل مال اليتيم ظلما وأكل الميتة

والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة وأكل الربا بعد البينة والسحت والميسر وهو القمار والبخس في المكيال والميزان وقذف المحصنات والزنى واللواط واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ومعونة الظالمين والركون اليهم واليمين الغموس وحبس الحقوق من غير عسر والكذب والكبر والاسراف والتبذير والخيانة والاستخفاف بالحج والمحاربة لأولياء الله والاشتغال بالملاهي والاصرار على الذنوب : وفي الخصال عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له ما لنا لا نشهد على من خالفنا بالكفر وبالنار ولا نشهد لأنفسنا ولأصحابنا انهم في الجنة قال من ضعفكم ان لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا انكم في الجنة قلت فأي شيء الكبائر قال أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة والفرار من الزحف واكل مال اليتيم ظلما والربا بعد البينة وقتل المؤمن قلت له الزنا والسرقة قال ليس من ذلك : وعن الأعمش عن الصادق (ع) في حديث شرائع الدين قال والكبائر محرمة وهي الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا بعد البينة وقذف المحصنات وبعد ذلك الزنا واللواط والسرقة وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة وأكل السحت والبخس في الميزان والمكيال والميسر وشهادة الزور واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله وترك معاونة المظلومين والركون إلى الظالمين واليمين الغموس وحبس الحقوق من غير عسر واستعمال التكبر والتجبر والكذب والاسراف والتبذير والخيانة والاستخفاف بالحج والمحاربة لأولياء الله والملاهي التي تصد عن ذكر الله مكروهة كالغنا وضرب الأوتار والإصرار على صغائر الذنوب والكراهة في آخره محمولة على التحريم كما ورد ذلك في كثير من الأخبار : وفي كنز الفوائد للكراجكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبائر تسع أعظمهن الاشراك بالله عز وجل وقتل النفس المؤمنة وأكل الربا واكل مال اليتيم وقذف المحصنات والفرار من الزحف وعقوق الوالدين واستحلال البيت الحرام والسحر فمن لقي الله عز وجل وهو بريء منهن كان معي في جنة مصاريعها الذهب ورواه الطبرسي في مجمع البيان الا انه قال سبع وترك الأخيرتين

﴿ أقول ﴾ هذا ما وقفنا عليه من الاخبار والجامع بينها ان الكبائر ما توعد عليها بالنار والعقاب والتفصيل فيه بيان واختلافها في العدد امر اضافي فأعظمها الخمس ثم السبع

وهكذا من ترك جميع ما نص عليه في هذه الأخبار فقد أخذ بالحزم وفقنا الله لذلك وسائر المؤمنين

﴿ التاسع ﴾ في بيان ما تعظم به الصغائر وتكون كبائر : اعلم ان الصغيرة تكبر بأسباب

﴿ الأول ﴾ الاصرار والمواظبة ففي الكافي عن عبد الله بن سنان عن ابي عبدالله (ع) قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وعن ابي بصير عنه (ع) قال لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شيء من معاصيه : وعن السكوني عن الصادق (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص في طلب الدنيا والاصرار على الذنب وعن جابر عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار وقد مثلوا لذلك بالقطرات من الماء تقع على الحجر متوالية فتؤثر فيه اكثر مما لو صب عليه ذلك الماء دفعة

﴿ الثاني ﴾ ان يستصغر الذنب ويستحقره فان استعظام الذنب يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره واستحقاره يصدر عن الألفة به وذلك يوجب شدة الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة وقد روي ان المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره ففي الكافي عن زيد الشحام عن الصادق (ع) قال اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قلت وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي إن لم يكن لي غير ذلك وعن سماعة عن ابي الحسن (ع) قال لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان قليل الذنوب تجمع حتى تكون كثيرا : وعن الصادق (ع) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه آتوا بحطب فقالوا يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب فقال فليأت كل انسان بما قدر عليه فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال صلى الله عليه وآله وسلم هكذا تجمع الذنوب ثم قال اياكم والمحقرات من الذنوب فان لكل شيء طالبا الا وان طالبها يكتب (ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وعن ابي بصير عن الباقر (ع) قال اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالبا الحديث وفي النهج عن امير المؤمنين (ع) قال أشد الذنوب ما استهان به صاحبه وقال (ع) أشد الذنوب ما استخف به صاحبه

﴿ الثالث ﴾ السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة وكلما غلبت حلاوة الصغيرة كبرت وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح ويقول المناظر في مناظرته أما رأيتني كيف فضحته والذنوب مهلكات ينبغي ان يكون مرتكبها في حزن وتأسف بسبب غلبة عدوه الشيطان عليه والمريض الذي يفرح بأن ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه ففي عقاب الأعمال عن الصادق (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من اذنب ذنبا وهو ضاحك دخل النار وهو باك

﴿ الرابع ﴾ ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله إياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور كما قال تعالى (ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير)

﴿ الخامس ﴾ ان يأتي بالذنب ويظهره بأن يذكره بعد اتيانه أو يأتي به في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه وحمله عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر وذلك لأن من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وفي الكافي عن الرضا (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له وقال الصادق (ع) من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه فنحوه

﴿ السادس ﴾ ان يكون المذنب عالما يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم والذهب وركونه إلى الظالمين واطلاقه اللسان في الغيبة واعراض الناس ونحو ذلك فهذه ذنوب يتبع العالم فيها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم مدداً متطاولة فطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا وقال تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) قيل الآثار ما تلحق الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل ولهذا قيل مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها

الفصل الثامن

في تجزئة التوبة وتبعيضها

وقد اختلف في جواز ذلك وصحته وعدمه والأول أقوى لعموم النصوص وضعف المعارض وبه صرح المحقق الطوسي (ره) والعلامة (ره) وملخص الكلام في ذلك ان التوبة عن بعض الذنوب اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر أو بالعكس أو عن كبيرة دون كبيرة (أما الأول) فهو ممكن للعلم بأن الكبائر أعظم عند الله واجلب لسخطه ومقته والصغائر أقرب الى تطرق العفو وقد كثر التائبون ولم يكن احد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيراً أخف منه على وجه يظهر منه عدم ظهور آثاره (وأما القسم الثاني) فهو ممكن ايضا لاعتقاد ان بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن النهب والقتل والظلم ومظالم العباد لعلمه بأن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يسرع العفو اليه ﴿الثالث﴾ ان يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم وهو مصر على شرب الخمر وهو ممكن إذ ما مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قوياً ولكي تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجوداً ولكي لا يكون العزم قويا عليه ويقول لله علي أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وأناملي في احدهما بقهر الشيطان عاجزعنه في الآخر فأقهره بما أقدر عليه وأرجوه بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي وهذا حال كل مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم عن كل ذنب وقال صلى الله عليه وآله وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها ويدل على تجزئة التوبة ان الكافر إذا تاب عن كفره واسلم وهو مقيم على الذنب اما ان يحكم باسلامه وتقبل توبته من الكفر أولا والثاني خرق الاجماع لاتفاق المسلمين على اجراء حكم المسلم عليه والأول هو المطلوب

الفصل التاسع

قال المحقق الطوسي (ره) في التجريد في ايجاب التفصيل مع الذكر اشكال وقال العلامة (ره)

ذهب قاضي القضاة الى ان التائب ان كان عالما بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كل واحدة منها مفصلا وان كان يعلمها على الاجمال وجب عليه التوبة كذلك مجملا وان كان يعلم بعضها على التفصيل وبعضها على الاجمال وجب عليه عن المفصل بالتفصيل وعن المجمل بالإجمال واستشكل المصنف ايجاب التفصيل مع الذكر لامكان الاجتزاء بالندم على كل قبيح وقع منه وان لم يذكره مفصلا ثم قال المحقق الطوسي (قده) وفي وجوب التجديد اشكال قال العلامة (ره) إذا تاب المكلف عن معصيته ثم ذكرها هل يجب عليه تجديد التوبة قال ابو علي نعم بناء على ان المكلف القادر بقدرة لا ينفك عن الضدين إما الفعل او الترك فعند ذكر المعصية إما ان يكون نادما عليها او مصرا عليها والثاني قبيح فيجب الأول وقال ابو هاشم لا يجب لجواز خلو القادر بقدرة عنهما ثم قال المحقق الطوسي (ره) وكذا المعلول مع العلة قال الشارح إذا فعل المكلف العلة قبل وجود المعلول هل يجب عليه الندم على المعلول او على العلة او عليهما مثاله الرامي إذا رمى قبل الاصابة قال الشيوخ يجب عليه الندم على الإصابة لأنها هي القبيح وقد صارت في حكم الموجود لوجوب حصوله عند حصول السبب وقال القاضي يجب عليه ندمان احدهما على الرمي لأنه قبيح والثاني على كونه مولدا للقبيح ولا يجوز ان يندم على المعلول لأن الندم على القبيح انما هو لقبحه وقبل وجوده لا قبح انتهى

الفصل العاشر

اعلم ان العزم على عدم العود الى الذنب فيما بقي من العمر لا بد منه في التوبة وهل امكان صدوره منه في بقية العمر شرط حتى لو زنا ثم جب وعزم على ان يعود الى الزنا على تقدير قدرته لم تصح توبته ام ليس بشرط فتصح الاكثر على الثاني بل نقل بعض المتكلمين اجماع السلف عليه ويدل عليه عموم الآيات والاخبار ورفع الحرج والشريعة السهلة السمحة واولى من هذا بصحة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنه الموت فيه وأما التوبة عند حضور الموت وتيقن الفوت والمعاينة لموضعه في الآخرة فقد انعقد الاجماع على عدم صحتها ويدل عليه جملة من الآيات والاخبار

الفصل الحادي عشر في اقسام العباد في التوبة

قال بعض العارفين هم طبقات (الطبقة الأولى) أن يتوب العاصي ويستقيم إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر

عنها في العادة وهي التوبة النصوح (الطبقة الثانية) تائب سالك طريق الاستقامة في امهات الطاعات و كبائر الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجديد قصد ولكن يبتلي بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه إذا أقدم لام نفسه وندم وجدد عزمه على عدم العود وهذه رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الأولى وهي أغلب احوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه قال تعالى (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) وفي الحديث خياركم كل مفتن تواب وفي الرواية المؤمن كالسنبلة تفيء أحيانا وتميل أحيانا (الطبقة الثالثة) أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من السيئات مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يودّ قمعها ويقول ليتني لم أفعل وسأتوب ولكنه يسوّف نفسه في التوبة يوما بعد يوم قال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) فهو مرجو عسى الله أن يتوب عليه إذا تاب (الطبقة الرابعة) أن يتوب ويستقيم مدة ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع الشهوات فهذا اقبح حال التائبين فأمره في مشيئة الله تعالى

الفصل الثاني عشر في العلاج للاقبال على التوبة

وهي اربعة أمور ﴿ الأول ﴾ أن ينظر إلى الآيات والأخبار المخوفة للمذنبين والعاصين وما فيها من التهديد والوعيد على العقاب الشديد والعذاب الأكيد ففي بعض الاخبار من طرق الجمهور عن النبي ﷺ قال ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعلموا بما علموا تابوا مما عملوا ﴿ الثاني ﴾ حكايات المذنبين التائبين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم ﴿ الثالث ﴾ أن يتصور المذنب أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كلما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناية صدرت منه قال تعالى

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) وقال الصادق (ع) في هذه الآية ليس من التواء عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ولا خدشة عود إلا بذنب وفي رواية أخرى أما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) قال وما يعفو الله عنه اكثر مما يؤاخذ به وقال (ع) ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في اللحم ❋ الرابع ❋ ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد والحقد وهو مما لا يمكن حصره وقد ذكرنا جملة وافية وبلغة شافية من ذلك في كتابنا « نهج السالكين وزاد العارفين » في الأخلاق وفي الحديث يقول الله تعالى أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي وقال (ع) من همّ بالسيئة فلا يعملها فإنه ربما عمل العبد سيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً وقال الكاظم (ع) حق على الله أن لا يعصى في دار إلا اضحاها للشمس حتى يطهرها وقال رسول الله ﷺ ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر إلى ازواجه في الجنة يتنعمن وقال امير المؤمنين (ع) لقائل بحضرته استغفر الله ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان (أولها) الندم على ما مضى (والثاني) العزم على ترك العود اليه أبدا (والثالث) أن تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة (والرابع) أن تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها (والخامس) أن تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد (والسادس) ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله

الفصل الثالث عشر

في الاشارة الى جملة من اصناف المعاصي مما نص عليه في الكتاب او السنة المعلومة سوى ما تقدم

اعلم ان المعصية تنقسم الى ما هو معصية بأصل الشرع كشرب الخمر والزنا وإلى ما يصير معصية بالنية والعزم كالأكل للتقوي على المعصية مثلا وتنقسم تارة الى معصية الجوارح كما ذكر والى معصية القلوب كالحسد وحب الجاه والرياسة ونحوها وينقسم كل منهما الى الكبائر والصغائر كما

عرفت (ومما) أوعد الله عليه النار والعذاب تحليل الحرام وتحريم الحلال ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها و كتمان الحق والرشا في الكتمان والوقوف في بلاد الكفر بعد التمكن من الخروج ومشاقة الرسول ومتابعة غير سبيل المؤمنين والاستكبار عن عبادة الله وقطع الطريق وتحريف الكلم عن مواضعه وتكذيب آيات الله ونقض العهد وقطع الرحم واتخاذ البنات لله والاشراك به سبحانه والارتداد بعد الإيمان والافتراء على الله وإيذاء الرسول والمؤمنين وابطال آيات الله والإعراض عنها والتخلف عن الجهاد الى غير ذلك مما فصل في القرآن ومن المعاصي المنصوص عليها ترك الواجبات واتيان البدع والقعود في المسجد جنبا او حائضا ولبس الذهب والحرير للرجال بلا خلاف منافقي الخبر هذان مشيرا اليهما محرمان على ذكور أمتي: وفي رواية في الحرير من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة واستثني منه حالة الحرب والضرورة والمخلوط بغيره والمحشو بالقز وفي الاتكاء عليه والافتراش به قولان لاختلاف النصوص ومنها الأكل والشرب بأواني الذهب والفضة ففي الحديث ان من فعل ذلك إنما يجرجر في بطنه نار جهنم وكذا حبسها واتخاذها وان لم تستعمل على قول لما روي ان أواني الذهب والفضة متاع الذين لا يوقنون وعمل آلات اللهو والبدع والبطر حتى الأواني المذكورة لأنه معاونة على الإثم وتصوير ذوات الأرواح ففي الصحيح أن فاعله يعذب يوم القيامة حتى ينفخ الروح فيها وليس بنافخ وقيده بعض بالمجسمة وقال آخرون بحرمة استعمالها والنظر اليها ومنها البناء رياء وسمعة أي زيادة على ما يكفيه واستطالة منه على جيرانه ومباهاة لإخوانه والاستخفاف بفقير مسلم فقد ورد ان من فعل ذلك فقد استخف بحق الله والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب وحلق اللحية لأنه خلاف السنة التي هي اعفائها ولمسخ طائفة بسببه والقمار والرهان إلا في نصل أو خف او حافر وانشاد شعر يتضمن هجاء مؤمن او فحشاء والنياحة بالباطل والاستماع اليها والغناء بما فيه ترجيع واطراب او ما سمي في العرف غناءً واستثني منه ما يكون في العرايس لما في الخبر الصحيح أجر المغنية التي تزف العرايس ليس به بأس وليست بالتي يدخل عليها الرجال وفي النبوي اعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعني الدف ومنها القيادة والمساحقة ومباشرة المرأة للأخرى ليس بينهما ثوب وتحدثها بما تخلو به مع زوجها وتزيينها لغير زوجها وخروجها من بيته بغير إذنه فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء وكل شيء تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع الى بيتها كما في الحديث النبوي وفيه من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من

النار إلا أن يتوب او يرجع ومن صافح امرأة تحرم عليه فقد باء بسخط من الله يعني بشهوة ومن التزم امرأة حراما قرن في سلسلة من نار مع شيطان فيقذفان في النار وقال ﷺ من تأمل في عورة أخيه المسلم لعنه سبعون الف ملك ونهى ﷺ المرأة أن تنظر الى عورة المرأة وان يطلع الرجل في بيت جاره ومن نظر الى عورة اخيه المسلم وعورة غير اهله متعمداً ادخل النار مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات المسلمين ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله إلا ان يتوب ونهى ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر وقال ﷺ لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها وشاربها وساقيها وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه وقال ﷺ من شربها لم تقبل له صلاة اربعين يوما وقال ﷺ لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه والشاهد به ومنها الإخبار عن الغائبات على البت والقطع لغير نبي او وصي نبي سواء كان بالتنجيم او الكهانة او القيافة او غير ذلك والشعبذة والسحر وفي الحديث إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر او بحر فإنها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار وفي أخرى المنجم ملعون والكاهن ملعون والساحر ملعون وفي أخرى من تكهن او تكهن له فقد برء من دين محمد وإن كان الاخبار على سبيل التفاءل من غير جزم فالجواز غير بعيد وذكر جملة من الأصحاب في تعريف السحر انه كلام او كتابة او رقية او اقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ومنها عقد الرجل عن زوجته بحيث لا يقدر على وطئها والقاء البغضاء بينهما كما قال تعالى (ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) ومنه استخدام الملائكة والجن واستنزال الشياطين في كشف الغائبات واستحضارهم وتلبيسهم ببدن صبي او امرأة ونحو ذلك فتعلم ذلك واشباهه وتعليمه حرام والتكسب به سحت إلا للتوقي ودفع المبتلى وقيل بوجوب تعلمه لذلك كفاية ويجوز حله بالقرآن والدعاء وفي بعض الروايات حل ولا تعقد ومن المعاصي المنصوص عليها الغضب لغير الله والحمية والعصبية والتكبر والتجبر والاختيال في المشي والتفاخر والبذاء والفحش والبغي والفسق والفجور وتزكية النفس والحسد والخرق والسفه والمراء والغيبة والنميمة والاستماع اليهما واشاعة الفواحش في المؤمنين وتجسس عيوبهم وسوء الظن بهم فإن بعض الظن اثم والبهتان والسعاية والسباب واللعن والطعن لغير مستحقهما والمكر والخديعة والغدر والغش والتدليس والغصب والذهاب بحقوق المسلمين والظلم والقساوة والجفاء ونحو ذلك ومن جملة المعاصي القلبية الحسد والرياء والعجب والإصرار

والكفران والجزع والحرص وحب الدنيا والسخط والنفاق ونحوها وتفصيل هذه الأمور وشرحها واسبابها وعلاجاتها مذكور في شرحنا على (المفاتيح) وفي كتب الأخلاق

المبحث الثاني في الآجال

اعلم ان الذي يستفاد من الآيات والاخبار ان للانسان أجلين اجلا محتوما كما قال تعالى (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون) وقال تعالى (ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون) وقال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها) وقال تعالى (ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر) واجلا موقوفا يقدمه الله ويؤخره ويزيد فيه وينقصه بطاعة او صلة رحم او دعاء اوصدقة او عكس ذلك كما قال تعالى (ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون) وينبغي الإيمان بهذا المقدار اجمالا ولا ينبغي التفكر في كيفية ذلك فإنه من غوامض مسائل القضاء والقدر المنهي عن الخوض فيها وفي تفسير القمي عن الصادق (ع) قال الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه والمسمى هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير : وعن ابي بصير عن الباقر (ع) في قوله تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها) قال ان عند الله كتبا موقوفة يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر انزل فيها كل شيء يكون الى مثلها فذلك قوله تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها) اذا نزل وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخر

وفي تفسير العياشي عن الصادق (ع) في قوله تعالى (ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده) قال الأجل الذي غير مسمى موقوف يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء وأما الاجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد ان يكون من ليلة القدر الى مثلها من قابل فذلك قول الله عزوجل (إذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وعن حمران عن الصادق (ع) قال المسمى ما سمي لملك الموت في تلك الليلة وهو الذي قال الله تعالى (إذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) والآخر له فيه المشيئة ان شاء قدمه وإن شاء أخره وعن حمران قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله (قضى اجلا واجل مسمى عنده) قال هما اجلان اجل موقوف يصنع الله ما يشاء واجل محتوم وعنه (ع) قال الأجل الأول هو الذي نبذه الى الملائكة والرسل والانبياء والاجل المسمى عنده هو الذي ستره عن الخلائق وعنه (ع) عن ابيه عن

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ان المرء ليصل رحمه وما بقى من عمره الا ثلاث سنين فيمدها الله الى ثلاث وثلاثين سنة وان المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله الى ثلاث سنين او ادنى قال الراوي وكان الصادق (ع) يتلو هذه الآية (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) والاخبار في ذلك كثيرة وظاهر بعض الاخبار كون * الأول * من قوله تعالى (قضى اجلا واجل مسمى) محتوما * والثاني * موقوفا وبعضها بالعكس ويمكن الجمع بأن المعنى انه تعالى قضى اجلا اخبر به انبيائه وحججه واخبر بأنه محتوم فلا يتطرق اليه التغيير وعنده اجل مسمى اخبر بخلافه غير محتوم فهو الذي اذا اخبر بذلك المسمى يحصل منه البداء فلذا قال تعالى عنده اي لم يطلع عليه احد بعد وانما اطلق عليه المسمى لانه بعد الاخبار يكون مسمى فما لم يسم فهو موقوف ومنه يكون البدآ فيما اخبر لا على وجه الحتم ويحتمل ان يكون المراد بالمسمى ما سمي ووصف بأنه محتوم فالمعنى قضى اجلا محتوما اي اخبر بكونه محتوما وأجلا آخر وصف بكونه محتوما عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوما فيظهر منه انه اخبر بشيء لا على وجه الحتم فهو غير المسمى لا الاجل الذي ذكر اولا وحاصل الوجهين مع قربهما ان الاجلين كليهما محتومان اخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر ويظهر من الاية أجل آخر غير الاجلين وهو الموقوف ويمكن ان يكون الاجل الاول عاما فيرتكب تكلف في خبر ابن مسكان بأنه قد يكون محتوما وظاهر أكثر الأخبار ان الأول موقوف والمسمى محتوم

المبحث الثالث في الأرزاق

الذي يستفاد من الآيات والأخبار أن الله تعالى قد قسم الأرزاق بين العباد ويزيدها وينقصها وانه تعالى قسمها من حلال ومن اخذ حراما حسب عليه من رزقه وعوقب عليه قال تعالى في مواضع (الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) وقال تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وقال تعالى (إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) وقال تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) وقال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

أسبب في السماء اسباب رزقكم او تقديره وما توعدون من الثواب والنعيم لأن الجنة في السماء كما عرفت ولأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقوله تعالى (مثل ما انكم تنطقون) أي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في تحقق ذلك وقيل يحتمل ان يكون التشبيه من حيث اتصال النطق وفيضان المعاني من المبدأ بقدر الحاجة من غير عالم بموضوعه ومحل وروده : وروى ثقة الإسلام في الكافي عن الثمالي عن الباقر (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ألا إن الروح الأمين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق ان تطلبوه بشيء من معصية الله فإن الله قسم الأرزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراما فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله ومن هتك حجاب ستر الله واخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه : وفي تفسير العياشي عن الباقر (ع) قال ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقا حلالا يأتيها في عافية وعرض لها بالحرام من وجه آخر فان هي تناولت من الحرام شيئا قاصها به من الحلال الذي فرض لها وعند الله سواهما فضل كبير وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت هذه الآية (واسئلوا الله من فضله) قال اصحاب النبي ما هذا الفضل فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حلها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حراما نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به وعن الصادق(ع) قال ان الله قسم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلا كثيرا لم يقسمه بين أحد قال الله (واسئلوا الله من فضله) وعن الحسين بن مسلم عن الباقر(ع) قال قلت له جعلت فداك انهم يقولون ان النوم بعد الفجر مكروه لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت فقال الارزاق موضوفة مقسومة ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وذلك قوله تعالى (واسئلوا الله من فضله) ثم قال وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الارض وقال امير المؤمنين (ع) في النهج الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإن الله سيأتيك في كل غد بجديد ما قسم لك وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطي عنك ما قدر لك وقال(ع) وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر

بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها وروى المفيد في المقنعة عن الصادق (ع) قال الرزق مقسوم على ضربين ﴿ احدهما ﴾ واصل الى صاحبه وان لم يطلبه ﴿ والآخر ﴾ معلق بطلبه فالذي قسم للعبد على كل حال آتيه وان لم يسع له والذي قسم له بالسعي فينبغي له ان يلتمسه من وجوهه وما احله الله له دون غيره فإن طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به والأخبار في ذلك كثيرة وظاهر الأخبار ان الله قدر في الصحف السماوية لكل بشر رزقا حلالا بقدر ما يكفيه بحيث اذا لم يرتكب الحرام وطلب من الحلال سبب له ذلك ويسره فإذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع مما قدر له وقال الشيخ البهائي (ره) في شرح الحديث الاول الرزق عند الأشاعرة كل ما انتفع به حي سواء كان بالتغذي او غيره مباحا كان أولا وخصه بعضهم بما تربى به الحيوان من الأغذية والأشربة وعند المعتزلة هو كلما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي او غيره وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقا عندهم . وقال الاشاعرة في الرد عليهم لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي طول عمره بالحرام مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) وفيه نظر فإن الرزق عند المعتزلة اعم من الغذاء وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل فالمتغذي طول عمره بالحرام إنما يرد عليهم لو لم ينتفع مدة عمره بشيء انتفاعا محللا ولو بشرب الماء والتنفس في الهواء بل ولا يمكن من الانتفاع بذلك اصلا وظاهر ان هذا مما لم يوجد وايضا فلهم ان يقولوا لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئا محللا ولا محرما يلزم أن يكون غير مرزوق فما هو جوابكم فهو جوابنا هذا ولا يخفى ان الاحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة والمعتزلة تمسكوا بهذا الحديث وهو صريح في مدعاهم غير قابل للتأويل والاشاعرة تمسكوا بما رووه عن صفوان بن أمية قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن قرة فقال يارسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا أراني ارزق الا من رقى بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة اي عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله اما انك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضربا وجيعا والمعتزلة يطعنون في سند الحديث تارة ويؤولونه على تقدير سلامته اخرى بأن سياق الكلام يقتضي أن يقال فاخترت ما حرم الله عليك من حرامه مكان ما احل لك من حلاله وإنما قال ﷺ من رزقه مكان من حرامه فاطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله فلا أراني ارزق وقوله ﷺ لقد رزقك الله وتمسك المعتزلة

ايضا بقوله تعالى(ومما رزقناهم ينفقون)قال الشيخ في التبيان ما حاصله ان هذه الآية تدل على ان الحرام ليس رزقا لأنه سبحانه مدحهم بالإنفاق من الرزق والانفاق من الحرام لا يوجب المدح وقد يقال ان تقديم الظرف يفيد الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين ما رزقه الله وما لم يرزقه وان المدح إنما هو على الإنفاق مما رزقهم وهو الحلال لا مما سولت لهم انفسهم من الحرام ولو كان كلما ينفقونه رزقا من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمل انتهى

قال بعض المحققين (١) ان كان المراد بقولهم رزقهم الله الحرام انه خلقه ومكنهم من التصرف فيه فلا نزاع في ان الله رزقهم بهذا المعنى وان كان المعنى انه المؤثر في افعالهم وتصرفاتهم في الحرام فهذا إنما يستقيم على اصلهم الذي ثبت بطلانه وان كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرف فيه بوجه فظاهر ان الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب وان كان المعنى انه قدر تصرفهم فيه باحد المعاني للقضاء والقدر او خذلهم ولم يصرفهم جبرا عن ذلك فبهذا المعنى يصدق انه رزقهم الحرام واما ظواهر الآيات والاخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في انها منصرفة الى الحلال واعلم انه لا يجوز للانسان ان يترك السعي والطلب قائلا ان الرزق مقسوم فلابد أن يأتي فلا يحتاج الى السعي لأن الله تعالى قد امر بالطلب ونهى عن تركه بل ينبغي للانسان الاجمال في الطلب وان لا يتكل على طلبه بل على ربه اذ لعل الله يرزقه من حيث لا يحتسب كما ان الله تعالى قد أمر بالطاعات والعبادات ونهى عن الاتكال والاعتماد عليها

المبحث الرابع

في الاسعار

ذهبت الاشاعرة الى انه ليس المسعر الا الله تعالى بناء على اصلهم من انه لا مؤثر في الوجود الا الله واما الإمامية والمعتزلة فالمحكي عنهم أن الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة الى الله تعالى وقد يكونان باسباب ترجع الى اختيار العباد وهذا هو الظاهر من اخبارنا بعد ضم

(١) هو المجلسي (قده) (منه)

بعضها الى بعض إذ قد ورد النهي عن الاحتكار ولعن المحتكر وامر المحتكر بالبيع وان الناس مسلطون على اموالهم يبيعونها بما شاءوا وورد أن السعر الى الله يرفعه اذا شاء ويحفظه اذا شاء كما في التهذيب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الثمالي قال ذكر عند علي بن الحسين (ع) غلاء السعر فقال وما علي من غلائه إن غلي فهو عليه وان رخص فهو عليه وفي الكافي عن الصادق (ع) قال إن الله وكل بالسعر ملكا فلن يغلو من قلة ولن يرخص من كثرة وعنه (ع) قال ان الله وكل بالاسعار ملكا يدبرها ونحوها غيرهما من الاخبار ويمكن حمل هذه الاخبار على ان المعنى ان اكثر اسبابهما راجعة الى قدرة الله وان الله تعالى لما لم يصرف العباد عما يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم اوغناهم بحسب المصالح فكأنهما وقعا بإرادته تعالى ويمكن حمل جملة منها على المنع والتسعير والنهي عنه بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم فيجري السعر على ما يريد الله تعالى كما صرح به في رواية ابن حمزة المروية في التهذيب ورواية سعد المروية في الكافي قال العلامة (ره) في شرحه على التجريد السعر هو تقدير العوض الذي يباع به الشيء وليس هو الثمن ولا المثمن وهو ينقسم الى رخص وغلاء فالرخص هو المسعر المنحط عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان والغلاء زيادة السعر عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان وإنما اعتبرنا الزمان والمكان لأنه لا يقال ان الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنه ليس اوان سعره ويجوز أن يقال رخص في الصيف اذا نقص سعره عما جرت عادته في ذلك الوقت ولا يقال رخص سعره في الجبال التي يدوم نزوله فيها لأنها ليست مكان بيعه ويجوز أن يقال رخص سعره في البلاد التي اعتيد بيعه فيها واعلم أن كل واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلل جنس المتاع المعين ويكثر رغبة الناس اليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلفين وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلل رغبة الناس اليه تفضلا منه وانعاما أو لمصلحة دينية فيحصل الرخص وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع تلك الساحة بسعر غال ظلما منه أو لاحتكار الناس او لمنع الطريق خوف الظلمة او لغير ذلك من الاسباب المستندة الينا فيحصل الغلاء وقد يحمل السلطان الناس على بيع الساحة برخص ظلما منه أو يحملهم على بيع ما في ايديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص انتهى

المبحث الخامس

في الإحباط والتكفير

المشهور بين الإمامية بطلان الاحباط والتكفير بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة بمعنى أن الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه انه يموت على الإيمان والعقاب على الكفر والفسوق مشروط بأن يعلم الله انه لا يسلم ولا يتوب وبذلك أولوا الآيات الدالة على الاحباط والتكفير

وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الاحباط والتكفير للآيات والأخبار الدالة عليها قال شارح المقاصد لا خلاف في أن من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنة بمنزلة من لا معصية له ومن كفر نعوذ بالله بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار بمنزلة من لا حسنة له وإنما الكلام فيمن آمن وعمل صالحا وآخر سيئا كما يشاهد من الناس فعندنا أن مآله إلى الجنة ولو بعد النار واستحقاقه للثواب والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط والمشهور من مذهب المعتزلة انه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة فأشكل الأمر عليهم في إيمانه وطاعته وما يثبت من استحقاقاته اين طارت و كيف ذاك فقالوا بحبوط الطاعات وقالوا ان السيئات يذهبن الحسنات حتى ذهب الجمهور منهم إلى أن الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات وفساده ظاهر أما سمعا فللنصوص الدالة على أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا وعمل صالحا وأما عقلا فللقطع بأنه لا يحسن من الحليم الكريم ابطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا أو جرعة من الخمر قالوا الاحباط مصرح به في التنزيل كقوله تعالى ان تحبط اعمالكم . أولئك حبطت أعمالهم . ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . قلنا لا بالمعنى الذي قصدتم بل بمعنى أن من عمل عملا استحق به الذم وكان يمكنه أن يعمله على وجه يستحق به المدح والثواب يقال انه احبط عمله كالصدقة مع المن والأذى وبدونها وأما احباط الطاعات بالكفر بمعنى انه لا يثاب عليها البتة فليس من المتنازع في شيء وحين تنبه ابو علي وابو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التمادي بعض الرجوع فقالا ان المعاصي إنما تحبط الطاعات إذا وردت عليها وان وردت الطاعات احبطت المعاصي ثم ليس النظر إلى اعداد الطاعات والمعاصي بل إلى مقادير الاوزار والأجور فرب كبيرة

يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة ولا سبيل الى ضبط ذلك بل هو مفوض الى علم الله تعالى ثم افترقا فزعم ابو علي ان الأقل يسقط ولا يسقط من الاكثر شيئا ويكون سقوط الأقل عقابا إذا كان الساقط ثوابا وثوابا إذا كان الساقط عقابا وهذا هو الإحباط المحض وقال ابو هاشم الاقل يسقط ويسقط من الأكثر ما يقابله مثلا من له مائة جزء من العقاب واكتسب الف جزء من الثواب فإنه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته وتبقى له تسعمائة جزء من الثواب وكذا العكس وهذا هو القول بالموازنة (انتهى كلامه)

وقال العلامة المحدث المجلسي (ره) في البحار أقول الحق أنه لا يمكن انكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاحق الذي يموت عليه وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاحق الذي يموت عليه وقد دلت الأخبار الكثيرة على أن كثيرا من المعاصي توجب سقوط ثواب كثير من الطاعات وأن كثيرا من الطاعات كفارة لكثير من السيئات والأخبار في ذلك متواترة وقد دلت الآيات على ان الحسنات يذهبن السيئات ولم يقم دليل تام على بطلان ذلك وأما ان ذلك عام في جميع الطاعات والمعاصي فغير معلوم واما ان ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب او على سبيل الاشتراط بأن الثواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروط بعدم وقوع ذلك الفسق بعده وإن العقاب على تلك المعصية مشروط بعدم وقوع تلك الطاعة بعده فلا يثبت اولاً ثواب وعقاب فلا يهمنا تحقيق ذلك بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللفظ لكن الظاهر من كلام المعتزلة واكثر الإمامية انهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئا من العقاب او المعصية شيئا من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة وأما الدلائل التي ذكروها لذلك فلا يخفى وهنها (انتهى كلامه)

وقال المحدث الحر في الفصول المهمة بعد جعل العنوان هكذا باب ان الاحباط والتكفير يقعان بسبب المعصية والطاعة لكنهما غير واجبين ولا عامين إلا بسبب الكفر والإيمان ثم ذكر رواية الجعفري وزرارة وابي حمزة الآتية ثم قال الآيات والروايات في ثبوت الاحباط والتكفير كثيرة لا تحصى والآيات والروايات المعارضة لها ايضا كثيرة جدا متفرقة والذي يظهر من مجموعها في وجه الجمع بينها هو ان الكفر الذي يموت صاحبه عليه يحبط ثواب الطاعات السابقة عليه والإيمان الذي يموت صاحبه عليه يكفر عقاب المعاصي السابقة عليه وما سوى ذلك فالإحباط والتكفير فيه ليس بواجب ولا كلي كما يقوله بعض مخالفينا على

اختلاف مذاهبهم الفاسدة فيه من اسقاط اللاحق السابق مطلقا او بقدره مع بقاء المقابل اوعدمه على ما حرر في كتب الكلام بل الصحيح الذي دلت عليه الآيات والروايات المتواترة هوان من عمل طاعة استحق ثوابا وقد يكون ذلك الثواب اسقاط عقاب سابق أو لاحق وقد يكون نوعا آخر من الثواب ومن فعل معصية استحق عقابا وقد يكون ذلك العقاب اسقاط ثواب وقد يكون نوعا آخر ومقادير ذلك الثواب والعقاب الذي يسقط احيانا لا يعلمها إلا الله ومما يدل على ذلك ما وقع من الوعد على طاعة معينة بأنها كفارة لما مضى من الذنوب أو لنوع خاص منها او لما تقدم منها وما تأخر وما ورد فيها بعينها باستحقاق فاعلها لثواب آخر غير اسقاط العقاب وكذا ورد الأمران في عقاب المعاصي ومما يدل على ذلك وقوع الطاعات المذكورة من اهل العصمة (ع) ونحوهم ممن لا يستحق شيئا من العقاب ووقوع المعاصي المذكورة ممن لا يستحق شيئا من الثواب كالكافر والمسلم في أول اسلامه والطفل في اول بلوغه وغير ذلك ولم يرد ان شيئا من المعاصي يسقط ثواب الإسلام والإيمان وهذا مما لا شبهة فيه عند من تأمل الآيات والروايات والله تعالى اعلم انتهى

ولا بأس بذكر الآيات الواردة في ذلك وجملة من الروايات قال تعالى (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (ان الله لا يخلف الميعاد) وقال تعالى (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) وقال تعالى (إنك لا تخلف الميعاد) وقال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى (من يعمل سوء يجزبه) وقال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون) وقال تعالى (أولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة) وقال تعالى(ان الله لا يخلف الميعاد) وقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم) وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) وقال تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى(فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) وقال تعالى (واذ

يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وقال تعالى (أولئك الذين لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) وقال تعالى (وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد) وقال تعالى (ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) وقال تعالى (إن وعد الله حق) وقال تعالى (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) وقال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط اعمالهم) وقال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم) وقال تعالى (سيكفر عنهم سيئاتهم) وقال تعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون) وقال تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) وقال تعال (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته) وقال تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

وروى البرقي في المحاسن عن عبد الله بن القاسم الجعفري عن ابي عبد الله عن آبائه (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار ورواه الصدوق في التوحيد

وروى الشيخ في التهذيب عن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال من كان مؤمنا فحج وعمل في إيمانه ثم اصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن قال يحسب له كل عمل صالح في إيمانه ولا يبطل منه شيء وفي الكافي عن ابي حمزة قال كنت عند علي بن الحسين (ع) فجاء رجل فقال يا ابا محمد اني مبتل بالنساء فأزني يوما واصوم يوما فيكون ذلك كفارة لذا فقال له علي بن الحسين (ع) انه ليس شيء احب الى الله عز وجل من ان يطاع فلا يعصى فلا تزن ولا تصم فاجتذبه ابو جعفر اليه فأخذه بيده فقال يا ابا زيد تعمل عمل اهل النار وترجو ان تدخل الجنة وفي العيون عن الرضا (ع) في قوله تعالى (إن احسنتم احسنتم لأنفسكم) قال إن احسنتم احسنتم لأنفسكم وإن اسأتم فلها رب يغفر لها وفي تفسير العياشي عن أمير المؤمنين (ع) في قوله تعالى (إن ربي على صراط مستقيم) قال انه علي حق يجزي بالإحسان احسانا وبالسيء سيئا ويعفو عمن يشاء ويغفر سبحانه وتعالى

المبحث السادس

﴿ في بيان معنى الإيمان والإسلام والكفر والارتداد وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول ﴾ المشهور بين المتكلمين أن الإيمان لغة التصديق من الأمن بمعنى سكون النفس واطمأنانها واختلف في معناه شرعا على اقوال شتى وحاصل ذلك ان الإيمان شرعا اما ان يكون من افعال القلوب فقط او من افعال الجوارح فقط او منهما معا فإن كان الأول فهو التصديق بالقلب فقط وهو مذهب الاشاعرة وجمع من متقدمي الإمامية ومتأخريهم ومنهم المحقق الطوسي في فصوله ولكن اختلفوا في معنى التصديق فقال اصحابنا هو العلم وقال الاشاعرة هو التصديق النفساني وعنوانه انه عبارة عن ربط القلب على ما علم من اخبار المخبر فهو أمر كسبي يثبت باختيار المصدق ولذا يثاب عليه بخلاف العلم والمعرفة فإنها ربما تحصل بلا كسب كما في الضروريات وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحققين فقالا التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق الى المخبر حتى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقا وان كان معرفة وفيه نظر ظاهر فإنه يلزم هذا القائل أن يقول بإيمان من يعلم بحقية نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء وينكر ذلك وهو مخالف للإجماع والآيات الكثيرة قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقد اخبر الله تعالى عن أهل الكتاب بأنهم كانوا يعرفون نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما كانوا يعرفون ابناءهم حيث اخبر الله تعالى عنهم بذلك مع القطع بكفرهم فينبغي أن يشترط في التصديق القلبي عدم الانكار بدون تقية وبان لا يصدر عنه ما يوجب الكفر من انكار بعض ضروريات الدين واستدل لهم بقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإن العطف يقتضي المغايرة واجيب بأن الصالحات جمع معرف شامل للفرض والنفل والقائل بأن الطاعات جزء من الإيمان يريد بها فعل الواجبات واجتناب المحرمات وحينئذ يصح العطف لحصول المغايرة وبقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) اي في حالة الإيمان فيقتضي المغايرة والا لكان المعنى ومن يعمل بعض الإيمان في حال حصول ذلك البعض او من يعمل من الإيمان حال حصوله وحينئذ فيلزم تقدم الشيء على نفسه وتحصيل الحاصل واجيب بما تقدم وبقوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية حيث اثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصي واجيب بأنهم سموا مؤمنين باعتبار ما كانوا عليه وبقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

حيث أمرهم بالتقوى التي هي عبارة عن فعل الطاعات وترك المنهيات مع وصفهم بالإيمان فيدل على عدم حصول التقوى لهم مع وصفهم بالإيمان فلا تكون الاعمال جزء واجيب بجواز ارادة المعنى اللغوي من الإيمان الذي وصفوا به ويكون المأمور به هو الشرعي وبالآيات الدالة على كون القلب محلا للإيمان من دون ضميمة كقوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) اي جمعه واثبته وقوله تعالى (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالإيمان) وقوله (ع) يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك واجيب بأن ذلك لا يدل على حصر الإيمان في ذلك ونحن نقول باعتبار ذلك في الإيمان واستدل ايضا بالإجماع على ان الإيمان شرط لسائر العبادات والشيء لا يكون شرطاً لنفسه فلا يكون الإيمان هو العبادات واجيب بأنا نقول بكون التصديق بمسائل الاصول شرطاً لصحة العبادات التي هي الإيمان ولا يلزمنا بذلك أن تكون تلك المسائل هي الإيمان فإن سميتموها إيمانا بالمعنى اللغوي فلا مشاحة وان قلتم هي الإيمان الشرعي فهو محل نزاع ودليلكم لا يدل عليه « وإن كان الثاني » فإما ان يكون عبارة عن التلفظ بالشهادتين فقط وهو مذهب الكرامية واستدلوا على مذهبهم بأن النبي والصحابة كانوا يكتفون في الخروج من الكفر بكلمتي الشهادة فتكون هي الإيمان إذ لا واسطة بين الكفر والإيمان لأن الكفر عدم الإيمان وبقوله تعالى (فمنهم كافر ومنهم مؤمن) وبقوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وبقوله لأسامة حين قتل من تكلم بالشهادتين هلا شققت قلبه أو هل شققت على بعض النسخ يريد بذلك الانكار عليه حيث لم يكتف بالشهادتين منه وأجيب عن الأول بأنهم إن أرادوا بالخروج عن الكفر بكلمتي الشهادة الخروج في نفس الأمر بحيث يصير مؤمنا عن الله بمجرد ذلك من دون تصديق فهو ممنوع ولم لا يجوز أن يكون اكتفاؤهم بذلك للترغيب في الإسلام لا للحكم بالإيمان وإن أرادوا به الخروج بحسب الظاهر فمسلم ولا ينفعهم إذ الكلام فيما يتحقق به الإيمان الواقعي عند الله وأما نفي الواسطة فهو مستقيم على أخذ الحكم في نفس الأمر فلا دلالة فيه والآية الكريمة يمكن تنزيلها أيضا على ما هو في نفس الأمر فإن حال المكلف في نفس الأمر لا يخلو عن احدهما وأما جعل لا إله إلا الله غاية للقتال فلا يدل على اكثر من ثبوت الإسلام وكون ذلك للترغيب في الإسلام بسبب حقن الدماء على ان النبي ﷺ لم يكن مكلفا بالقتال على ما في القلوب وأما الحديث فمع ضعف سنده وعدم حجيته لا يدل على أكثر من كون هذه الكلمة موجبة لحقن

الدم ظاهرا على انه ربما دل على اعتبار التصديق لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أنكر عليه فعله ذلك فكأنه قال له هلا شققت قلبه لتجد فيه الإيمان أو عدمه أو هل شققته فلم تجده حتى فعلت مافعلت ويرد قولهم أيضا قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) فنفى تعالى ما زعموه ايمانا وهو التصديق القولي أو عبارة عن جميع أفعال الجوارح والطاعات بأسرها فرضا أو نفلا وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلة والعلاف والقاضي عبد الجبار مستدلين بقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) والمشار اليه بذلك هو جميع ماحصر بإلا وماعطف عليه والدين هو الاسلام لقوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) والاسلام هو الايمان لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ولا ريب ان الايمان مقبول من مبتغيه للنص والاجماع فيكون اسلاما فيكون دينا فيعتبر فيه الطاعات كما دلت عليه الآيات واجيب بالمنع من اتحاد الدينين في قوله (وذلك دين القيمة) وقوله (إن الدين عند الله الإسلام) ولو سلم اتحادهما فلا نسلم ان الإيمان هو الإسلام ليكون هو الدين فتعتبر فيه الطاعات لم لا يجوز ان يكون الإيمان شرطاً للإسلام او جزء منه او بالعكس وشرط الشيء وجزؤه يقبل مع كونه غيره ولا يلزم من ذلك ان يكون الإيمان هو الدين بل شرطه او جزؤه على انا لو قطعنا النظر عن جميع ذلك فالآية الكريمة إنما تدل على ان من ابتغى وطلب غير دين الإسلام دينا فلن يقبل منه ذلك المطلوب ولم تدل على ان من صدق بما اوجبه الشارع عليه لكنه ترك فعل بعض الطاعات غير مستحل انه طالب لغير دين الإسلام إذ ترك الفعل يجتمع مع طلبه لعدم المنافاة بينهما فإن الشخص قد يكون طالبا للطاعة مريدا لها لكنه تركها اهمالا وتقصيرا ولا يخرج بذلك عن ابتغائها واستدلوا ايضا بقوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) اي صلواتكم الى بيت المقدس واجيب بأنه يجوز أن يكون المراد تصديقكم بتلك الصلاة على أن الصلاة جزء من الطاعات وهم يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات او عبارة عن جميع افعال الجوارح من الواجبات وترك المحظورات دون النوافل وهو مذهب ابي علي الجبائي وابيه ابي هاشم واكثر معتزلة البصرة وقد يستدل لهم بقوله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) ولا تتحقق التقوى الا بفعل المأمور به وترك المنهي عنه فلا يكون التصديق مقبولا ما لم تحصل التقوى وبما روي أن الزاني لا يزني وهو مؤمن وبقوله (ع) لا إيمان لمن لا أمانة له وبقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الكافرون) وأجيب عن ﴿ الاول ﴾ بأنه لعل المراد أن الاعمال البدنية لا تقبل الا بالتقوى او المراد أن من عمل عملا إنما يكون مقبولا اذا كان متقيا فيه بأن يكون مخلصا على انها اخص من المدعى الذي هو جميع الواجبات وعن ﴿ الثاني والثالث ﴾ بأنه محمول على المبالغة او يخصص بالمستحل لدلائل أخر وأما الآية فمعارضة بقوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) والفاسق مؤمن على الاقوى او بين المنزلتين او أن المعنى ومن لم يحكم بما أنزل الله عمداً مع علمه فهو كافر او المراد بالكفر احد معانيه الآتية اذ قد يطلق على ترك الفريضة مطلقا وان كان الثالث وهو كونه من افعال القلوب والجوارح معاً فهو إما ان يكون عبارة عن افعال القلوب مع جميع افعال الجوارح من الطاعات وهو قول المحدثين وجملة من العامة كابن مجاهد وغيره حيث قالوا ان الإيمان تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان والى هذا القول ذهب الشيخ المفيد (ره) منا واستدلوا بما استدل به أهل التصديق مع ما استدل به أهل الاعمال وقد عرفت الجواب الا ان لهذا القول في اخبار أئمة الهدى شواهد كثيرة ففي الكافي عن محمد ابن مسلم عن احدهما (ع) قال الإيمان اقرار وعمل والاسلام اقرار بلا عمل وعن الصادق (ع) قال الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان . فهذا الإسلام وقال الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما وكان ضالا . وعنه (ع) الإسلام شهادة أن لا إله الا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس والإيمان الهدى وما ثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل والإيمان ارفع من الاسلام بدرجة . وعن حمران عن الباقر (ع) قال الإيمان ما استقر في القلب وأفضى به الى الله عزوجل وصدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره والإسلام ما ظهر من قول او فعل وعن الصادق (ع) الإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالاركان . وعن الباقر (ع) قال قيل لامير المؤمنين (ع) من شهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله كان مؤمنا قال فأين فرائض الله . وعن الصادق (ع) الإيمان ان يطاع الله فلا يعصى وعنه (ع) الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل . وعن محمد بن مسلم عن الصادق (ع) قال سألته عن الإيمان فقال شهادة أن لا إله الا الله والإقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك قال قلت الشهادة أليست عملا قال بلى

قلت العمل من الإيمان قال نعم الايمان لا يكون الا بعمل والعمل منه ولا يثبت الإيمان الا بعمل وعنه (ع) دين الله اسمه الاسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن وفي كنز الفوائد للكراجكي عن يونس بن يعقوب عن الصادق (ع) قال ملعون من قال الإيمان قول بلا عمل وفي معاني الاخبار عن الصادق (ع) قال قد سمى الله المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين ولم يسم من ركب الكبائر وما وعد الله عليه النار مؤمنا في قرآن ولا أثر ولم يسمهم بالإيمان بغير ذلك الفعل وعنه (ع) قال قال رسول الله ﷺ ليس الايمان بالتخلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما خلص في القلب وصدقته الأعمال وعنه (ع) عنه ﷺ قال الإيمان قول وعمل اخوان شريكان. وفي العيون عن الرضا (ع) عن آبائه عن النبي ﷺ قال الايمان معرفة في القلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وعن الهروي عن الرضا (ع) قال الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالاركان لا يكون الإيمان إلا هكذا. وعنه (ع) عن رسول الله ﷺ قال الإيمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان والاخبار في ذلك كثيرة واما أن يكون الإيمان عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة ونسب الى طائفة منهم ابو حنيفة لما ذكره الكرامية وأهل التصديق وقد تقدم مافيه او يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الاقرار باللسان وهو مذهب جماعة من المتأخرين منهم المحقق الطوسي (ره) في التجريد فإنه اعتبر في حقيقة الإيمان مع التصديق الإقرار باللسان قال ولا يكفي الأول لقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم) اثبت للكفار الاستيقان النفسي وهو التصديق القلبي فلو كان الإيمان هو التصديق القلبي فقط لزم اجتماع الكفر والايمان وهو باطل لتقابلهما تقابل العدم والملكة ولا الثاني يعني الإقرار باللسان لقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) الآية ولقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) فأثبت لهم في الآيتين التصديق باللسان ونفى عنهم الإيمان واستدل له ايضا بقوله تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين) وقوله تعالى حكاية عن موسى إذ يقول لفرعون (لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السماوات والارض) ولو كان الإيمان مجرد العلم لكان فرعون مؤمنا وهو باطل وفيه نظر يعرف بالتأمل وكيف كان فهذه اقوال سبعة في حقيقة الإيمان والإمامية قالوا بثلاثة منها قد عرفت ادلة الجميع من الآيات والاخبار

ويمكن الجمع بين الأدلة والروايات بأحد وجوه ﴿الاول﴾ ان نقول الايمان يطلق في الشرع على معانٍ ﴿احدها﴾ العقائد الحقة مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي يكون تركها كبيرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ونحوها ويستفاد ذلك من اخبار كثيرة تقدم ذكرها ويأتي جملة منها . ﴿وثانيها﴾ العقائد الحقة مع فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات ويدل عليه بعض الاخبار . ﴿وثالثها﴾ اليقين الكامل بالعقائد الحقة مع فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات . ﴿ورابعها﴾ محض اليقين بالعقائد الضرورية مع عدم انكارها باللسان او مع الاقرار بها بدون ضرورة وتقية واكثر الاحاديث تدل على المعنى الاول كما تقدم جملة منها ومنها ما رواه الصدوق في الفقيه عن محمد بن مسلم قال قال ابو جعفر (ع) اذا زنى الزاني خرج منه روح الإيمان فإن استغفر عاد اليه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وورد أن اصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين ولا كافرين بل مسلمون ترجى لهم الشفاعة وورد أن تارك الصلاة كافر ومانع الزكاة كافر وتارك الحج كافر وثمرة هذا الإيمان عدم استحقاق المذلة والإهانة والعذاب والعقاب في الدنيا والآخرة لأن ترك الكبائر مكفر لفعل الصغائر ومما يدل على ان الايمان يطلق على العقائد الحقة مع فعل جميع الواجبات وترك المحرمات ماورواه في الكافي عن محمد بن حكيم قال قلت لابي الحسن (ع) الكبائر تخرج من الايمان قال نعم ومادون الكبائر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن وفيه دلالة على ان الزنا والسرقة دون الكبائر وعن عبيد بن زرارة قال دخل ابن قيس الماصر وعمرو بن ذر واظن معهما ابو حنيفة على ابي جعفر (ع) فتكلم ابن قيس الماصر فقال انا لا نخرج أهل دعوتنا وأهل ملتنا من الايمان في المعاصي والذنوب قال فقال له ابو جعفر يا ابن قيس اما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن فاذهب أنت واصحابك حيث شئت وثمرة هذا الإيمان مضافا الى ما سبق الالتحاق بالمقربين والحشر مع الصديقين وتضاعف الأجر والثواب ومما يدل على اطلاق الإيمان على فعل جميع الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات مضافا الى العقائد الحقة مع التحلي بالفواضل والفضائل والتخلي من النقائص والرذائل قوله تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون) الآيات وما ورد

في خبر همام عن امير المؤمنين (ع) من صفات المؤمن وعلاماته انه هو الكيس الفطن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا لا حقود ولا حسود ولا وثاب ولا سباب ولا عياب ولا مغتاب طويل الغم بعيد الهم كثير الصمت وقور ذكور صبور شكور مغموم بفكره مسرور بقلبه الى غير ذلك ولعل هذا مخصوص بالأئمة الطاهرين (ع) وقد يطلق الإيمان على محض العقائد الحقة والإقرار بها أو عدم انكارها بدون الاعمال مطلقا بشرط أن لا يصدر منه ما يوجب الارتداد وانكار الضروريات وثمرة هذا الإيمان حقن المال والدم والعرض في الدنيا وعدم الخلود في العذاب في الآخرة وقد يطلق ايضا على مجرد الإقرار بالشهادتين وعدم انكار ضروري الدين وان لم يكن معتقدا لذلك بقلبه وفائدته منحصرة في الدنيا من اجراء احكام الإسلام الظاهرة عليه واما في الآخرة فهو كافر وحينئذ فيمكن حمل اختلاف الاخبار في الإيمان على هذه المعاني بحسب المناسبة .

﴿ الوجه الثاني ﴾ أن يقال ان الإيمان عبارة عن العقائد الحقة والاعمال شروط له لا شطور وبذلك يجمع بين الآيات والاخبار ولا يخلو من بعد .

﴿ الوجه الثالث ﴾ أن يقال في وجه الجمع بين الآيات والأخبار المختلفة ان الإيمان له مراتب ودرجات وهو عبارة عن العقائد الحقة والاعمال شرط في كماله او جزء من الإيمان الكامل لا من اصل الايمان وتختلف مراتب كمال الإيمان باختلاف مراتب الطاعات وترك المعاصي او يقال ان الايمان عبارة عن الاعتقاد الصحيح والاعتقاد والايمان يتزايدان ويكملان بالطاعات والعبادات الى ان يصل الى مرتبة اليقين ولليقين مراتب وكل مرتبة من مراتبه لها شواهد وآثار من الاعمال تظهر على الاعضاء والجوارح كما يحذر الانسان من عدوه تارة بسماع هجومه عليه وتارة برؤيته من بعيد صائلا عليه وتارة برؤيته قد قرب منه وتارة بمقابلته له وحربه اياه فإن لكل من هذه الامور مرتبة واستعدادا خاصا ولذلك شواهد كثيرة من الآيات والآثار والأخبار قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) وقال تعالى في شأن الكفار (اموات غير احياء) اراد موت قلوبهم دون اجسادهم وقال تعالى (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم اضل سبيلا) وقال تعالى (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال امير المؤمنين (ع) لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما اصابه لم يكن ليخطأه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو الله عز وجل وعن الرضا (ع) قال

كان ـ في الكنز الذي قال الله عز وجل كان تحته كنز لهما بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يركن اليها وينبغي لمن عقل من الله أن لا يتهمه في قضائه ولا يستبطئه في رزقه والحاصل أن للإيمان في الشرع اطلاقات ﴿ احدها ﴾ ما يرادف الإسلام وفائدته حقن الدم والمال في الدنيا ﴿ وثانيها ﴾ على التصديق القلبي والإقرار اللساني كما في فساق المؤمنين وثمرته عدم الدخول في النار . ﴿ وثالثها ﴾ على ما ذكر مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي تركها كبيرة كالصلاة والزكاة والحج ولذا ورد تارك الصلاة كافر ﴿ ورابعها ﴾ اطلاقه على جميع الاعتقادات مع الاتيان بالواجبات وترك المحرمات ﴿ وخامسها ﴾ اطلاقه على ما ذكر مع الاتيان بالمستحبات وترك سائر المكروهات وفائدته تضاعف الدرجات وعليه ينزل ما روي أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ينام وحده او فلا يأكل وحده ﴿ وسادسها ﴾ اطلاقه على ما ذكر مع التوجه بكله الى عالم الملكوت وصرف الوقت في الاقبال على جنابه تعالى وهو الإيمان الكامل وينافيه فعل المباحات ولذا تاب الأنبياء وكثر بكاؤهم وحنينهم

المبحث السابع

قد اختلف المتكلمون في أن حقيقة الإيمان بعد الاتصاف بها هل تقبل الزيادة والنقصان ام لا وربما جعل بعضهم هذا الخلاف فرع الخلاف في ان الاعمال هل هي جزء من الإيمان ام لا فمن قال بالجزئية قال بالأول لأن الاعمال تزيد وتنقص ومن قال بعدم جزئيتها قال بعدم قبوله الزيادة والنقصان و كيف كان فالأكثر على عدم قبوله للزيادة لأن التصديق القلبي الذي بلغ الجزم والثبات لا يتصور فيه الزيادة عن ذلك ولا تعرض له النقيصة والا لما كان ثابتا وايضا حقيقة الشيء لو قبلت الزيادة والنقصان لكانت حقائق متعددة وقد فرضناها واحدة وأول الآيات والاخبار الدالة على ذلك بحملها على زيادة الكمال وهو أمر خارج عن أصل الحقيقة والحق انه يقبل الزيادة والنقصان لأنه من الأمور الاعتبارية وقد جعل له الشارع حقائق متفاوتة بحسب مراتب المكلفين في قوة الادراك وضعفه فإنا نقطع بتفاوت المكلفين في العلم والادراك ولا ريب بأنا نقطع بأن تصديقنا ليس كتصديق النبي ﷺ والأئمة بل ولا كتصديق سلمان ولا تصديق ابي ذر كتصديق سلمان وهكذا هلنا على ذلك قوله

تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وقال تعالى (وازدادوا إيمانا مع إيمانهم) وقال تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا) وفي الكافي عن الصادق (ع) قال ان الله تعالى وضع الإيمان على سبعة اسهم على البر والصدق واليقين والرضا والوفا والعلم والحلم ثم قسم ذلك بين الناس فمن جعل فيه هذه السبعة الاسهم فهو كامل محتمل وقسم لبعض الناس السهم ولبعض السهمين ولبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى سبعة ثم قال لا تحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهظوهم ثم قال كذلك حتى ينتهي إلى سبعة وعنه (ع) قال ان الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى انتهى إلى العاشر ولا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك فإذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره فإن من كسر مؤمنا فعليه جبره وعنه (ع) وقد جرى ذكر قوم فقيل له انا نتبرأ منهم انهم لا يقولون ما نقول قال فقال يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرأون منهم قيل نعم قال هو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نتبرأ منكم قيل لا جعلت فداك قال فهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه اطرحنا قيل لا والله جعلت فداك ما نفعل قال فتولوهم ولا تبرأوا منهم ان من المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمان إلى ان عد سبعة فليس ينبغي ان يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة وعد هكذا إلى السبعة والأخبار في ذلك كثيرة وعن الباقر (ع) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض اسفاره إذ لقيه ركب فقالوا السلام عليك يا رسول الله فقال ما أنتم فقالوا نحن مؤمنون يا رسول الله قال فما حقيقة إيمانكم قالوا الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم علماء حلماء كادوا أن يكونوا من الحكمة انبياء فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعن ابي بصير عن الصادق (ع) قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري فقال له كيف أنت يا حارثة فقال يا رسول الله عزفت نفسي «اي زهدت» عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت هو اجري فكأني انظر الى عرش ربي وقد وضع للحساب وكأني انظر إلى اهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني اسمع عواء اهل النار

اي صياحهم في النار فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا عبد نور الله قلبه أبصرت فأثبت فقال يارسول الله ادع الله لي ان يرزقني الشهادة معك فقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزق حارثة الشهادة فلم يلبث إلا أياما حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة او ثمانية ثم قتل وفي رواية استشهد مع جعفر بن ابي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر

المبحث الثامن

﴿ في بيان اجزاء الإيمان والمعارف التي يحصل بها ﴾

قال المحقق الطوسي (ره) في قواعد العقائد إن اصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته والعدل في افعاله والتصديق بنبوة الانبياء والتصديق بإمامة الأئمة (ع) وكأنه رحمه الله جعل التصديق بضروريات دين الإسلام التي يكفر منكرها اجماعا داخلة في التصديق بالنبوة فإن انكارها انكار للنبوة وقال الشهيد الثاني (ره) في رسالة الإيمان المعارف التي يحصل بها الإيمان خمسة اصول (الأول) معرفة الله تعالى والمراد بها التصديق الجازم الثابت بأنه تعالى موجود ابدا وازلاً واجب الوجود لذاته بمعنى ان وجوده تعالى مقتضى ذاته القديم من غير افتقار إلى علة في ذاته ووجوده فيكون وجوده القديم عين ذاته اذ لو فرض عدم قدم ذاته أو وجوده لزم تخلف ذاته او وجوده عن كونه واجب الوجود وهذا خلف والتصديق بصفات جلاله ونعوت كماله التي هي صفاته الثبوتية وتنزيهه عما لا يليق بكبريائه ذاته من صفات مخلوقاته التي يجب سلب اعتقادها عنه وقد اتفقت عبارات أهل الكلام في مقدار عددها واختلفت في معدودها فجعلها المحقق الطوسي (ره) في تجريده ثمانية القدرة والعلم والحياة والإرادة والإدراك والكلام والصدق والسرمدية وجعلها بعضهم هذه لكن اعتبر موضع الادراك السمع والبصر ولم يعتبر الصدق واعتبر البقاء موضع السرمدية ولا يخفى اولوية اعتبار الادراك فإنه اعم من السمع والبصر وكأنه لما رأى ان معنى كونه مدركا أنه عالم بالمدركات اكتفى عنه بالعلم وآثر ذكر السميع والبصير لورودهما في القرآن العزيز والادراك وان ورد كذلك الا انه ورد خاصا بالإبصار والغرض جعله صفة عامة وأما عدم اعتبار الصدق فلعله اكتفى عنه بذكر العدل فإنه يرجع اليه بنوع من الاعتبار وجعلها العلامة في كثير من كتبه الكلامية ثمانية ايضا القدرة والعلم والحياة والإرادة والكراهة والادراك وانه قديم أزلي باق أبدي

وانه متكلم وانه صادق فزاد اعتبار الكراهية ومن اكتفى بذكر الإرادة رأى ان الكراهة هي ارادة الترك ولذا عدهما بعضهم واحدة وزاد اعتبار القدم والازلية والأبدية لأنها تفصيل معنى السرمدية وهو اولى من الاجمال ومن عدها واحدة فلرجوعها إلى معنى واحد وهو السرمدية ووجه الاقتصار على هذه الثمانية مع ان صفاته تعالى كثيرة جدا ان الغرض بيان الصفات الذاتية الحقيقية وما عدا المذكورات إما اضافة محضة كالخالق والرازق والحفيظ إلى غير ذلك او ترجع الى المذكورات على انه يمكن ايضا رد جميع الصفات إلى القدرة والعلم فإن الارادة والكلام يرجعان إلى القدرة وما سواهما إلى العلم بل يمكن رد الجميع إلى وجوب الوجود ثم قال ولا حرج في اختلاف العبارات في تعداد هذه الصفات فإن الغرض منها تقريب معرفة الواحد تعالى الى افهام أهل التوحيد ﴿الثاني﴾ التصديق بعدله اي بأنه عادل والتصديق بحكمته اي بأنه حكيم والمراد بالعدل المنسوب اليه تعالى بحيث صار باعتباره عادلا ماقابل الظلم والجور وبكونه عدلا انه لا يفعل القبيح ولا يخل بالواجب الذي اوجبه على نفسه من الالطاف الخفية الراجعة الى بريته ويترتب على ذلك اعتقاد انه لا يرضى بالقبيح فما يصدر عنا من القبائح مستند الى قدرتنا واختيارنا وايجادنا الفعل بها مع ارادتنا وان كانت القدرة من فعل الله تعالى فإنها آلة وفاعل الآلة ليس فاعلا لما يصدر بواسطتها ويتفرع على عدم اخلاله بالواجب تكليف المكلفين واثابة المطيعين وارسال الرسل وإنزال الكتب مبشرين ومنذرين وأما الحكمة فتطلق على ترك القبيح الذي هو الاخلال بالواجب وعلى العلم بحقائق الأمور وعلى معرفة افضل الأشياء بأفضل العلوم والمراد بالحكمة في باب العدل المعنى الأول فهي داخلة فيه وذكرها في مقابلة العدل حيث يقال عدله وحكمته إما لتجريد العدل عن معنى ترك القبيح لترادفهما ولتلازمهما او بالمعنى الثاني وهي داخلة في العلم بالمعنى الثالث ﴿الثالث﴾ التصديق بنبوة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبجميع ما جاء به تفصيلا في ما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وليس بعيدا ان يكون التصديق الاجمالي بجميع ما جاء به كافيا في تحقق الإيمان وان كان المكلف قادراً على العلم بذلك تفصيلا ويجب العلم بتفاصيل ماجاء به من الشرائع للعمل به وأما تفصيل ما اخبر به من احوال المبدء والمعاد كالتكليف بالعبادات والسؤال في القبر وعذابه والمعاد الجسماني والحساب والصراط والجنة والنار والميزان وتطائر الكتب مما ثبت مجيئه صلى الله عليه وآله وسلم به متواترا فهل التصديق بتفاصيله معتبر في تحقق الإيمان صرح باعتباره جمع من العلماء والظاهر أن

التصديق به اجمالا كاف بمعنى ان المكلف لو اعتقد حقية كل ما جاء به ﷺ بحيث كلما ثبت عنده جزئي منها صدّق به تفصيلا كان مؤمنا وان لم يطلع على تفصيل تلك الجزئيات بعد ويؤيد ذلك ان اكثر الناس في الصدر الأول لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأول بل كانوا يطلعون عليها وقتا فوقتا مع الحكم في كل وقت من حين التصديق بالوحدانية والرسالة بل هذا حال اكثر الناس في جميع الاعصار كما هو المشاهد فلو اعتبرناه لزم خروج اكثر اهل الإيمان عنه وهو بعيد عن حكمة العزيز الحكيم نعم العلم بذلك لا ريب انه من مكملات الإيمان وقد يجب العلم به محافظة على صيانة الشريعة عن النسيان وتباعدا عن شبه المضلين وادخال ما ليس من الدين فيه فهذا سبب آخر لوجوبه لا لتوقف الإيمان عليه وهل يعتبر في تحقق الإيمان التصديق بعصمته وطهارته وان لا نبي بعده وغير ذلك من احكام النبوات وشرائطها يظهر من كلام بعض العلماء ذلك حيث ذكر ان من جهل شيئا من ذلك خرج عن الإيمان ويحتمل الاكتفاء بما ذكرناه من التصديق الإجمالي

اقول ينبغي ان يضم إلى ذلك الاعتقاد بضروريات الدين وعدم انكار شيء منها للاتفاق على كفر منكرها ✻ الرابع ✻ التصديق بإمامة الاثني عشر وهذا الاصل اعتبره في تحقق الإيمان الطائفة المحقة الإمامية حتى انه من ضروريات مذهبهم دون غيرهم من المخالفين فإنها عندهم من الفروع ثم انه لا ريب انه يشترط التصديق بكونهم أئمة يهدون بالحق وبوجوب الانقياد اليهم في أوامرهم اذ الغرض من الحكم بإمامتهم ذلك فلو لم يتحقق التصديق بذلك لم يتحقق التصديق بكونهم أئمة أما التصديق بكونهم معصومين مطهرين من الرجس كما دلت عليه الادلة العقلية والنقلية والتصديق بكونهم منصوصا عليهم من الله تعالى ورسوله وانهم حافظون للشرع عالمون بما فيه صلاح اهل الشريعة من امور معاشهم ومعادهم وان علمهم ليس عن رأي واجتهاد بل عن يقين تلقوه عمن لا ينطق عن الهوى خلفا عن سلف بأنفس قدسية او بعضه لدني من لدن حكيم خبير اوغير ذلك مما يفيد اليقين كما ورد في الحديث انهم (ع) محدثون اي معهم ملك يحدثهم بجميع ما يحتاجون او يرجع اليهم فيه او انه يحصل لهم نكت في القلوب بذلك على احد التفسيرين للحديث وانه لا يصح خلو العصر عن إمام منهم وإلا لساخت الأرض بأهلها وان الدنيا تتم بتمامهم لا يصح زيادتها عليهم وان خاتمهم المهدي صاحب الزمان وانه حي إلى ان يأذن الله تعالى له فهل يعتبر في تحقق الإيمان ام يكفي اعتقاد إمامتهم ووجوب

طاعتهم في الجملة فيه الوجهان السابقان في النبوة ويمكن ترجيح الأول بأن الذي دل على ثبوت إمامتهم دل على جميع ما ذكر خصوصا العصمة لثبوتها بالعقل والنقل وليس بعيداً الاكتفاء بالأخير على ما يظهر من جل رواتهم ومعارضتهم من شيعتهم في احاديثهم فإن كثيرا منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفائها عليهم بل كانوا يعتقدون انهم علماء ابرار يعرف ذلك من تتبع سيرهم واحاديثهم ففي كتاب ابي عمر الكشي جملة مطلعة على ذلك مع انه المعلوم من سيرتهم مع هؤلاء انهم كانوا حاكمين بإيمانهم بل عدالتهم وهل يكفي كل شخص اعتقاد إمامة من مضى منهم إلى إمام زمانه وان لم يعتقد إمامة الأئمة الباقين الذين وجدوا وانتهت الإمامة اليهم بعد انقراضهم الظاهر ذلك وفي كثير من كتب الاحاديث والرجال ما يشعر بذلك فليطلب منها والدليل انما يدل على وجوب اعتقاد إمامة الاثني عشر بالنظر إلى من تأخر زمانه عن تمام عددهم فليتأمل كيف وقد كانوا في كل زمان مختفين مشردين ملتزمين للتقية في اكثر اوقاتهم لا يستطيعون اخبار خواصهم بإمامتهم فضلا عن غيرهم يشهد بذلك كتب الرجال والأحاديث ايضا وحينئذ فلا بد من الاكتفاء بما ذكرناه وإلا لزم خروج اكثر شيعتهم عن الإيمان وهو باطل

اقول الاكتفاء في الإيمان بإمامتهم ووجوب اطاعتهم على الاجمال مطلقا لا يخلو من تعسف واختلال فإن كثيرا من الأمور كانت من ضروريات مذهبهم ودينهم (ع) فإنكارها او عدم اعتقادها خروج من دينهم (ع) كحلية المتعة وعدم جواز المسح على الخفين والإقرار بقائمهم (ع) وأن كل زمان لا يخلو من أحدهم وبالجملة فيجب الإيمان بضروريات مذهبهم (ع) زيادة على ما ذكره (ره) من الاجمال نعم لو فرض ان بعض المسائل التي هي الآن ضرورية عندنا لم تكن ضرورية في الازمنة السالفة لم يخرج منكرها عن الإيمان ولذا ورد في جملة من الاخبار ليس من شيعتنا من لم يؤمن برجعتنا ومن انكر المتعة ومن انكر القبر ونحو ذلك لكون ذلك من ضروريات مذهبهم (ع) والظاهر ان القول بعصمتهم من الضروريات وإلا لم تثبت إمامة اللاحق بنص السابق منه ولم نقف على نقل وأثر يتضمن انكار احد من ثقات الرواة لعصمتهم (ع) وما ورد من بحث زرارة ونحوه واعتراضه على الإمام وطلبه الدليل من القرآن منه فله محامل ذكرها الاصحاب في مواضعها منها انه يريد التثبت بذلك للمجادلة مع العامة وغايته ان يكون ذلك من التقصيرات التي يرجى لهم العفو عنها وأما الاعتقاد

بالأئمة الباقين قبل زمانهم فالاقوى فيه التفصيل بأنه ان بلغهم ذلك بأخبار متواترة و آثار متظافرة تفيد العلم واليقين وجب اعتقاد ذلك وإلا فلا وقد تقدم في خبر فاطمة بنت اسد انها سئلت في القبر عن إمامة أمير المؤمنين (ع) ثم قال الشهيد (ره) ﴿الخامس﴾ في المعاد الجسماني اتفق المسلمون قاطبة على اثباته وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني والمراد من الأول اعادة البدن بعد فنائه إلى ما كان عليه قبله لنفع دائم او ضرر دائم او منقطع يتعلقان به وذهب جمع من الاشاعرة الى ان المراد منه هو اعادة مثل البدن وهو ضعيف ثم قال وأما عذاب القبر وما يتبع المعاد مما دل عليه السمع ايضا كالحساب والصراط والميزان وتطائر الكتب ودوام عقاب الكافر في النار ودوام نعيم المؤمن في الجنة فلا ريب انه يجب التصديق بها اجمالا لاتفاق الأئمة (ع) وتواتر السمع المتواتر فمنكرها يخرج عن الايمان أما التصديق بتفاصيلها ككون الحساب على صفة كذا والصراط على صفة كذا والميزان هل هو ميزان حقيقة او كناية عن العدل إلى غير ذلك من التفاصيل التي طريقها الآحاد فظاهر ان الجهل بها غير مخل بالإيمان وكذا كون جهنم تحت الأرض وكون الجنة فوق السماء انتهى كلامه رفع مقامه

المبحث التاسع

قد اختلف في معنى الإسلام أيضا على أقوال فقيل هو والإيمان واحد لقوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وبقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وقيل ان الإسلام عبارة عن الاقرار بالشهادتين واعتقادهما مع عدم انكار ضروري من ضروريات الدين وقيل انه مجرد الاقرار بالشهادتين وإن لم يعتقدهما ولهذا كانت تجري أحكام الإسلام الظاهري على جملة من المنافقين والحق ان الإسلام كالإيمان له مراتب ودرجات ويطلق على معاني كثيرة ففي الكافي عن سليمان بن خالد عن الباقر (ع) قال يا سليمان أتدري من المسلم قلت جعلت فداك أنت أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ثم قال وتدري من المؤمن قال قلت أنت أعلم قال المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم وعن الباقر (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ألا أنبئكم بالمؤمن من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ألا انبئكم بالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله وفي النهج عن امير المؤمنين لا تسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي

الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل . وفي الكافي عن جميل بن دراج قال سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله قالت الاعراب آمنا الآية قال لي الا ترى ان الإيمان غير الإسلام ونحوه عن أبي بصير عن الباقر (ع) وتقدمت أخبار أخر في الفرق ويحمل ذلك على اختلاف مراتبه

المبحث العاشر

قد اختلف المتكلمون في انه هل يشترط في العقائد الإيمانية العلم اليقيني أم يكفي الظن القوي ويقرب من ذلك الخلاف في انه هل يجب ذلك بالدليل أم يكفي فيه التقليد وظاهر الاكثر الأول بل حكي الإجماع عليه للآيات والأخبار الدالة على النهي عن متابعة الظن فإن شمولها لأصول الدين متيقن ولو لم يكن إلا قوله تعالى (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) لكفى وقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) حيث نفى الريب فيكون الثابت هو اليقين وقوله تعالى (فاعلم انه لا إله إلا الله) وللاجماع على وجوب المعرفة والتقليد وما في حكمه لا يوجب العلم إذ لو أوجبه لزم اجتماع الضدين في مثل تقليد من يعتقد حدوث العالم ويعتقد قدمه وللاجماع على انه لا يجوز تقليد غير المحق وإنما يعلم المحق من غيره بالنظر في ان ما يقوله حق ام لا وحينئذ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر والاستدلال وإذا صار مستدلا امتنع كونه مقلداً فامتنع التقليد في المعارف الإلهية واجيب بأن العلم شرعا ما تسكن اليه النفس كما عرفه السيد المرتضى في الذريعة وغيره فهو شامل للظن اللغوي والظن المنهي عنه ما لا تسكن اليه النفس والآية الثالثة اخص من المدعى لأنها إنما تدل على اعتبار اليقين في التوحيد دون سائر المعارف والاجماع المركب دونه خرط القتاد على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووجوب التأسي في ذلك ممنوع والاجماع على وجوب العلم ممنوع كيف والمخالف معروف بل ربما يعارض بوقوع الاجماع على خلافه لتقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (ع) والصحابة العوام على إيمانهم مع عدم الاستفسار عن الدلائل وينقض الدليل الأخير بالشرعيات فإنه لا يجوز تقليد المفتي إلا إذا كانت فتياه عن دليل شرعي فإن اكتفى في الاطلاع على ذلك بالظن فليكتف به هنا وممن صرح بالاكتفاء بالظن في الأصول المحقق الطوسي (ره) في الفصول ويعلم دليله مما سبق واحتج من أوجب التقليد في الأصول بأن العلم بالله تعالى غير

ممكن لأن المكلف به ان لم يكن عالما به تعالى امتنع ان يكون عالما بأمره وحال امتناع كونه عالما بأمره يمتنع كونه مأمورا من قبله وإلا لزم تكليف ما لا يطاق وإن كان عالما به استحال أيضا امره بالعلم به استحالة تحصيل الحاصل والجواب على قواعد الإمامية والمعتزلة ظاهر فإن وجوب النظر والمعرفة عندهم عقلي لا سمعي واجيب ايضا بأنه كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الاصولية يدل على امتناع التقليد فيها ايضا فينسد باب المعرفة بالله تعالى ومن يرجع اليه في التقليد لا بد وان يكون عالما بالمسائل الأصولية ليصح تقليده ثم يجري الدليل فيه فيقال علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكن لأنه حين كلف به ان لم يكن عالما به تعالى استحال أن يكون عالما بأمره إلى آخر المقدمات والجواب الجواب ولا مخلص لهم الا ان يعترفوا ان وجوب المعرفة عقلي فيبطل ما ادعوه من ان العلم بالله تعالى غير ممكن او سمعي فكذلك وقيل انه لا يجب على عامة الناس معرفة اصول الدين بالدلائل التفصيلية وترتيب الأشكال المنطقية وانما يجب ذلك كفاية لدفع شبه الكفار والمعاندين وهذا هو الظاهر من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة مع سائر الناس واكثر الخلق كانوا بهذه الصفة ولذا ورد عليكم بدين العجائز وبدين الاعرابي حيث قال البعرة تدل على البعير واثر الاقدام على المسير أفسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا يدلان على اللطيف الخبير ولذا ترى ان من اكتفوا بالدلائل الاجمالية ولم يعرفوا الدور والتسلسل ولا اصطلاحات المتكلمين والمنطقيين اكمل ايمانا واثبت جنانا واشد اعتقادا ممن يخوض في ذلك

المبحث الحادي عشر

قد اختلف المتكلمون من العامة والخاصة في ان المؤمن بعد اتصافه بالإيمان الحقيقي في نفس الأمر هل يمكن ان يكفر ام لا فالاكثر على امكان ذلك ووقوعه لقوله تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) وقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وقوله تعالى (ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم) وقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) وقوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) والآيات في ذلك كثيرة وذهب جماعة الى عدم جواز زوال الإيمان الحقيقي بضد او غيره ونسب ذلك الى السيد المرتضى (ره) وجماعة لأن ثواب

الإيمان دائم وعقاب الكفر دائم والاحباط والموافاة عنده باطلان وان الارتداد الواقع من بعض الناس كاشف عن عدم الايمان سابقا وعن نفاقهم واول الآيات الدالة على ذلك بأن المراد بمن وصفهم بالايمان الايمان اللساني دون القلبي وقد وقع مثله كثيرا في القرآن كقوله تعالى (آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) واما الأحكام التي قد وردت في الشريعة للمرتد ونطق بها الكتاب والسنة واجمعت عليها الفرقة المحقة فغايتها الدلالة على ان من اتصف في ظاهر الشرع بالارتداد فحكمه كذا وكذا ولا تدل على انه صار مرتدا بذلك في نفس الأمر فلعله كان كافرا في الأصل وحكمنا بايمانه ظاهرا للاقرار بما يوجب الايمان مع بقائه على كفره عند الله تعالى وبفعله ما يوجب الارتداد ظاهرا حكمنا بارتداده او كان مؤمنا في الاصل وهو باق على إيمانه عند الله تعالى لكن لاقتحامه حرمات الشرع وتعديه هذه الحدود العظيمة جعل الشارع الحكم بالارتداد عليه عقوبة ليحسم بذلك مادة الاقتحام والتعدي من المكلفين فتتم نظام النواميس الإلهية وقال الشهيد الثاني (ره) منتصرا للسبداِن قلت يتصور زوال الإيمان بصدور بعض الافعال الموجبة للكفر كما تقدم من السجود للاصنام وهتك حرمات الله ونحوها قلت لانسلم امكان صدور فعل يوجب الكفر ممن اتصف بالعلم المذكور بل صار ذلك الفعل ممتنعا بالغير الذي هو العلم اليقيني وان امكن بالذات وحينئذ صدور بعض الافعال المذكورة إنما كان لعدم حصول العلم المذكور والحق انه لا يمكن الاعراض عن ظاهر الآيات بهذه الاعتبارات العقلية والوجوه الاعتبارية والاستبعادات الوهمية وعلى تقدير الاكتفاء بالظن في المعارف فإمكان الزوال ظاهر وعلى تقدير اعتبار اليقين فزوال اليقين الحاصل من البراهين العقلية والقوانين المنطقية ممكن ايضا اللهم إلا أن يكون اليقين في مرتبة الكمال كيقين المقربين والصديقين فزواله محال وصدور تلك الافعال الموجبة للخروج من الدين ايضا محال وأما ما عدى ذلك فيمكن زواله لاسيما إذا قيل بأن الأعمال جزء من الإيمان وان الزنا والسرقة ونحوهما توجب الخروج من الإيمان كما تقدم كثير من الاخبار الدالة على ذلك وبالجملة فالحق التفصيل في ذلك بالنسبة الى مراتب الإيمان وبذلك تلتئم الآيات والاخبار

ففي الكافي عن الحسين بن الحكم قال كتبت الى العبد الصالح اخبره اني شاك وقد قال ابراهيم (ربي أرني كيف تحيي الموتى) واني احب ان تريني شيئا فكتب (ع) اليه ان ابراهيم كان مؤمنا وأحب أن يزداد إيمانا وانت شاك والشاك لا خير فيه وكتب (ع) انما الشك ما لم يأت اليقين

فإذا جاء اليقين لم يجز الشك الخبر وعن يونس عن بعض اصحابه عن ابي الحسن (ع) قال ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلا مؤمنين وأعار قوماً إيمانا فإن شاء تممه لهم وإن شاء سلبهم إياه قال وفيهم جرت (فمستقر ومستودع) وقال لي ان فلانا كان مستودعا إيمانه فلما كذب علينا سلب إيمانه ذلك وعن عيسى شلقان قال كنت قاعدا فمر ابو الحسن موسى (ع) ومعه بهمه قال فقلت يا غلام ما ترى ما يصنع ابوك يأمرنا بالشيء ثم ينهانا عنه أمرنا أن نتولى ابا الخطاب ثم امرنا ان نلعنه ونبرأ منه فقال ابو الحسن (ع) وهو غلام ان الله تعالى خلق خلقا للإيمان لا زوال له وخلق خلقا للكفر لا زوال له وخلق خلقا بين ذلك أعارهم الإيمان يسمون المعارين إن شاء سلبهم وكان ابو الخطاب ممن أعير الإيمان قال فدخلت على ابي عبد الله (ع) فأخبرته بما قلت لأبي الحسن وما قال لي فقال لي ابو عبد الله (ع) انه نبعة نبوة يعني نبع من ينبوع النبوة وعن محمد بن مسلم عن احدهما (ع) قال ان الله تعالى خلق خلقا للإيمان لا زوال له وخلق خلقا للكفر لا زوال له وخلق خلقا بين ذلك واستودع بعضهم الإيمان فإن شاء أن يتمه لهم أتمه وإن شاء أن يسلبهم إياه سلبهم وكان فلان منهم معاراً وعن الصادق (ع) ان الله تعالى جعل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون ابدا وجعل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون ابدا وجعل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون ابدا ومنهم من أعير الإيمان عارية فإذا هو دعا والفع في الدعاء مات على الإيمان وعنه (ع) قال ان العبد ليصبح مؤمنا ويمسي كافرا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا وقوم يعارون الايمان ثم يسلبونه ويسمونهم المعارين ثم قال فلان منهم وعن الصحاف قال قلت لأبي عبد الله (ع) لم يكون الرجل عند الله مؤمنا قد ثبت له الإيمان عنده ثم ينقله الله عز وجل بعد من الإيمان إلى الكفر فقال ان الله تبارك وتعالى هو العدل إنما دعا العباد الى الإيمان به ولا يدعو أحدا الى الكفر به فمن آمن بالله تعالى ثم ثبت له الإيمان عند الله تعالى لم ينقله الله من الإيمان الى الكفر قلت له فيكون الرجل كافرا قد ثبت له الكفر عند الله ثم ينقله الله بعد ذلك من الكفر الى الإيمان قال فقال ان الله تعالى خلق الناس كلهم على الفطرة التي فطرهم عليها لا يعرفون إيمانا بشريعة ولا كفرا بجحود ثم بعث الله عز وجل الرسل يدعون العباد الى الإيمان به فمنهم من هدى الله ومنهم من لم يهده الله ولعل المراد بالفطرة قابلية الإيمان والكفر ويكون حاصل الجواب

ان العباد مع تفاوتهم لهم قابلية الكفر والإيمان ولم يجبر احداً منهم على الكفر لا بحسب الخلقة ولا بحسب التقصير في الهداية لأنهم بسوء اختيارهم واعمالهم واخلاقهم لم يستحقوا الهدايات الخاصة والتوفيقات وهذا أحد معاني الأمر بين الأمرين وعن الصادق (ع) قال ان الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما ابصره ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم أنفع له أم ضر قلت فبم يعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك قال من كان فعله لقوله موافقا فأثبت له الشهادة بالنجاة ومن لم يكن فعله لقوله موافقا فإنما ذلك مستودع وقد ورد في اخبار كثيرة الاستعاذة من مضلات الفتن والحق ان الإيمان الكامل البالغ الى مرتبة عين اليقين كإيمان الأنبياء والأوصياء وكل المؤمنين العارفين يمتنع زواله عادة ولكن بلوغ الإيمان الى هذه الدرجة في غاية الندرة وتكليف عامة الناس بذلك يلزم منه العسر والحرج المنفيان عقلا ونقلا آية ورواية بل لعله يلزم منه تكليف ما لا يطاق واما على ما ذهب اليه جماعة من محققي المتأخرين من الاكتفاء بالظن القوي وما تطمئن به النفس في الإيمان فزوال ذلك ممكن وقد عرفت ان درجات الإيمان متفاوتة فيمكن أن يزول بعضه بالشك وبعضه بالإنكار وبعضه معا ويمكن أن يزول بعضه بالقول وبعضه بالفعل وبعضه بالاعتقاد

المبحث الثاني عشر

في حقيقة الكفر والارتداد نعوذ بالله منهما

قال الشهيد الثاني (ره) عرف الكفر جماعة بأنه عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمنا سواء كان ذلك العدم بضد اولا بضد فبالضد كأن يعتقد عدم أحد الأصول التي بمعرفتها يتحقق الإيمان أو عدم شيء منها او بغير الضد كالخالي من الاعتقاد به أي اعتقاد ما به يتحقق الاعتقاد واعتقاد عدمه وذلك كالشاك أو الخالي بالكلية كالذي لم يقرع سمعه شيء من الأمور التي يتحقق الإيمان بها ويمكن ادخال الشك في القسم الأول إذ الضد يخطر بباله والا لما صار شاكا واعترض بأن الكفر قد يتحقق مع التصديق بالأصول المعتبرة بالإيمان كما اذا ألقى انسان المصحف في القاذورات عامداً أو وطأه كذلك او عدم الاقرار باللسان جحداً وحينئذ فينتقض حد الإيمان منعا وحد الكفر جمعا وأجيب تارة بأنا لا نسلم بقاء التصديق لفاعل ذلك ولو سلمنا بقاءه حالة وقوع ذلك لكن يجوز أن يكون الشارع جعل وقوع

شيء من ذلك علامة وامارة على تكذيب فاعل ذلك وعدم تصديقه فيحكم بكفره عند صدور ذلك منه وهذا كما جعل الاقرار باللسان علامة على الحكم بالإيمان مع انه قد يكون كافرا في نفس الأمر وتارة بأنه يجوز ان يكون الشارع حكم بكفره ظاهراً عند صدور شيء من ذلك حسما لمادة جرأة المكلفين على انتهاك حرماته وتعدي حدوده وإن كان التصديق في نفس الامر حاصلا وغاية ما يلزم من ذلك جواز الحكم بكون شخص واحد مؤمنا وكافراً وهذا لا محذور فيه لأنا نحكم بكفره ظاهراً وامكان إيمانه باطنا فالموضوع مختلف فلم يتحقق اجتماع المتقابلين ليكون محالا ونظير ذلك ما ذكرناه من دلالة الاقرار على الإيمان فيحكم به مع جواز كونه كافراً في نفس الأمر انتهى وأما المرتد فالمشهور بين العلماء انه قسمان فطري وملي والفطري من انعقدت نطفته في حال إسلام احد ابويه ولا خلاف في كفره وعدم قبول توبته ظاهراً ووجوب قتله وفسخ نكاحه وابانة امرأته منه واعتدادها عدة الوفاة وقسمة أمواله بين ورثته وان لم يقتل واختلف في صحة توبته واقعا او عدمها فأكثر المحققين على الأول لأنه مكلف بالإسلام فلو لم تصح توبته كان تكليفا بالمحال وحينئذ فلو لم يطلع احد على ارتداده أو اطلع ولم يتمكن من قتله وتاب فتوبته مقبولة وعباداته ومعاملته صحيحة واقعا نعم يقسم ماله وتبين امرأته وقيل يجوز ان يعقد عليها بعد العدة وقيل في اثناء العدة ايضا ولا يخلو من اشكال وقيل بعدم قبول توبته واقعا ايضا وخلوده في جهنم لأن مثل هذا المحال هو التزمه على نفسه فقبحه يرجع اليه لا إلى مكلفه والمرتد الملي من تولد كافراً ثم اسلم ثم كفر والمشهور انه يجبر على التوبة فإن تاب قبلت توبته ظاهراً وواقعا وان لم يتب قتل واختلف في مدته فقيل ثلاثة أيام كما روي وقيل لا حد لذلك بل ما احتمل توبته ورجوعه جبر وضرب على ذلك فإن أيس من ذلك قتل وهذا كله بالنسبة إلى الرجال واما النساء فإنهن يحبسن بعد الارتداد ولو عن فطرة حبسا مؤبداً ويضربن أوقات الصلاة إلى ان يرجعن إلى الإسلام وذهب ابن الجنيد من علمائنا واكثر العامة إلى ان المرتد قسم واحد فيكلف بالتوبة ملبا كان أو فطريا فإن تاب قبلت توبته وإلا قتل واعلم ان الاصحاب قد اتفقوا على ان انكار أحد ضروريات الإسلام موجب للكفر ولكنهم لم يحصروا الضروريات بل ذكروها متفرقة في كتب الفقه فلنشر إلى جملة منها هنا وقد ذكرنا سابقا ان المراد بضروري الدين ما كان وضوحه وبداهته في دين الإسلام ضروريا بحيث ان كل من دخل في ذلك الدين عرفه إلا من كان جديد الإسلام

أو في بلدان الكفر أو بعيدا عن بلدان الاسلام بحيث لم يطرق سمعه ذلك كوجوب الفرائض الخمس في اليوم والليلة وعدد ركعات كل منها واشتمالها على الركوع والسجود بل التكبير والقيام والقراءة في الجملة على قول ومثل اشتراط الصلاة بالطهارة في الجملة ووجوب غسل الجنابة والحيض بل النفاس على الأقوى ونقض البول والغائط والريح للوضوء على قول ووجوب غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه او رجحان ذلك ووجوب الزكاة في الجملة وصوم شهر رمضان ونقض الاكل والشرب المعتادين والجماع في القبل للصوم ووجوب الحج في الجملة واشتماله على الطواف بل على السعي بين الصفا والمروة في الجملة والوقوفين ووجوب الجهاد في الجملة على احتمال ورجحان الجماعة في الفرائض في الجملة ورجحان التصدق في الجملة وفضيلة العلم وأهله وفضيلة الصدق النافع وقبح الكذب الضار وحرمة الزنى واللواط بل تقبيل الاجنبية والامرد بشهوة على الاظهر وحرمة شراب العنب وحرمة أكل الميتة ولحم الخنزير في الجملة وحرمة نكاح الامهات والاخوات وبنات الأخ وبنات الاخت والعمات والخالات ولم المرأة بل الجمع بين الاختين على الاظهر وحرمة الربا وحرمة الظلم وأكل مال الناس بالباطل وحرمة قتل المسلمين بغير حق ومرجوحية سب المسلمين ولعنهم وأذيتهم واهانتهم بلا سبب بل الغيبة والبهتان على احتمال ورجحان السلام والجواب على احتمال ورجحان الاحسان بجميع الابوين ومرجوحية عقوقهما بل رجحان صلة مطلق الارحام على احتمال وحكم الوارث في الجملة وان الوارث احق بمال الميت من غيره بل العمل بالوصية في الجملة على احتمال وان التصدقات والخيرات تنفع الاموات على الاظهر ورجحان الصوم في الجملة وان العقد يفيد الوطء والطلاق يفيد تفريقه في الجملة ووجوب ستر النساء عن الأجانب في الجملة ومرجوحية النظر الى عورة الأجانب ومرجوحية وطء الحيوانات وان عقد البيع والاجارة والصلح يفيد الانتقال في الجملة على الأظهر وان ذبح الحيوانات الحلال يفيد حليتها في الجملة وحرمة السرقة وقطع الطريق وحقية القرآن الكريم وانه منزل من عند الله بل انه معجز على الاظهر ووجوب مودة اهل البيت وتعظيمهم ولذا كفر النواصب والخوارج وكما ان انكار ضروري الدين يخرج منكره عن الدين فكذا من انكر ضروري مذهب الإمامية يخرج من مذهبهم كإنكار إمامتهم وكالم (ع) وعلمهم وفضلهم وورعهم بل عصمتهم والنص عليهم من الله ورسوله على الاظهر وانه لا يزيد عددهم على الاثني عشر ولن الامام الثاني عشر حي موجود يتوقع ظهوره ووجوب البراءة من الجبت

والطاغوت والأوثان وغاصبي حقهم وقاتليهم وظالميهم والتبري من جميع أعدائهم ووجوب الاعتقاد بحسن حال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحلية المتعة وحج التمتع وقول حي على خير العمل في الأذان والإقامة ومسح الرجلين في الوضوء وعدم استحباب التكتف وقول آمين في الصلاة وقول الصلاة خير من النوم في الاذان واستحباب زيارة قبور الأئمة وتعميرها وتعظيمهم وحرمة لحم الكلب بل سائر السباع والحشرات على احتمال وحرمة وطء المحارم مع لف الذكر بالحرير وعدم الجبر وعدم سقوط العبادات ونحو ذلك والحاصل ان ضروري الدين ما يكون دليله واضحا عند علماء الإسلام بحيث لا يصلح لاختلافهم فيه ونحو ذلك ضروري المذهب

المبحث الثالث عشر

في تعيين زمان التكليف بالمعارف الإلهية

اعلم ان جماً من المتكلمين حددوا وقت التكليف بالمعارف بالتمكن من العلم بالمسائل الأصولية حيث قالوا ان المكلف يشترط كونه قادراً على ما كلف به مميزاً بينه وبين غيره مما لم يكلف به متمكنا من العلم بما كلف به إذ التكليف بدون ذلك محال والظاهر ان هذا يتوقف على تحقق البلوغ الشرعي باحدى العلامات المذكورة في كتب الفروع بل قد يكون قبل ذلك بسنتين أو بعده كذلك بحسب مراتب الادراك قوة وضعفا وذكر بعض فقهائنا ان وقت التكليف بالمعارف الإلهية هو وقت التكليف بالأعمال الشرعية الا انه يجب أولا بعد تحقق البلوغ والعقل المسارعة إلى تحصيل المعارف قبل الاتيان بالاعمال واورد عليه أنه يلزم منه ان يكون الإناث اكمل من الذكور لأن الأنثى تخاطب بالعبادة عند كمال التسع إذا كانت عاقلة فتخاطب بالمعرفة ايضا عند ذلك والصبي لا يبلغ عند كمال التسع بالاحتلام ولا بالانبات على ما جرت به العادة فلا يخاطب بالمعرفة وان كان مميزا عاقلا لعدم خطابه بالعبادات فتكون أكمل منه استعدادا للمعارف وهو بعيد من مدارك العقل والنقل وذهب بعض العلماء إلى وجوب المعرفة على من بلغ عشرا عاقلا ونسب ذلك إلى الشيخ الطوسي (ره) وهذا مخالف للأحاديث الكثيرة الدالة على رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ وهذا كله على تقدير وجوب تحصيل اليقين في المعارف والاستدلال وعدم الاكتفاء بالظن القوي والتقليد وعلى تقدير كون المعارف كسبية

لا فطرية واما على تقدير كونها فطرية فلا اشكال كما يأتي ان شاء الله تعالى

المبحث الرابع عشر

في ان الإنسان في زمان مهلة النظر إذا أراد ان يعرف الله تعالى بناء على ان المعارف الخمسة نظرية يجب تحصيلها بالدليل هل هو كافر أو مؤمن قال الشهيد الثاني (ره) جزم السيد المرتضى (ره) بكفره واستشكل بعضهم والظاهر ان محل النزاع في من لم يسبق منه اعتقاد ما يوجب الكفر فإنه في زمان طلب الحق بالنظر فيه مع بقاء ذلك الاعتقاد لا ريب في كفره بل النزاع فيمن هو في أول مراتب التكليف إذا وجه نفسه للنظر في تحقيق الحق ليعتقد ولم يكن معتقدا لما يوجب الكفر بل هو متردد حتى يرجح عنده شيء فيعتقد و كذا من سبق له اعتقاد ما يوجب الكفر لكنه رجع عنه إلى الشك بسبب نظره في تحقيق الحق ولما يترجح عنده الحق فهذان هل هما كافران في هذا النظر أم لا

﴿ أقول ﴾ ما تقدم من تعريف الكفر بأنه عدم الإيمان عما من شأنه ان يكون مؤمنا يقتضي الحكم بكفرهما حالة النظر لصدق عدم الإيمان عليهما في تلك الحالة وهذا مشكل جدا لأنه يقتضي الحكم بكفر كل احد أول كمال عقله الذي هو اول وقت التكليف بالمعرفة لأنه أول وقت امكان النظر إذ النظر قبله لا عبرة به ويقتضي ان يكون من أدركه الموت في تلك الحالة مخلدا في جهنم ولا يخفى بعد ذلك عن حكمة الله تعالى وعدله ولزوم إما التكليف بما لا يطاق ان عذبه على ترك الايمان حيث لم يمض وقت يمكنه تحصيله فيه قبل الموت كما هو المفروض أو الظلم الصرف ان لم يكن يقدر على ذلك تعالى الله عن ذلك إذا لم يسبق له اعتقاد ما يوجب الكفر كما هو المفروض أيضا ليكون التعذيب عليه ويلزم من ذلك القدح في صحة تعريف الكفر بذلك اللهم إلا ان يقال ان مثل هذا النوع من الكفر لا يعذب صاحبه لكنه يلزم منه القدح في الاجماع على ان كل كافر مخلد في النار وليس بعيداً التزام ذلك وان يكون المراد من الكافر المخلد من كان كفره عن اعتقاد فيكون الاجماع مخصوصا بمن عدى الأول (ان قلت) ان لم يكن هذا الشخص من أهل النار يلزم ان يكون من أهل الجنة إذ لا واسطة بينهما في الآخرة على المذهب الحق فيلزم أن يخلد في الجنة من لا إيمان له أصلا كما هو المفروض وهو مخالف لما عقد عليه الإجماع من ان غير المؤمن لا يدخل الجنة (قلت) يجوز ان يكون

ادخال الجنة تفضلا من الله تعالى كالأطفال ويكون الاجماع مخصوصا بمن كلف الإيمان ومضت عليه مدة كان يمكنه تحصيله فيها فقصر وأقول ايضا الذي يقتضيه النظر ان هذا الشخص لا يحكم عليه بكفر ولا بإيمان في زمان النظر حقيقة بل تبعا كالأطفال فإنه لم يتحقق له التكليف التام ليخرج عن حكم الأطفال فهو باق على ذلك إلى أن يمضي عليه زمان يمكن فيه النظر الموصل إلى الإيمان لكن هذا لا يتم فيمن لم يسبق له الكفر كمن هو في اول بلوغه أما من سبق له اعتقاد الكفر ثم رجع عنه إلى الشك فيتم فيه انتهى والحق ان الشريعة السهلة السمحة أوسع من ذلك وان الله لا يكلف نفسا إلا ما آتاها ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها والوسع دون الطاقة ووجود الصانع وتوحيده فطريان كما تقدمت الإشارة اليه وأكثر المعارف الأخر يجوز اخذها من الشارع ولو بواسطة والاطمئنان التام كاف بالنسبة إلى أكثر الناس والذي يستفاد من الأخبار المتواترة ان معرفة الله تعالى بعنوان انه الخالق العالم وان له رضى وسخطا وانه لا بد من معلم من جهته تعالى ليعلم الخلق ما يرضيه وما يسخطه من الأمور الفطرية التي وقعت في القلوب بإلهام فطري إلهي كما قالت الحكماء والطفل يتعلق بثدي أمه بإلهام فطري إلهي وتوضيح ذلك انه تعالى ألهمهم تلك القضايا أي خلقها في قلوبهم وألهمهم بدلالات واضحة تلك القضايا ثم أرسل اليهم الرسول وأنزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهى وبالجملة لم يتعلق بهم وجوب ولا غيره من التكليفات قبل بلوغ الخطاب وكل من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقع في قلبه من الله يقين بصدقه لتضافر الأخبار بأنه ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه قبله أو تركه وحينئذ فأول الواجبات الاقرار اللساني بالشهادتين وكذا تواترت الأخبار بأن على الله التعريف والبيان وعلى الخلق ان يقبلوا ما عرفهم الله تعالى وطريق التعريف والبيان انه تعالى أولا يلهمهم بتلك القضايا وكذلك يلهمهم بدلالات واضحة عليها صادعة قلوبهم ثم بعد ذلك تبلغهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدلالة على صدقه ثم بعد ذلك يجب عليهم الاقرار بالشهادتين في ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجمالا وبيان من لم يحصل في حقه هذه الأمور سواء كان من أهل الفترة أو كان له مانع آخر لم يتعلق به تكليف في دار الدنيا ويتعلق به تكليف بدل ذلك يوم القيامة ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ففي توحيد الصدوق عن العجلي عن الصادق (ع) قال ليس لله على خلقه ان يعرفوا قبل ان يعرفهم وللخلق على الله ان يعرفهم ولله على الخلق إذا عرفهم ان يقبلوا وعن حمزة بن الطيار

عن ابي عبد الله (ع) قال قال لي اكتب فأملى علي ان من قولنا ان الله يحتج على العباد بما أتاهم وعرفهم ثم أرسل اليهم رسولا وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهى أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال أنا انيمك وأنا أوقظك فاذهب وصل ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصححك فإذا شفيتك فاقضه ثم قال الصادق (ع) وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً إلا في ضيق ولم تجد أحداً إلا ولله عليه الحجة وله فيه المشيئة ولا أقول انهم ما شاؤوا صنعوا وما أمروا إلا بدون سعتهم يعني بمن يعلق به التكليف وكل شيء امر الناس به فهم يسعون له وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم ولكن اكثر الناس لا خير فيهم ثم قال (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ولرسوله) فوضع عنهم (ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم) الآية فوضع عنهم لانهم لا يجدون وعن حماد بن عبد الأعلى قال قلت لأبي عبد الله (ع) اصلحك الله هل جعل في الناس اداة ينالون بها المعرفة قال فقال لا قلت فهل كلفوا المعرفة قال لا على الله البيان لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها قال وسألته عن قوله عز وجل (ما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) قال حتى يعرفهم ما يرضيه ويسخطه وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) انه سئل عن المعرفة أمكتسبة هي فقال لا فقيل له فمن صنع الله عز وجل وعطائه هي قال نعم وليس للعباد فيها صنع ولهم اكتساب الاعمال وعن محمد بن حكيم قال قلت لأبي عبد الله (ع) المعرفة صنع من هي قال من صنع الله عز وجل ليس للعباد فيها صنع وعنه (ع) ان الله عز وجل احتج على الناس بما أتاهم وما عرفهم وعن عبد الأعلى بن اعين قال سألت أبا عبد الله (ع) عمن لم يعرف شيئا هل عليه شيء قال لا وعنه (ع) قال ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم وعنه (ع) ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة والمراد بالغضب ما يكون في الباطن لا ما يظهر باليد واللسان فإنه من فعل العبد يحاسب عليه وفي محاسن البرقي عن الصادق (ع) قال لم يكلف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم اليها سبيلا وفي توحيد الصدوق عن العلا بن الفضل عن الصادق (ع) قال سألته عن قول الله عز وجل فطرة الله التي فطر الناس عليها قال التوحيد والاخبار في ذلك متواترة اشرنا إلى جملة منها في صدر الكتاب . و في

بعضها فطرهم على المعرفة فإن قيل كيف يمكن القول بأن التصديقات فائضة من الله تعالى على النفوس الناطقة ومنها كاذبة ومنها كفرية وهذا انما يتجه على قول الاشاعرة المنكرين للحسن والقبح الذاتيين والقائلين بجواز العكس بأن الله يجعل كل ما حرمه واجبا وبالعكس لا على رأي المعتزلة والإمامية قلنا يمكن الجواب بوجوه (الاول) ان الله يحول بين المرء وبين أن يجزم جزما باطلا ففي محاسن البرقي عن ايوب الحر قال قال ابو عبد الله (ع) يا ايوب ما من احد الا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه قبله أم تركه وذلك ان الله يقول في كتابه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) وعنه (ع) قال ليس من باطل يقوم بازاء الحق إلا غلب الحق الباطل وذلك قوله بل نقذف الآية وعن هشام بن سالم عن الصادق (ع) في قول الله تبارك وتعالى (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) فقال يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق وعنه (ع) قال ابى الله ان يعرف باطل حقا ابى الله ان يجعل الحق في قلب المؤمن باطلا لا شك فيه وابى الله ان يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقا لا شك فيه ولو لم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل وفي كتاب التوحيد عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) في قول الله عزوجل (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق . لا يقال نشاهد في كثير من الناس آثار جزمهم بما هو خلاف الواقع لأنا نقول كثيرا ما يظن كثير من الناس الظن المتاخم للجزم جزما فيزعمون انهم جزموا وليس كذلك ﴿ الثاني ﴾ أن يقال التصديقات الصادقة فائضة على القلوب من الله تعالى بلا واسطة او بواسطة ملك وهي تكون جزما وظنا والتصديقات الكاذبة تقع في القلوب بإلهام الشيطان وهي لا تتعدى الظن ولا تصل إلى حد الجزم وإلا لما قامت لله حجة إذ ما وراء اليقين شيء . لا يقال إنما دل على ان المعرفة موهبية مناف للآيات والأخبار الكثيرة من وجوب طلب العلم وأن طلبه فريضة على كل مسلم لأنا نقول المراد بالمعرفة الموهبية ما يتوقف عليه حجية الأدلة السمعية من معرفة صانع العالم وان له رضا وسخطا وانه يجب ان ينصب واسطة بينه وبين خلقه يبين للناس ما يصلحهم مما يفسدهم والعلم المأمور به ما عدى ذلك من الادلة السمعية ونحوها كما قال ﷺ إنما العلم آية محكمة او فريضة عادلة او سنة قائمة ويشهد لذلك قوله تعالى في الرواية السابقة ان الله احتج على العباد بما آتاهم وعرفهم ثم أرسل اليهم الرسول وأنزل عليه الكتاب وأمر فيه ونهى حيث قدم ما قدم على الأمر والنهي وهو المعارف وما يستفاد من الأمر والنهي هو العلم ويستفاد من هذه الروايات

ونحوها أن من لم تبلغه الدعوة ومن يحذو حذوهم لا يتعلق به تكليف بالمعارف لأنها من الله والله العالم بالصواب واليه المرجع في المآب والاتكال في كل باب ثم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد مؤلفه الفقير الحقير كثير الذنب والتقصير افقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله ابن محمد رضا الحسيني في عصر الخميس تاسع عشر المحرم الحرام سنة ١٢٢٦ حامداً مصلياً مسلماً والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

فهرست الجزء الثاني من كتاب حق اليقين في اصول الدين

صفحة		صفحة	
٢	المقصد التاسع في اثبات الرجعة وحقيقتها وكيفيتها وذكر من اثبتها	٥١	الكلام في تركب البدن وبيان مذاهب الفلاسفة والحكماء والمتكلمين
٣	في الآيات القرآنية الدالة على الرجعة	٥٥	الفصل الثالث في الموت وتوابعه وفيه مطالب
٨	في الاخبار المعصومية الدالة على ثبوت الرجعة	٥٥	المطلب الأول يجب الاقرار بأن كل حي سوى الله يموت
٢٩	ختام واتمام فيه تشييد مرام	٥٧	المطلب الثاني ينبغي الاقرار بملك الموت وقبض الروح واعوانه
٣٦	الباب السادس في اثبات المعاد وكيفيته ومقدماته وتوابعه من الموت إلى انقضاء أمر العالم وفيه فصول	٥٩	المطلب الثالث في سكرات الموت وشدائده وكيفياته وما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور النبي ﷺ والأئمة عند الموت وعند الدفن
٣٦	الفصل الأول في ان المعاد يطلق على ثلاثة معان واقوال أهل العالم في امر المعاد	٦٤	الفصل الرابع في احوال عالم البرزخ وفيه فوائد
٣٨	القول في المعاد الجسماني والروحاني معا	٦٤	الفائدة الاولى في بقاء الروح في العالم البرزخي
٤٣	فصل في الآيات الواردة في المعاد	٦٨	الفائدة الثانية في بيان سؤال القبر وضغطته وثوابه وعقابه
٤٤	كلام الإمام الرازي في الحشر والنشر		
٤٦	فصل في الروح بمعناها وما قيل فيها من الاقوال ومنزلة البدن منها ودفع جملة من الشبه الواردة في المعاد		

صفحة	
٦٩	في ذكر من انكر عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين
٧٠	في بيان حال الصبيان في القبر
٧٠	في بيان حال الأنبياء وانهم يسألون أم لا وكذلك الأئمة (ع)
٧٠	في بيان اكثر ما يكون منه عذاب القبر
٧٢	في بيان أن المنعم والمعذب في القبر هو الروح وانها اي روح هي
٨١	في بيان ضغطة القبر
٨٤	الفائدة الثالثة في بيان محل الروح والجسم المثالي في عالم البرزخ
٩١	الفصل الخامس في اشراط الساعة وعلامات القيامة وفيه أمور
٩١	الأول خروج يأجوج ومأجوج وبيان السد وتعيين محله وطوله وعرضه
٩٣	الثاني دابة الأرض
٩٣	الثالث طلوع الشمس من مغربها
٩٣	الرابع الدخان
٩٤	الفصل السادس في نفخ الصور
٩٧	في فناء الاشياء وانعدامها قبل يوم القيامة
١٠٠	الفصل السابع في بيان سائر ما يقع قبل القيامة
١٠١	الفصل الثامن في حشر الوحوش والجن والشياطين
١٠٤	الفصل التاسع في بيان احوال الاطفال والمجانين والمستضعفين ونحوهم
١٠٩	الفصل العاشر في بيان الميزان والحساب والسؤال ورد المظالم وفيه مقالتان
١٠٩	المقالة الأولى في الميزان

صفحة	
١٠٩	في معنى الميزان وحقيقته
١١٢	المقالة الثانية في الحساب والسؤال ورد مظالم العباد
١١٨	تذييل فيمن يحاسب ويسأل وعن اي شيء يحاسب ويسأل
١١٨	الفصل الحادي عشر في بيان تطاير الكتب وانطاق الجوارح
١٢٥	الفصل الثاني عشر في بيان الوسيلة واللواء والحوض والشفاعة وسائر منازل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته في القيامة
١٢٩	تذييل في الحوض
١٣٤	ختام في الشفاعة
١٤٠	الفصل الثالث عشر في بيان الصراط
١٤٥	الفصل الرابع عشر في حقية الجنة والنار وحقيقتها
١٤٧	في كون الجنة والنار مخلوقتين الآن وبيان الاقوال في ذلك
١٥١	الفصل الخامس عشر في بيان بعض اوصاف الجنة
١٦٨	الفصل السادس عشر في بيان بعض صفات النار وخصوصاتها
١٧٨	في بيان شبهة لمحيي الدين العربي في انقطاع العذاب وزواله
١٧٩	في الجواب عن شبهة محيي الدين
١٨٣	الفصل السابع عشر في الاعراف واهلها وما يجري بين اهل الجنة والنار
١٨١	الفصل الثامن عشر في بيان من يخلد في الجنة ومن يخلد في النار
١٩٢	الكلام فيمن مات ولم يعرف إمام زمانه
١٩٢	في حال اصحاب الكبائر من الإمامية يوم القيامة

صفحة	
١٩٣	في اوصاف الشيعة
١٩٤	الفصل التاسع عشر فيما يكون بعد دخول أهل الجنة الجنة واهل النار النار
١٩٥	خاتمة فيها مباحث المبحث الأول في التوبة وفيها فصول
١٩٥	الفصل الاول في حقيقتها
١٩٦	الفصل الثاني في وجوبها
١٩٧	الفصل الثالث في فوريتها
١٩٧	الفصل الرابع في عمومها في الاحوال والاشخاص
١٩٨	الفصل الخامس في قبولها وسقوط العقاب بها
٢٠٠	الفصل السادس في تقسيم الذنوب التي يتاب منها
٢٠١	في تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر
٢٠٦	الفصل السابع في بيان ما تعظم به الصغائر وتكون كبائر
٢٠٨	الفصل الثامن في تجزئة التوبة وتبعيضها
٢٠٨	الفصل التاسع في بيان وجوب التفصيل وكفاية الإجمال في التوبة عن الذنوب
٢٠٩	فيما لو تاب عن معصية اجمالا ثم ذكرها هل يجب عليه تجديد التوبة أم لا
٢٠٩	الفصل العاشر في بيان ان القوم على عدم العود إلى الذنب شرط في التوبة أم لا
٢٠٩	الفصل الحادي عشر في بيان اقسام العباد في التوبة وانهم طبقات اربعة
٢١٠	الفصل الثاني عشر في بيان علاج الاقبال على التوبة وهي اربعة أمور
٢١١	الفصل الثالث عشر في الاشارة إلى جملة من اصناف المعاصي مما نص عليه في الكتاب والسنة المعلومة سوى ما تقدم
٢١٤	المبحث الثاني في الآجال
٢١٥	المبحث الثالث في الارزاق
٢١٨	المبحث الرابع في الاسعار
٢٢٠	المبحث الخامس في الاحباط والتكفير وبيان مذاهب المعتزلة والاشاعرة والإمامية في ذلك
٢٢٤	المبحث السادس في بيان معنى الإيمان والإسلام والكفر والارتداد وفيه فصول
٢٣١	المبحث السابع في ان حقيقة الإيمان بعد الاتصاف بها هل تقبل الزيادة والنقصان أم لا
٢٣٣	المبحث الثامن في بيان اجزاء الإيمان والمعارف التي يحصل بها
٢٣٥	في بيان ان من شرائط الإيمان التصديق بإمامة الأئمة الاثني عشر
٢٣٧	المبحث التاسع في معنى الإسلام
٢٣٨	المبحث العاشر في انه هل يشترط في العقائد الإيمانية العلم اليقيني ام يكفي الظن القوي وهل يجب ذلك بالدليل أم يكفي فيه التقليد
٢٣٩	المبحث الحادي عشر في بيان هل يمكن كفر المؤمن ام لا
٢٤٢	المبحث الثاني عشر في بيان حقيقة الكفر والارتداد
٢٤٥	المبحث الثالث عشر في تعيين زمان التكليف والمفارق الآلهية
٢٤٦	المبحث الرابع عشر في ان الإنسان في زمان مهلة النظر هل هو كافر أو مؤمن

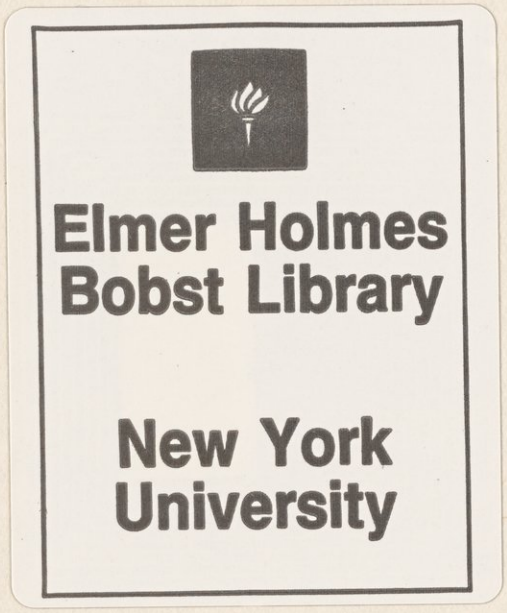
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 01490 4265
BP194 .S49 1980z Haqq al-yaqin fi marifat usul